

كتاب

تحفة الزائر

في مآثر الامير عبد القادر واخبار الجزائر

الجزء الاول

✽ سيرته السيفية ✽

قال ابو تمام

مَنْ أَلَسِمَ مَيِّتٌ وَهُوَ حَيٌّ بِذِكْرِهِ * وَحَيٌّ سَابِمٌ وَهُوَ فِي النَّاسِ مَيِّتٌ

حقوق الطبع محفوظة المؤلف

بالمطبعة التجارية - غرزوزي وجاويش - بالاسكندرية

سنة ١٩٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي احاط بكل شيء علما . وانفذ في كل مخلوق قضاء ازليا وحكما .
 له الملك الذي ليس له ابتداء . ولا لمده وأمدته انقطاع وانتهاء . وله الخلق والامر
 ويده النفع والضرر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد النافع باعباء الرسالة .
 ومالك ازمة المجد والجلالة قائد جيوش النبوة . وعاهد لواء البسالة والفتوة . وعلى
 آله واصحابه الذين اتبعوه فيما شرعه وسنه . وناضلوا من حاد عن سنته بالسيوف
 والاسنة . وبذلوا نفيس الانفس في محبته . ومن اقتفى آثارهم في بصرة دينه من
 امته . الى يوم الدين آمين . (اما بعد) فيقول الفقير الى مولاه الغني . ❖ محمد ابن
 الامير عبد القادر الحسني ❖ . سدد الله عمله . وبلغه ما رامه وامله . بينما شمس سماء
 سيادتنا في افق المغرب الأوسط طالعة . واشعة انوارها على رياض اقطاره ساطعة .
 وربوعنا باهل الفضل مغمورة . وقصادنا بانواع المواهب مغمورة . اذ فاجأتنا طوارق
 الدهر . وجاءتنا جنود فرانسا من البحر كالدر . فطنقنا ندافع عن الوطن بكل حمية .
 ونبذل النفوس في حماية سكانه من كل بلية . واتصلت بيننا حروب للظهور قاصمة .
 واعرى الحزم والعزم قاصمة . ثم كاثرونا باخيل والرجل . وساورونا في الحزن
 والسهل . فقابلنا اعمالهم بالمثل . حتى استولى على قلوب الرعية الاضطراب . واستحكم
 الوهن فيها يتمكن الاسباب . ولقي ريمنا اعمارا . واشرب صفونا اكدارا .
 وثم امور تشيب الوليد * وترجع بالاشيب القهقرا
 ومع ذلك لم نترك المداخلة الى انقضاء المدة . واستكمال الامارة من ايامها العدة . فاحاطت بنا
 جيوش تعدوا وتناوش . من دولتي فرانسا ومراكش . والله في خلقه علم الغيب . وليس في الغاب
 بعد بذل الوسع عيب . ومن شان الدوائر ان تدور . ولا بد من اعتراء الخسف للبدور .
 وفي السماء نجوم لا عداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر
 ولما اراد الله تعالى ان لا تثبت في وجوههم . ولا تقوم بدفع صدماتهم وهجومهم . راينا التسليم

الاقدار اولى . وان النصر ليس الا بيد المولى . فالفينا السلاح للفرنساوين بشروط
مقررة . وعهود بيننا محررة . وبالقدر فارقتا البلاد . وارتحلنا عن محل الطارف
والتلاد . فعبثت بها ايدي النواذب . ورشقتها المحزن بالسهام الصوائب . وغودرت
منازلها صماء عمياء . وصودرت معقلها بداهية دهما . وامست من كرام اهلها خالية .
واصبحت عاطلة بعد ان كانت حالية . وانمحت رسوم ذلك القطر العزيز وانثرت .
وانقصمت عقود ايامه وانثرت . ولا غرو فان الدهر ذو غير . وكل شيء بقضاء وقدر .
هذا الذي سبق القضاء به * والدهر بين الناس ذو دول
فلذنا في فرانسنا خمسة اعوام . صابرين على القدر صبرا الكرام . نستنجز من الحكومة سالف عهدنا .
ونتقرب منها وفاء وعدنا . الى ان سلاك الله بنا للنجاة منهجا . وجعل لنا من امرنا فرجا وتخرجا .
ومن علينا بالانطلاق من ذلك الاعتقال . والانتقال على مطايا الراحة مع الصعب والآل .
لاتياسن من انفراج شديدة * قد تجلي الغمرات وهي شدائد

ثم خرجنا من فرانسنا ممتطين غارب البحر الى ان وصلنا اسلامبول المحمية . دار السعادة
ومقر الخلافة الاسلامية . فمكثنا بها سبعة ايام . لا زالت منها للخاص والعام . وتشرف
سيدي الوالد بقبالة حضرة ساكن الجنان . مولانا (السلطان الغازي عبد المجيد خان) . فخلع
عليه خلع اللطف والاحسان . ثم توجهنا الى بروسة بقصد الاقامة . فاقمنا بها عامين وستة اشهر
في عزوكرامة . وكان سبب خروجنا منها زلزلة عظيمة . مست اهلها بمصائب جسيمة . فيمعدنا
البلاد الشامية . ونزلنا بالديار دمشقية . وانقينا فيها عما الترحال . وحلانا عقدة
الرحال . فائزين بكمال التبجيل والاحترام . حائزين اعلا منزلة وارقي مقام . ملحوظين
بانظار الدولة العلية . مشمولين بصنوف مواهبها السنية . لا يتقدم علينا احد في المحافل .
ولا يرد وارد قبلنا للمناهل . منزلنا ملجأ للعموم . ومنجأ لكل مظلوم . فيه الري لكل
صادي . سواء العاكف فيه والبادي . ومع ما انا فيه من السرور . وكمال العز والحبور .
كان يغلب علي في اغلب الاحيان . تذكر الأهل والاطوان . فتتحرك مني السواكن .
وتنبعث منها لاشواق الكوامن . سيما اذا مررت بنظر يروق . واومضت من ناحية المغرب بروق
ذاك الزمان هو الزمان وغيره * لافرق بين فئاته ووجوده

وما عسى ان اذكر في اقليم وقع على فضله الاتفاق . وحاز قصب السبق على غيره
بالاستحقاق . فهيات ان تنقطع له مني المدائح . ولو قطعت تغريدها الحمام الصواح .
فان شوقي اليه شوق البلبل الى الورد . وامرؤه القيس الى الابلق الفرد .



لا الجزع يسليني ولا وادي الغضا * عنها ولا نجد ولا الدهناء
لا رامة رومي ولا حزوة ولا * وادي النقا والخيف والخلصاء
كيف لا وهي كما قيل .

بلاد بها ميطت على تمائي * واول ارض مس جلدي ترابها
وعن سيد ولد عدنان . حب الوطن من الايمان . وقالوا يحن اللبيب الى وطنه .
كما يحن النجيب الى عطنه . وقيل لبعض الحكماء بم يعرف وفاء الرجل وزمام عهده
قال بجنينه الى اوطانه . وتشوقه الى اخوانه . وكانت ترد علينا بعض الوفود .
فيذكرونا بسالف اليهود . ثم نتجاذب أعنة الحديث . وناخذ في القديم منها والحديث .
فتوءدينا المناسبة الى ذكر احوال سيدي الوالد . الصافية موارد بره للصادر والوارد .
ناصر الدين . امير الغزاة والمجاهدين

اذا قيل سميه اقول مكنيا * هو الغاية القصوى هو الآية الكبرى
فكنت اخبرهم عما وقع له من الوقائع الجسيمة . والحروب الهائلة العظيمة . التي
عرف بين الناس قدرها . واشتهر على الالسنه ذكرها .

وسارت مسير الشمس في كل بلدة * وهبت هبوب الريح في البر والبحر
وكثيراً ما كنت احدثهم عنها بما يستغرب ويستبدع . ويحفظ في خزانة النفوس
ويستودع . مما يرقص الجماد منه طرباً . ويقضي السامع من غرائبه عجباً . فيشنفون
بذلك مسامعهم . ويعطرون به محافلهم ومجامعهم . يرتاحون اليه ارياح الكريم الى
الوفود . ويتعطشون اليه تعطش الصادي الى الورود . ويودون تدوينه في كتاب .
ليبقى ثابتاً مدى الازمان والاحقاب . يباغى الشاهد للغائب . ويسير ذكره في المشارق
والمغارب . فيتلقيه بحسن القبول من كان الادب مطمح نظره . ويرويه رواية الحديث
الصحيح من رام ان يقبض قبضة من اثره . فيجعله لصحائف الشمايل عنواناً . ويرتب
له في عجائب المآثر ديواناً . لانه من اهم ما تتعلق الحمم العلية بجمعه وتاليفه .
وانفس ما تتعشق النفوس الزكية حسن تدوينه وتصنيفه . فخرصوني على القيام بهذا
المندوب . والتصدي لامعان النظر فيه حسب المطلوب . وقالوا لا يخفى ان تحرير
احوال الاكابر . وتسطير مزاياهم في صفحات الدفاتر . لمن سنة الكرام التي مضى عليها
عمالهم . وطريقة اهل العرفان التي نيط بها املهم . لاسيما هذا الامير الشهير . والسيد
الجليل الخطير . من نحت بثنائه العاطر . السنة اعظم الاكابر . وتشرفت اسماع الوري

في سائر الاطراف . بحسن سيرته وما حازه من بديع الاوصاف . وتهادت اخباره
كافة الدول . تهادي لذيد الكرى للمقل . حيث اشبه من السلف عمر بن
عبد العزيز في زهده ورشاده . ومن الخلف يوسف صلاح الدين في حركاته وغزواته
وجهاده . وحكي الشيخ الاكبر فيما يؤثر عنه ويذكر . بل الاخرى ان يقال . كان
لجده الكرّار مثال . في الجمع بين الاضداد . واحرز مناقب العلماء والامراء والابطال
والعباد . وهو الجدير بان تنشر احاديثه وتححرر . وتلى آياته مدى الدهر وتكرر . بل
حريّ بان ترقم بالتبر جميع احواله واموره . وتضبط وقائع ايامه واعوامه وتهوره .
فقلت لعمري قد اصبت فيما ذكرتم . وحتى ان تجابوا الى ما به اشرت . ولكن اين
الطرق والاسباب . الموصلة لفتح هذا الباب . فلم يقبلوا مني عذراً . بل كرروا ذلك
على المرة بعد الاخرى . وقالوا لا يعزب عنك شيء من ظاهر حاله وخافيه . فانك ابنه
ومحل سره ورب البيت ادرى بما فيه . فقلت لقد حملتموني شيئاً اذاً . وكفتموني
احصاء نجوم السماء عدّاً . فان حال هذا الامير لا تفني به عبارتي . ولا تحيط ببعض
معانيه اشارتي .

وماذا عسى بالوصف يبلغ مقولي * ولو مدت الاقلام من مدد البحر
ويكفيه ان الخضم الالدي . تكلم فيه بلسان الخلل الأودي . بل صار كالمثل
السائر . وخذ في بطون الصحف والدفاتر * حكى مسيو اسكندر بالمار في تاريخه عن
المارشال سوليت الفرنسي انه قال لبعض اصحابه سنة الف وثمانمائة واربعين
لا يوجد الآن احد في العالم يستحق ان يلقب بالاكبر الا ثلاثة اشخاص كلهم
مسلمون وهم الامير عبد القادر ومحمد علي باشا والشيخ شامل .

ومليحة شؤدت لها ضررتها * والفضل ما شهدت به الاعداء
وحيث لم اجد بداً عن اجابتهم . ولا مندوحة عن اطاعتهم . استخرت الله تعالى
وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد . لجمع ما استعيت به من المواد . فجلبت تواريج
وقائعه المدونة باللغة الافرنجية . وتكلفت ترجمتها الى العربية . وبعد مطالعتها وامعان
النظر فيها وجدت بعض موءلفيها قد اصاب . والبعض اخطاء جادة الصواب . وحافظ
فريق على انتصارات قومه . ونسي الآخر احوال امسه وذكر وقائع يومه . قال لوليس
فاليوت كاتب اسرار المارشال بيجو في تاريخه المسمى الفرنسيين في الجزائر كانت قواد
الجيش تحرر لوزارتها . خلاف ما كنت تحرره كتاب الجرائد لادارتها . فلذا

وضعت الاخبار في ميزان واحد . وجعلت الحكم العدل فيها شهادة سيدي الوالد .
فانه رب تلك المشاهد . ولا يستوي الغائب والشاهد . وقد استخرجت من آثار
مولاي خبراً يدل عليه دلالة اللفظ على المعنى . ويتعطر بعبير نشره العاطر كل مغنى .
ولما رايت افاضل الوقت متشوقين الى اخبار بلاد الجزائر وما فيها . متشوقين الى من
يدلهم على جلي احوالها وخافيتها . ظهر لي ان اذكر في المقدمة جملة كافية من جغرافية
المغرب لاسيما المغرب الاوسط الذي هو موطن اسلافي . ومألف آلافي . وابين ما
اشتهر فيه من المدن والامصار . والجبال والانهار . ثم اذكر طرقاً من اخبار المبدأ اساساً
لما اثبتته . وتمهيداً لتفصيل ما اجملته . واذكر ما سلف في اقسامه الثلاثة من الدول .
ومن عمرها من الامم الاول . وما جرى فيها من عظام الحروب . وتعاورها من
غرائب النوائب والخطوب . واختصر ذلك على وجه يستحسنه السامع . ويتهيج به المطالع .
ولما فرغت من ترتيبه . وامعنت النظر في تحريره وتهذيبه . حصرت في قسمين الاول
في سيرته السيفية . والثاني في سيرته العلمية وسميته ❖ تحفة الزائر في مآثر الامير عبد
القادر واخبار الجزائر ❖ فسقط عليه يد من لا بارك الله باصله ونسله . وسرقته عمداً
من حرز مثله . جزاه الله على ما ابداه من حسده . في نفسه وماله وولده . ثم شمرت
عن ساعد الاجتهاد . لجمع ما تفرق من المواد . بعد ان فقد منها الاكثر . وبقي
من المسودة ما لا يذكر . فجاء مطابقاً الاصل . وخاب من الحاسد والمنة لله الامل

❖ المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب ❖

قد نقرر عند علماء هذا الفن ان حدود قارة افريقية غربا البحر المحيط الغربي وشرقاً
ببحر الهند وبرزخ باب المندب والبحر الاحمر وبرزخ السويس وشمالاً البحر الابيض
واما حدود افريقية الشمالية مع المغرب فغرباً البحر المحيط الغربي وشرقاً ارض النوبة وبلاد
مصر ومن الجنوب صحراء نيسروهي متصلة من المغرب الى المشرق ذات مفاوز يسلكها تجار
المغرب الى السودان الغربي وفيها مجالات لقبائل الملثميين وعلى سمت هذه المفاوز شرقاً
ارض فازان وبلي صحراء نيسر الى جهة الشمال منها العرق الممتد من اولها الى آخرها
وفي جهة المشرق منه بلاد السودان الشرقي ويحدها شمالاً البحر الابيض وفي الجزء من
حدها الغربي الى جهة الجنوب جبال درن معترضاً في المغرب كله من غربيه عند البحر
المحيط الى انتهائه شرقاً وفي القطعة الغربية التي بالقرب منه وعلى البحر المحيط رباط
ماسا ويتصل به بلاد سوس وعلى سمتها شرقاً لجهة الجنوب بلاد درعة ثم بلاد سحلماسا ثم

قطعة من صحراء نيسر وفي آخرها مواطن زناتة ثم ان جبل درن من جهة الغرب مطل على بلاد المغرب الاقصى وهي في جوفه في الناحية الجنوبية منها بلاد مراکش واغاث وتادلا وعلى البحر المحيط منها مدينة الرباط وسلا والعرايش وفي الجوف من بلاد مراکش بلاد فاس ومكناس وتازا وقصر كتامة وقد كانت في عرف اهلها تسمى بالمغرب الاقصى وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد المغرب الاوسط وتسمى الواسطة وتعرف الآن ببلاد الجزائر وقاعدتها قديماً مدينة تلمسان واما الآن فمدينة الجزائر وفي سواحل هذه البلاد على البحر الرومي مدينة وهران ومستغانم وتنس وشرشال والشوبك والجزائر وفي شرقي بلاد الجزائر مدينة بجاية ثم قسنطينة في الشرق منها وفي الجنوب منها بلد مسيله ثم بلاد الزاب وقاعدتها قديماً بسكره وهي تحت جبل آوراس المتصل بجبل درن المذهب في افريقية الشمالية غرباً وشرقاً. وينقسم الى قطعتين جنوية وجوفية فالقطعة الجنوبية غربيها كله مفاوز وفي الشرق منها بلاد غدامس وفي سمتها شرقاً بلاد فازان واما القطعة الجوفية ففي غربيها تبسه وعلى ساحل البحر بوّنه وهي غنابه وفي سمت هذه البلاد شرقا بلاد افريقية في عرف مؤرخي الاسلام فعلى الساحل مدينة تونس ثم سوسة ثم المهدية وفي جنوب هذه البلاد تحت جبل درن من جهة الشرق بلاد الجريد وتوزر وقفصه وتقزاوه وفيها بينها وبين السواحل مدينة القيروان وعلى سمت هذه البلاد كلها بلاد طرابلس على البحر وبازائها في الجنوب جبل دمر ومنازل قبائل هوّاره متصلة بجبل درن وفي مقابلة غدامس في القطعة الجنوبية بلدة صغيرة تعرف بسويقة ابن مشكور وفي جنوبها ارض فازان ثم رمال وقفار وبين الجبل والبحر في الجهة الغربية بلاد اجداية ثم برقة ثم منعطف الجبل ثم طلمسا وهي بلدة صغيرة على البحر واعلم ان المغرب في عرف قدماء الجغرافيين قطر واحد يحده غرباً البحر المحيط وبسميه المتأخرون الاقيانيوس الاتلانتيكي وشمالاً البحر الرومي يخرج من خليج متضايق بين طنجة وطريف من بلاد الاندلس وجنوباً جبال هائلة حاجزة بين بلاد السودان وبلاد البربر وتعرف عند اهل البادية بالعرق وهو سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدئاً من البحر المحيط ذاهباً الى جهة الشرق على سمت واحد الى ان يعترضه النيل الهابط من الجنوب الى ارض مصر وبه ينقطع والمغرب ايضاً سياج آخر من الجبال مما يلي التلول تعرف بالاطلس وهي تحوم تلك التلول ممتدة من لدن البحر المحيط في المغرب الى بلاد برقة شرقاً وهناك ينقطع ويسمى مبدؤها من المغرب

فوجده اقلع عنها وبعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظفر بعدة
مراكب لهم ولدولة فرنسا وقتل الى الجزائر واستمر يغزو بلاد الافرنج ويعظم النكابة فيها
الى ان استنصره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر
المرّة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومرة على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا فعات
فيها واستمر في مروره يخرب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة
فاكرم السلطان نزله واكبر شانه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذ اندريا دوريا الحينوي
رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاحذ خير الدين ينرصده
ويذيقه نكل الحرب الى ان اعجزه وعلق بثغور اسبانيا وخلا البحر خير الدين بقعد
جزائر المورة ففتحها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسي على بمرت واستولى عليها ثم
مد عينه لاخت تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلات قلوب اهل الخضره رعباً منه
وفر صاحبها ابو محمد الحسن وعلق بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وعت
صريحه الى ملك اسبانيا فبادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر اليا من
روديه الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على تانه فامدوه بالمراكب
والجنود والمعدات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحاصروها اياماً ثم خرجوا الى
البر وزحفوا اليها فاقبهم خير الدين ببؤده في خربة الكاخ خارج البلد وقتلوا وكان في
قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتزوا الفرصة حين القتال
وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من حلفه فاحتل مدانه ونهرت جيوشه
ولحق خير الدين ببؤنه تم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس بها فيها واستباصوها
بالاتا وقتلوا نحو ستين الف نس صبراً وشفوا نفوسهم من المسلمين وجاء الحففي
من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا ومرشت عليه فرائب
متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في
تونس والتمك بها واتخاذ الكنائس والاديرة تم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن
ابو محمد الحسن الحففي من امره واقام على ذلك الى ان مات العامة وقموا عليه وادبروا
الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لايه على بؤنه فاسرع السبر الى تونس وفر
والده الى القيروان فقبض عليه ابو الهول شيخ العرب فحمل عليه واتخذته الى القيروان
واعقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر
عقب اهزاه من تونس اخذ ينهاه لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها وانقضى

العساكر وسار غازياً ثغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب للافرنج فاستولى عليها واستاقها الى الجزائر ثم غرى بلد ماهوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمتها نارا وانكفا راجعاً ولم يزل يتابع غزو الثغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله الى الاسنانة فاکرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجرى خير الدين على عادته في غزو ثغور العدو من الاسنانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقر السلطان الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه فرمان والخلاعة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقضى اثر والده في الشدة والحزم والاجلاب على الثغور الافرنجية وضايقهم حتى استخفوا امر والده وغرا جبل طارق واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فزلزلت بلاد اروبا وامتلات انقازب منه رعباً وايقنوا بخراب ثغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس وكانت دول اروبا ترجع اليه في ازماتها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مركب وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب من محل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخير الدين اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غرت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على حائل بل انتهت اموالها وفيت عساكرها وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاء الله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث نوء شديد برآ وبجراً فلعبت الرياح بالمراكب وانقت منها ما يزيد على مائة مركب الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه الفرق وانتبهز الفرصة والى الجزائر فخرج يبيشه وحمل على المعسكر فانهمز الافرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من مراكبه بيلاده ورمى بتاجه الى الارض واقسم ان لا يضعه على راسه الا بعد استيلائه على الجزائر فلم يساعده انقدر الالهى على ذلك وفي اثناء هذه التمن انتقض اكثر قبائل البربر ونبدوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجهته الى تدوين البلاد وقطاع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم
يزل يحوّل في الانشاء ويثبت السرايا في الجهات الى ان دان الناس لطاعته واسترد
مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء
بسكره والزيبان ثم رجع الى الجزائر وتوفى بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان
بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق
واستغل امرهم فيه فدعاهم فمؤسهم الى الاستيلاء على تلمسان دارملك بني زيان
فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة
موت حسن باشا فلما افضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ لقتالهم
ونفض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين
الى فاس واستمر حسن باشا سائراً الى ان دخل تلمسان فاتح ثمانها وولى عليها
رجلاً من بني زيان اسمه حسن وقتل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن
خير الدين فارتاح الناس الى توليته وكنت اسبانيا استولت على بجاية فابتدر صالح
باشا اليها ونازلها براً وبحراً ثم اقتحمها ببيوتها واستأصلها ثم سار الى قسطنطينة فاستولى
عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزباني مع بقايا بني عمه
فتفرقوا اوزاعاً في الجهات وابقاه الله تعالى وانتظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا
من حدود وده من بلاد المغرب الاقصى الى الكف من بلاد افريقية وبعد ان
رجع الى الجزائر توفى وتولى اخوه حسن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم
وهران بمنوده الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فنهض له وانتشب الحرب بين الفريقين
فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حماة اهل الجزائر على العمل بقوانينها ونها
تعين عليها حاكماً من قبلها وتقدم بها يلزمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن
خير الدين وبعثت محمد باشا كرواؤلى ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل
تونس سائراً من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي ولحقهم النجر من ظلمه فندس
وزيره ابو الطيب الخضار الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعدته تهديد الطارق
الموصلة الى الاستيلاء عليها فجيز علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من
انقاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجاهل بباجه ووفى
الخضار بوعدته فخذل صاحبه والتقى الرعب في قلوب عساكره فتفرقوا استناتاً وفر
ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان ونقدم علي باشا بجيوشه الى

الحضرة فدخلها وقتل ابن الخضار وولى حيدر باشا على تونس وانقلب راجعاً الى الجزائر واتجهش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع ابو العباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان وتقدم محمد بن الحسن الى عساكر اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع الزيتونة اصلاً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة جهزت الدولة الوزير المشهور سنان باشا فصار في جيش كثيف لانقاذ تونس من يد اسبانيا واوعرت الى والي الجزائر ووالي طرابلس الغرب بظاهرتهم فاستعد كل واحد منهما وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بحاميته ومن انقاد اليه من العرب والبربر وتكملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاسنانة فاعتقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقرضت دولة بني حنص منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيماً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وثبتت قدم سنان باشا في تونس واستنحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلم التوار ومن عهده صارت الولاية تختلف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والفي فاتفق مع يوسف داي والي تونس على تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلاثين والفي تولى خسرو باشا على الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والفي انقضت جزيرة كريت على الدولة واستبدوا بامرهم فاوعزت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فصار اليها في اسطوله وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عقد الصلح مع السلطان الغازي سليمان خان سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة هجرية وخمس وعشرين وخمسمائة والفي ميلادية واباح له السلطان حرية مراكب فرانسا في البحر الابيض تسافر فيه حيث شئت.

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور
فرانسا وتحرب حصونها الى ان آل امر فرانسا الى الملك لويس الرابع عشر فجهاز نحو ستة
آلاف جندي في ستة عشر مركباً لنظر القائد الدوك دي يوفور فاقلع من طولون في
مراكبه سنة اربع وسبعين والف من الهجرة مترصداً مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحاً وفي
سنة ست وسبعين وقع الصلح ولما تولى بابا حسن علي الجزائر سنة اثنتين وتسعين والف
اغزى مراكبه الى الثغور الفرنسية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال تورفيل من
طولون في عارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغاديهما القتال ويراوحها ثم
سئم الإقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة أكثر من
الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعته مال الى السلم وبعث الى رئيس العارة في
ذلك فاجابه اليه واشترط عليه اموراً انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم
في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد
فاشهر الحرب على المراكب الفرنسية ورمها بالقنابل فاستشاط تورفيل غضباً وارسل
على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويذبحونهم
في افواه المدافع ثم يرسلونها فتتطاير اشلاؤهم مع انقنابل في الهواء وارتكبوا في
ذلك ما لا يسوغ شرعاً ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال تورفيل اقلع عن
الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى
ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغزى ثغور فرانسا ورجع بالعنائم
وفي سنة مائة والف جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها
لنظر الماريشال دي سنرى فبازل الجزائر والح عليها برمي القنابل واقام على ذلك
خمس عشرة يوماً حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد
الصلح وفي سنة اربع ومائة والف تولى علي الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى
تونس بمجيوشه فدخلها بـداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليها وفر محمد باي الى داخلية
افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقفل الى
الجزائر وكان شعبان المذكور يغيض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة
العرب الناطقين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقاً كثيراً وكثر تعسف واشتدت وطأته
فقبض عليه الجند وقتلوه خنقاً وتولى الجبه احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان
محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولحق ابن شكر بالمغرب الاقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فثار عليه مراد باي بن علي باي وتناول تونس من يده واستفعل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقبه علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزه الحرب فكانت الديرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو يحاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينها فانهمز مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفأ راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكاف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهمز وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رُفع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريرات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نقمه عليه فعزله ونقاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يترصد الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والى ثم قبض على الاخوين العلمين السيد احمد والسيد علان ولدى العلامة المؤلف الشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول منياً للملكية والثاني قاضياً لم يقتلها في محبسها خنقاً وقد انتقم الله منه بثل نعله فسلط عليه ابراهيم آغا العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبيد باشا وكانت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعمائة اخذتها من يد ابي كيون آخر ملك بني زيان ولم تزل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها براً وبحراً فلم تلب بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز اليه حاكم معسكر مصطفى باي ابي الشلاغم بظاهرة الجيش والنظر في امره فنزلوها اول يوم من ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهلها الى برج المرسى وتحصنوا فيه فحقهم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين اتحدوا الحصن واسناصلوا اهلها واستقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والى وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان والي الجزائر
عبدى باشا فجهز ولده محمد فى عدة مراكب وبعثه الى وهران فنزلها ثم توفى عبدى
باشا واقلع ولده محمد راجعاً الى الجزائر وكان حسن بن علي والي تونس ظاهر جيوش
اسبانيا على اخذ وهران وامدهم بالذخيرة فحفظها له ابراهيم الخزناجي مستشار عبدى
باشا ولما افضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معنقاً
فى الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بمظاهرةه فنهض يونس
من الجزائر واجتمع بجاك قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحناشة وابورنان شيخ
عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بمجموعهم واتصل الخبر الى
حسين بن علي فرحف اليهم والنقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت
الدبرة على حسين بن علي فانتهزت جيوشه ولحق هو واولاده بالقىروان واستولى
يونس على الحضرة وانقلابت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال
عمه وهو بالقىروان فقام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصراً للقىروان احد عشر
شهراً ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولحقوا بقسنطينة منزعجين مما وقع منهم
وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناجي باشا نيابة عن والده
فقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفى والده
بقسنطينة ولحق محمود وعلي باخيها محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الى ان مات
الخزناجي باشا وتولى خوجه ابراهيم باشا وكان الخزناجي عهد اليه عند موته بمساعدتهم
فلما تمكن من امره سيرهم فى الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بمظاهرةهم وقبل
وصولهم الى حدود تونس حصل الخلل فى العسكر وشرقت الكلمة بين حاكم قسنطينة
واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فانقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفى علي بن حسين
ابن علي واقام اخواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والى توفى الخوجه
ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والى عدا
عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابواصب وكان حسن باي المعروف بازرق العينين
ابن اخت علي باشا المذكور والياً على قسنطينة فاتفق رايه مع خاله على اخذ تونس
من يد يونس باي ووردها الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة
على يونس باي واظهر له المودة فركن اليه واتقى اليه بقاليد اموره ولم يزل يدعو
له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستغنى امواله وبني عليه حائطاً من خشب

فبقى في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي ~~وارثونه~~ خلفاً عن سلف لهذا العهد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والـف توفي علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحاً زاهداً حسن السيرة محباً للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سردينيا والبرج الجديد وبرج راس العين واصـلح قناة الحمامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابرـاج والحصون وخوابي من رخام في شوارع البلد واقف اوقافاً جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ النجون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والـف انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر انقبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعتـنـها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبوط اتخذوا قرصاناً وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يصادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تامر حكامها في الجزائر بقطع عاديهم فجهز محمد باشا المجاهد انقبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهمة وولاية قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهوؤلاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبيء بان وجود واليين في الجزائر موجب للفساد مستلزم للنزاع فقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سائر امورها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديها عن ثغورهم ما عدا دولة اسبانيا فانها كانت تـلـون فتارة تدفع خريبتها وتـتـنـع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى اجأ اهلها الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة آلاف اسير فجمع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجيز خمسمائة مركب مشحونة بالعاكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والـف فنزلت

بني صالح وفي الجنوب من هذه الجبال جبل اوراس وكل هذه الجبال منبئة تحتوي على احراش من الاشجار مختلفة الانواع والاجناس واما انهارها وجداولها فكثيرة لا يأتي عليها الحصر ومن اشهرها واكبرها في الجهة الغربية نهر تافتا يمر في شمال بلاد الغسل وفيما بين تراره وولهاصه ويصب في البحر الرومي في ساحلهم ونهر المقطع ونهر سيك في بلاد الغرابه ويصب قرب قرية بطيوه ونهر مكره وعليه مدينة بالعباس التي احداثها الفرنسيس ونهر وادي الحمام وعليه بلدتنا التي اختطها اسلافنا ولم تنزل معمورة الى ان اضرها الفرنسيس نارا وخرب رسومها وفي الجهة الشرقية من البلاد السيبوس ينتهي الى البحر الرومي قرب عنابه ونهر بوجيمه ونهر بني ملكي ومصبيهما في البحر ايضاً قرب سكيكده ونهر بوبرك ونهر الهرش ونهر تطرغان ونهر شلف وهو نهر كبير يمر في معظم ارض المغرب الاوسط منبعه من بلاد بني راشد في جنوبي وادي مزاب من الصحراء ويدخل الى الممتل ثم يمر مغرباً ويجتمع فيه اودية كثيرة كوادي مينه ووادي ارهيو ووادي بلل بتشديد اللام الى ان ينصب في البحر بين كلمه ومستغانم واما بمحيراتها فاشهرها بحيرة الحوت في ولاية قسنطينه وبحيرة الوطا في ولاية الجزائر وبحيرة السبخه في ولاية وهران ينعقد ماؤها ملحا واغلبه يستهلك بتلك الولاية منها واشهر بحيرات الصحرا بحيرة زاعق في ارض اولاد نائل وبحيرة تنوط وبحيرة شكا واما اشجارها وانواع فواكهها وحبوبها ونباتاتها فكثيرة جداً وبالجملة فبلاد الجزائر كريمة البقعة طيبة التربة نخبة الجبال والبساتين منبجسة العيون والانهار متصلة مادة الخيرات وفيها من انواع الثواكه البورثقال والتفاح واللوز والجوز والموز والعنب والمشمش والانباص والليمون بانواعه والزنبوع وهو الفرسكين والاترج والفستق والزيتون والعناب والخرنوب والبُلوط الحلو المعروف بابي فروه والصنوبر البري الا انه صغير اسود يعرف في بلاد المغرب بالزنين بتفخيم الزاي وتشديدها والمزاح وهو المشمله والنوت المعروف بالشامي وقصب السكر والبنج وحب الملوك وهو الكرز ويخرج في جبل هواره المعروف بجبل بني شقران التين الشقراني وقل ان يوجد له نظير يجلب منه كثير الى اقطار المغرب ونوع منه يسمى الباكور ينضج في آخر الربيع وفيها شجر البطم وهو شجر ضخم كبير وصمغه كحصى اللبان رائحة وطعماً وفيها الشجر الذي يستعمل منه الفلين وشجر الزرو وصمغه يشبه المصطكي لوناً وطعماً وريحاً وينزل المن من السماء على شجر البلوط فيجدهه الناس بعد انجماده ويصبغون به فيخرج منه اللون الاحمر الثابت الذي لا تفوقه حمرة ولا يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من ادوات الصبغ ويسمونه القرمز ويعرف في بلاد المشرق بالدوده

يجلبه اليها التجار من بلاد المغرب والاندلس وفي صحرائها انواع اثمار النخل فمنها الحر الذي لا يوجد لثمره نظير الا في بلاد الجريد من بلاد تونس وذلك لقوة حلاوته وحسن لونه وضخامته ومنها ما يقال له 'تينهود' واعزته لا يجلب الا لبلاد فاس وبلاد المغرب الاوسط اخبرني والذي انه لم ير مثله في الحجاز ولا في العراق ولم يذق لذة فاكهة تشبهه طعمًا ونكهة منذ فارق الوطن ومن زروعها الحنطة والشعير والحمص والعدس والفول والارز والذره والدخن وانواع البقول والنباتات ذات الخواص لكثير من الامراض وعلى الاجمال تحاسنها لا تستوفي بعبارة. فمأراء كن سمعا. واما معادنها فالذهب والفضة والالماس والحديد والنحاس والرصاص والزرنيخ والخليلدون وهو نوع من العقيق الجيد وتجر البلور هذا ما اكتشفه اصحاب الصنائع والاستخراجات من الافرنج واما صنائعها فاجود ما يتنافس فيه اهلها ويفتخرون به صناعة السلاح بانواعه على الشكل القديم ولهم اعتناء كبير باستخراج جوهر الحديد والقولاذ ومن نفيس مصنوعاتهم نسج اقمشة الحرير ومنسوجات الصوف كالبرانس والاكسية وغيرها من انواع الملبوسات والبسط والسجادات وغيرها من المفروشات ويساعدهم على ذلك نعومة الصوف ولطافته ولهم براءة في طرز المناطق والسروج المذهبة والمفضضة على وجه لا يهتدي اليه غيرهم وكذلك في صناعة الخزف الملون بانواع الادهان وفي صناعة السفن الصغيرة التي يستعملونها لتجارة والصيد والغزو واخشابها من احراش بلادهم ودبابة الجلد وقد برع اهل المسيلة من اعمال الزاب في ائقان صنعة الدبابة على وجه اتعب غيرهم تقليده في حسن نعومة الجلد وجودة ائقانه وبالجملة فمصنوعات بلاد الجزائر ومنسوجاتها بلغت في الحسن والاحكام ما يبهير الرائي ويستحسنه السامع وناهيك بها ان تجارتها منحصرة في نتائج اراضيها وصنائعها فلا يحتاج الى جلب البضائع من الخارج الا ما قلّ وربما يستغنى عنه وفيها من جياذ الخيل ما يروق منظرًا ويبهير خصالًا ولكثير من اهل البادية معرفة تامة بشيائها وعيوبها وامراضها وعلاجاتها ويوجد عندهم من هذا العلم ما لا يوجد عند احذق البياطرة في الحاضرة وفيها البغال الفارهة واغلب مشايخ البلاد وعلمائها واهل وظائفها الدينية يركبونها دون الخيل لسرعة مشيها ولين ظهورها وفيها انواع الانعام والهجن المشهورة بسرعة السير والقوة وفيها من صنوف الصيد الغزال والارنب والكنينة وهو نوع اصفر من الارنب وفي صحرائها النعام والحمار والبقر وفيها من صنوف الحيوان المفترس الاسد والثمر والفهد والخنزير والذئب والضبع وفيها من الطيور الجوارح وغيرها ما يطول شرحه واهل الصحراء ومن قاربهم يعتنون كثيرًا باقتناص الجوارح وتعليقها واستعمالها

واما اعتدال هوائها وحسن مزاجها فقد ذكر علماء الجغرافية قديماً وحديثاً ان هذه البلاد معتدلة الهواء لا يزيد حرّها ولا يبردها زيادة مضرّة وفصولها في جميع السنين تأتي على قدر من الاعتدال ووسطة من الحال وعلى حسب اعتدالها اعتدلت امزجة اهلها وقلت امراضهم وداآتهم ولذا لم يعتنوا بتحصيل علم الطب ولا باهله وقصارى امرهم فيما يعرض لهم من الامراض انهم يتطبيون بادوية يستعملها غالباً عجائزهم من الحشائش وغيرها ويسكن هذه البلاد قبائل كثيرة وشعوب وافرة من العرب والبربر ولاختلاطهم في الصهر والسكن عسر تمييزهم ويوجد بينهم في المدن وبعض القرى اترك واولاد الممالك من بنات الوطن ويسمونهم كور اوغلان والسبب في ذلك ان السلطان يقول لاهل كل اوجاق من العسكر قوللرم يعني ممالككم فحرفها اهل الجزائر وقالوا كور اوغلان

❖ ذكر ابتداء عمران المغرب ❖

« وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه »

اعلم ان هذا الاقليم منذ دخل في حيز العمران مأوى الفتن . وعش الاهوال والمحن . ومنتزى الملوك والنوار . ومطبخ نظر الكبار منهم والصغار . فما هدأت لاهله روعة ولا طابت لهم فيه هجمة . ولا خيم بساحته امن . ولا فارقه الروع والوهن . ولا خلا منه زمان من قراع الكنائس . ومناجاة المطائب والنوائب . ومع هذا ترى مساجده ومدارسه بالعباد والعلماء عامرة . وتجالسه بالاذكار وانواع العلوم زاهرة . ذلك تقدير العزيز العليم وتدبير العلي العظيم . وقد اختلفت اقوال المؤرخين من الاسلام وغيرهم في اول من سكن المغرب وعمره من هذا النوع البشري لكنني اقتصر على ما نقله العلامة ابن خلدون الحضرمي في تاريخه وذو الوزارتين ابن الخطيب في شرح منظومته المسماة رقم الحلال في نظم الدول لتقدمها في مفاصل هذا الزمن واحرازها قصب السبق فيه وسلوكها مسلك التحقيق في النقل والمخاض ان الله سبحانه وتعالى لما اهبط آدم الى الارض عمرها به وبنسله فهو الاول للخلقة على الاطلاق وانبث بنوه في نواحي الارض وتناسلوا فيها جيلاً بعد جيل الى زمن نوح عليه السلام وكانت ولادته سنة اثنين واربعين وستائة والف من هبوط آدم وكان في تلك الاجيال ملوك ودول كثيرة وملل وفحل متعددة وكان فيهم انبياء ورسول آخرهم نوح عليه السلام ارسله الله تعالى الى قومه وكانوا عبدة اوثان فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً يدعوهم الى عبادة الله كما اخبرنا الله تعالى ولما اعياه تعنتهم وتناديهم على

الكفر اوحى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فقال رب لا تذر على الارض
من الكافرين دياراً فاستجاب الله دعاءه لما سبق في علمه انه ليس فيهم ولا في اولادهم
من يؤمن فارسل عليهم الطوفان فاخذهم وذهب بعمران الارض اجمع بحيث لم ينج من
بني آدم ومن كافة انواع المخلوقات الا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وكان ذلك
بعد مضي الفين ومائتين واثنين واربعين سنة للهبوط باتفاق المفسرين والمؤرخين ثم
مات المؤمنون الذين كانوا مع نوح عليه السلام في السفينة ولم يعقبوا فصار جميع اهل
الارض من نسل نوح . قال الله تعالى وجهنا نذريته هم الباقين فكان عليه السلام اباً ثانياً
للخليقة واتفق المفسرون والنسابون على اولاد نوح الذين تفرعت منهم الامم ثلاثة . سام
وحام . ويافت . وقد وقع ذكرهم في التوراة وروى الطبري في ذلك احاديث
مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم . وعن ابن المسيب ووهب بن منبه . مثل ذلك واتفقوا
على ان ساماً ابو العرب والفرس والروم . وحاماً ابو القبط والبربر والسودان . ويافتاً ابو
الترك والصقالبة وياجوج وماجوج . ولما افرق بنو نوح عليه السلام صار لولد حام الجنوب
مما يلي مصر على النيل . وصار لولد سام التجاز والعراق الى حدود الهند . وصار لولديا فت
نواحي بحر الخزر الى الصين . وكانت شعوب هؤلاء الثلاثة عند تبايل الالسنه اثنين
وسبعين شعباً . واتفقوا على ان اول عمران المغرب كان بالجيل المعروف بالبربر اخوان
السودان والقبط فهم الذين عمروه من البشر واستوطنوه . قال الطبري وزعم هشام بن
الكلبي ان الغل من الكنعانيين من اولاد عيصو بن اسحاق عليه السلام . وبعد يوشع
عليه السلام احتملهم افريقش بن قيس بن صيفي من سواحل الشام في غزاته الى المغرب
وتركهم بافريقية . فمنهم البربر وترك معهم صنهجة وكتامة من قبائل حمير . وقيل انه
وجدهم فيها . وانه لما سمع رطانتهم سماهم البربر . وفي التورية من ذرية حام احدى
عشر ولداً منهم صيدون . ولم ناحية صيدا . وكانوا بالشام وانتقلوا لما غلبهم يوشع الى
افريقية والمغرب واقاموا بهما . وقد مرّ آتفاً ان اولاد حام صار لهم الجنوب ولم تزل
السودان منهم في اقطار الجنوب من مبدا بحر الهند شرقاً الى اقصى المغرب الى هذا
العهد . واخوانهم القبط في مصر وجهاتها الى الآن . وهؤلاء البربر يجاورونهم ويقابلون
السودان في ارياف المغرب وتلوله من حدود مصر مما يلي برقه الى اقصى المغرب حيث
البحر المحيط فلا يبعد انهم كانوا مع السودان والقبط في مواطنهم الاولى ثم افرقوا فتوغل
السودان في الجنوب وانحدر البربر الى برقه ونواحيها ثم توغلوا في بلاد المغرب الى اقصاه

وبقي القبط في منازلهم القديمة من مصر وبهذا تشهد القرائن والمواطن وذكر ابن سعيد في اخبار القبط ان شداد بن بداد بن هداد بن شداد بن عاد حارب القبط وغلب على اسافل مصر حيث الاسكندرية وبنى بها مدينة مذكورة في التوراة يقال لها ارن ثم هلك في حروبهم وجمع القبط اخوانهم من البربر والسودان واخرجوا العرب من ملك مصر ولما استولئ افرقش على المغرب بنى فيه مدينة فسميت افريقية ثم غلب هذا الاسم على ذلك القطر بحدوده المعروفة قديماً وحديثاً

❖ ذكر البربر وشعائرهم ❖

اعلم ان النسابين قد اختلفوا في نسب البربر واطالوا البحث فيه والذي ذهب اليه المحققون كابن حزم وابن خلدون وغيرهما انهم من بني كنعان بن حام بن نوح عليه السلام واتفقوا على ان شعوبهم وبطونهم يجمعهم اصلان عظيمان وهما برنس وماد غيس ويلقب بالابتر فيقال لشعوبه البتر كما يقال لشعوب برنس البرانس وهما على الاصح اخوان لاب وهو بربر بن تمل بن مازيغ بن كنعان بن حام وشعوب البرانس يجمعهم سبعة اصول وهي ازداجه ومعموده واوريه وغجيسه وكتامه وصنهاجه وريغه ويجمع شعوب البتر اربعة اصول وهم اداسه ونفوسه وخريسه ولواه الاكبر والكلام على هذه الشعوب وما تناسل منها من الامم طويل الذيل قد افردته علماء هذا الفن بالتأليف وجميع ما ذكره غاية ما وصل اليه علمهم واطلاعتهم واحصاء ام البربر واجيالهم غير ممكن لتداول الاحقاب وتداول الازمنة ولم تنزل بلاد المغرب من اقصى سوس الى الاسكندرية وما بين بحر الروم والسودان عامرة بهم منذ قرون لا يعلمها الا الله تعالى واعلم ان دين البربر في القديم الجوسية وفي بعض الاحيان يدينون بدين من تغلب عليهم كالرومان واليونان وغيرها وقد صبحهم الاسلام وهم على دين النصرانية وبعضهم في افريقية على دين اليهودية عند استفحال ملك بني اسرائيل وقربهم منهم واما شعائرهم فالاكثر منهم آخذون بشعائر العرب يسكنون الخيام ويتنازلون حلالاً ودوائر متفرقة ويظعنون لانتجاع المرعى ويتخذون الخيل للركوب والنتاج ويعتنون بالانعام للكسب يقومون عليها ويقتاتون من البانها ويتخذون البستهم واثانهم وخيامهم من اصوافها واوبارها وشعورها ومنهم من يبتغي الرزق من الاقتناص والنهب والاختطاف من السابلة ومنهم اهل مدائن وقرى وامصار شانهم الفلاحة واغتراس الجنات المتنوعة والتجارة والحرف النافعة الى غير ذلك من الامور التي يتوقف عليها العمران

ولا يتم إلا بها وأكثر لباسهم من الصوف بأنواعه وفي الغالب يكشفون رؤسهم ويحلقونها ولغتهم
 اعجمية متميزة بنوعها عن سائر رطانة العجم ثم اختصت شعوب زناته وبطونها برطانة تخالف
 رطانة اخوانهم كما اختصوا بالعلماء ومن شاهد آثارهم وما شيدوه من الحصون والمعقل
 والامصار وطالع اخبارهم وحروبهم وسيرهم علم انهم قوم لا يرامون بذل ولا ينالهم
 من استطال عليهم بسوء وقد اعتنى الفحول من العلماء والمؤرخين بذكر سيرهم وتدوين
 اخبارهم ففلاوا كتبهم بنقل ما كانوا عليه من الاخلاق الحميدة كعز الجوار وحماية النزيل
 ورعاية الذمة والوفاء بالعهد وصدق القول والصبر على المكارة والثبات في الشدائد وجودة
 الملكة والاعضاء عن العيوب والتجافي عن الانتقام ورحمة المساكين وتوقير اهل العلم وحمل
 الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والاعانة على النوائب وعلو العزم واباءة الضيم والشقاق
 مع الدول ومقارعة الخطوب والتغلب على الملك وغيرها من الخلال التي اكسبتهم الثناء من
 الخلق وبعد الصيت ومن مشاهيرهم بعد تمسكهم بالاسلام من الطبقة الاولى بالكنين بالباء
 الموحد التختية ابن زيري الصنهاجي عامل افريقية للعبيد بن محمد بن خزر وعروبه بن
 يوسف الكتامي القائم بدعوة عبدالله الشيعي ويوسف بن تاشفين اللمتوني وعبد المؤمن
 ابن علي امير الموحد بن ومن الطبقة الثانية يعقوب بن عبد الحق المريني ويعمراسن سلطان
 بني زيان ومحمد بن عبد القوي صاحب تاهرت ووزمار امير بني توجين وثابت بن
 منديل امير مغراوه وزمار بن ابراهيم زعيم بني راشد فهو لاء كانوا من ارتخهم في الخلال
 الحميدة قدماً واطولهم فيها يداً واكثرهم لما جمعوا وسند ذكر طرفاً من اخبارهم على وجه الايجاز
 ان شاء الله تعالى

❖ ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر ❖

اعلم ان قبائل البربر بافريقية والمغرب كانت قبل الاسلام تحت سلطة الروم وعلى دين
 النصرانية ولم تنزل على ذلك الى ان فتحت مصر في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب
 رضي الله عنه وسار عمرو بن العاص رضي الله عنه منها الى برقة سنة اثنتين وعشرين
 فصالحه اهلها على الجزية ثم سار منها الى طرابلس فحاصرها وفتحها عنوة وولى عليها وعلي برقة
 حكاماً من قبله ورجع الى مصر وفي خلافة عثمان رضي الله عنه عزل عمرو بن العاص
 وتولى عبدالله بن سعيد بن ابي سرح العامري عايتها فامرهم عثمان رضي الله عنه بالتوجه
 الى افريقية فزحف اليها سنة تسع وعشرين فجمع لهم جرجير ملك افريقية وبلاد المغرب

من بامصارها من الروم وبضواحيها وقراها من البربر وملوكهم وكان ملكه ما بين طرابلس
وطنجة ودار ملكه سيبطله ولقي بهم المسلمين ف وقعت الهزيمة في جيشه وشدَّ عليه عبدالله
ابن الزبير رضي الله عنه فقتله واتبعهم المسلمون يقتلون ويسبون الى ان وصلوا الى سيبطله
ففتحوها ثم خربوها ولم تزل خراباً وهي في تخوم تونس مما يلي ارض الجزائر معروفة لهذا
العهد ونقل الله المسلمين اموال جرجير وجموعه وبناتهم واخذت ابنة جرجير بقاتله عبدالله
ابن الزبير وكان هو الرسول بخبر الفتح الى الخليفة ثم انساح المسلمون في البسائط والضواحي
بالغارات ووقع بينهم وبين البربر حروب انتصر المسلمون في جميعها واسروا من ملوكهم
وزمار بن صقلاب جد بني خزرج وهو يومئذ امير مغراوه وسائر زناته ورفعوه الى عثمان
رضي الله عنه فاسلم على يده ومنَّ عليه واطلقه وعقد له على قومه وقيل انما وصله وافداً
ثم لاذ الروم بالسلم وشرطوا لابن ابي سرح ثلاثمائة قنطار من الذهب على ان يرحل عنهم
ف فعل ورجع المسلمون الى المشرق وشغلوا بما كان من الفتن الاسلامية ولما آل الامر الى
معاوية بن ابي سفيان بعث ابن خديج الشكوني من مصر لافتح افريقية سنة خمس واربعين
فسار اليها وكان في جيشه عبدالله بن عمر بن الخطاب وعبدالله بن الزبير رضي الله عنهم
وعبد الملك بن مروان فلما وصل الى افريقية ارسل عبد الملك بن مروان الى جلولاء
ففتحها وارسل جيشاً في البحر في مائتي مركب الى جزيرة صقلية ففتحوها وغنموا وارسل
رويفع بن ثابت الانصاري رضي الله عنه الى جربة ففتحها وارسل ملك الروم اثناء ذلك
من القسطنطينية عساكره لمدافعتهم فلقتهم المسلمون وردّوهم على اعقابهم ثم قفل ابن خديج
راجعاً الى مصر وتولى بعده عقبة بن نافع رضي الله عنه سنة سبع واربعين فاخضع
القيروان وافترق امر الروم فصاروا الى الحصون وبقي البربر بضواحيهم وفي سنة احدى
وخمسين استعمل معاوية علي مصر وافرريقية مسلمة بن مخلد فعزل عقبة عن افرريقية وولى
مولاه ابا المهاجر ديناراً وفي ايامه فتحت جزيرة شريك على يد حنش بن عبدالله الصاغاني
وكانت رئاسة البربر يومئذ في اوربه لكسيلة بن كلثم رئيس البرانس ومرادف سكرديد
ابن رومي من اوربه وكانا على دين النصرانية فاسلما لاوّل دخول الاسلام الى المغرب ثم
ارتدّا قبل ولاية ابي المهاجر واجتمع اليهما البرانس وزحف اليهم ابو المهاجر حتى نزل عيون
تلسان فهزمهم وظفر بكسيلة فاسلم واستبقاه عنده واحسن اليه ثم جاء عقبة بن نافع في
الولاية الثانية ايام يزيد بن معاوية سنة اثنين وستين فنكب كسيلة واعتقله وتقدم اليه
ابو المهاجر في اصطناعه فلم يقبل وزحف الى المغرب وعلى مقدمته زهير بن قيس البلوي

فدوّخه واستفتح حصون الروم وبقيّة ملوك البربر بالزّاب وتاهرت بمجموعهم ففضهم جمعاً
 بعد جمع ودخل المغرب الاقصى واطاعته غماره ثم نازل المصادمه في جبل درن فقوى امرهم
 فنهضت اليهم جموع زنّانة وكانوا خالصة للمسلمين منذ اسلام مغراوه فاعتز بهم عقبة وقوى
 امره عليهم فأتخن فيهم وحمّاهم على الطاعة والاسلام ثم اجاز الى السوس الاقصى لقتال
 من بها من صنهاجة وكانوا على دين المجوسية فأتخن فيهم وقفل ظافراً وكسيّله اثناء ذلك
 في اعتقاله ثم سرح عقبة العساكر الى القيروان وبقي في شردمة منهم وتراسل كسيّله
 وقومه فاجتمعوا اليه وانتهزوا الفرصة في عقبة رضى الله عنه فقتلوه ومن معه وكانوا زهاء
 ثلاثمائة من كبار الصحابة رضى الله عنهم واستشهد في مصرع واحد جم غفير من
 التابعين فيهم ابو المهاجر وقد ابلى عقبة رضى الله عنه في ذلك اليوم بلاء حسناً
 واشتهر قبره وعليه مسجد معروف باسمه واسر من الصحابة يومئذ محمد بن اوس الانصاري
 ويزيد بن خلف العبسي ونثر معهم ففداهم صاحب قفصه وكان زهير بن قيس قد
 رجع من المغرب الى القيروان فلما بلغه الخبر خرج هارباً وارتحل المسلمون معه ونزلوا
 برقة واقام بها ينتظر امر الخليفة فقارن ذلك اضطراب الخلاف بحروب ابن الزبير
 والضحاك بن قيس مع المروانيين واضطرم المغرب ناراً وفشت الردة في البربر واجتمعت
 كلمة البربر والروم على كسيّله فنزل انقيروان واعطى الامان لمن بقي بها من العرب
 وعظام سلطانه على البربر ومن معهم من الروم فملكهم خمس سنين ولما استقل عبد الملك
 ابن مروان بامر الخلافة بعث الى زهير بن قيس بالمدد وولاه حرب البرابرة والاخذ بثار
 عقبة رضى الله عنه فرحف في آلاف من العرب سنة سبع وستين وجمع كسيّله سائر
 البربر ولقيه في نواحي القيروان ناشد القتال بينهم وانهزم البربر وقتل كسيّله واتبع
 جيشه المسلمون الى نهر ملوية وتلاشى امر البربر وفيت فرسانهم واخمدت حال الروم
 وضعفوا عن اغاثتهم واضطربت افريقية والمغرب ناراً وامتلات قلوب البربر من زهير
 رعباً فلجئوا الى الحصون ثم قفل زهير الى المشرق فاعترضه اسطول صاحب القسطنطينية
 في سواحل برقة فقاتل الروم حتى استشهد هناك وبعث عبد الملك بن مروان الى
 حسان بن النعمان عامله على مصر ان يخرج الى افريقية وبعث اليه بالمدد فرحف اليها
 سنة تسع وسبعين ودخل افريقية واسترجع قرطاجنه من يد الروم والبربر ثم خربها
 فذهب من بقي بها من الروم والافرنج الى صقلية والاندلس والذي انشأ قرطاجنه
 ديدون ابن البشار من نسل عيصوبن اسحق عليه السلام ثم صار ملك افريقية الى

ملاغار انيبال من ملوكهم فهاجت الحرب بينه وبين الرومانيين واهل الاندلس ثم ولى
 بقرطاجنة فاجاز البحر الى بلاد الفرنجة وهم الجلائقة وزحف اليه قواد رومة فوالى عليهم
 الهزائم وبعث اخاه اسد زبال الى الاندلس فملكها وخالفه قواد الرومانيين الى افريقية
 فملكوها وقتلوا غنول خليفة انيبال فيها وخرج قواد آخرون من رومة الى الاندلس
 فملكوها وقتلوا اسد زبال وفر اخوه انيبال وتبعه قواد رومة الذين اجازوا الى افريقية
 فاصروه بقرطاجنة حتى صار الصلح بينهم ثم ظاهر بعد ذلك أنيبال صاحب افريقية ملوك
 السريانيين على حرب رومه وبعد ان تخلص اهل رومه من ذلك رجعوا الى الاندلس ثم
 اجازوا البحر الى قرطاجنة ففتحوها وقتلوا ملكها انيبال وذلك لتسعمائة سنة من بنائها
 وسبعائة من بناء رومه ثم بعد ذلك اجتمع قواد رومه على بناء قرطاجنة وتجديدها لاثنتين
 وعشرين سنة من خرابها فعمرت واتصل بها لأهل رومه ملك والذان اختطا مدينة
 رومه روماش وراماش وذلك لعهد اربعة آلاف وخمسمائة سنة من مبدا الخليقة ثم توجه
 حسان بجيوشه الى الكاهنة دهيا بت ماريه ملكة البربر بعقلها من جبل أوراس وقد
 انضم اليها بنو يفرن ومن كان بافريقية من زناتة وسائر البتر فلقيتهم بالسهل امام جبالها
 فانهزم المسلمون واسر خالد بن يزيد انقيسي واتبع آثار حسان وجيوشه يجمعونها حتى اخرجتهم
 من افريقية وانتهى حسان الى اعمال طرابلس فاقام بها وبني قنوره ولم ترل اطلالها موجودة
 لهذا العهد مشهورة به ثم رجعت الكاهنة الى مكانها بن اوراس واستنحل ملكها في
 افريقية واستمرت ملكة على البربر خمس سنين ثم بعث عبد الملك الى حسان بالمدد وامره
 بالرجوع الى افريقية فزحف اليها سنة اربع وثمانين وكنت الكاهنة عنت واشتدت ظلمها
 وامرت بتخريب جميع المدن والضياع وقطع الاشجار بعد ان كان الراكب يسير من
 طرابلس الى طنجة في عمارة متصلة وظل ممدود فشق ذلك على البربر وحصلت الوحشة
 بينهم وبين ملكتهم فلما وصل حسان الى افريقية زحفت اليه يجمعوهم فخذلوها واختل
 نظامهم وشدت معها قوتها جراوه من البتر ففض جيوشهم وقتل الكاهنة ثم ان البربر
 استأمنوا اليه فامنهم على الاسلام والطاعة فاجابوا واسلخوا وعقد الاكبر من اولاد
 الكاهنة على قومه جراوه وانصرف حسان الى اقيروان ثم في سنة ثمان وثمانين في خلافة
 الوليد بن عبد الملك قدم موسى بن نصير والياً على افريقية فدوخ المغرب واتخن في
 البربر حتى ادت اليه الطاعة وولى على طنجة مولاة طارق بن زياد وانزل معه سبعة
 وعشرين الفا من مسلمي العرب الاولين واثنى عشر الفا من البربر وامرهم ان يعلموا

البربر انقرآن وامور الدين وسرت كلمة الاسلام في جميع احياء البربر وبطونهم ومن بقي منهم اسلم على يد اسماعيل بن عبدالله بن ابي المهاجر سنة احدى ومائة ونقل ابن خلدون عن ابي محمد بن زيد الامام المشهور ان البربر ارتدوا اثني عشرة مرة من طرابلس الى طنجة ولم يستقر اسلامهم حتى اجاز موسى بن نصير الى الاندلس واجاز معه كثيرين من رجالات البربر يرسم الجهاد ووقع فتح الاندلس فحينئذ استقر الاسلام في المغرب وازعن البربر لحكمه ورسخت فيهم كلمة الاسلام وتناسوا الردة واستوثقت الامور لموسى بن نصير في المغرب والاندلس وبلغ فيها ما لم يبلغه غيره وحصل في يده من المغنم والسبي ما لم يحصل في يد سواه من الملوك قال الصفدي في تاريخه لم يسمع بثل سبائا موسى بن نصير وغنائمه فانه استعجب عند قدومه الى الوليد بن عبد الملك ثمانية وسبعين تاجاً مكملاً بالدر والياقوت وكلها تيجان ملوك الاندلس من اليونان ومائة وثلاثين عجلة مشعونة بالذهب والفضة واللؤلؤ ومن ابنا الملوك وغيرهم من الاسرى ما يقرب من ثمانين الف اسير ومن الرقيق ثلاثون الف شخص واستخلف وادبه عبدالله على افريقية والمغرب وعبد العزيز على الاندلس وفي خلافة سليمان بن عبد الملك عزل عبدالله بن موسى بن نصير عن افريقية والمغرب وتولى محمد بن يزيد مولى قريش وذلك سنة ست وتسعين وفي خلافة عمر بن عبد العزيز عزل عبدالله وتولى مكانه اسماعيل بن عبدالله ابن ابي المهاجر سنة سبع وتسعين ثم نبضت عروق الخارجية في رؤس كثير من البربر وسارت اليهم من سواد العراق فدانوا لها وتعددت طوائفهم وتشعبت طرقها فيهم من الاباضية والصغرية وفشت هذه البدعة في المغرب فوقع الاختلال في كل جهة منه وفي خلافة يزيد بن عبد الملك تولى يزيد بن ابي مسلم فقتله الخوارج لشهر من ولايته فتولى بعده بشر بن صفوان الكلبي فقدمها سنة ثلاث ومائة وغزى جزيرة صقلية سنة تسع ومائة ومات في مرجعه عنها وتولى عبيدة ابن عبد الرحمن القيسي سنة عشر ومائة وعزل في خلافة هشام وتولى مكانه عبيدالله بن الحجاب مولى ابن سلول سنة اربع عشرة ومائة وبني جامعاً بتونس ويعرف لهذا العهد بجامع الزيتونة واتخذ فيها دار الصناعة لانشاء المراكب البحرية ووطي بعسكره بلاد سوس واثخن في البربر فجمعوا امرهم واتفقوا عليه وثار ميسرة المظفري بطنجة على عمرو بن عبدالله المرادي وكان والياً عليها لابن الحجاب فقتله

وبابع لعبد الاعلى بن جريج الافريقي الرومي الاصل ثم خاله وبابع لنفسه ثم ساءت سيرته فنقم عليه البربر ما جاء به وقتلوه وقدموا على انفسهم خالد بن حميد الزناتي فقام بامرهم وجمع كلمتهم وزحف بجذوعه الى العرب وسرح اليهم عبدالله بن الحجاب العساكر في مقدمته ومعهم خالد بن حبيب الفهري فالتقوا بوادي شلف فانهمز العرب وقتل خالد بن حبيب ومن معه وتسمى هذه الواقعة بواقعة الاشراف لكثرة من حضرها من وجوه قريش والانصار وانقضت البلاد ومرج امر الناس وانتهى الخبر الى هشام بن عبد الملك فعزل ابن الحجاب وولى كاثوم بن عياض القشيري سنة ثلاث وعشرين ومائة فخرج الى افريقية حتى بلغ وادي طنجة فزحف اليه خالد بن حميد الزناتي بن معه من البربر ولقوا كاثوم بن عياض بعد ان هزموا مقدمته وعليها بلخ بن بشير القشيري فاشتد القتال بينهم وقتل كاثوم وانهمز جيشه وتحيز اهل الشام الى سبته مع بلخ بن بشير ومضى اهل مصر وافريقية الى انقيروان وطار الخبر الى هشام بن عبد الملك فبعث حنظلة بن سنيان الكلبي فقدم القيروان سنة اربع وعشرين ومائة وهواره يومئذ خارجون عن طاعة الدولة ومنهم عكاشة بن ايوب وعبد الواحد بن يزيد فثارت هواره ومن تبعهم من البربر فهزمهم حنظلة في ظاهر انقيروان بعد قتال شديد وقتل عبد الواحد واخذ عكاشة اسيراً وكتب حنظلة بذلك الى هشام ولما سمعها الليث بن سعيد رضى الله عنه قال ما غزوة كنت احب ان اشهدها بعد غزوة بدر احب الي من هذه الغزوة واجاز عبد الرحمن بن عقبة بن نافع لما مات ابوه الى الاندلس يحاول ملكها ولما يئس منها رجع الى تونس ودعا لنفسه سنة سبع وعشرين واستقل بملك افريقية واقره مروان بن محمد عليها لما تولى الخلافة ولما آلت الخلافة الى بني العباس بعث عبد الرحمن بطاعته الى السفاح ثم الى ابي جعفر المنصور من بعده ولم يزل عبد الرحمن والياً على افريقية الى ان قتله اخوته سنة سبع وثلاثين لعشر سنين من امارته وانتهى خبر افريقية الى ابي جعفر المنصور فارسل محمد بن الاشعث الخزازي والياً عليها سنة اربع واربعين ومائة فلقبه ابو الخطاب الخارجي بجذوعه بسرت فهزمه ابن الاشعث وقتل عامة اصحابه وافتتح طرابلس وقام بامر افريقية وضبطها ثم قفل الى المشرق فوليها بعده الاغلب بن سالم التميمي فخرج عليه ابو قرة اليعرب في جموع البربر فهرب وتقم عليه الجند وخلعوه ولحقوا بالحسن بن حرب

الكندي بكابس واقبل بهم الى القيروان فلحقها ولحق الاغلب بكابس واستعدت
 لقتال الحسن سنة خمسين فهزمه الى القيروان فكرّ عليه الحسن دونها واقتتلوا فقتل
 الاغلب ثم رجعت اصحاب الاغلب على الحسن فقتلوه في الموقف الذي قتل فيه
 الاغلب ولما بلغ المنصور قتل الاغلب بعث الى افريقية عمر بن حفص اخا المهلب
 ابن ابي صفرة فقدمها سنة احدى وخمسين ومائة فاستنقام امره ثلاث سنين ثم
 ثار البربر عليه وحاصروه بغنجة فدائعهم وفرق كتبهم بالمال ثم انتقضوا عليه وحاصروه
 بالقيروان ولما اجهدوا الحصار خرج مستميتاً الى قتالهم فقتل آخر سنة اربع وخمسين
 ومائة ثم تولى مكانه ابن عمه يزيد بن ابي حاتم بعثه المنصور في ستين الف
 مقاتل فهزم جموع البربر وقتل ابو حاتم احد رؤسائهم في ثلاثين الفا من اصحابه
 وتبع يزيد جموع البربر بالقتل بثار ابن عمه عمر بن حفص ثم دخل القيروان
 سنة خمس وخمسين ومائة ولم يزل والياً على افريقية والمغرب الى ان توفي سنة
 سبعين ومائة وكان روح بن ابي حاتم اخو يزيد على فلسطين فاستقدمه الخليفة
 هارون الرشيد وولاه على افريقية فقدمها ثم توفي سنة اربع وسبعين ومائة وولى
 مكانه ابنه الفضل فخرج عليه عبدالله بن الجارود واقتحم عليه القيروان واعنقله
 ووكل به وباهله من يوصلهم الى كابس ثم رده من الطريق وقتله فتولى بعده
 هرثة بن اعين سنة سبع وسبعين ومائة فأمن الناس وسكنهم وبني انقصر
 الكبير بالمنستير وبني السور على طرابلس ولما رأى كثرة الثوار بافريقية استعفى
 الرشيد من ولايتها فاعناه وولى محمد بن مقاتل الكعبي من صناعه فقدمها سنة
 احدى وثمانين ومائة وكان سيء السيرة فخلعه الجند وقدموا تخلص بن مرة الأسدي
 وبعد ان قتل تخلص ثار تمام بن تميم التميمي على محمد بن مقاتل واخرجه من
 القيروان فلحق بطرابلس وبلغ الخبر الى ابراهيم بن الاغلب بمكانه من الزاب فانتصر
 لمحمد وسار بجموعه الى القيروان وهرب تميم بين يديه الى تونس وملاك افريقية
 واستقدم محمد بن مقاتل من طرابلس واعاده الى امارته ولما استقر الامر لمحمد
 ابن مقاتل كره اهل البلاد ولايته وداخلوا ابراهيم بن الاغلب في ان يطالب من
 الرشيد الولاية عليهم فكتب ابراهيم الى الرشيد بذلك فكتب له بالعيد سنة اربع
 وثمانين ومائة نقام بامر الولاية وابتنى مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل اليها
 وتوارثها بنوه خلفاً عن سلف الى سنة ست وتسعين ومائتين ثم خرج اهل افريقية

عن طاعتهم وقاموا بدعوة الشيعة وفر آخرهم واسمه زيادة الله قاتل ابيه الى المشرق وفي هذه المدة كلها لم يتجاوز ملكهم افريقية لمكان الدولة الادريسية في المغرب وبانقراض دولة بني الأغلب من افريقية انقطعت دعوة بني العباس منها ومن المغرب . ولنذكر دول المغرب على الترتيب ووقائعها وما آل اليه امرها مبتدئين بدولة الادارسة لانها اول دولة ظهرت فيه حتى نتوصل الى ذكر ما كان في ايام سيدي الوالد من الوقائع الهائلة والايام المشهورة مع دولة فرانسا وما جرى بينه وبين دولة . راکش بوجه الاختصار على حسب الامكان وبالله المستعان

﴿ ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى ﴾

لما آلت الخلافة العباسية للهادي خرج الحسين بن علي بن حسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط عليهم السلام الى المدينة المنورة وبويع في ذي القعدة سنة تسع وستين ومائة ثم سار منها الى مكة المكرمة وكتب الهادي الى محمد بن سليمان بن علي العباسي حين قدم حاجاً من البصرة فولاه حربه فاستعد محمد بن سليمان لقتاله وانضم اليه من حضر من شيعتهم ومواليهم وخرج لقتال الحسين فالقى الفريقان بوجع موضع على ثلاثة اميال من مكة الى جهة الطائف واقتتلوا فوقعت الهزيمة في جيش الحسين وقتل هو في جماعة من اهل البيت واقترب الباقيون وكان فيهم عمه ادريس بن عبدالله الكامل فافلت مع من افلت منهم ولحق بمصر نازعاً الى المغرب وعلى بريد مصر يومئذ واضح مولى صالح بن المنصور وكان يتشيع فلم بشأن ادريس وحمله على البريد الى المغرب ومعه راشد مولاه فنزل بوليلي بجانب جبل زرهون سنة اثنين وسبعين وبها وقتل اسحاق بن محمد بن عبد الحميد امير اوربة من قبائل البربر فاجاره وجمع البربر على ادريس وبايعوه وقاموا بامره وخطب الناس يوم بويع فقال ايها الناس لا تمدن الاعناق الى غيرنا فان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا ولما استوثق له الامر زحف الى البرابرة الذين كانوا بالمغرب واكثرهم على دين اليهودية والنصرانية فاسلموا على يده وخرّب حمونهم وفتح تامسنا ومدينة شالة وتادلا ثم زحف الى تلمسان سنة ثلاث وسبعين وامن اميرها محمد بن خزر المغراوي واقره على امارته كما امن سائر زناته وبني مسجد تلمسان وكتب اسمه على منبرها ثم رجع الى مدينة

وَلَيْلى وقد طبق الآفاق ذكره واهتز له الرشيد ببغداد واهمه شأنه واطلع على ما كان من واضح مولايم من دسيسة التشيع واعمال الحيلة في نجاة ادريس الى المغرب فقتله ومن ذلك العهد وقع الفشل لبني العباس بالمغرب وقصرت قوتهم عن ان تسمو اليه وقد استعمل الرشيد الحيلة على قتل ادريس فندس اليه الشماخ من مواليمم للتخيل على قتله فلحق به واظهر النفور من بني العباس مواليه فصدقه ادريس وقربه منه ثم انتهر الفرصة فيه في بعض خلواته فناوله سماً فقتله به سنة خمس وسبعين ومائة ودفن بوليلي وفر الشماخ ولحقه راشد مولى ادريس بوادي ملويه فاختلفا بضربتين نقطع راشد يد الشماخ واجاز الوادي فاعجبه ونما خبر ادريس الي بني العباس ببغداد فوقع ذلك احسن موقع لما رجوه من قطع اسباب الدعوة الادريسية من المغرب وكانت ايام خلافة ادريس خمس سنين وستة اشهر وخلف جاريته كنزة حبل فقام بامر الملك مولا راشد بالاتفاق وبعد ستة اشهر من موته وضعت جاريته كنزة ولداً فاجتمع البربر وعرضه راشد عليهم فراوه شبيهاً بابيه ففرحوا به وسموه ادريس الأصغر وكفله راشد الى ان قتله بعض البربر باغراء بني الاغلب امراء افريقية سنة ست وثمانين ومائة ثم قام بكفالة ادريس من بعده ابو خالد بن يزيد بن الياس العبدي الى ان بايعه بجامع ولى سنة ثمان وثمانين ومائة وهو ابن احدى عشر سنة وقاموا بامره وحددوا لانفسهم رسوم الملك بتجديد طاعته وكان ادريس الاصغر اجمل الناس خلقاً وخالقاً قال داوود بن القاسم البربري خرجت مع ادريس الاصغر الى قتال الخوارج من البربر فلقيهم وكنوا اكثر منا عدداً فاخذني العجب يومئذ من ثبات جأشه وشدة اقدامه على العدو مع صغر سنه فجعلت اطيل النظر فيه فكلمني في ذلك فقلت انما اطلت النظر اليك لخصال رايتها فيك منها انك تبصق بصاقاً مجتمعاً وانا اطلب قليلاً منه ابل به حلقي فلا اجد منه حركتك في سرجك فقال اما اجتماع بصاقي فلا اجتماع قايي واما ذهاب بصاقي فلذهاب قلبك واما حركتي فلا استشرافي الى القتال ثم قال

أليس ابونا هاشم شد از ره * واوصى بنيه بالطعان وبالضرب

فقلت بلى انتم اهل لذلك . ولما استوثق له الملك استوزر مصعب بن عيسى الازدي ونزع اليه كثير من قبائل العرب والاندلس واجتمع اليه منهم عدد كثير

فاختصهم وكانوا له حاشية وبطانة وعظم سلطانه بهم وقوي ملكه واختط مدينة فاس سنة اثنين وتسعين ومائة وبني فيها مساكنه وانتقل اليها من ويلي واسس جامع الشرفا واستقام له الامر وتوطد له الملك ثم خرج غازياً المعامد سنة سبع وتسعين ومائة فافتتح بلادهم ودانوا بدعوته ثم غزى تلمسان وجدد بناء مسجدها واقام فيها ثلاث سنين وانتظمت كلمة البرابرة وزناتة ونحوا دعوة الخوارج منهم واستولوا على المغربين من سوس الاقصى الى وادي شلف وضايق ابراهيم بن الاغلب بافريقية ثم استراب ادريس بالبرابرة فصالح ابن الاغلب وسكن من غربه ثم عجزت الاغالبة عن مدافعة الادارسة ودافعوا حلفاء بني العباس فتارة باحنقار المغرب واهله وتارة بالارهاب بشأن ادريس ثم رجع ادريس من تلمسان الى عاصمة ملكه فاس وعزم على الجواز الى الاندلس فادركه الاجل وتوفي سنة ثلاث عشرة ومائتين عن ثمان وثلاثين سنة وخلف اثني عشر ولداً ذكراً اكبرهم جدنا محمد وهو ولي عهده فاشرك اخوته في ملكه باشارة جدته كنزة فقسم المغرب بين الكبار منهم وابقى الباقيين في كنفاته وكفالة جدتهم كنزة لصغرهم ولم يزل امره جارياً على احسن الوجوه واعدها الى ان توفي في ربيع الاول سنة احدى وعشرين ومائتين بعد ان عهد لابنه علي وهو ابن تسع سنين فقام بامره الحاشية من العرب واوربة وسائر البربر وبايعوه غلاماً مترعراً وقاموا بامره وطاعته فكانت ايامه خير ايام وتوفي في رجب سنة اربع وثلاثين ومائتين لثلاث عشرة سنة من ولايته وعهد لاختيه يحيى بن محمد فقام بالامر واتتد سلطانه وحسنت سيرته واستجبت فاس في العمران وبنيت الحمامات والفنادق للتجار ورحل اليها الناس من الآفاق والقاصية وبني في ايامه جامع انقرويين اختطته امرأة من القيروان من مالها سنة خمس واربعين ومائتين وانتقلت اليه الخطبة من جامع الشرفا المعروف بجامع مولاي ادريس ثم اوسع في خطة المنصور بن ابي عامر وبنو مرين ثم توفي يحيى وبويع ولده يحيى بن يحيى فساءت سيرته وكثر عبثه وثارته به العامة فاخرجوه من عدوة القرويين الى عدوة الاندلسيين فتواري ليليتين ومات اسفاً وبلغ الخبر الى ابن عمه علي بن عمر صاحب الريف فاستدعاه اهل الدولة من العرب والبربر فجاء الى فاس وبايعوه واستولى على اعمال المغرب فثار عليه عبد الرزاق الخارجي وزحف على فاس وغلب على عدوة الاندلس منها وامتنعت عليه عدوة القرويين

وفّر علي الى اعماله من الريف فاستحضر اهل فاس يحيى بن قاسم بن ادريس فحضر اليها بجنوده وقتل عبد الرزاق وتم له الامر واستقل به الى ان اغتاله الربيع ابن سليمان سنة اثنين وتسعين ومائتين وقام بالامر بعده احسن قيام يحيى بن ادريس بن عمر بن ادريس صاحب الريف فملك جميع اعمال الادارسة وخطب له على سائر منابر المغرب وكان اعلا بني ادريس مكانا واعظمهم سلطانا واكثرهم عدلا وكرما ذا علم وصلاح ولم يزل على ذلك الى ان عقد الشيعة اصحاب افريقية لمصالة بن حبوس صاحب تاهرت على تحاربة ملوك المغرب فرحف الى فاس في عساكر مكناسة وكتامة وبرزاليه يحيى بن ادريس بجدوعه والنقوا على مكناسة فكانت الدائرة على يحيى ورجع الى فاس فحاصره بها ثم صالحه على مال يدفعه اليه وان يبائع لعبدالله المهدي فقبل وخلع نفسه وانفذ بيعته الى عبدالله المهدي وعقد له مصالة على فاس وعمها خاصة وعقد لموسى بن ابي العافية المكناسي على جميع المغرب ورجع الى افريقية وفي سنة تسع وثلاثمائة عاد مصالة الى المغرب فدرس اليه ابن ابي العافية في يحيى فقبض عليه واستصفي امواله وغرّ به الى الريف وولى على فاس ربحان الكتاني فثار عليه الحسن بن انقاسم بن ادريس الملقب بالحجام سنة عشرة وثلاثمائة واخرج ربحان منها وملكها عامين ثم زحف للقاء موسى بن ابي العافية وكانت بينهما حروب شديدة قتل فيها ابنه موسى وانجلت المعركة على اكثر من الف قتيل وخلص الحسن الى فاس منهزما فغدر به حامد بن حمدان البربري الاوربي واعقله وبعث به الى موسى فوصل موسى الى فاس فملكها وطالب حمدان باحضار الحسن ندّاه واطلق الحسن فخرج من معقله مبتكرا وتدلّى من السور فسقط ومات وفّر حامد بن حمدان الى المهديّة بافريقية وتولى ابن ابي العافية على جميع المغرب واجلى من بقي من الادارسة في فاس الى الريف واجتمعوا الى اكبرهم ابراهيم بن محمد بن انقاسم اخي الحسن المذكور وولوه عليهم واختط لهم الحصن المعروف بحجرة النسر ثم اظلم الجو بين الشيعة واميرهم موسى بن ابي العافية فقال ابن ابي العافية الى المروانيين اصحاب الاندلس وخطب موسى لهم على منابر سائر اعماله وقطع خطبة ابي عبد بن فطار الخير اليهم فجهزوا له جيشا تحت قيادة مولاهم ميسور النقي وكتبوا الى الادارسة بالريف ان يكونوا في نصره حتى اذا فرغوا من موسى بن ابي العافية يرجع ميسور ويترك لهم ولاية المغرب

فكان من الادارسة في تحاربة ابن ابي العافية عجائب ثم انماز الى ملوية فلحقوا به وقتلوه بعد ان ملك المغرب ثمانية وعشرين سنة ورجع بنو ادريس الى بلادهم ما عدا فاس وتمسكوا بدعوة الشيعة وتولى القاسم بن محمد بن القاسم بن ادريس الملقب بكنون ثم توفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وتولى مكانه ولده احمد بن القاسم وكان عالماً فقيهاً يميل الى بني مروان فقطع دعوة الشيعة ودخل الاندلس بقصد الجهاد فمات هناك سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة وخلفه اخوه الحسن بن كنون الى دخول جوهر الشيعي المغرب فبايع الحسن الشيعة ولما رجع جوهر نكث ورجع للمروانيين الى ايام بلكين قائد الشيعة وقوي امرهم وضاق النطاق على الحسن حتى مات شريداً ثم تغلب المروانيون على بلاد الريف واجازوا اكثر الادارسة المترشحين للملك الى الاندلس ثم اجازوهم الى الاسكندرية وبعث العزيز العبيدي صاحب مصر وافريقية من اختاره من بني كنون لطلب ملكهم بالمغرب فغلبهم عليه المنصور بن ابي عامر وقتلهم وكان اقراض دولة الادارسة من المغرب بعد ان ملكوه نحو مائتي سنة ثم تمكن بنو يفرن وزناتة وخطبوا فيها للمروانيين وبقيت في ايديهم يتوارثونها الى ان غلبهم عليها المرابطون والبقاء لله تعالى

﴿ ذكر بني الاغلب امراء تونس ﴾

وهم من اولاد الاغلب بن سالم قدم مع محمد بن الاشعث الخزاعي حين تولى على مصر وتونس سنة اربع واربعين ومائة فولاه على الزاب ولما رجع ابن الاشعث الى بغداد بعث الخليفة ابو جعفر المنصور الاغلب بن سالم والياً على تونس فقدمها وسكن انقيروان ثم خرج عليه ابومرة اليفرني في جموع من البربر وقتل الاغلب في حروبه وفي ايام هارون الرشيد عهد بالولاية لابراهيم بن الاغلب وكان الرشيد يغيث بمكانة ادريس في المغرب فاحتمل عليه ابراهيم حتى قتله واثار لذلك ابن الخطيب بقوله .

واستوثق الملك لآل الاغلب * بعد رجال من بني المهلب
فاول الاقوام ابراهيم * وهو الهام الملك العظيم
قلده هارون امر المغرب * وهولطيف الحمد ما في المضرب
فلم يدع في ارضه رئيسا * واعمل الخيلة في ادريسا

ودام ابراهيم في الولاية الى ان توفي . فوليا بعده ابنه العباس واستعمل الجور في رعيته فانتدب جماعة من الصالحين الى وعظه فلم يقبل واستمر على حاله فتوجهوا الى الله بان يريحهم منه فات خمسة ايام مطعوناً بعد ان اسودّ لونه وتغير جماله وحسنه فوليا اخوه زيادة الله المشهور بابن شكلة وكان اميراً جليلاً وفيّ في امارته للآمون وابراهيم من المهدي ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين فتولى مكانه اخوه عقال وسار سيرته في الخير الى ان مات فولى بعده ابو العباس بن محمد ابن الاغلب وكان جاهلاً وولي بعد وفاته ابن اخيه احمد بن العباس وكان حسن الاخلاق متجنباً الظلم والاعتساف بنى المساجد في تونس والمآجل بياها وتوفي سنة تسع واربعين ومائتين فوليا اخوه ابو محمد زيادة الله بن محمد بن الاغلب وكان عاقلاً حسن السيرة وكانت ولايته ستة اشهر ثم وليها ابن اخيه محمد بن احمد ابن محمد الملقب بابي الغرائيق لشغفه بصيدها وكان غايةً في الجود وایامه في اليمن يضرب بها المثل توفي سنة احدى وستين ومائتين وولى بعده اخوه ابو اسحاق ابراهيم ابن احمد وهو الذي نقل انقصور الى ركادة وكان في ابتداء امره حسن السيرة ثم غلب عليه خلط سوداوي فتغير حاله واسرف في القتل وقتل اصحابه وحجابه وثمانية من اخوته صبراً بين يديه وقتل بناته ثم اظهر النسك مات سنة تسع وثمانين ومائتين وولى بعده ابنه ابو العباس عبد الله على عهد المعتصم بالله فرد المظالم وتنسك وابس الصوف وقتل بتدبير ابنه زيادة الله وكان في سجنه وبادر بقتل من شارك في دمه واظهر التبري من ذلك وفي ايام زيادة الله ظهر امر بني عبيد ولقيت جيوشه جيوش الشيعة فلم تقم لهم قائمة ففر الى المشرق وترك البلاد

﴿ ذكر دولة الادارسة بالاندلس ﴾

كان لبني محمد وبني عمر من ولد ادريس رئاسة على البربر في بلاد غمارة من الريف فلما قام سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين علي المهدي محمد بن هشام في جنود البربر وزناته كان علي بن حمود بن ميمون بن احمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن ادريس واخوه انقاسم في جملتهم واشتد امر البربر وزناته انصار المستعين على اهل الاندلس وحاصروا المهدي في قرطبة فحشى اهلها على انفسهم من اقتحام البربر عليهم فقتلوا المهدي بن هشام واجتمعوا على تجديد البيعة لهشام المؤيد واستمر

البرابرة على حصار قرطبة والمستعين بينهم الى ان دخلوها عنوة سنة ثلاث واربعائة
وفتكوا بهشام المؤيد ثم لما افرق شمل جماعة قرطبة وتغلب البربر على الامر قام
علي بن حمود واخوه القاسم ودعوا لانفسهم وتعمب لهم الكثير من البربر وملكوا
قرطبة سنة سبع واربعائة وقتلوا المستعين وتم الامر لعلي وتمكن سلطانه واتصلت
دولته عامين وتلقب بالمأمون ثم قتله صقالبته في الحمام سنة ثمان واربعائة فولي
مكانه اخوه القاسم والى ذلك يشير ابن الخطيب في منظومته بقوله

ثم ساليان الى الملك رجع * نبيه الدهر وما كان مبع
وكان شاعراً ومن اهل اللسن * وقضى الله له أبا الحسن
وهو ابن حمود اتى من سبته * وسبب العز له قيد ثبته
صال عليه طالباً دم هشام * وقل من ولى عن الثار ونام
نخل الابن وثنى بالأب * بيده مييناً للسبب
واستوثق الامر قليلاً وانتغم * وانتصر الدر به من ظلم
واغلظ الاحكام في بربره * وغالب الناس على سيره
واغتاله الصقلب في حمامه * فجرعوه الصرف من حمامه
وقام بالامر اخوه القاسم * فوضعت في ملكه المراسم

ثم بعد اربع سنين من سلطنة القاسم نازع ابن اخيه يحيى بن علي بسبته
وكان اميراً على تلك النواحي وولى عهد ابيه فزحف الى قرطبة فملكها سنة ثنتي
عشرة واربعائة وتلقب بالمعتلي وفرّ عمه المأمون الى اثبيلية وباع له قاضيها ابن
عباد وانتجاش بعض البربر ورجع الى قرطبة سنة ثلاث عشرة ولحق المعتلي بالقة
وتغلب على الجزيرة الخضراء وتغلب اخوه ادريس على طنجة ولم يزل امر المعتلي
ينمو وسلطانه يعلو الى ان قتله محمد بن عبدالله البرزالي البربري بداخلة ابن عباد
ثم استدعى اهل مالقة احاه ادريس بن علي من طنجة وبايعوه فتم امره واتسعت
دولته ومات سنة احدى وثلاثين واربعائة وبويع بعده لابن اخيه حسن بن يحيى
المعتلي ولقب المستنصر ثم مات مسموماً سنة ثمان وثلاثين وبويع لاختيه ادريس
ابن يحيى ولقب العالي ثم ثار السودان عليه بدعوة ابن عمه محمد بن ادريس بن
علي وتلقب المهدي واقام في ملكه بالقة واطاعته غرناطة وجيان واعمالها الى ان
مات سنة اربع واربعين ورجع العالي فبويع بكانه بغارة وكان فرّ اليها لما ثار

عليه السودان ثم مات سنة سبع وأربعين وبويع محمد الأصغر ابن ادريس بن علي وتلقب المستعلي ثم قام عليه باديس فتغلب على مالقة وسار محمد المستعلي منها إلى المرية تخوفاً ثم استدعاه أهل مليلية وكاعة من وراء البحر وبايعوه سنة تسع وخمسين وأربعمائة وهو آخر من ملك في الأندلس من الأدارسة ثم انقسمت ملوك الطوائف جزيرة الأندلس إلى أن تغلب عليهم المرابطون بعد تغلبهم على المغرب كله والبقاء لله وحده . وأعلم أن هذا القطر الأندلسي تسميه الأفرنج أندلس بالشين المعجمة وكان يسكنه أم من أفرنجة المغرب وأكثرهم الجلالة وكان الغوط قد تملكوه المئتين من السنين قبل الإسلام بعد حروب موصوفة مع السريانيين وذلك لعهد إبراهيم الخليل عليه السلام وحاربوا الأتبيين وحاصروا رومة ثم عقدوا معهم السلم على أن ينصرف الغوط إلى الأندلس فساروا إليها وملكوها وهؤلاء الغوط من الأمم العظيمة وكانوا يعرفون في الزمن القديم باسميين نسبة إلى الأرض التي كانوا يعمرونها بالشرق فبما بين الفرس واليونان ولما أخذ الروم واليونان بالملّة النصرانية حملوا عليها من ورائهم من المغرب من أم الفرنجة والغوط فدانوا بها وكانت دار ملوك الغوط طليطلة وملكهم لذلك العهد يسمى لزريف وهو ممة ملوكهم وكان ملك البرابرة بجبال غارة يسمى بليان يدين بطاعتهم وملتهم وموسى بن نصير أمير المغرب إذ ذاك عامل على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك واستنزل بليان بطاعة الإسلام وكان بليان ينقم على لزريف ملك الغوط فلحق بطارق بن زياد اللبتي وهو يومئذ والي طنجة فانتهز طارق الفرصة وأجاز البحر بأذن أميره موسى بن نصير بثلاثمائة من العرب واحتشد معهم البربر وصيرهم عسكريين أحدهما على نفسه ونزل بهم جبل الفتح فسمى جبل طارق والآخر على طريف بن مالك النخعي ونزل بمكان مدينة طريف فسميت به وحصل لهما الفتوحات العظيمة

❖ ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون ❖

وأصلهم من الشيعة المعروفين بالامامية وكان محمد بن حبيب والد عبيد الله المهدي منهم وهو من ولد اسماعيل الإمام ومنازله بالسليمية من أرض حمص في الشام وكانت شيعتهم يتعهدونه بالزيارة فجاء محمد بن الفضل الشيعي العدني من اليمن لزيارته فبعث معه رستم بن الحسن بن الحوشب لإقامة دعوته باليمن فساروا وأظهروا الدعوة واستولى

محمد بن الفضل الداعية على أكثر اليمن وفرَّق الدعوة في اليمامة والبحرين والسند والهند
ومصر والمغرب وكان ابو عبدالله المعروف بالمخسب الشيعي من اهل صنعاء وقيل من
الكوفة سمع بقدم ابن حوشب وانه يدعو الناس الى المهدي فصار اليه واتصل به وكان
ابن حوشب ارسل دعاة الى المغرب واجابتهم كتامة من البربر . فلما رأى علم ابي عبدالله
ودهاء ارسله اليهم ثم جاء ابو عبدالله مكة واجتمع بجماعة منهم قدموا حجاجاً فآم بحبيبين
الى مطلوبه فسار معهم الى بلادهم من افريقية سنة ثمانين ومائتين واثنا البربر عليه من
كل جهة وعظم شأنه وبلغ الامر الى بني الاغلب امراء افريقية فاستصغروه ثم مضى الى
تاهرت وانه قبائل المغرب الاوسط واستمر يطاول بني الاغلب على مملكتهم الى ان تولى
زيادة الله قاتل ابيه وكان منهمكاً في لذاته فضعف امره وانتقضت عليه كافة افريقية
فهرب الى المشرق ونهب البربر قصوره واحتل ابو عبدالله ركادة ومنها ذهب الى القيروان
فدخلها ولما رأى ابو عبدالله امره في الزيادة وامر بني الاغلب في نقصان بعث جماعة
من كتابه الى عبيدالله المهدي بعد موت والده محمد الحبيب فوصلوا اليه وهو في السليمية
واخبروه بما فتح الله عليهم وان الناس في انتظاره وساء خبر عبيدالله المهدي في الشام
والعراق ومصر واتصل الخبر بالخليفة المكتفي بالله العباسي فطلبه فقرأ الى العراق ثم لحق
بصر ومعه ابنه وخاصته فبلغه ما احدث بها محمد بن الفضل من بعد ابن حوشب وانه اساء
السيرة فخرج من مصر بن معه في زينة التجار وسار حتى وصل قسنطينة ثم عدل الى طريق
الصحرى الى سجلماسة وبها اليسع بن مدرار فآكرمه ثم حبسه وبقي في تحبسه الى ان فرغ
ابو عبدالله من امر افريقية واستمر على سيره حتى اتى سجلماسة فخرج اليسع لقتاله فانقض
معسكره وفر هو وخاصته ومن الغد خرج اهل البلد الى الشيعي وذهبوا معه الى مجلس المهدي
وابنه فاخرجهما وباع للمهدي ومشى مع رواده القبائل بين يديه حتى انزلهم بالمخيم وبعث
في طلب اليسع فادركوه وقتلوه ثم ارتحلوا الى افريقية ونزلوا بركادة سنة سبع وتسعين
فحضر اهل القيروان وبويع المهدي البيعة العامة واستقام امره وقسم الاموال في رجال
كتامة واقطعهم الاعمال ودون الدواوين وجبى الاموال واستبدأ بامرهم والى ذلك اشار
ابن الخطيب بقوله

وظهر الشيعي في كتامة * فاختر فيهم كونه واعتماده
وغرم في رايه ومذهبه * ووعدهم ملك الورى بسببه
وصير الدعوة بعض قصصي * الى عبيدالله من آل الوصي

وهو الذي لقب بالمهدي * أي همام حازم أبي

واخر المهدي ابا عبد الله واخاه ابا العباس عن مباشرة الاحكام فاظم الجو بينهما واظهر ابو عبد الله واخوه الطعن فيه وقالوا لهم ليس هذا هو المهدي الذي دعونا اليه فاستراحت كتمانهم وانتقوا على قتله ونفى الخبر الى المهدي فتلطف في امرهم وولى روءاء كتمانهم على البلاد وفرق كلمتهم ثم امر عروبة بن يوسف بقتل ابي عبد الله واخيه فحمل على ابي عبد الله عند باب القصر فقال له لا تفعل فقال الذي امرتنا بطاعته امرنا بقتلك ثم اجوز عليه وعلى اخيه ابي العباس وخلا الجو للمهدي فبنى المدينة وانتقل اليها من ركادة وزال بملكه ملك بني الاغلب وملك بني مدرار اصحاب سجلماسة . وايامهم فيها مائة وثلاثون سنة وزال ملك بني رستم اصحاب تاهرت وايامهم فيها مائة وستون سنة ثم توفي المهدي سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة بالمهدي لاربع وعشرين سنة من ولايته وولى بعده ابنه ابو القاسم محمد ويقال له نزار ولقب بالقائم بامر الله فخرج عليه ابو يزيد الاعور ولم يزل مشغلاً بحروبه مدة امارته وتوفي اقام نحوراً في سوسة بعد ان عبد لولده اسرايل ولقبه المنصور سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة فكتم المنصور موت ابيه اقام حذراً ان يطاع عليه ابو يزيد وهو بكانه من حصار سوسة فلم يسم بالباغية ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود الى ان مات ابو يزيد مأسوراً عنده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة فحينئذ اظهر موت ابيه وبويع بالخلافة وضبط الممالك والبلاد ثم توفي سنة احدى واربعين وثلاثمائة لسبع سنين من خلافته وعهد الى ابنه معد ولقب بالمعز لدين الله فاستقام امره وعظم ملكه ولما بلغه اختلال احوال مصر بعد موت كافر الاخشيد جاوز اليها جوهرًا في جيوش البربر والعرب فهربت العساكر الاخشيدية قبل وصوله ودخل مصر في سابع عشر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة واقامت دعوة الناطمين فيها وخطب باسم المعز ابو محمد عبد الله الشمشاطي في الجامع العتيق في شوال وفي جمادى الاولى دخل جوهر جامع ابن طولون وامر بزيادة حي على خير العمل في الاذان وجوز في الصلاة بسم الله الرحمن الرحيم وبعث الهدايا والاموال الى افريقية صحبة الرغد من مشيخة مصر وقضاتها وعلمائها وانقضت دولة الاخشيدية من بني طنج . ولما استقر جوهر بمصر شرع في

بناء القاهرة وسير جيشاً الى الشام مع جعفر بن فلاج . فجاز الى دمشق وافتتحها بعد قتال شديد ونهب بعضها وكف عن بعض واقام الخطبة فيها يوم الجمعة للمعز الفاطمي في المحرم سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ولما توالى البشائر على المعز بفتح مصر والشام عزم على المسير الى مصر وبدأ في تهديد المغرب وقطاع شواغله ثم استدعى بلكين بن زيري واستخلفه على افريقية والمغرب وانزله القيروان وسماه يوسف وكناه ابا الفتوح ثم سار باهله وعساكره الى مصر فتلقاه اعيانها بالاسكندرية فاكرمهم وساروا معه الى مصر فدخلها خامس شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وكانت منزله ومنزل الخلفاء من بنيته بعده الى انقراض دولتهم بموت العاضد ابي محمد عبد الله وكانت وفاته يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة وعلى وزارته يوسف صلاح الدين ثقلها بعد موت عمه شيركوه فتمكن صلاح الدين في مصر وحكم على القصر وكان قبل موت العاضد بايام وهو في شدة المرض قطع خطبته وخطب لبني العباس بامر نور الدين الشهيد محمود بن زنكي صاحب الشام وهو الذي بعث شيركوه وابن اخيه صلاح الدين الى مصر باستدعاء من العاضد وكانت ايام ملك الفاطميين مائتين وثمان سنين بمصر واثنين وخمسين بالمغرب وافريقية وعدة خلفائهم اربعة عشر اولهم عبيد الله المهدي وآخرهم العاضد محمد بن عبد الله وبانقراض دولتهم انقضت دولة العرب من مصر ومن المغرب وافريقية وانتقل ملك مصر الى يوسف صلاح الدين واهل بيته ثم الى الجراكسة ثم الى الدولة العلية وانتقل ملك افريقية والمغرب الى البربر يتداولونه طائفة بعد طائفة وجيلاً بعد جيل تارة يدعون ابني امية بالاندلس وتارة لبني العباس واخرى لبني ادريس ثم استقلوا بالدعوة لانفسهم فقامت دولة صنهاجة بافريقية واولهم ابو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي استخلفه المعز على افريقية والمغرب عند مسيره الى مصر واستمرت اماره افريقية في ولده يتوارثونها خلفاً عن سلف الى ان انقضت باستيلاء الافرنج على المهدية سنة ثلاث واربعين وخمسمائة وفرّ الحسن بن يحيى بن تميم آخر امراء افريقية الى بجاية فاجاره صاحبها يحيى بن العزيز من بني حماد ثم لحق بالجزائر ونزل على سبع بن العزيز اخي يحيى فاكرم نزله وجاوره الى ان فتح الموحدون الجزائر سنة سبع واربعين وخمسمائة بعد استيلائهم على المغرب والاندلس فخرج الحسن الى عبد الموه من امير الموحدين فاكرمه ولحق به وصحبه الى افريقية في غزواته

الاولى والثانية فنازل المهدي فافتتحها سنة خمس وخمسين واسكنها الحسن وعين له اقطاعاً في خارجها ثم استدعاه يوسف بن عبد الموء من في ولايته بعد ابيه عبد المومن فأتى به فاحل باهله قاصداً مراکش فمات بتامساً والبقاء لله تعالى وحده

﴿ ذكر دولة المرابطين ﴾

وهم من الطبقة الثانية من صنهاجة ويقال لهم الملتحمون وقد استوطنوا القفر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب منذ دهور لا يعرف اولها ايثاراً للانفراد والبعد عن غلبة الملوك وتناسلوا في تلك البلاد فكثروا وتعددت قبائلهم . ذكر غير واحد من الموءرخين انهم كانوا لاول الاسلام سبعين قبيلة منها لمتونة ودكالة ومسوقة ولمطة ومزيلة . ومواطنهم ما بين البحر المحيط بالمغرب الى غدامس من جنوب طرابلس وبرقه الى ريف الحيشة واتخذوا اللثام شعاراً ليلاً ونهاراً والسبب في ذلك ان طائفة من لمتونة خرجوا غائرين على عدو لهم فحالفهم العدو الى بيوتهم ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء فلما تحقق المشايخ انه العدو امروا النساء ان يلبسن ثياب الرجال ويتلثمنن ويضيقنه حتى لا يعرفن ويلبسن السلاح وتقدم المشايخ والصبيان امامهن واستدار النساء بالبيوت فلما اشرف العدو رأى جمعا عظيما فقال هو لاء عند حرهم يقتلون عنهن قتال الموت والرأي ان نسوق انعم ونمضي فان لحقونا قاتلناهم خارجا عن حرهم فبينما هم في جمع النعم من المراعي اذ اقبل رجال الحي فبقي العدو بينهم وبين النساء فاكثروا القتل من العدو وكان ممن قتله النساء اكثر فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة يلزمونه ومما قيل فيهم

قوم لهم درك اعالي في الحمى * وان انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا ادراك كل فضيلة * غلب الحياء عليهم فتأثموا

وكانوا على دين المجوسية ولم يزالوا مستقرين بتلك المجالات حتى كان اسلامهم في المائة الثالثة وكانت الرئاسة فيهم لمتونة ولهم ملك ضخم في تلك الصحارى وجاهدوا جيرانهم من امم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به اكثرهم ومن بقي منهم على المجوسية اعطى الجزية ولم تزل كلمتهم مجموعة الى ان قتل صنهاجة اميرهم تميم بن بلنان ففرق امرهم وصارت رئاسة كل بطن منهم في بيت مخصوص فكانت رئاسة لمتونة في بني ورتاطق ولما افضت رئاستهم الى يحيى بن ابراهيم خرج في جماعة الى الحج سنة اربعين واربعائة فلقوا في

منصرفهم الامام ابا عمر القاسي المالكى فطلبوا منه ان يرسل معهم من يعلمهم
امر دينهم فبعث معهم الفقيه عبد الله بن يس الجزولي ولما مات الامير يحيى
افترق امرهم وتركوا الاخذ عن عبد الله بن يس فاعرض عنهم وتنسك معه
يحيى بن عمر واخوه ابو بكر بن عمر رؤساء لمثونة وانتبذوا عن الناس في جزيرة
يحيط بها بحر النيل ولحق بهم من كان في قلبه ميل الى الاسلام ولما كل معه
الف رجل قال لهم عبد الله قد تعين علينا اقيام بالحق والدعاء اليه ولن يغلب
الف من قلة فخرجوا من الجزيرة وقتلوا من استمعى عليهم حتى انابوا ورجعوا
الى الحق وسام المرابطين وامر عليهم يحيى بن عمر فتخطوا الرمال الصحراوية الى
بلاد درعة وسجلداسا فادوا لم الزكاة الشرعية ورجعوا ثم بلغهم ما نال المسلمين
من ظلم بني وانودين امراء سجلداسا من مغراوة فخرجوا اليهم سنة خمس واربعين
واربعمائة في عدد كبير من الفرسان وعمدوا الى درعة فنهض اليهم امير مغراوة وصاحب
سجلداسا ودرعة فانهرمت جيوش مغراوة وقتل اميرهم واستلم عسكره ودخلوا سجلداسا
وقتلوا من كان بها من مغراوة وبعد اصلاح احوالها استعملوا عليها بعض رؤسائهم
ورجعوا الى مواضعهم ثم مات يحيى بن عمر سنة ثمان واربعين واربعمائة وولى اخوه
ابو بكر بن عمر نفزى بلاد سوس ومات الفقيه عبد الله بن يس في بعض حروبهم
مع برغوة واستمر ابو بكر في جهادهم حتى استأصل شافتهم ثم بلغه ما وقع بين
قومه من الخلاف فغشى افتراق الكلمة ورتحل راجعا الى قومه بعد ان استعمل
على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين ورنع ما كان بينهم من الخلاف وشغلهم
في جهاد السودان فاستولى على نحو سبعين مرحلة من بلادهم واقبل يوسف على شأنه
فدوخ اقطار المغرب واختط مدينة مراكش سنة اربع وخمسين واربعمائة ثم انقضت
عليه فاس وقبائل زناتة فنهض اليهم سنة اثنتين وستين ونازل فاس فافتحها عنوة
واصلح شأنها وارتمل منها الى ملوية فافتح حصونها وحصون غمارة وتازة وبلاد غياثة
وفي سنة ثلاث وسبعين نهض الى الريف فافتح سائر بلاده وافتح مدينة تلمسان
واستلم من كان بها من مغراوة وقتل اميرها العباس بن يحيى واختط بها تاكروات
وهو اسم للمحلة بالبربرية ثم افتح وهران وتنس وملايه وملديه وغيرها وانتهى الى
الجزائر ثم رجع الى مراكش سنة خمس وسبعين واربعمائة وعظم امره واستعمل ماكنه
وتلقب امير المسلمين وكاتبه اهل الاندلس كافة من العلماء والخاصة وملوك العوائف

مستنجزين وعده في صريح الاسلام فاهتز للجهاد ثم اجاز البحر بمساكر المرابطين
وقبائل المغرب ونزل الجزيرة الخضراء سنة تسع وسبعين واربعائة وجمع ملك الجلالة
امّا لقتاله ولقيه بالزلاقة من نواحي بطليوس وكان للمسلمين عليه اليوم المشهور
سنة احدى وثمانين ثم رجع الى مراکش وازار ثانية سنة ست وثمانين فلقية ابن عباد
بجيوشه فبطش بهم ورجع الى مراکش وازار ثالثة سنة تسعين فزحف اليه ملك
الجلالة فانهمزمت جيوشه ثم رجع الى مراکش وازار ابن ابنه الامير يحيى بن
ابي بكر بن يوسف سنة ثلاث وتسعين واربعائة وانضمت اليه جيوش المرابطين
بالاندلس فتقوى بهم واخذ عامة الاندلس من يد ملوك الطوائف واستولى على
العدوتين ولم يبق منها الا سرقطة في يد صاحبها ابن هود معصماً بالافرنج وخاطب
المستنصر العباسي الخليفة ببغداد وجاءه التقليد منه على ما لديه من الاقاليم وخاطبه
الامام الغزالي يحضه على العدل والتمسك بالشريعة ثم اجاز رابعة سنة سبع وتسعين
واربعائة وتوات غرواته في بلاد الافرنج الى ان مات على رأس المائة الخامسة
فقام بالامر بعده ابنه علي وازار الى الاندلس فاشحن فيها قتلاً وسبياً ثم اجاز
ثانية سنة ثلاث وخمسمائة ونازل طليطلة فعظم شأنه وقسم شرقي الاندلس على اعيان
المرابطين وعقد لابنه تاشفين على غربية سنة ست وعشرين وخمسمائة ورجع الى
مراكش ولاربعة عشرة سنة من دولته كان ظهور الموحدين ثم مات سنة سبع وثلاثين
 وخمسمائة وقام بالامر ابنه تاشفين حين عظم امر الموحدين ثم اخذ امر المرابطين الضعف
وغزى عبد المؤمن بن علي في جموع الموحدين غرواته الكبرى الى جبال المغرب
فخرج تاشفين بمساكر المرابطين لمقابلته وبعث البعوث الى الجهات فرجعوا منهزمين
وتوات الوقائع عليه فاجمع الرحلة الى وهران وبعث ابنه وولي عهده ابراهيم الى
مراكش وزحف عبد المؤمن الى وهران في جيوش الموحدين وضايقوا تاشفين
في داخلها فخرج الى الجبل المطل عليها فتردى به فرسه في بعض شعابه فمات سنة
احدى واربعين وخمسمائة ثم بويع لابنه ابراهيم بن تاشفين وخام فبويع عمه اسحاق
ابن علي بن يوسف ثم زحف الموحدون اليها وقد ملكوا جميع بلاد المغرب الاقصى
والاوسط فخرج اليهم عسكر اسحاق فقتلهم الموحدون وفر اسحاق وخاصته الى انقبة
ثم نزلوا على حكم الموحدين فاحضر اسحاق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون
وقتلوا خاصته ودخلوا مراكش وانقرضت دولة المرابطين بعد ان ملكوا المغرب الاقصى

والاوسط وعدوة الاندلس ثمانين سنة وخطب لم على ازيد من الفتي منبر وكانوا
اهل ديانة وصيانة لم يجرؤوا في اعمالهم مكساً ولا خراجاً ولا ما يخالف الشريعة
المطهرة قال ابن الخطيب

قد طاعت بغرب ملتونه * دولتها عزيزة ميمونه
تجمع ديناً وعفافاً وكرم * لم يدرك قدر فضلها حتى انصرم
فاذعن لحر بها الطوائف * وظهرت من قوهرها خلائف
والملك لله وحده لا شريك له يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير

﴿ ذكر دولة الموحدين ﴾

كان القائم بامر هذه الدولة محمد بن عبدالله تومرت الشهير بالمهدي واختلف
النسابون فيه ف قيل انه ينتمي الى الحسن السبط رضى الله عنه وانكر ابن مطروح
ذلك في تاريخه وقال انما هو من هرغة من بطون المصامدة من البربر ارتحل
في اول الخمسمائة الى المشرق لطلب العلم ولقى جماعة من مشاهير العلماء فاستفاد
علماً واسعاً ثم انطلق راجعاً الى المغرب سنة خمس عشرة وخمسمائة واخذ بالانكار
على الناس والزهم اقامة الصلوات واجتناب المنكرات وكان على مذهب الاشعري
في تأويل المتشابه من الآيات والاحاديث وانكر على اهل المغرب اخذهم بذهب
السلف في اقرار المتشابه كما جاء وكفرهم بذلك وكان يقول بعصمة الامام
وينتحل القضايا الاستقبالية ويشير الى الحوادث الآتية وفي ايام اقامته بذراحي
بجاية اتصل به عبد المؤمن الكومي الترابي فاستعجب الى المغرب الاقصى
واستمر على ما هو عليه في زعمه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ودخل
مراكش فكثرت اتباعه ولما اشتد امره استحضره امير المسلمين علي بن يوسف
ابن تاشفين الى مجلسه وناظره الفقهاء بين يديه فغلبهم فاخرجه من مراكش
فلحق بجبال المصامدة ونزل على هرغة وبني رباطاً للعبادة واجتمع عليه خلق كثير
فجعل يعلمهم التوحيد بلسانهم على مذهب الاشعري ثم دعاهم الى بيعته على التوحيد
وقتل المرابطين وانه المهدي المنتظر فبايعوه على ذلك ثم كثرت جيوشه فارسل
امير المسلمين علي بن يوسف جيشاً لقتاله فهزمهم وقويت نفوس اتباعه ووفدت
اليه قبائل المصامدة وغيرهم من البربر يبايعونه وعظم امره وترددت اليه عساكر

المرابطين مرات ففضهم ثم ارتحل الى جبل تينملل واستوطنه وبني فيه داراً
ومسجداً وسمى عامة اصحابه الموحدين ولم يزل امره يعلو فلم تهزم له راية الى
سنة اربع وعشرين وخمسمائة فجز جيشاً لنظر صاحبيه الوانشريسي وعبدالمؤمن
وسيرهم الى مراکش فحصرهم امير المسلمين فيها عشرين يوماً ثم خرج اليهم
واقبوا فقتل الوانشريسي وانهزم عبدالمؤمن بجيشه الى الجبل . ولما بلغ المهدي
خبر هزيمة عساكره وكان مريضاً اوصى اصحابه باتباع عبدالمؤمن وعرفهم انه هو
الذي يفتح البلاد وسماه امير المؤمنين ولما توفي دفنه اصحابه في داخل مسجده
وكتبوا موته وعهده بالخلافة الى عبدالمؤمن خوفاً من تزيق الكلمة واقاموا
يدبرون الامور ثلاث سنين ثم تقدم الشيخ ابو حفص المنتاقي رئيس قبيلته الى
عبدالمؤمن وقال له تقدمك كما كان الامام يقدمك واعلنوا بيعته وامضوا عهد
الامام بخلافته وحملوا القبائل على طاعته فاقام عبدالمؤمن في تينملل يؤلف
القلوب ويأخذ في الاسعداد الى ان استكمل امره فخرج الى تادلة ودرعة
فاستولى عليها وانقض البربر وسائر المغرب على المرابطين وفي سنة اربع وثلاثين
غزى ولم يرجع الى تينملل حتى استولى على المغربيين الاوسط والاقصى واحتل
مراكش سنة احدى واربعين وفي سنة ثلاث واربعين استولى على قرطبة
وقرطونة وارجان من الاندلس وفي سنة ست واربعين فتح افريقية باسرها وفتح
مدينة المربة ووابرة وبياسة من الاندلس وفي سنة خمسين فتح غرناطة وفي سنة
اربع وخمسين رجع الى افريقية واجلى جميع الثوار منها ونازل المهدي وكانت في
يد الافرنج فاخرجهم منها سنة خمس وخمسين ووصلت جيوشه الى سرت وبرقة فيما
وراء طرابلس ثم رجع الى المغرب وفي سنة سبع وخمسين خرج من مراکش الى سلا
قاصداً الجواز الى الاندلس فمرض بها ومات وكانت مدته ثلاثاً وثلاثين سنة
 وخمسة اشهر وثلاثة عشر يوماً وهو الذي جمع اهل المغرب كافة على مذهب الاشعري
في الاصول وعلى مذهب الامام مالك في الفروع قال ابن الخطيب

ونجح المهدي وهو الداهية * فاصبحت تلك المباني واهيه
لم يال فيها ان دعي لنفسه * وكان في الحزم فريد جنسه
وعنده سياسة وعلم * وجراة وكرم وحلم
ووافقت دولته في الناس * لدولة المسترشد العباس

واوصى بالخلافة لولده يوسف وبويع ولقب بامير المؤمنين واستقامت له الامور
 لحسن تدبيره ومثانة دينه واجاز الى الاندلس مرات وكانت له فيها عدة غزوات
 اسنظهر في جميعها على الافرنج واقتنح امصاراً وحصوناً وفي سنة ثمانين وخمسمائة اجاز
 الى الاندلس اجازته الاخيرة فاحتل بجبل الفتح وسار الى اشبيلية فوافته فيها
 حشود الاندلس ووصل الى شنترين فحاصرها وخرج النصارى من الحصن فوجدوه
 في غير اهبة فحملوا عليه فابلى هو ومن حضر معه ثم اصابه سهم فعمله ابنه يعقوب
 وانصرف الى اشبيلية فمات في الطريق وكانت مدته اثنتين وعشرين سنة وبويع
 ولده يعقوب وتلقب بالمنصور ثم اجاز الى مراکش وباشر الاحكام واقام راية الجهاد
 وحصن الثغور والبلاد واحسن بالمراتب علي العلماء وبنى المساجد والمدارس في
 جميع ايلات المغرب وافريقية والاندلس وانشأ بها عدة مارستانات وواقع بالافرنج
 عدة وقعات منها وقعة الأرك في نواحي بطليوس وبالجملة فقد كان اجل ملوك
 الموحدين وابعدهم صيتاً واءلام همة وكانت ايامه ايام خير وامن توفي سنة خمس
 وتسعين ودفن بداره في مراکش وقد كذب من قال انه ولع وساح ومات بالبقياع
 العزيز من اعمال دمشق الشام ودفن بقرية في راس الجبل وقد سميت القرية باسمه
 واكثر اهالي تلك البلاد يعتقدون بذلك ولذا اكثر حجاجهم يقصدون زيارته
 عند مرورهم على الشام وكانت مدته اربع عشرة سنة واحد عشر شهراً وولى بعده
 ابنه محمد ولياً عهده وتلقب بالناصر لدين الله وفي ايامه قوى امر ابن غانية اللثوني
 في افريقية وتغاب على جميع اعمالها وخطب للخليفة العباسي فاتصل خبره بالناصر
 فنهض من مراکش سنة احدى وستائة فشتت شمل ابن غانية واقام بافريقية الى سنة
 ثلاث وستائة فاستناب ابا محمد ابن الشيخ ابي حفص المنتابي عليها ورجع الى مراکش
 ثم اجاز الى الاندلس فكانت وقعة العقاب المشهورة التي كانت الدبرة فيها على
 المسلمين ثم رجع الى مراکش ومات سنة عشر وستائة وبويع لولده يوسف وتلقب
 بالمستنصر فغلب عليه ابن جامع وزير ابيه لضعفه وفي ايامه دخل الوهن على دولة
 الموحدين واثالت الامور وظهر امر بني مرين وكان المستنصر مولعاً بالخيول والبقر
 فخرج في سنة عشرين وستائة الى بستانه وجعل يمشي بين البقر فطعنته بقرة بقرنها
 فمات وبويع عم ابيه عبد الواحد عن كرم منه في سن الشيخوخة ثم خلع وقتل
 لتسعة اشهر وبويع ابن اخيه عبد الله وتلقب بالعاذل ثم خلع وقتل ونهب البربر قصره

واستباحو حريمه ثم بويج لآخيه ادريس بن يعقوب وتلقب بالمامون وهو يومئذ
وال على اشبيلية فزاحمه يحيى بن الناصر وكان الموحدون بايعوه في مراکش يوم
قتل العادل ثم اختلفت الكلمة على يحيى فلتحق بالجليل واجاز المامون الى مراکش
فدخلها ثم اشاع النكير على امامهم المهدي في العصمة ووضع العقائد والنداء في
الصلاة بلسان البربر وتغيير رسوم الدعوة واصول الدولة واسقاط اسم المهدي من
الخطبة والسكة واعلان لعنه وقتل من خالفه في ذلك من الموحدين فنكثوا بيعته
وقطعوا خطبته واستبدت الامير ابو زكريا فيها وتلقب بالامير وفي ايام المامون
استولى ابن هود على الاندلس واخرج سائر الموحدين وامر بقتلهم ثم انتقض على
المامون اخوه ابو موسى ودعا لنفسه بسبته فخرج اليه وكان يحيى بن الناصر بالمرصاد
فخالفه الى مراکش فافتتحها بجيوش العرب وعاث فيها واقلع المامون عن سبته يريد
مراكش فمات في طريقه سنة ثلاثين وبويج ولده عبد الواحد ولقب بالرشيد وفي
سنة احدى وثلاثين خرج من مراکش الى الجبل ووقع يحيى بن الناصر وجموعه
ولحق يحيى بتجلماسا وانكف الرشيد راجعاً الى حضرته واستامن له كثير من
الموحدين فامنهم ثم اساء الظن فيهم فقتلهم وبذلك فسدت قلوب الرعايا عليه واخذ
اكثرهم بطاعة يحيى واحضروه من الصحراء وزحفوا به لمراكش فخرج الرشيد الى جبال
المصامدة وسار منها الى تجلماسا فملكها ودخل يحيى وجموعه الى مراکش وفي سنة
ثلاث وثلاثين خرج الرشيد من تجلماسا الى مراکش فبرز اليه يحيى بجموعه فانهزمت
جموع يحيى ودخل الرشيد الى مراکش وانتقض الخلط على يحيى فنكثوا بيعته ولحق
يحيى بعرب المعقل بنواحي تازا فاجاروه ثم غدروا به وفي سنة خمس وثلاثين
بايع اهل اشبيلية الرشيد ونكثوا بيعه ابن هود وفي سنة ست وثلاثين وصلت اليه
بيعة ابن الاحمر الناصر بالاندلس على ابن هود وفي سنة سبع وثلاثين اشتدت الفتنة
بالمغرب وانتشر بنو مرين في بساططه وزحف اليهم الرشيد فهزموه ثلاث مرات ثم
رجع الى مراکش واشتد عدوانهم في نواحي مكناسه وفي سنة اربعين توفي الرشيد
براكش غريباً في بعض صهاريج القصر وقام بالامر بعده اخوه ابو الحسن السعيد
واستخلص لنفسه رؤساء العرب وانتقض عليه اهل سبتة واشبيلية وتجلماسا وعقد
المهادنة مع بني مرين وفي سنة خمس واربعين خرج من مراکش قاصداً تلمسان
فتعرض له بنو مرين لجموعه في طريقهم فامتلات ايديهم من اموالهم وقتل عبدالله بن

السعيد فمِن قتل منهم ولحق الفل بمراكش فبايعوا ابا حفص عمر بن اسحاق اخا المنصور وتلقب بالمرتضى وفي سنة سبع واربعين استولى ابو يحيى بن عبد الحق وقومه بنو مرين على تازة وفاس وسياتي تفصيل اخبارهم انشاء الله تعالى وسار في سبته ابو القاسم العزفي وفي سوس علي بن يدر وتفاقم امر بني مرين وتلاشى امر الموحدين وضعف المرتضى عن الدفاع وفي سنة اثنين وستين اقبل يعقوب بن عبد الحق في جموع بني مرين فنازلوا مراكش واتصلت الحرب بينهم وبين الموحدين اياماً وقتل فيها عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق فبعث المرتضى الى ابيه يعزبه ويلاطفه وارتحل عنهم ثم فرّ ادريس ابو دبوس ابن عم المرتضى ولحق يعقوب بن عبد الحق صريحاً به واشترط له المقاسمة في العمل والذخيرة فامده بالمال واوعز الى الخلط بظاهرتة وزحف ابو دبوس الى مراكش ووفد عليه جماعة من بني عمه في جيش من الموحدين والنصارى فدخلها على حين غفلة وفر المرتضى الى جبال هنتانة فبلغه انهم بعثوا يبعثهم الى ابي دبوس فعدل عنهم الى ازمور وكان صهره ابن عطوش والياً عليها من قبله فقبض عليه وطير الخبر الى ابي دبوس فاستلمه منه وقتله وفي سنة خمس وستين بلغ ابا دبوس خبر انتفاض بني مرين فارسل الى عدوهم يغمراسن صاحب تلمسان يستعين به عليهم فلما اتصل الخبر يعقوب بن عبد الحق جمع جيوشه ونهض الى تلمسان فاوقع بيني زيان وقعة تلاع التي قتل فيها يغمراسن وشتت شمله ثم رجع الى فاس ونهض الى مراكش وخرج اليه ابو دبوس فكر عليه يعقوب بمجموعه فقرّ فادر كوه وقتلوه فدخل يعقوب مراكش سنة ثمان وستين وستمائة وفرّ الموحدون منها الى جبالهم بعد ان كانوا بايعوا عبد الواحد بن ابي دبوس ولقبوه بالاعتصم مدة خمسة ايام وخرج في جملتهم وانقرض امر بني عبد المؤمن والموحدين والبقاء لله تعالى وحده

﴿ ذكر دولة بني مرين ﴾

وهم حي من زناتة في اطراف المغربين ينتجعون الصحارى ويعطون الدول حق الطاعة فلما رأوا اختلال المغرب الاقصى ايام المستنصر بن الناصر خامس خلفاء الموحدين وعلموا ان الدولة قد تلاشت وخلت النفور من الحامية انتهبوا الفرصة فيه فدخلوه وتفرقوا في جهاته واوجفوا عليه بجياله ورجلهم واكتسحوا سائر بسائطه بالغارة والنهب فلجأ الناس الى الجبال والمعاقل وآذنوا الدولة بالحرب

وكان رئيسهم عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة ولم يزل على امارته ومطاولة الموحدين على الملك الى ان قتله عرب رباح من اولياء الموحدين في حرب جرت بينه وبينهم بمداخلة بني عمه اولاد عسكر سنة اربع عشرة وستائة وقام بالامر بعده ولده عثمان فأتغن في عرب رباح لثار ابيه وتغلب على الضواحي ومد يده لاطراف البلاد يتعري مسالكها ويضع المغارم على اهلها حتى دخل اكثر القبائل في امره وباهوه وفرق فيهم العمال ثم فرض على امصار المغرب الاقصى ومدنه ضريبة يؤدونها على راس كل سنة ليكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ولم يزل على ذلك الى ان اغتاله عجة سنة سبع وثلاثين وستائة فولى اخوه محمد بن عبد الحق واخذ الضريبة وجباية المغارم من سائر الرعايا وبقي عبد المؤمن في ضعف وقصور الى ان توفي الرشيد بن المأمون امير الموحدين وولى اخوه علي الملقب بالسعيد فجمع الجيوش ونهض سنة اثنتين واربعين وستائة من مراكش وزحف اليه بنو مرين والنقوا بوادي ماش فقتل الامير محمد بن عبد الحق رئيس بني مرين وانكشف قومه ولحقوا بببال غياثة فاعتصموا بها ثم خرجوا الى القفر وولوا عليهم ابا يحيى بن عبد الحق فقام بامرهم ورجع الى المغرب وقسم البلاد بينهم وانزل كل بطن منهم في ناحية وبعثوا يبعثهم الى ابن زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم جنح الامير ابو يحيى ابن عبد الحق الى الاستبداد فاتخذ آلة الحرب واستعمل شعائر الملك وبلغ خبره الى الخليفة السعيد فوجم لها وخطب على اعيان دولته فقال هذا ابن ابي حنص اقتطع افريقية ويغمراسن امير بني زيان اقتطع تلسان والمغرب الاوسط وابن هود اقتطع الجانب الغربي من الاندلس وابن الاحمر اقتطع الجانب الشرقي منه وهوؤلاء بنو مرين تغلبوا على ضواحي المغرب الاقصى ثم سموا الى تملك امصاره فاغتناط قومه لذلك فجز السعيد عسكره واحتشد عرب المغرب ونهض من مراكش ولما علم ابو يحيى انه لا طاقة له على محاربه افرج عن البلاد ولحقه بنو مرين واجتمعوا اليه بتاخوطا من بلاد الريف ثم انتقلوا الى جبل بني يزناسن ونزلوا بعين الصفا ولم يزل ابو يحيى على شأنه في فتح البلاد الى ان توفي بناس سنة ست وخمسين وستائة وتعدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر واهل الحل والعقد مائلة الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان يومئذ في تازة فبقي الامر في اضطراب الى ان اجتمعت الكلمة على يعقوب فدخل ناس ومالكها

سنة سبع وخمسين واستجمع للاستيلاء على راکش ولم يزل ينازله الى ان تمكن من دخولها سنة ثمان وستين وستمئة واستقام له امر المغرب الاقصى كله وهو اول من تلقب بامير المسلمين من ملوك بني مرين ثم اشتغل بالجهاد فاجاز الى عدوة الاندلس مرات ولان له فيها الظفر العظيم ولما رأى ملكه قد اثوثق اختط المدينة الجديدة لصيق فاس بساحة الوادي المخترق وسطها من اعلاه وشرع في تأسيسها سنة اربع وسبعين وستمئة ولما كل تشيدها نزله ثم اوعز ببناء قصبة مدينة مكناسة ولم يزل قائماً بامر الجهاد واصلاح امر رعاياه الى ان مات سنة خمس وثمانين وستمئة وبويع ولي عهده ابو يعقوب يوسف ففرق الاموال وقبض ايدي العمال عن المظالم ورفع المكوس وحرف اغنياءه الى اصلاح السابلة واتبع سنن والده في الجهاد وقهر بني زيان وراسلته ملوك المشرق واخذت عليه اعيانها وامندت مملكته من سوس الاقصى الى بجاية في حدود افريقية من الجهة الغربية ولم يزل في عظمة سلطانه الى ان قتله خفي من خفياته سنة ست وسبعائة وهو محاصر لتلمسان وبالجملة فهذه الدولة من اعظم دول المغرب واقواها واحسنها سيرة ذكرها ابن الخطيب بقوله

واورث الله بلاد المغرب * لاسادة الغر الكرام النجب
اولي الخيول والرماح والهمم * اقوى بني الدنيا واوفى بالذمم
وادرب الخلق بركض الخيل * وخوض احشاء الفلا والليل
قاموا وقد بان اختلال الطاء * لمذهب السنة والجماعة
واستخلصوا المغرب بالسيوف * في خير مستظرف معروف
فشمل الاقصى به والادنى * امرهم وقام منه المبني

ولم يزل امرهم منذ دخلوا المغرب مستقيماً وحماهم منيعاً وكنيتهم متحدة الى ان مات سلطانهم ابو سالم ابراهيم بن علي بن عثمان بن عبد الحق سنة اثنتين وستين وسبعائة وتولى تاشفين وتغلب الوزير عمر بن عبد الله على الامر فنزلت الكلمة وانتزى الثوار من اعيانهم بقاصية الملاك وانقسمت الدعوة بينهم في راکش وسجلماسا وسبتة وانحصرت السلطة في فاس واعمالها وفي ايام ابي فاس ابن العباس سنة سبع وتسعين وسبعائة اخذ الفضل يدب في اعضاء الدولة واستمروا على اخذ الناس بالبين الى ان قام الامير السيد محمد بن علي بن عمران الادريسي تلى عبد الحق

ابن ابي سعيد بفاس فبايعه اهلها وتم له الامر وبانتهاى ايامه انقرضت دولة بني عبد الحق الاول بن نعيو بن ابي بكر مؤسس دولة بني مرين والله الامر من قبل ومن بعد

❖ ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرين ❖

ولما اقسام بنو مرين الاعمال كانت بلاد الريف لبني وطاس وكان بنو الوزير ابي زكريا يحيى بن زيان الوطاسي يتشوفون الى الرئاسة والخروج على بني عبد الحق ويرون ان نسبهم دخیل في بني مرين لانهم من اعقاب يوسف بن تاشفين فلقوا بيني وطاس وفر ابو عبدالله محمد الشيخ ابن الوزير الى الصحراء خوفاً من السلطان عبدالحق بن ابي سعيد حين قتل جماعة من عشيرته وبقي يتردد في الصحراء الى ان ملك اصيلاً واستفحل امره بها فكتبته اعيان فاس ورواساؤها يدعونه للقدوم عليهم ويعدونه بالنصرة فنهض من اصيلاً الى فاس وحاصرها وفر صاحبها الامير محمد بن علي الادريسي ودخلها محمد الشيخ فبايعه اهلها سنة ست وسبعين وثمانمائة وفي ايامه تم استيلاء الاسبانيول على عدوة الاندلس وغرناطة ولحق ساطانها ابو عبدالله ابن الاحمر بفاس واستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ فبالغ في احترامه وبقي بها الى ان توفي سنة اربعين وتسعمائة في حرب الوطاسيين مع السعديين ثم استولى البرنقال على اكثر سواحل المغرب وفي سنة عشر وتسعمائة توفي محمد الشيخ وبويع لابنه محمد المشهور بالبرنقالي ولما تم له الامر نهض الى مراكش وحاصر بها ابا العباس السعدي ولما بلغه ان بني عمه قد نبذوا طاعته ارتد الى فاس وعهد الى اخيه ابي حسون المعروف بالببادسى فقام عليه ابن اخيه ابو العباس احمد بن احمد البرنقالي فخلع سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وبويع ابو العباس احمد وجرت بينه وبين السعدي قرب مراكش حروب عظيمة دامت اياماً ثم تصالحا على ان للسعديين من تادلا الى سوس والوطاسيين من تادلا الى المغرب الاوسط وبعده انعقد الصلح بينه وبين البرنقال وتحسنت الاحوال ثم ان السلطان محمد الشيخ السعدي نقض ما جرى من الصلح بين الوطاسيين والسعديين وقام على اخيه ابي العباس الاعرج واستولى على مراكش ونهض الى فاس وحاصرها سنة ثم استولى عليها سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبض على ابي العباس وارسله مع الوطاسيين مصفدين الى مراكش وفر ابو حسون الوطاسي الى الجزائر

مستصرخاً بالأتراك على من تغلب على مملكه وملاك آباءه ووعدهم بالاموال الجزيلة ان نصره عليه فاجابوه لذلك وشيعوا معه جيشاً كثيفاً تحت راية صالح باشا التركاني فانقلب بهم الى فاس ودخلها بعد حروب عقيمة وفر محمد الشيخ السعدي الى مراكش ولما استقر ابو حسون دفع للأتراك ما وقع عليه الاتفاق ورجعوا الى الجزائر وتحلف عنده منهم نفر يسير ولما وصل محمد الشيخ الى مراكش صرف عزمه للانتقام من ابي حسون فاستنفر القبائل ونهض بها الى فاس فخرج اليه ابو حسون وكانت الهزيمة عليه فانقلب الى فاس وتحصن بها وحاصره محمد الشيخ الى ان ظفربه وقتله واستولى على فاس سنة احدى وستين وتسعمائة وصفا له الامر وبهلاك ابي حسون انقضت الدولة المرينية من ارض المغرب والملاك لله الواحد القهار

❖ ذكر دولة السعديين ❖

واصلهم من اشرف ينبع النخل استوطن اسلافهم درعة ولما نشأ فيهم ابو عبد الله محمد القائم بامر الله على عناف وصلاح بايعته اهل سوس بين احتاطت بهم جيوش البرنقال من كل جهة فنهض الى تاورنت واستولى عليها ثم زحف الى اكادير وقاتل البرنقال مدة لم يخرج بها فندب الناس لبيعة ولده الاكبر ابي العباس المعروف بالاعرج فبايعوه سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة ولما تم له الامر ندب الناس الى جناد البرنقال واخرجهم من تغور المغرب فحصل له النصر والظفر واخرجهم من احواز ولم يست واسفي وغيرها فبعد صيته وانتشر ذكره وكتبه امراء دمناتة ملوك مراكش للدخول في طاعته فاجابهم وانتقل الى مراكش واستقر بها ثم حدثت بينه وبين اخيه ووزيره ابي عبد الله محمد الشيخ ثرة ادت الى حروب استنفل بها امر محمد الشيخ فقبض على اخيه واولاده وادعهم السجن واصبح ملكاً بعد ان كان وزيراً ثم استولى على فاس وغرب الوطاسيين الى مراكش وقتل ابا حسون الوطاسي ولما تم له امر المغرب الاقصى تافت نفسه الى الاستيلاء على المغرب الاوسط فنهض من فاس الى تلمسان ودخلها بعد ان حاصرها تسعة اشهر ونفى الأتراك منها واتسعت خطه نكته ودانت له البلاد ثم كرت الأتراك عليه واخرجوه من تلمسان فعاد الى فاس ثم ارتد الى تلمسان وحاصرها اياماً وأقاع عنها وفي سنة خمس وستين وتسعمائة اغنيل وقتل وكان اديباً مذكوراً عالماً بالتفسير والحديث يخالف القضاة ويرد عليهم فتاويهم فيجدون الصواب معه وكان

يحض على المشاورة لاسيما في حق الملوك ويقول ينبغي للملك ان يكون طويل الامل ولا يحسن ذلك الا منه لان رعيته تملح بطول امله ومن مآثره اختطاط مرسى اكادير واجلاء البرنقال من نونتي ولما قتل كان ولده عبدالله الغالب بالله بفاس فبايعه اهله ووافقهم عليها اهل مراكش وبادر خليفته براكش القائد ابو الحسن علي بقتل ابي العباس الاعرج المخلوع واولاده ولما استوثق الامر للغالب بالله وتمهد له ملك ابيه نهض حسن بن خير الدين باشا صاحب تلمسان في جيش كثيف الى فاس فخرج اليه الغالب بجيوشه والتقى بوادي اللبن من احواز فاس فانهمز حسن باشا ولما قفل الغالب بالله امر بقتل اخيه عثمان لامر نغمه عليه وارسل ابن اخيه الوزير ابا عبد الله محمد بن عبد القادر لحصار مدينة شنشاون فاستولى عليها وخرج صاحبها الامير ابو عبد الله فيمن اليه من اهله واولاده الى ترعة وركب البحر الى المدينة المنورة واستنقام بها الى ان توفي وبه انقرض امر بني راشد امراء شنشاون ثم جهز جيشا كثيفا عقد عليه لابنه محمد المعروف بالملوخ وارسله لحصار البريجية المسماة بالمدينة الجديدة التي بناها البرنقال فحاصرها ستمين يوما ولم يتيسر له فتحها وفي سنة احدى وثمانين وتسعمائة توفي الغالب بالله براكش ومن مآثره بناء جامع الاشراف براكش والمارستان واقف عليهما اوقافا عظيمة ولما توفي كان ولي عهده ولده محمد المتوكل على الله بفاس فارسلت البيعة له من مراكش واستمر امره منتظما الى اواخر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان عمه عبد الملك واخوه احمد المنصور في سجلماسا سائر ايام ابيهما ولما تولى الغالب بالله فرا الى تلمسان واستنصر ابا صاحبها حسن باشا ابن خير الدين وذهبا الى القسطنطينية وتوقعا على حضرة السلطان الغازي سلم خان بان ينجدهما بجيش يسترجعان به ما كان بيد ابيهما ثم توجه عبد الملك مع عمارة الدولة العالية الى تونس ورجع بعد فتحها الى القسطنطينية وطلب من حضرة السلطان سليم خان ما طلبه سابقا فاجاب طلبه وكتب الي والي الجزائر ان يعينه بما يحتاج اليه فاصحبه والي بجيش من الاتراك ولما وصل لاحواز فاس خرج المتوكل على الله للقائه فبغاه وهو في القتال ان بعض جنده قد احترق على القدر به فاوقد النار في خزائن البارود وفر من المعركة الى مراكش واستولى عبد الملكت على فاس وطمحت نفسه الى اتباع ابن اخيه الى مراكش ولما عزم على المسير طلب الاتراك رجوعهم الى بلادهم فاعطاهم ما اتفق معهم عليه من المال وزادهم من التحف والمطرف الغوال وودعهم بنفسه الى نهر سيبو ثم نهض الى مراكش لمنازلة ابن اخيه ولما سمع المتوكل على الله بخروج عمه

اليه تهباً لملاقاته والتقى الفريقان بخندق الريحان من احواز سلا فانهمز المتوكل وفر الى سوس ودخل عبد الملك الى مراكش ولم يزل المتوكل على الله يحول في جبال سوس الى ان اجتمعت عليه طائفة نجاء بها الى مراكش فخرج عبد الملك للقائه وخالفه المتوكل في طريقه ودخل مراكش باتفاق اهلها فرجع عبد الملك وحاصره بها وكتب الى اخيه احمد الخليفة بنفاس ان ياتيه فاتاه بيميشه وفر المتوكل الى سوس فتبعه احمد المنصور ووقعت بينهما مواقع توالى الهراثم فيها على المتوكل وفر الى باديس ومنها الى سبتة ثم دخل طنجة مستصرخاً بمحاکها فاجابه بشرط ان تكون سائر السواحل للبرنقال وله ما وراء ذلك ثم خرج قائد البرنقال بمائة وعشرين الف مقاتل وكان مع المتوكل ثلاثمائة من اصحابه ولم يزلوا سائرين الى ان عبروا وادي المخازن فزحف عليهم السلطان عبد الملك بجيوش المسلمين وامر بهدم القنطرة ليقطع عليهم خط الرجعة ولما التقى الجيشان واشتد الحرب توفي السلطان عبد الملك عند الصدمة الاولى وكان مريضاً يقاد به في تحفة ولم يطلع على وفاته الا حاضيه وقائد الحفة فصاروا يقدمون الحفة امام الجيش ويقولون لعبد ان السلطان يامرکم بالنقدم اليهم الى ان منح الله المسلمين النصر وركبوا على اكتاف العدو يقتلون ويأسرون وقتل قائد البرنقال غريقاً في الوادي وبحث عن المتوكل فوجد غريقاً ايضاً فاخرجوه وسلمه وحشى جلده تبناً وطيف به في مراكش وغيرها وهذه الواقعة من اعظم الوقائع دامت خمسة واربعين ساعة وكانت سنة ست وثمانين وتسعمائة ثم بويغ لاخته ابي العباس احمد المنصور بالله المعروف بالذهبي ولما تم له الامر كتب البشار الى حضرة السلطان مرادخان بما حباهم الله من النصر فوردت عاياه الوفود والهدايا من حضرة السلطان مرادخان ومن حاكم الجزائر وملك البرنقال والاسبانيول وعقد العهد لابنه محمد الشيخ الملقب بالمأمون ثم سار عليه ابن اخيه داود بن عبد المؤمن في جبل سكسيوه ودعا لنفسه فبعث اليه المنصور جيشاً فقاتله الى ان فر واستقر عند عرب الودايا الى ان مات واستولى المنصور على صحراء توات والسودان وبايعه صاحب برنوفتح مدينة كغزو وقل سلطانها اسحاق ثم سار الناصر بن الغالب بالله ببلاد الريف فاقلق المنصور جنده وبعث اليه جيشاً وافراً فهزمه الناصر واستفحل امره فامر المنصور ولي عهده المأمون بتنازله فخرج اليه من فاس وكانت الدبرة على الناصر نقبض عليه واحتز راسه وبعث به الى مراكش ثم ثار المأمون على ابيه بنفاس فنصح والده ولما اصرت ولم يقبل النصيحة خرج اليه والده من مراكش في اثني عشر الف مقاتل قاصداً

فاس ولما بلغ المأمون ذلك فرأى فشتالة فقبض عليه وارسل الى المنصور فبعثه الى مكناسة
وتجن بها وفي سنة اثنتي عشر والف توفي المنصور بالوباء في فاس ومن مآثره بناء القصر
البديع براكش وحصن ثغر العرايش ومعامل السكر واعتنائه بالمولد النبوي والاعیاد وكان
حسن السياسة حازماً مشاوراً في المهمات وكان يكتب اولاده وعماله بكتابة مخصوصة
وتعرف الآن بالشنره وكان موادعاً لسلاطين بني عثمان يهاديهم ويهادونه وكتب اليه
حضرة السلطان مراد خان لك على العهد ان لا امد يدي اليك الا للمصالحه وان خاطري
لا ينوي لك الا الخير والمسالحة وبعد دفنه بايع اهل فاس ولده ابا المعالي زيدان وبايع
اهل مراکش اخاه ابا فارس ولما بلغ زيدان ذلك خرج من فاس لقتال اخيه فالتحق له
اخوه مكيدة عادت عليه وهي اطلاق اخيه المأمون من السجن وارساله في جيش كثيف
لما لاقاه ولما التقى الجيشان بجواتة فر عن زيدان اكثر جيشه فارتد الى فاس وتحصن
بها ولما وصلها المأمون فرح به اهلها وبايعوه وفر زيدان الى تلمسان مستصرخاً بحاكم الجزائر
ولما استقل المأمون بفاس جهز جيشاً لقتال اخيه ابي فارس تحت راية ولده عبدالله
ووقعت الهزيمة على ابي فارس فخبا بنفسه ودخل عبدالله مراکش واباحها واستقر بها وساءت
سيرته ولما قطع زيدان الامل من امداد حاكم الجزائر رجع الى سوس فكتبه اهل
مراكش ولما حضر اليها فر عبدالله الى ابيه في اسوء حال فجهز له ابوه جيشاً وارجمه الى
مراكش والتقى الجمعان براس العين وكانت الهزيمة على زيدان ففر ودخل عبدالله مراکش
ثم سار ابو حسون محمد بن عبد المؤمن من اولاد ابي العباس الاعرج وخرج من
جبل جليز قاصداً مراکش فخرج اليه عبدالله وكانت الهزيمة عليه ودخلها ابو حسون
واستولى عليها ثم كتب اهل مراکش الى السلطان زيدان فنزل بجيشه خارج المدينة
وخرج ابو حسون الى لقائه فكنت الدبرة عليه واستولى زيدان على مراکش وارسل
قائد جيشه مصطفى باشا الى فاس فدخلت في طاعته وفر عبدالله الى القسطنطينية
مستصرخاً ولما دخل زيدان الى فاس واستقام بها بلغه قيام بعض الثوار في ناحية مراکش
فنهض اليها ثم بلغه قتل مصطفى باشا فرجع الى فاس واستولى الاسبانول على العرايش
بدسياسة عبدالله ثم فلك ابو الليف بعبدالله وقتله مع بعض اولاده ثم ثار الفقيه احمد بن
عبدالله السجلداسي المعروف بابي محلي واستولى على سجلماسة ودرعة ومراكش وكثرت
جموعه ولما علم زيدان ضعفه عن مقاومته استغاث بالزقيي زكريا الحاجي صاحب جبل درن
فلباه وخرج بجيوشه سنة اثنين وعشرين والف قاصداً مراکش فبرز اليه ابو محلي ولما

التحم القتال قتل أبو بكر وعلق رأسه على سور مراكش ثم اتحل زكريا الى بلاده مظهرًا
العفة عن الملك بعد أن استمر بمراكش ايامًا واتصلت بينه وبين زيدان المراسلات الى
ان مات زيدان بمراكش سنة سبع وثلاثين والف وبويع لابنه عبد الملك فثار عليه اخوه
الوليد واحمد ووقعت بينه وبينهما حروب انتجت هزيمتهما ودخل فاس بسمة السلطان وضرب
السكة باسمه ثم عدا عليه ابن عمه محمد بن الشيخ المعروف بزغودة وقتله غدراً وبويع
لاخيه الوليد ولم يتجاوز سلطانه مراكش واعمالها على ما كان لاختيه وابيه وفي زمنه ظهر
ابو عبد الله العياشي بسلى واستولى على فاس وسائر ثغور المغرب وظهر ابو حسون السماري
المعروف بابي دميعة بسوس واستولى على درعة وسجلماسة وكان الوليد يتظاهر بالديانة ولين
الجانب غير انه كان يقتل الاشراف من اخوته وبني عمه وفي سنة خمس واربعين
والف عدا عليه بعض جنده وقتله غدراً وبويع لاختيه محمد الشيخ وكان في سجن الوليد
فسار سيرة حميدة وثار عليه رجل من هشوكية ولم يزل يناوشه القتال حتى فرق جمعه
ثم ظهر اهل زاوية الدلاء ببجبال تادلا وقويت شوكتهم ولما احسن محمد الشيخ بالضعف
من مقاومتهم ارسل الي قاضيه الفقيه محمد الزوار المراكشي ان يطلب منهم اجتماع الكلمة
فلم يلتفتوا اليه فصرف عنانه عن مقاومتهم ومال الى مسالمتهم وبقي بمراكش الى ان قتل ثم
بويع ابنه ابو العباس احمد فقام مقام ابيه في جميع ما كان بيده وقويت في ايامه شوكة
اخواله وهم حي من الشبانات فوثبوا عليه وحاصروه بمراكش ولما رات والدته ان الامر لا
يزداد الا شدة اشارت عليه بالذهاب الى اخواله وازالة ما في نفوسهم ولما وصل اليهم قتلوه
غيلة ودخلوا مراكش وبايعوا فيها لاميرهم عبد الكريم بن ابي بكر سنة تسع وستين والف
وبابي العباس ختمت دولة السعديين والبقاء لله وحده

❖ ذكر امارة الشبانات من عرب المعقل ❖

اولهم الرئيس عبد الكريم المعروف عند العامة بكروم الحاج ابن القائد ابي بكر
الشباني بويع له بعد قتل ابي العباس السعدي وسار في الناس سيرة حميدة فانتظمت مملكة
مراكش ونواحيها ثم انقضت عليه اسفى واعمالها فغزاهم ورجع مغلولاً الى مراكش فسطا
عليه بعض جنده وقتله وبويع لولده ابي بكر واستمر بها الى ان بويع المولى رشيد
السجلماسي فاخذ منه مراكش وقبض عليه وبيع عشيرته بالقتل حتى افناها واخرج
عبد الكريم سنة تسع وسبعين والف واحرقه وانقرضت امارة الشبانات والملك لله وحده

﴿ ذكر دولة السجلمايين ﴾

اصلهم من ينبع النخل دخل المغرب جدم الاءلا حسن بن قاسم في القرن السابع واستوطن سجلماسة وتوفي عن ولده محمد وتوفي محمد عن حسن وتوفي حسن عن عبد الرحمن وعلي وتوفي علي عن خمسة اولاد منهم علي وتوفي علي عن ثلاثة اولاد منهم محمد وتوفي محمد عن علي الشريف وفي سنة خمسين والالف هجرية بايع اهل سجلماسة محمد بن علي الشريف المذكور في حياة والده وهو اول من يبيع له منهم ولم يزل ملك المغرب الاقصى بايدي اعقابيه يتوارثونه الى زمننا هذا والسلطان فيه سنة الف وثلاثمائة وخمسة عشر عبد العزيز

﴿ ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد ﴾

ويجمعهم مع بني مرين اصل واحد ولم تزل الحرب بينهم قائمة على ساق منذ كانوا في انقفر واستمروا على ذلك بعد دخولهم الى تلول المغرب وكان اميرهم لاول خروجهم عن طاعة الموحدين ابا عزه زكرا بن زيان بن ثابت ولما مات تولى بعده اخوه ابو يحيى يغمراسن فاستمر على ما كان عليه اخوه وقومه من الخروج عن الدولة ثم تغلب على تلمسان والمغرب الاوسط وانتزعهما من يد بني عبد المؤمن وحسن السيرة واستل عشيرته واخلافهم عن عرب زغبة بحسن السياسة والاصطناع واتخذ آلة الملك وجند الاجناد ونحي آثار الدولة المؤمنية ولم يترك من رسوماها الا الدعاء على المنبر للسلطان براكش ونقليد العهد من يده وكانت له مع ملوك الموحدين ومن يليهم من آل حنص ملوك افريقية مواطن في التخرش به ومنازلة بلده وحروب دائمة وبالجملة نقد كان يغمراسن هذا صاحب سياسة عجيبة وقوة دهاء وهو اول ملوك بني زيان قال ابن الخطيب

اول ملاك لم يغمر * ليث الشرى والبطل المشهور
ثني عليه حومة الميدان * ما لامرء بياسه يدان
لاقي الجيوش من بني مرين * كالليث يحمي جانب العرين

ولما تم له ملك المغرب الاوسط اثار ما كان بين قومه بني زيان وبين بني مرين من العداوة القديمة فاخرم نار الحرب وركب اخطارها واشد ما كان بينهم في ايام السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني واشهر وقائعه وقعة وادي تالاغ سنة ست وستين وستمائة ثم وقعة بلي قرب وجده ثم وقعة خرزوزه ثم وقعة وادي تافناو تاوالت

وكانت الدبرة في جميعها على يغدراسن ونازله يعقوب في دار ملكه تلمسان مرات فامتنع عليه بالاسوار ثم قتل يغدراسن سنة احدى وثمانين وستمائة وبويع ولده عثمان ولي عهده ثم توفي السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة خمس وثمانين وقام بالامر ابنه يوسف بن يعقوب وطالب عثمان بن يغدراسن في ابن عطوفاني عثمان ان يسلمه فتحركت حفيظة يوسف وعزم على غزوهم فارحل من مراكش الى فاس ثم نهض منها حتى نزل تلمسان فانحصر عثمان وقومه داخلها ولاذوا بالاسوار فاقلع عنها وسار في نواحيها يخرب العمران ثم عاودها سنة سبع وتسعين واحاط بها ثم افرج عنها لثلاثة اشهر ودر سيفه طريقه بوجداه وقد اخربها بنو زيان فامر بتجديد بنائها واستعمل اخاه ابا يحيى بن يعقوب عليها ولحق بالمغرب الاقصى وجمع شأنه ثم عاود منازلة تلمسان سنة ثمان وتسعين واحاط بها من جميع جهاتها واختط لنفسه الى جانب الاسوار بلدة سماها المنصورة واقام سنين يغادها ويرأوحها بالقتال وسرح عسكره لافتح المغرب الاوسط فملك بلاد مغراوه ونواحي شلف وتاهرت ثم نيم بكنه تحامراً لتلمسان ومات عثمان سلطان بني زيان سنة ثلاث وسبعائة وقام بالامر بعده ابنه ابوزيان محمد وبلغ الخبر الى يوسف ابن يعقوب فتجمع له وعجب من درامة بني زيان من بعده ومات ابوزيان اثناء الحصار وقام بالامر بعده اخوه ابو حمو موسى بن عثمان واستمر حصاره ايام ثمان سنين وثلاثة اشهر ولحقهم فيها جهد شديد حتى اكلوا اشلاء الموتى وهاكت اموالهم وضائق اموالهم واستنحل ملك يوسف بن يعقوب حتى ادركه اجله على يد زعي من خديانه وكان قلله فرجاً عظيماً على ابي حمو ووقع الفشل في عسكر بني مرين لما قتل سلطانهم واختلنت كلمتهم واتحلوا عن تلمسان راجعين الى المغرب الاقصى واقبل ابو حمو على لم تهنه وكان يقوم بحق ليلة مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم ويمنفل لما بنا هو فوق سائر المواسم يقيم مدعاة بشوره من تلمسان يحشر لما الاشراف والسوقة فما شئت من غمارق مصفوفة وذراي مبلوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مخشاة وشمع كلاس طوانات ومباخر منصوبة كالقباب يحاطها الناظر تبراً مذاباً واعيان الحضرة على مراتبهم وقد علت الجميع ابهة الوقار والاجلال تطوف عليهم ولدان قد لبسوا اقبية الخزاملون وبايديهم مباخر ومرشات ينال كل منها بحظه وخزانات بها الساعات ذات تماثيل لجين تحركات الصنعة باعلاها ايكة تحمل دائراً فرخاه تحت جناحيه ويختله فيها ارقم خارج من كوة يجذر الايكة صاعداً وبسدرها ابواب بعدد ساعات الليل الزمانية يداقب طرفها بابان كبيران وفوق جميعها قرب

راس الخزانة قرر تام يسير على خط الاستواء سير نظيره في الفلك ويسامت اول باب كل
 ساعة بابها المرتج فينقض من البابين الكبيرين عقابان في يد كل واحد منهما صنجة
 صفريتها الى طست من الصفر يحجوف بوسطه ثقب يفضي بها الى داخل الخزانة فيرن
 وينهش الارقم احد الفرخين فيصفر له ابوه وهناك يفتح باب الساعة الذهبية وتبرز منه
 جارية محتزمة كاخرف ما انت راء بيناها ورقة فيها اسم ساعتها منظوما ويسراها موضوعة
 على فيها والمنسج قائم ينشد امداح سيد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وسلم ثم
 يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دورا والرياض نورا اشتملت من انواع المطاعم على
 الوان تشبهها الانفس وتستحسنها الاعين وتستلذ بسماع اسمائها الاذان ويسر بصورها
 للقرب منها والتناول وان لم يكن جيعان والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتداء جأوسه
 فيه يرى ذلك ويسمع الى ان يعطي صلاة الصبح هناك وعلى هذا تمضي ليلة المولد
 الشريف في جميع ايام دولته الى ان عدا عليه ابنه تاشفين نقتله واستنقام له الامر وشيد
 القصور والمصانع والمنتزهات وساعده الوقت بمسألة بني مرين ثم طمعت نفسه الى تملك
 افريقية فخرج اليها من تلمسان بجيوشه ودخل تونس فاستغاث اهلبا بسلطان المغرب
 ابي حسن المريني فراسله في الاقلاع عنها فلم يرجع وتمادي على شأنه فاستشاط السلطان
 غيظا وامر بجمع الجيوش وخرج من فاس قاصدا تلمسان فطار الخبر الى تاشفين
 وهو بتونس فاسرع السير الى دار ملكه وسار السلطان بعساكره الى ان وصل اليها
 واحاط بها فركب عليها المنجنيق من كل جهة واقام محاصرا لها ثلاث سنين واثر المنجنيق
 فيما حواه السور من القباب والقصور ثم دخلها عنوة وقتل تاشفين وولده بازاء القصر
 واستولى ابو الحسن على تلمسان بما اشتملت عليه وانتقض امر بني زيان وعقد لابنه
 ابي عنان على تلمسان واقبل على فتح البلاد فدخل افريقية وامعن في نواحيها وحاصره
 العرب في القيروان فلما بلغ ذلك ولده اتحل من تلمسان الى فاس ودعا لنفسه فاستقام
 له الامر ورجع بنو زيان الى دار ملكهم تلمسان واقرهم السلطان ابو عنان على ذلك
 واتخذهم سدا بينه وبين ابيه ولما تخلص السلطان ابو الحسن ولحق بالجزائر ناهزوه القتال
 ووقعوا به في نواحي مليانه ففر الى جبال المصامدة فتشاغل ابو عنان عنهم بما دهمه
 من جواز ابيه وبعد ان مات ابوه وخلص له الامر خرج اليهم بجيوشه فوقعوا به
 ثم كانت الكرة عليهم فقتل اميرهم وثرق عسكرهم واستولى ابو عنان على تلمسان وولى
 بعده ولده السعيد فاضطرب امر بني مرين وتراجع الزيانيون الى وطنهم وقام بامرهم

ابو حمو الثاني موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن فتحرك اليهم
ابو سالم ابراهيم بن علي الذي آل اليه امر بني مرين من فاس بجيوشه فخرجوا من تلمسان
واصحروا ولم يركنوا الى ما ركن اليه اسلافهم من الانحصار داخل السور فسار
ابو سالم الى ان خيم بساحة تلمسان وعاث في نواحيها ثم انكفأ راجعاً الى المغرب ورجع
ابو حمو بقومه الى كرسي مملكتهم وكفاهم الله امر بني مرين باختلاف الكلمة وانتزاع
الثوار على الاعمال وفي سنة خمس عشرة وتسعمائة استولى الاسبانيول على وهران وعلى
بجاية وذلك في ايام ابي محمد عبدالله وفي سنة ست عشرة وتسعمائة استولوا على
الجزائر وبنوا فيها حصنهم المشهور ببرج النار وقوى امرهم على المسلمين واشتهر امر
باربروس الاول واسمه عروج باسطوله في سواحل افريقية والجزائر واخذ امر بني زيان
يتلاشى الى ان انقرضت دولتهم من المغرب الاوسط واستولت الدولة العثمانية على
الضواحي والاسبانيول على الاساكل ومنفصل ذلك في اخبار الدولة العثمانية انشاء الله
تعالى والى الله عاقبة الامور

❖ ذكر دولة الحفصيين امرآء تونس ❖

اول من وليها منهم ابو محمد عبد الواحد بن ابي بكر ابن الشيخ ابي حفص
ابن عمر بن يحيى المنتاني احد اصحاب المهدي بن تومرت رئيس الموحدين وهنتاته
وقد اوصل نسبه ابن نخيل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وذكر ابن سابق
ابن سليمان نسبة البربر انه من ولد صنهاج بن عسال البربري وكنت ولايته على
تونس من قبل محمد الناصر بن يعقوب المنصور سنة ثلاث وستمئة قال ابن الخطيب

اول هذا البيت عبد الواحد * وفضله ليس له من جاحد
قدمه الناصر فيها امرآ * ثم علا وصار ملكاً قاهرآ
وكان حازماً شديد اليقظه * لا يهمل التافه الا لحظه
ونال ابكار المنى وعونه * لكنه لم يستبد دونه

ومات سنة ثمان عشرة وستمئة فتولى مكانه العلاء من بني عبد المؤمن وعادت بعد
وفاته الى بني حفص وقويت شوكتهم في ايام ابي زكريا ابن ابي محمد عبد الواحد بن
ابي حفص وهو الذي اسقط اسم عبد المؤمن من الخطبة وبقى اسم المهدي واستبد بملك
افريقية وخطب لنفسه وتلقب بالامير المرتضى واتسع نطاق ملكه فتغلب على تلمسان

وكافة المغرب الاوسط وبلاد الجريد والزاب وانشأ في تونس الابنية العظيمة ثم توفي في ساحة بونة سنة سبع واربعين وستمائة وتولى ابنه ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا فقام عليه عمه ابو ابراهيم اسحاق وسعى في خلعه وباع لاخته محمد اللحياني على كره منه فجمع ابو عبد الله محمد بن ابي زكريا اصحابه يوم خلعه وشد على عميه ابي ابراهيم ومحمد اللحياني وقتلها واستقر في ملكه وتلقب بالمستنصر بالله امير المؤمنين وخطب لنفسه وفي سنة ثمان وستين وستمائة رحل الملك افرنيس ملك فرنسا الى افريقية بجموعه فعاجله الموت وتفرقت جيوشه واستمرت دولة الحفصيين مع بني زيان وبني مرين والدولة العلية والافرنج تارة لها وتارة عليها ثم انقرضت دولة الحفصيين على عهد ابي محمد الحسن المتولي سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ودوا آخر ملوكهم وسياتي الكلام على بعض وقائعهم مع الاسبانيول والدولة العلية وما آل اليه امرهم والى الله ترجع الامور

❖ ذكر الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية ❖

اول من اسس امر الدولة في الجزائر رجل من قرية آجي آباد انتقل الى جزيرة مثلين المعروفة لهذا العهد بالمدلى واسمه عروج بن يعقوب ولقبه باربروس الاول اي صاحب اللحية الشقراء وبه اشتهر وكان ابوه فاخوريا وفي ايام ساكن الجنان حضرة السلطان الغازي محمد خان الثاني صار جندياً فنشأ عروج نوتياً في مراكب الجزيرة ثم اتخذ لنفسه قرصاناً واستكمل تعييته واخذ يغزو ثغور الافرنج ويتوغل في سواحلهم ويرصد مراكبهم ويرجع بالغنائم فشاع ذكره واشتهر امره وفي بعض غزواته اخذ اسيراً وقتل اخوه الياس ثم تفلت من اسره ولحق بيلاده ثم اتصل بخدمة قائد مراكب الدولة الامير نور قنذا بن السلطان الغازي بايزيد خان فاستعمله مستشاراً له وكان ميمون النقيبة لا يؤم بلدة من بلاد العدو الا فتحها ولا صادف مركباً الا غنمه او اتلفه ولما مات السلطان الغازي بايزيد خان وتولى ولده السلطان الغازي سليم ياووز خان سنة ثمان عشرة وتسعمائة سافر باربروس في قرصانه ولحق بجربة من اسافل افريقية فخط اثقاله فيها واقام غازياً سواحل الافرنج فغنم ورجع قاصداً تونس وسلطانها يومئذ ابو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي فاهدها باربروس جميع ما غنمه في غزوته واستأذنه في الاقامة بيلاده فاذن له على ان يدفع له خمس ما يقع في يده من الغنائم فقبل ثم توجه الى جربه فوجد اخاه خير الدين فيها لاحقاً به فحمل اثقاله وقفل الى تونس واستمر على غزواته فبعد صيته

واشدت على الافرنج سطوته وكان الاسبانيول مستولياً على بجاية فغزاهم من تونس وغنم
 مركبين فارسلها مع خير الدين الى تونس ونزل باربروس بجيشه الى البر وزحف بهم
 على المدينة فبرز اهلها لمدافعتهم واشتد القتال بينهم فقهقر جيش باربروس وقفل الى تونس
 فاقام بها وبعث خير الدين في الاسطول الى الاندلس وكان ملك الاسبانيول قد اذن
 للمسلمين بالمهاجرة فاقام خير الدين فيها ثلاثة اشهر يحمل المهاجرين الى اساكل المغرب
 ثم انكفأ راجعاً الى تونس وكان عروج قد برىء من جراحه وانشأ فيها عدة مراكز حرية
 واستكمل عدتها ثم اقلع من تونس وارسى على جيجل وكان اهل جينوا من ايتاليا قد
 استولوا عليها فاذاقهم نكال الحرب برّاً وبحراً واستولى عليها ثم ان سالم بن تومي رئيس
 بني مزغنه اهل مدينة الجزائر كتب اليه يستنجد على الاسبانيول الواضعين يدهم على
 قلعة بتيون خارج المدينة فاجابه الى ذلك وجهز جيشاً من الاتراك والبربر واكمل عدتها
 وقبل ان يبارح جيجل ارسل الى اخيه خير الدين بتونس يخبره بعزمه ويأمره بجمع كافة
 الاتراك المقيمين في تونس ويأمره بهم الى الجزائر ثم اقلع من جيجل في المراكب وسار
 قاصداً لجزائر فال في طريقه الى اسكلة شرشال واستولى عليها ثم جاء الى الجزائر
 فتلقاه سالم بن تومي واعيان البلدة واقام نحو العشرين يوماً محاصراً قلعة بتيون وبعد
 وصول خير الدين ببندة استولى على القلعة وتم له فتح الجزائر وبذلك اظلم الجوّ بينه وبين
 سالم بن تومي فقبض عليه وقتله وطير خبر النتح الى حضرة السلطان الغازي سليم ياووزخان
 وكان وقتئذٍ في مصر فسر بذلك وبعث اليه بالخلة ومنشور التولية على الجزائر وبلادها
 والتجا ابوحمو صاحب تلمسان الى اسبانيا فجهزوا الجنود وزحفوا الى عروج والنقى الفريقان
 بحسن داي اسم موضع قريب من الجزائر واشتعلت بينهما نار الحرب وكانت الدبرة
 على جيوش اسبانيا فانهزموا وتركوا في ميدان القتال ثلاثة آلاف قتيل فقوى عزم عروج
 ودانت له قبائل متبججه وجبال البربر القريبة من الجزائر بالطاعة ثم سار بجيشه من
 الجزائر قاصداً تلمسان وفي طريقه استولى على اسكلة تنس وخيم في ساحة تلمسان
 فخرج اليه ابوحمو ودارت بينهما رحى الحرب فانكسر عسكر تلمسان وفر ابوحمو الى
 ملك اسبانيا يستغيث به واما عروج فانه ولى على تلمسان ابازيان مسعودا اخا ابي حمو
 واقام ينقل في نواحي المغرب الاوسط ثم ان ملك اسبانيا انجد ابا حمو بالعاكر والذخائر
 وامر حاكم وهران المركيز غومارس بالمسير الى تلمسان واخراج عروج منها وطار الخبر
 الى عروج فقتل ابا زيان وبني عمه ودخل قلعة المشور وتحصن فيها فحاصره حاكم وهران

سنة وعشرين يوماً ثم تمكن عروج من الخروج من القاعة بأمواله واتباعه فاتبعته الجيوش الى الوادي المالح قرب نهر شكف ووقع المصاف بينه وبينهم فقتلوه واستولوا على امواله واستأصلوا جميع ما كان معه من جنده ولما بلغ خبر عروج الى اخيه خير الدين في الجزائر انخلت عرى عزمه وازمع على ترك الجزائر والرجوع الى الغزو في القرصان وبينما هو يستعد لذلك اذ ورد على الجزائر جند من الانكشارية بعثهم السلطان الغازي سليم ياووز خان نجدة لعروج فلما رآهم خير الدين رجع عما عزم عليه واستعد الاخذ بثار اخيه من اعدائه ولما بلغ ملك اسبانيا انتصار جيشه وقتل عروج ومن معه طمع في الاستيلاء على الجزائر فجوز اساطيله وشحنها بالجيوش والذخائر وسيرها للجزائر تحت نظر الجنرال يسوادي مونغا وعند وصوله كتب الى خير الدين الملقب بيارباروس الثاني يتهدده ويذكره بما وقع باخويه ويدعوه الى تسليم البلد او الحرب فاجابه الى الحرب وبعد ايام نزل بجيوشه الى البر وخيم بالقرب من وادي الحراش على مسافة ساعة ونصف من البلد فخرج خير الدين بجنوده ووقع به واستولى المسلمون على المعسكر واستلخموه وحدث في البحر زوبعة شديدة فشلت شمل المراكب وغرق اكثرها فاخذ خير الدين بثار اخويه وشفى نفسه من عدوه وطارت البشائر الى الدولة العلية بهذا الانتصار وجاءت التهناني الى خير الدين من لدن السلطان واعيان الدولة مع فرمان امارة الجزائر واستفحل امره في المغرب الاوسط واهتزت له اركان دولة بني زيان تلمسان ودولة بني حنص في تونس فاوعز ابو عبدالله الحفصي الى صاحب تلمسان بالنظاير على خير الدين وكان خير الدين لما تم له الاستيلاء على جبال زواوه وصنهاجة وسهول متيجه فوض امرها الى احمد ابن القاضي الصنهاجي لشهرته وقوة عصيته وسماه خليفة الشرق فرآى صاحب تونس انه لا يتم له ما اراده الا بمداخلة ابن القاضي فاتخذ الوسائل في استمالته اليه والخروج من طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في الجيش والذخيرة على حربه فارتاح ابن القاضي لذلك واسرها في نفسه واقام يترصد الفرصة واقبل صاحب تلمسان بمجشوده الى الجزائر فتلقاه خير الدين بمجنوده واتصلت الحرب بينهما اياماً ثم كانت الدبرة فيها على صاحب تلمسان فانزمت جموعه وتاخر صاحب وهران عن اغاثة حليفه ثم توغلت جيوش خير الدين في الجهة الغربية وزحف اليها ابو محمد الزياتي مرتين فانزمت واشتدت شوكة خير الدين وتلاشى امر بني زيان وكان ابو محمد اشخص اخاه مسعوداً الى المغرب الاقصى ثم بدا له في رجوعه واستدعاه فعدل مسعود عن تلمسان ولحق بالجزائر صريحاً بخير الدين واشترط

له الطاعة وما لا يحمله اليه كل سنة والخطبة للسلطان الغازي سليم ياووزخان فاجابه الى ذلك وامتدته بالجيش والذخيرة واوعز الى رؤساء البربر في تلك الجهة بظواهرته فرحف مسعود بعساكره الى تلمسان فدخلها وفراخوه الى وهران واستقر الامر لمسعود في تلمسان ورجع جيش خير الدين الى الجزائر ثم ان مسعوداً خرج عن طاعة خير الدين فبعث اليه خير الدين يدعوه الى الوفاء فاستنكف واساء الخطاب فتجهز اليه خير الدين براً وبحراً وسار في مراكبه الى مستغانم فدخلها من غير مقاومة وجاءه ابو محمد من وهران نازعاً اليه مع نذراً عما سلف منه في حادثة عروج وجنده فعفا عنه واذن له في الاقامة عنده ورحلت العساكر البرية الى قلعة بني راشد وفيها حامية لمسعود ففرت منها ودخلتها العساكر الجزائرية ثم ان ابا محمد طلب الرجوع واشترط لخير الدين ما اشترطه مسعود فاجابه خير الدين وسيره في العساكر الى تلمسان فلقبهم مسعود بجموع، ف وقعت الهزيمة في جيشه وسار ابو محمد في اثرهم حتى شارف تلمسان ودس لاشياعه فيها ففتحوا له الابواب ودخلها وفر مسعود منها واستقر ابو محمد في دار ملكه وكان ابن القاضي الصنهاجي انتهر الفرصة في غيبة خير الدين ودعا الناس لبيعته فقام بنصرته قومه من صنهاجة وغيرهم من البربر وزناته فاطلق فيهم الاموال وخاطب صاحب تونس الحفصي في انجاز وعده فامده بالرجال والاموال وقفل خير الدين الى الجزائر وقد قوى امر ابن القاضي فسير الجيوش لحربه فانتصر ابن القاضي عليها وردّها على اعقابها ثم آل الامر الى المصالحة ورجع ابن القاضي الى ما كان عليه من الطاعة والولاية اربعة اشهر ثم نقض العهد واشهر الحرب فعقد خير الدين لقائد جيشه قره حسن على حربه فنهض اليه من الحضرة ووقع الرعب في قلوب البربر ولاذوا بالطاعة وانفرد ابن القاضي في قومه ثم خاطب قره حسن في الخروج عن طاعة خير الدين واشترط له المقاسمة في العمل والرعية فمال اليه قره حسن والتحم معه وعززهما الحفصي صاحب تونس بجيشه ودسوا الى اهل الجزائر في القبض على خير الدين وضمنوا لهم جميل النظر فاجابوهم الى ذلك واتصل الخبر بخير الدين فوجم لها وقبض على الاعيان وقتل من ثبتت مداخلته وثار مسعود على اخيه صاحب تلمسان فاستغاث بخير الدين فامده في الجيش والذخيرة وانجلت الفتنة بالقبض على مسعود ولما رأى خير الدين اختلال الاحوال وكثرة الثوار داخل الجزائر وخارجها اجمع على الرحيل منها والعود الى الغزو على ثغور الافرنج فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر وما يليها وفوض اليه امورها ثم سار باهله واتباءه ومن اخناره من الجنود البحرية الى جيجل فانزل

بها اهله واقبل على الغزو فتزلزلت اقطار الافرنج منه وتناذروا به من عوامهم وزحف ابن القاضي الى الجزائر بجنوده فدخلها وتمكن من الاستيلاء عليها ولحق حسن آغا بخير الدين ثم انتقض صاحب تلمسان ونبذ الطاعة وخطب لنفسه واستمر خير الدين على غرواته ثلاث سنين واتفق انه اغزى بعض قواده في القرصان الى الثغور الافرنجية فالجأته الرياح الى الجزائر فمنعه ابن القاضي من دخول المرفأ فرجع الى خير الدين واطلعه على ما كان من ابن القاضي فعظم عليه ذلك وحركه الى العود الى دار امارته واستدعى انصاره من كل ناحية وسيرهم في البروسار في مراكبهم بحراً واستعد ابن القاضي لحربه واقتتلوا برأ وبحراً وفي اثناء الحصار عدا على ابن القاضي بعض اتباعه فقتله وتقدم خير الدين الى الجزائر فدخلها واعظم النكايه في اتباع ابن القاضي وكان قره حسن عندما استولى ابن القاضي على الجزائر عدل عنه الى شرشال ودعا لنفسه فنهض اليه خير الدين بعد فراغه من ابن القاضي ففرق جموعه ثم قبض عليه وقتله وسكنت عواصف ابن القاضي وبقي اولاده في الجزائر على اسوء حال وله عقب فيها لهذا العهد ولما تمهدت البلاد لخير الدين اقبلت عليه الوفود من آفاق المغرب الاوسط ونواحيه يطالبون العفو عنهم واذعن له صاحب تلمسان فعفا عنه واقره على ما كان عليه من المشاركة ثم سار في المغرب الاوسط يفتري مسالكه وشعوبه ويضع المغارم على اهله وفرق فيهم العمال من قومه وشن الغارات على طواعن زناته والعرب واثخن فيهم حتى اذعنوا له وكان الاسبانيول حصن على جزيرة صغيرة تجاه الجزائر فلما فرغ من شواغل الداخلية اعتزم على تخريبه واتفق ان بعث ملك اسبانيا ثمانية مراكب مشحونة بالجنود والذخيرة مدداً للحامية فلما دنت من الحصن وتراءت لاهل الجزائر سار اليها قائد البحر وحال بينها وبين الحصن ثم خنربها وساقها بنا فيها الى المرفأ وكان ذلك اليوم يوماً مشهوراً وبعد ايام نهض خير الدين الى ذلك الحصن واقتحمه بجيشه واثخن حاميته قتلاً واسراً واستولى على مهماته وخربه وبني باحجاره جسر باب الجزيرة احد ابواب الجزائر واتصل خير الحصن والمراكب بكارلوس ملك اسبانيا فجهز اساطيله وجنوده لنظر القائد اندريه المشهور وامده ملك فرانس بعشرين مركباً وطار الخبر الى خير الدين فتجهز لركته وسار في البحر مترصداً لاندريه في طريقه فلم يعاذه واستمر غازياً على الثغور فاثخن فيها وخرب حصوناً كثيرة وامتلات مراكبه وايدي جنوده من المغانم وانقلب راجعاً فبلغه ان اندريه تحاصراً لاسكلة شرشال فسار اليه على هيئته

فوجده اقلع عنها وبعد ان اراح بشرشال خرج منها غازياً على ثغور اسبانيا فظفر بعدة
مراكب لهم ولدولة فرنسا وقتل الى الجزائر واستمر بغزو بلاد الافرنج ويعظم النكاية فيها
الى ان استخضره السلطان الغازي سليم خان الى دار الخلافة فاستخلف مستشاره حسن آغا على الجزائر
المرّة الثانية وتوجه في اربعين مركباً ومرّت على سواحل ايطاليا وسردينيا وجينوا فعاث
فيها واستمر في مروره يخرب الحصون ويستلب الاموال والانفس الى ان دخل العاصمة
فاكرم السلطان نزله واكبر شانه وقلده وزارة البحر وكان وقتئذ اندريا دوريا الجينوي
رئيساً على عمارة اسبانيا وكثيراً ما يجول في بحر الارخبيل فاخذ خير الدين يترصده
ويذيقه نكل الحرب الى ان اعجزه وعلق بثغور اسبانيا وخلا البحر لخير الدين نعمة
جزائر المورة فتحمها ورتب امورها ثم سار الى افريقية فارسي على بنزرت واستولى عليها ثم
مد عينه لاختد تونس فسار منها الى حلق الواد فامتلات قلوب اهل الحضرة رعباً منه
وفر صاحبها ابو محمد الحسن وعلق بالقيروان وندب الناس الى نصرته فخذلوه وبعث
صريحه الى ملك اسبانيا فبادر الملك الى نصرته وجمع قوته وصدرت اوامر البابا من
رومية الى كافة دول الافرنج يحثهم على اعانة ملك اسبانيا على شانه فامدوه بالمراكب
والجنود والمعدات ثم سار الجمع في عمارة اسبانيا الى تونس وحاصروها اياماً ثم خرجوا الى
البرّ وزحفوا اليها فاقبضهم خير الدين ببنوده في خربة الكاخ خارج البلد وقتلوا وكان في
قلعة تونس ما يزيد على خمسة وعشرين الف اسير من الافرنج فانتهزوا الفرصة حين القتال
وخرجوا من القلعة وحملوا على خير الدين من خلفه فاقتل مصافه ونهرمت جيوشه
ولحق خير الدين بيونه ثم بالجزائر واستولت جيوش الافرنج على تونس بما فيها واستباحوها
ثلاثاً وقتلوا نحو ستين الف نفس صبراً وشفوا نفوسهم من المسلمين وجاء الحفصي
من القيروان راجعاً الى دار ملكه تحت حماية دولة اسبانيا وفرضت عليه فرائب
متنوعة يؤديها اليها على رأس كل سنة واشترطت عليه اباحة السكنى للافرنج في
تونس والتملك بها واتخاذ الكنائس والاديرة ثم رجعت الجيوش الى اوطانها وتمكن
ابو محمد الحسن الحفصي من امره واقام على ذلك الى ان ثارت العامة ونقموا عليه وطأروا
الخبر الى ولده ابي العباس احمد وكان والياً لايه على بونه فاسرع السير الى تونس وفر
والده الى القيروان فقبض عليه ابو الهول شيخ العرب فسلم عينيه واشخصه الى القيروان
فاعتقل فيها الى ان مات واستقل ابنه احمد في الملك ولما رجع خير الدين الى الجزائر
عقب انهزامة من تونس اخذ يتاهب لغزو اسبانيا فاعد المراكب واستكمل تعبيتها وانفق

العساكر وسار غازياً ثغور اسبانيا صادف في طريقه عدة مراكب الافرنج فاستولى عليها واستاقها الى الجزائر ثم غرى بلد مهابوب من بلاد اسبانيا فدمر اهلها واضرمتها نارا وانكفا راجعاً ولم يزل يتابع غزو الثغور الافرنجية الى ان استدعاه السلطان الغازي سليمان خان الاول فاستخلف على الجزائر مستشاره حسن آغا المرة الثالثة وسار باهله الى الاسنانة فاکرم السلطان وفادته وقلده وزارة البحر فجزى خير الدين على عادته في غزو ثغور العدو من الاسنانة والرجوع اليها بالغنائم الكثيرة الى ان مات في قصره بظاهرها سنة خمس وخمسين وتسعمائة وقبره قرب مرسى بشكطاش مشهور واقر السلطان الغازي سليمان خان حسن آغا مستشار خير الدين على امارة الجزائر وارسل اليه فرمان والخلعة وعلى قيادة البحر في الجزائر حسن بن خير الدين فاقبى اثر والده في الشدة والحزم والاجلاب على الثغور الافرنجية وضايقهم حتى استخفوا امر والده وغرا جبل طارق واستباحه واستاق امواله ومراكبه ورجع الى الجزائر فزلزلت بلاد اروبا وامتلات انقرب منه رعباً وايقنوا بخراب ثغورهم وجزائرهم فارسلوا صريخهم الى ملك اسبانيا كارلوس الخامس وكانت دول اروبا ترجع اليه في ازماتها فجهز كارلوس نحو خمسمائة مركب وشحنها بالعساكر والمهمات وسار بها الى الجزائر وعدل عن مرفاها الى فرضة وادي الحراش وانزل جيوشه الى البر وابقى في المراكب معه من يقوم بها وعسكرت جنوده في القرب من نحل سيدي يعقوب وكتب الى حسن باشا انا ملك اسبانيا الذي استولى على تونس واخرج منها خير الدين باربروس الثاني وتونس اعظم من الجزائر وخير الدين اعظم منك فاجابه حسن باشا ان اسبانيا غرت الجزائر في مدة عروج باربروس الاول مرة وفي مدة خير الدين مرة ولم تحصل على دائل بل انتهت اموالها وفيت عساكرها وهذه المرة الثالثة كذلك ان شاء الله وفي اليوم الثاني من هذه المراسلة حدث نوء شديد برّاً وبحراً فلعبت الرياح بالمراكب والقت منها ما يزيد على مائة مركب الى البر فانقضت عليها حشود العرب والبربر وانتهبوا ما فيها واستاصلوا من لم يدركه الفرق وانتهاز الفرصة والى الجزائر فخرج يمشيه وحمل على المعسكر فانزمت الافرنج وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون حتى اتوا على آخرهم ولحق كارلوس في عدد قليل من مراكبه ببلادهم ورمى بتاجه الى الارض واقدم ان لا يضعه على راسه الا بعد استيلائه على الجزائر فلم يساعده انقدر الالهى على ذلك وفي اثناء هذه التناقض اكثر قبائل البربر ونهذوا الطاعة ولما فرغ حسن باشا مما دهمه من امر اسبانيا وانتصر

على جيوشها وجه وجهته الى تدوين البلاد وقطع شافة الثوار منها فتأهب لذلك ولم
يزل يجول في الانحاء ويبحث السرايا في الجهات الى ان دان الناس لطاعته واسترد
مستغانم من يد صاحب تلمسان ووصلت جيوشه في الجهة الشرقية الى ما وراء
بسكره والزيان ثم رجع الى الجزائر وتولى بها وتولى حسن بك ابن خير الدين وكان
بنو وطاس بطن من بني مرين استولوا على المغرب الاقصى بعد بني عمهم عبد الحق
واستغل امرهم فيه فدعتهم نفوسهم الى الاستيلاء على تلمسان دار ملك بني زيان
فنهضوا اليها من فاس في جموعهم سنة ثمان وستين وتسعمائة واستولوا عليها في فترة
موت حسن باشا فلما انقضى الامر الى حسن باشا ابن خير الدين استفرغ لقتالهم
ونفض من الجزائر واتصل الخبر ببني وطاس فخرجوا من تلمسان وانقلبوا راجعين
الى فاس واستقر حسن باشا سائرا الى ان دخل تلمسان فالح شانهما وولى عليها
رجلا من بني زيان اسمه حسن وقتل الى الجزائر ثم عزل وتولى اخوه صالح باشا ابن
خير الدين فارتاح الناس الى توليته وكانت اسبانيا استولت على بجاية فابتدر صالح
باشا اليها ونازلها برا وبحرا ثم اقتحمها ببيوته واستأصلها ثم سار الى قسطنطينة فاستولى
عليها واقتطعها ثم انقلب الى تلمسان وطرد منها حسن الزياني مع بقايا بني عمه
فتفرقوا اوزاعا في الجهات والبقاء لله تعالى وانتظم المغرب الاوسط كله لصالح باشا
من حدود وبنه من بلاد المغرب الاقصى الى الكف من بلاد افريقية وبعد ان
رجع الى الجزائر تولى اخوه حسن باشا ابن خير الدين مرة ثانية وفي ايامه خرج حاكم
وهراة بجندوه الى مستغانم وكان حسن باشا في تلك النواحي فتعرض له وانتشب الحرب بين الفريقين
فانهزم جيش اسبانيا وقتل حاكمهم ثم ان الدولة العلية حملت اهل الجزائر على العمل بقوانينها ونها
تعين عليها حاكما من قبلها وتمده بما يلزمه من الجنود والذخائر وعزلت حسن باشا ابن
خير الدين وبعثت محمد باشا كروا الى ثم عزل محمد باشا وتولى علي باشا وكان اهل
تونس سئموا من ملكهم ابي العباس احمد الحفصي ولحقهم الفجر من ظلمه فدرس
وزيره ابو الطيب الخضار الى علي باشا في النهوض الى تونس ووعدته بتأييد العارق
الموصلة الى الاستيلاء عليها فجهاز علي باشا جيوشه واحتشد قبائل العرب والبربر من
القاصية ونهض من الجزائر سنة سبع وسبعين وتسعمائة فالتقى الجهتان ببجاية ووفى
الخضار بوعده فخذل صاحبه والتقى العرب في قلوب عساكره فتفرقوا اشتاتا وفر
ابو العباس الى تونس ثم خرج باهله وامواله ولحق بالقيروان وتقدم علي باشا بجندوه الى

الحضرة فدخلها وقتل ابن الخضار وولى حيدر باشا على تونس وانتقل راجعاً الى
 الجزائر واستجاش ابو العباس بملك اسبانيا فاجابه واشترط عليه مقاسمة الملك فامتنع
 ابو العباس من قبول هذا الشرط فركب البحر الى صقلية ولم يزل بها الى ان مات ثم قام
 اخوه محمد بن الحسن واثار الفتنة على حيدر باشا وبعث الى ملك اسبانيا بقبول ما
 اشترطه على اخيه فانجده الملك بعساكره وعند وصولها في المراكب الى حلق الواد فرّ
 حيدر باشا وحاميته من الاتراك ولحقوا بالقيروان وتقدم محمد بن الحسن الى عساكر
 اسبانيا فدخل بها الى تونس وعاثوا فيها واهانوا المساجد والمدارس واتخذوا جامع
 الزيتونة اصحاباً لدوابهم وقاسمهم محمد بن الحسن البلاد والجباية وفي سنة احدى
 وثمانين وتسعمائة تولى رمضان باشا على الجزائر وفي سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة
 جهزت الدولة الوزير المشهور سنان باشا فصار في جيش كثيف لانتقاذ تونس من يد
 اسبانيا واوعرت الى والي الجزائر ووالي طرابلس انغرب بظاهرتهم فاستعد كل واحد منهما
 وسار من ولايته وخرج حيدر باشا من القيروان بجاميته ومن انقاد اليه من العرب
 والبربر وتكاملت الجيوش في خارج تونس واحاطوا بها من كل جانب فدخلها المسلمون
 عنوة واستأصلوا عساكر اسبانيا واسروا محمد بن الحسن ثم اشخصه سنان باشا الى الاستانة
 فاعنقل فيها الى ان مات وتم استيلاء الدولة العلية على افريقية وانقرضت دولة بني حنص
 منها بعد ان ملكوها ثلاثمائة ونيفاً واربعين سنة والبقاء لله تعالى وحده وثبتت قدم سنان
 باشا في تونس واستفحل امره وقطع دعوة بني حفص فيها واستلم التوار ومن عهده صارت
 الولاية تختلّف على تونس من قبل السلطنة السنية كاختلافهم على الجزائر ثم وقع النزاع بين
 حكومة الجزائر وحكومة تونس بعد استيلاء سنان باشا عليها في الحدود واستمر الى ان تولى
 حسن باشا على الجزائر سنة اثنتين وعشرين والفي فاتفق مع يوسف داي والي تونس على
 تعيين نهر سراط حداً بين الحكومتين وفي سنة ثلاث وثلاثين والفي تولى خسرو باشا على
 الجزائر ونازعه يوسف داي في الحدود ثم رجعا لما وقع عليه الاتفاق اولاً بين الامارتين
 في الاحكام والجباية وفي سنة اربع وخمسين والفي انتقضت جزيرة كريت على الدولة
 واستبدوا بامرهم فاعزت الى محمد باشا ابي ريشة والي الجزائر بغزوها فصار اليها في اسطوله
 وفتحها وقفل الى الجزائر وكان الملك فرنسيس الاول عمقد الصلح مع السلطان اغازي
 سليمان خان سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثمانية وخمسين وعشرين وخمسمائة والفي
 ميلادية واباح له السلطان حرية مراكب فرانس في البحر الابيض تسافر فيه حيث شاءت

واذن له في تعاطي التجارة في الجزائر وغيرها ثم ان حكومة الجزائر اخذت مراكبها تغزو ثغور
فرانسا وتخرب حصونها الى ان آل امر فرانسا الى الملك لويس الرابع عشر فجهز نحو ستة
آلاف جندي في ستة عشر مركباً لنظر القائد الدوك دي يوفور فاقلع من طولون في
مراكبه سنة اربع وسبعين والف من الهجرة مترصداً مراكب الجزائر فلم يصادف نجاحاً وفي
سنة ست وسبعين وقع الصلح ولما تولى بابا حسن علي الجزائر سنة اثنتين وتسعين والف
اغزى مراكبه الى الثغور الفرنسية وفي سنة اربع وتسعين خرج الاميرال تورفيل من
طولون في عارة فرنسا وسار الى الجزائر واناخ عليها ثلاثة اشهر يغاديهما القتال ويروحها ثم
سئم الإقامة من غير طائل واقلع عنها وفي سنة خمس وتسعين عاد اليها في قوة اكثر من
الاولى ولما علم بابا حسن انه عاجز عن مدافعتها مال الى السلم وبعث الى رئيس العارة في
ذلك فاجابه اليه واشترط عليه اموراً انف اهل الجزائر من قبولها وعارضوا حاكمهم
في اجازتها ثم عدوا عليه فقتلوه وولوا عليهم الحاج حسن آغا من مشاهير القواد
فاشهر الحرب على المراكب الفرنسية وربما بالقنابل فاستشاط تورفيل غضباً وارسل
على البلد صواعق المدافع فعمد اهل الجزائر الى اسارى الافرنج يوثقونهم ويذبحونهم
في افواه المدافع ثم يرسلونها فتتطاير اشلاؤهم مع انقنابل في الهواء وارتكبوا في
ذلك ما لا يسوغ شرعاً ولا مروءة ثم لما طال الامر على الاميرال تورفيل اقلع عن
الجزائر الى بلاده وفي سنة ست وتسعين عاد اليها فدعاه اهلها الى الصلح فبادر الى
ذلك وانعقد الصلح الى ان تولى خوجه ابراهيم باشا فاغرى ثغور فرانسا ورجع بالعتائم
وفي سنة مائة والف جمعت دولة فرنسا قوتها واكثرت من الحشود الافرنجية وبعثها
لنظر الماريشال دي سنرى فنازل الجزائر واخل عليها برمي القنابل واقام على ذلك
خمسة عشر يوماً حتى دكت اطراف البلد ثم جنح خوجه ابراهيم باشا الى السلم فانعقد
الصلح وفي سنة اربع ومائة والف تولى علي الجزائر خوجه شعبان باشا فنهض الى
تونس بجيوشه فدخلها بـداخلة ابن شكر وزير محمد باي واليها وفر محمد باي الى داخلية
افريقية وتم الامر لشعبان باشا ثم فوض امر تونس الى ابن شكر باي وقفل الى
الجزائر وكان شعبان المذكور يبغيض العرب ولما رجع من تونس امر جنده بقتل كافة
العرب الناطقين في مدينة الجزائر فقتلوا خلقاً كثيراً وكثير تعسف واشتدت وطأته
فقبض عليه الجند وقتلوه خنقاً وتولى الجبه احمد باشا ثم عزل وتولى عمر باشا وكان
محمد باي انتصر على ابن شكر باي وعاد الى تونس ولقى ابن شكر بالمغرب الاقصى

ثم توفي محمد باي والي تونس وتولى اخوه رمضان باي فثار عليه مراد باي بن علي باي وتناول تونس من يده واستفحل امره فيها واجمع على غزو قسنطينة ثم الجزائر ونهض من تونس على طريق الكاف فلقية علي خوجه باي حاكم قسنطينة بالقرب منها وناجزة الحرب فكانت الدبرة على علي خوجه باي واتصل الخبر بعمر باشا فخرج من الجزائر وزحف الى مراد باي وهو محاصر لقسنطينة وانتشب الحرب بينهما فانهمز مراد باي ولحقه عمر باشا الى الحدود ثم انكفأ راجعاً الى الجزائر وبقي مراد باي في مرض من الايام الى ان ثار الشريف ابراهيم وقتله واستولى على تونس ثم لما تولى مصطفى باشا على الجزائر جهز جيشاً وبعثه لقتال الشريف ابراهيم المتغلب على تونس ونهض الشريف من الحضرة فالتقوا بالقرب من الكف واقتتلوا اياماً ثم وقع الخلل في عسكر الشريف فانهمز وقبض على الشريف وسارت عساكر الجزائر الى تونس فدخلوها ثم رجع الى مصطفى باشا في رئيس ديوان التحريرات الجزائرية الخوجه محمد بكداشي امر نقمه عليه فعزله ونفاه الى قاصية البلاد فاقام بكداشي مكانه يترصد الفرص الى ان تمكن منها فتلطف في رجوعه الى الجزائر ثم دخل على مصطفى باشا في منزله ليلاً وقتله وتولى مكانه سنة ثمان عشرة ومائة والى ثم قبض على الاخوين العالين السيد احمد والسيد علان ولدى العلامة المؤلف اشهير الشيخ سعيد قدوره وكان الاول مفنياً للملكية والثاني قاضياً لم يقتلها في محبسها خنقاً وقد انتقم الله منه بثل فعله فسلط عليه ابراهيم آفة العرب فدخل عليه وخنقه وتولى مكانه ثم تولى بعده علي باشا ثم محمد باشا ثم عبيد باشا وكانت اسبانيا استولت على وهران سنة خمس عشرة وتسعة اخذتها من يد ابي كيون آخر ملك بني زيان ولم تزل حكومة الجزائر تبعث بالجيوش اليها وتنازلها برأ وجرأ فلم تات بطائل الى ان تولى محمد بكداشي على الجزائر وكان شديد الرغبة في استرجاعها فجهز جيشاً عظيماً وبعثه اليها واوعز الى حاكم معسكر مصطفي باي ابي الشلاغم بظاهرة الجيش والنظر في امره فمنازلوها اول يوم من ربيع الاول سنة تسع عشرة ومائة وضيقوا على حاميتها واحجروهم في داخلها وفي سادس شوال من تلك السنة فتحوا البلد عنوة وفر اهلها الى برج المرسى وتحصنوا فيه فتحققهم المسلمون وفي ثالث عشر المحرم سنة عشرين اتحدوا الحصن واسناصلوا اهلها واسنقر ابو الشلاغم والياً عليها ولم يزل يدافع جيوش اسبانيا عنها مرة بعد اخرى الى ان تغلبوا عليها واخذوها من يده سنة ثلاث واربعين ومائة والى وخرج منها

ابو الشلاغم باهله ومن كان فيها من المسلمين الى معسكر ونواحيها وكان والي الجزائر
عبيدي باشا فجيز ولده محمد في عدة مراكب وبعثه الى وهران فنزلها ثم توفي عبيدي
باشا واقلع ولده محمد راجعاً الى الجزائر وكان حسن بن علي والي تونس ظاهر جيوش
اسبانيا على اخذ وهران وامدّهم بالذخيرة فحفظها له ابراهيم الخزناجي مستشار عبيدي
باشا ولما انقضى امر الجزائر اليه اخرج يونس ابن اخي حسين بن علي وكان معنّلاً
في الجزائر وامده بالجيش والمهمات واوعز الى حاكم قسنطينة بمظاهرة فنهض يونس
من الجزائر واجتمع بحاكم قسنطينة وانضم اليهما ابو عزيز شيخ الحناشة وابورنان شيخ
عرب البنيان ومحمد ابن ابي الضياف شيخ جبل اوراس بمجموعهم واتصل الخبر الى
حسين بن علي فرحف اليهم والتقى الفريقان على نهر سراط وانتشبت الحرب فكانت
الدبرة على حسين بن علي فانهزمت جيوشه ولحق هو واولاده بالقيروان واستولى
يونس على الحضرة وانتقلت الجيوش راجعة الى مراكزها ثم نهض يونس باي الى قتال
عمه وهو بالقيروان فقام عمه عن اللقاء واقام يونس محاصراً للقيروان احد عشر
شهراً ثم خرج منها حسين بن علي واولاده ولحقوا بقسنطينة منذئلين مما وقع منهم
وتوجه محمد بن حسين بن علي الى الجزائر وقدم الطاعة للخزناجي باشا نيابة عن والده
فقبل طاعتهم ووعدهم بالعود الى دار ملكهم ثم بعد وصول محمد الى الجزائر توفي والده
بقسنطينة ولحق محمود وعلي باخيها محمد واقاموا ينتظرون انجاز الوعد الى ان مات
الخزناجي باشا وتولى اخوه ابراهيم باشا وكان الخزناجي عهد اليه عند موته بمساعدتهم
فلما تمكن من امره سيرهم في الجيوش الجزائرية وامر حاكم قسنطينة بمظاهرتهم وقبل
وصولهم الى حدود تونس حصل الخلل في العسكر وتفرقت الكلمة بين حاكم قسنطينة
واحمد آغا رئيس العسكر الجزائري فانقلبوا راجعين الى قسنطينة ثم توفي علي بن حسين
ابن علي واقام اخواه محمود ومحمد بقسنطينة وفي سنة ستين ومائة والـف توفي الخوجه
ابراهيم باشا وتولى محمد باشا المعروف بالاعور وفي سنة ثمان وستين ومائة والـف عدا
عليه جندي فقتله وتولى علي باشا ابو اصبع وكان حسن باي المعروف بازرق العينين
ابن اخت علي باشا المذكور والياً على قسنطينة فالتقى رايه مع خاله علي اخذ تونس
من يد يونس باي وردّها الى اولاد عمه حسين بن علي ثم ان ازرق العينين عمل الحيلة
علي يونس باي واظهر له المودة فركن اليه والتقى اليه بقاليد اموره ولم يزل ينعى
له المكائد الى ان تمكن منه وقبض عليه واستصفى امواله وبني عليه حائطاً من خشب

فبقي في عذابه الى ان مات ورجع امر تونس الى اولاد حسين بن علي يتوارثونه خلفاً عن سلف لهذا العهد وفي سنة تسع وسبعين ومائة والـف توفي علي باشا وتولى محمد باشا المعروف بالمجاهد وكان صالحاً زاهداً حسن السيرة محباً للجهاد منصور الراية شيد عدة ابراج وحصون في الجزائر منها برج سردينيا والبرج الجديد وبرج راس العين واصـلح قناة الحامة واجرى ماءها الى سقايات اتخذها على ابواب المساجد والابرـاج والحصون وخوابي من رخام في شوارع البلد واوقف اوقافاً جارية وانشأ جملة مراكب بحرية للغزو وهو اول من اتخذ النجون في الجزائر وهو مركب صغير وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة والـف انتقض الصلح بين الدولة العلية ودولة روسيا فجهز مراكبه واكمل استعدادها لنظر القبطان ابن يونس وبعثه اجابة لأمر الدولة وتكرر منه هذا عند ما تدعوه الدولة لاعانتها وكان قوم من اليونان يقال لهم الزنبطوط اتخذوا قرصاناً وانقطعوا فيه في البحر يترصدون المراكب فلا يعادفهم مركب الا اخذوه بما فيه وقتلوا اهله وكانت الدولة العلية تامر حكامها في الجزائر بقطع عاديتهم فجهز محمد باشا المجاهد القبطان الحاج سليمان وارسله اليهم فاستولى عليهم وساقهم في مراكبهم الى الجزائر وقد قسموا بلاد المغرب الاوسط الى اربع ولايات ولاية الجزائر وولاية تيطرى بكسر التاء وسكون الطاء المهمة وولاية قسنطينة بضم القاف وفتح السين وسكون النون وولاية وهران بفتح فسكون ولكل ولاية حاكم يسمى باي اي بك الا حاكم الجزائر فيسمى باشا وهوؤلاء البايات متساوون في الرتبة والعمل ويرجعون في امورهم الى والي الجزائر ولما تولى بابا علي باشا بانتخاب اهل الشورى رفع الى حضرة السلطان احمد عريضة تنبئ بان وجود واليين في الجزائر موجب لفساد مساكنم للنزاع فقبل ذلك وامر بان يكون انتخاب الولاة وعزلهم الى مجلس الشورى وان يكون التصديق على ذلك من السلطنة وقد تقدم ما كان للحكومة الجزائرية في سائف امرها من سمو المنزلة وباهر السطوة وكانت الدول الافرنجية على كثرتها تدفع لها اموالاً مضروبة عليها كل سنة لدفع عاديتها عن ثغورهم ما عدا دولة اسبانيا فانها كانت تملون فتارة تدفع خريبتها وتمتنع اخرى والحكومة الجزائرية تعاملها على حسب تلونها ولما تولى محمد باشا المجاهد اكثر من غزو ثغورها حتى اجبا اهلها الى الجلاء عنها والفرار الى الداخلية وقد اجتمع في الجزائر منهم عشرة آلاف اسير فجمع ملك اسبانيا قوته واستجاش بقية الدول وجوز خمسمائة مركب مشحونة بالعساكر والذخائر وبعثها الى الجزائر سنة تسع وثمانين ومائة والـف فنزلت

الجيوش الى البر وخيمت بوادي الحراش وكان محمد باشا المجاهد مستعداً لمداومتهم واستنهض حاكم قسنطينة وحاكم معسكر يجودعهم الى حضرتة فاجتمعت الجيوش الاسلامية وكانت مراكب اسبانيا سبقتهم الى الجزائر فقيم صاحب قسنطينة في جهة الجنوب من معسكر العدو وخيم صاحب معسكر في الجهة الغربية وخرج محمد باشا بجنوده ودارت الجيوش بالمعسكر ثم هجمت عليه دفعة واحدة فاشتعلت نار الحرب من كل جهة وجاس المسلمون خلال الخيام واستلحدوا المعسكر بتمامه واستولوا على ذخائره ومهماتهم ونا راى من بقى في المراكب من الجيش ما وقع باخوانهم رنغوا الرايات السود على صواري المركب اعلانا بالحزن واقلموا على تلك الحال راجعين الى بلادهم وفي سنة ثلاث وتسعين ومائة والف توفي ابرهم باي حاكم معسكر وتولى مكانه الشهم الهام محمد باي بن عثمان الكردي وفي سنة ثمان وتسعين عادت عمارة اسبانيا لمنازلة الجزائر واناخوا عليها اربعة ايام يرسلون عليها القنابل فرجعوا من غير طائل ثم نازلوها في السنة التي بعدها وانقلبوا خائبين وقد احسوا من انفسهم بالعجز ورأوا ان جنودهم قد فنيت ونغورهم خربت فجنحوا للسلم وضرعوا الى محمد باشا المجاهد في كف عادينه عنهم ثم اوفدوا عليه رئيس العمارة يطلب الصلح فردده خائباً ثم اعادوه اليه على ان يشترط عليهم ما شاء فاجابهم الى مرغوبهم وانعقد الصلح بينهم على شروط منها ان تدفع دولة اسبانيا للحكومة الجزائر مليوناً ونصف مليون فرنك في كل سنة وان تعير المبادلة في الاسارى رأساً براس والذي يبقى الف ريال شينكو عن كل راس وان وهران خارجة عما انعقد عليه الصلح وتم الامر على هذا سنة مائتين والف

❖ ذكر فتح مدينة وهران ❖

قد امتدت العمارة الاسلامية بمدينة وهران الى سنة خمس عشرة وتسعمائة ثم استولت عليها دولة اسبانيا من يد ابي كلدون الزياني ثم لما تولى محمد باشا المجاهد على الجزائر كان يميل الى محمد باي الكردي حاكم معسكر لمثانة دينه واستقامة احواله كتب اليه في الجهاد وحرضه على منازلة وهران فكان محمد باي ينازلها وياخذ بفتحها واستمر على ذلك من سنة ثلاث وتسعين ومائة والف الى سنة خمس ومائتين فجهاد الامر في ملازمتها والاقامة عليها فشمر الباي عن ساعد الجد وجمع الآلة والمهمات الحربية وجمع اوزاعاً من القبائل وانزلهم على السبل المؤدية اليها ليقطعوا مواصلة بني نادر وغيرهم

من المنتصرين لاسبانيول ثم انتقى طلبة العلم من المدارس وانزلهم في جبل المائدة المثل على البلد لينعموا اهلها من الاعتصام به واخذ في حنرا الخنادق واللغوم وبناء الاستحكامات ولما بلغ ملكهم الخبر ارسل المدد الى حاميتها وقد استشهد سيدي الجد السيد محمد المجاهد في معركة حرب بساحتها فحمل منها الى غريس مع بعد المسافة ودفن في مقبرة اسلافه ثم وقعت زلزلة عامة في جميع المغرب الاوسط واشتدت في وهران فسقط اكثر دورها على اهلها وهاك الحاكم وعائلته وتوالت المصائب عليها فرفعوا امرهم الى ملكهم فبعث الى والي الجزائر في الهدنة مدة شهر لينظر في امره فاجابه الوالي الى ذلك وجاء الامر لمحمد باي بتوقيف الحرب فتاخر في معسكره وضرب الاجل لحاكم وهران ثلاثين يوماً وقبل تمامها غدروا بالمسلمين ورفعوا رايات الحرب وطار الخبر الى محمد باي فسار واناخ على وهران وجاءه المدد من الجزائر فاعظم النكابة في لاسبانيول واحجرهم في منازلهم وزحف الى السور ووضع المدافع والهواوين في الاستحكامات وعكف الرماة يرسلون عليها القنابل حتى اندكت اكثر ابراجها ودورها واشتد الامر على اهلها وعجزوا عن الذب عنها ثم توفي محمد باشا المجاهد وتولى مكانه مستشاره بابا حسن فطير الخبر الى محمد باي في مكانه من حصار وهران وبعث اليه بالامر المؤذن بتجديد امر الولاية له ثم ان ملك اسبانيا لما علم ان محمود باي قوي العزيمة عظيم الرغبة في فتح وهران كتب الى بابا حسن باشا والي الجزائر في تسليمها واشترط ان يسلمها على ما كانت عليه حين دخلتها جيوشهم وان يخرجوا جميع ما احدثوه فيها من الابراج والقلاع فاجابه الوالي الى ذلك على ان يدفع مصاريف الحرب فقبل الملك وبعث الوالي الى محمد باي يامره بالافراج عن البلد فارتحل الباي وجيوشه واحذ لاسبانيول ينتقلون منها الى ان فرغت وخربوا ما وقع الاتفاق على تخريبه فقدم الباي الى ساحتها وارسل في المدائن والضواحي للتحضور في دخولها فهرع الناس اليه ودخلها واخذ في ترميم ما تنلم من سورها واما كنفها وفي اقرب مدة عمرت دورها واسواقها ومساجدها وانتقل الباي اليها من معسكر باهله واعيان حكومته وأرخ فتحها العلامة السيد الحاج عبد القادر بن السنوسي بن دح بقوله

بشرى لنا قد بلغنا غاية الارب * بفتح وهران ذات العجب والعجب
ارخت للقوم ذاك العام مبتدراً * قالوا فما الشهر منه يا اخا العرب
نقلت في نظم ماساراموا اوآرخه * وهران طار لها الاسلام في رجب

ثم توجه الباى الى الجزائر لتأدية التهنئة للبasha بفتح هذه المدينة التي طالما اهتمت الحكومة بشانها واجتهدت في فتحها فالى الله الا ان يكون على يديه وفي ايامه فاكرم البasha نزله واكبر وفادته ثم قفل من الحضرة شاكيًا وبوادي مينة اشتد وجعة ومات فحمل ودفن بوهراڤ فارتج المغرب الاوسط لنقده وعم الحزن اقطاره وكان يحب العلماء والعالخين ويعظمهم واخذ الطريقة النقادرية عن العلامة الجدى سيدى السيد مصطفى ولم يزل قائمًا بخدمته ساعيًا في مرضاته الى ان توفى وتولى على وهران ابنه عثمان باى

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

وفي سنة سبع ومائتين والف تاخر اداء الضريبة المفروضة على دولة امريكا للحكومة الجزائرية فغضب البasha واخرج قناصلها من الجزائر وسائر الولايات وجهاز القبطان الشهرير الحاج محمد في اسطوله ليرصد رماحيهم فغنم نحو العشرين مركبًا واغزاه مرة اخرى فظفر بغيرها ثم ان دولة امريكا بنحت للسلم فاجابها البasha على ان تؤدى له مليونين ونصف مليون من الريال الشينكوفات له ذلك ورجعت قناصلها الى الجزائر وفي سنة اثنتى عشرة توفى البasha بابا حسن وتولى مكانه ابن اخته مصطفى الحزناسي وفي سنة ثلاث عشرة كانت حادثة نابليون الاول في مصر واوعزت الدولة العلية الى مصطفى باشا باظهار الحرب عليها ليشغلها عن مصر فاحضر البasha قنصل فرنسا الجنرال واظهر له شدة حنقه على فرنسا لسوء معاملتها مع الدولة العلية ثم اوثقه في الحديد واسلمه الى دائرة الاشغال الشاقة ونعل ذلك ببقية قناصل فرنسا في الولايات وجهاز قائد البحر في الاسطول واغزاه الى ثغور فرنسا فاثخن فيها قتلاً واسرا وغنم عدة رماكب لهم وفي سنة سبع عشرة عزل عثمان باى ابن محمد باى فاتح وهران عن ولايتها وتولى مصطفى باى من اخضاء البasha

﴿ ذكر اخبار محمد ابن الشريف الثائر على ولاية وهران ﴾

اصله من الكسانة قبيلة من البربر بوادي العبد قبلة غريس اخذ العلم في صفه عن سيدى الجدى السيد يحيى الدين في مدرسة بالقيطنة ثم رحل الى المغرب الاقصى فاخذ من علماء فاس ولقي الشيخ العربي الدرقاوي وسلك طريقته وقفل الى وطنه وجاء الى حضرة سيدى الجدى زائراً وفي بعض الايام تكلم بمحضته بما يوجب ناديه

شرعاً فادبه سيدي الجدد بالسياط واستتابه ثم رجع الى وطنه ولحق بقبائل حميان وشافع ودعا لنفسه سنة سبع عشرة ومائتين والف وادعى انه المهدي المنتظر فصدقته الناس وقاموا بنصرته فاخذ يستلب الاتس والاموال ويخرب العمران واتصل الخبر ببابي وهران فنهض اليه بجيوشه والنقي الفريقان بغريس فانهمز الباي وتفرقت جيوشه ولحقت بوهران واستولى ابن الشريف على اثنائه ثم سار في جموعه حتى وقف بساحة وهران فاناخ عليها وطار الخبر الى الجزائر فجهز الباشا مستشاره علي آغا وبعثه على طريق البرنغال ابن الشريف فتعرض له البربر في نواحي وادي شلف وصدوه عن المرور في بلادهم ومنعوه ورود الماء حتى كاد يهلك مع جيوشه عطشاً فلاذ بشيخ العطف واستجار به فمضى له في انقبائل على ان يدفعوا عاديتهم عنه فابوا عليه الا بال يوديه اليهم فادى لهم ما طلبوه وانقلب راجعاً الى الجزائر واستمر ابن الشريف في مكانه من حمار وهران وضيق على اهلها حتى نفذت اقواتهم وتمشت له الطاعة من الناس الى المدينة ثم افرج عن وهران وسار ينتقل في النواحي الى سنة ست وعشرين ومائتين والف فبعث الباشا من الجزائر معتمده محمد باي المعروف بالمقلس في عسكر وقلده ولاية وهران فركب في الاسطول من شرشال وبوصله الى وهران قبض على حاكمها مصطفى باي واشغعه الى الجزائر وكتب الى الآفاق بقدومه وتلطف في جمع الكلمة فاجابه اكثر القبائل وركنوا الى طاعته وامرهم بالمعسكر معه فهرعوا اليه من كل جانب وفرق فيهم الاموال ونهض من وهران بجموعه يريد ابن الشريف وتزاحفا في غريس ولما تولى النهار انكشف ابن الشريف بجموعه وانتصر الباي عليهم وفر ابن الشريف باهله واولاده الى نواحي تلمسان ثم لحق بجبل بني يزناسن من اعمال المغرب الاقصى ولا زال مقيماً فيه الى ان مات فرجع اهله واولاده ونزلوا في حمى سيدي الجدد بالقيطنة لائذين به فعفا عنهم الباي حفظاً لدمته ورعاية لمقامه واذعن الناس للحكومة وتسابقوا للدخول في طاعتها وذهب ابن الشريف ودلوى بساطه ثم خرج الباي من معسكر لتهديد البلاد فاخذ ضرائبها وجي اموالها وقفل الى وهران وثبتت قدمه في ولايته سمعت سيدي الموالد يقول انما لم ينجح ابن الشريف في امره لكونه كان بمقوتاً عند سيدي الجدد فمقتته الناس وبعد رجوع الباي الى وهران توجه اليه سيدي الجدد ليهنئه بانتصاره فاکرم نزله واعظم وفادته ولما انطلق من عنده قال الباي الى جلسائه نحن لا نخشى من ابن الشريف وامثاله وانما نخشى من صولة هذا يشير الى سيدي

الجد رحمه الله تعالى .

﴿ ذكر اخبار ابن الاحرش ﴾

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين والفر ابن الاحرش في نواحي قسنطينة وهو من عرب المغرب الاقصى رحل من بلاده للبحر ولما اجلب نابليون الاول على مصر جمع ابن الاحرش جيشاً من اعراب المغربين وافريقية وانضم الى الجنود المصرية لقتال نابليون وابلى في تلك الحروب بلاءً حسناً فاكسب الشهرة ولما انقلب نابليون الى فرنسا قل ابن الاحرش راجعاً الى المغرب واحتل بتونس ولقيه صاحبها حمودة باي واكرم نزله وفوضه في القيام على حكومة الجزائر ووعدته بالمظاهرة بالمال والرجال فاستكان لها ابن الاحرش وخرج من تونس الى نواحي قسنطينة ودعا لنفسه واشتدت شوكته في تلك الجهات وزحف الى قسنطينة بمجموعه فخرج اليه حاكمها بميشه ووقعت بينهما حروب انهزم في آخرها حاكم قسنطينة وترك ذخائره فتقوى بها ابن الاحرش وعظم الخوف عند الباي ففر الى تونس باهله واولاده واتصل الخبر بمصطفى باشا والي الجزائر فاحضر عثمان باي ابن محمد باي وبعثه حاكماً على قسنطينة وفوض اليه في مدانعة ابن الاحرش وبوصله اليها كتب الى رؤساء القبائل الدائنين بطاعة ابن الاحرش يهددهم ويخوفهم عاقبة امرهم واخذ يتربص للحرب وخيم خارج البلد في سطح المنصورة واستجاش بمن بقي من القبائل متمسكاً بطاعتهم وارتمل نحو ابن الاحرش وعسكر في سهل وادي الزهور فامر ابن الاحرش بالنهر فسد ثم اطلق على المعسكر اول الليل فما طلع الفجر الا والماء قد عم السهل كله وهجم عليهم ابن الاحرش بمجموعه فاستلحمهم وقتل الباي وكان الباي لما خرج من قسنطينة استعجب معه جميع ما في الخزائن من الاموال والذخائر فاستولى عليها ابن الاحرش وامتلات ايدي جيوشه من المغنم ثم ان باشا الجزائر فوض الامر الى قائد الخشنة وولاه على قسنطينة وكان هذا القائد له مصاهرة مع العرب فاستجاش باصهاره وعبي كتابه وبرز من قسنطينة لمدانعة ابن الاحرش فانهمزمت جيوش ابن الاحرش وتفرقت وفر بنفسه ولحق بابن الشريف في الجهة الغربية وبقي في معيشه الى ان دس له من قتله . من اصحابه

﴿ ذكر غير ذلك ﴾

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين دخل يحيى آغا على رئيس اليهود في الجزائر وقتله

في منزله ولما رأى الناس افعال الحكومة للامور وتغافلها تداعوا في ثاني يوم الى استئصال اليهود ونهب اموالهم فاجتمعوا ودخلوا الى محلة اليهود فاختنقوهم قتلاً واكتسحوا اموالهم وجمعوا اشلاءهم خارج البلد واخبرهموها ناراً ثم امر الباشا بالقبض على كل من ثبت حضوره في هذه الفعلة فامتلأت السجون بهم وامر ان يُصلب منهم كل يوم عشرة انفس فصابوا عن آخرهم وفي سنة عشرين ومائتين ثار العسكر على الباشا ونقموا عليه سوء معاملته لهم وقتلوه في الزقاق وتولى احمد خوجه فاطلق ايدي العسكر في الرعايا فكثر الفساد وكان في قلبه شيء على عبدالله باي حاكم قسنطينة فقتله واستنصفى امواله ومدّ يده الى الخزانة فباع جميع ما فيها من النفائس وحمله الى دار سكينة وبعث الى حموده باي حاكم تونس في دفع الضريبة المنروضة على حكومة تونس لحكومة الجزائر فاستنكف ونقض العهد فجوز اليه القبطان حميد وفي الاسطول فغنم ثلاثة مراكب تونسية بما فيها ثم اغزى جيوشه الى تونس على طريق البر فلقبهم حموده باي بجموعه فاوقعوا به واسنولوا على معسكره وفي سنة ثلاث وعشرين تراحف الفريقان واقتتلوا بنهر سراط فكانت الهزيمة على حموده باي ايضاً وبعد رجوع العسكر الى الجزائر اظلم الجو بينهم وبين احمد باشا فثاروا عليه وقتلوه وبجبهه في ازقة الجزائر اهانة له ثم تولى ابو الجوالق فامر بنفي انقبطان حميدو الى الشام وفي سنة اربع وعشرين ومائتين والف تغلب علي باشا على ابي الجوالق وقتله خنقاً وتولى مكانه واعاد القبطان حميدو من الشام فآكرمه ورفع رتبته وفوض اليه امر البحر ثم اغزاه الى جبل طارق فلقى مراكب البورتغال فغنم منها مركباً واغزاه الى صقلية فامتلأت مراكبه بالغنائم وفي سنة خمس وعشرين اغزاه الى جربة من اعمال تونس فاسنولى عليها وطار الخبر الى حموده باي فجهز ثلاثة عشر مركباً وبعثها الى جربة لقنال حميدو فلقبهم بالقرب من جزيرة قرقله وانتشبت الحرب بينهم فكانت الدبرة على مراكب تونس وفي سنة ست وعشرين اغزاه الى تونس واحتل بمحلق الواد وتاخر حموده باي عن اللقاء وانحجر داخل الحضرة فاقام حميدو اياماً ثم اقلع راجعاً الى الجزائر وفي سنة سبع وعشرين اخذ الباشا بناهب لمنازلة تونس وبعث الى حكام الولايات في جمع الجيوش والنهوض بها الى حضرته فتغافل حاكم وهران واظهر الاستبداد فوجم لها الباشا وسير عمر آغا في جيش على طريق البحر الى وهران وكان اعيانها قد انحرفوا عن حاكمهم ونقموا

عليه ما اظهره من الاستبداد وكان اعيان الدوائر والزمالة اوقعوه في هذا الامر وزينوه له ووعدوه بمظاهرة الرعية وهو يومئذ مخيم بهبره فلما انقلب الى وهران قام عليه الجند واعيان البلد وقبضوا عليه وبوصول عمر آغا الى وهران سلموه اليه فذبح اولاده على صدره وهو ينظر اليهم ثم سلخه وحشى جلده قطعاً وارسله الى الجزائر نعلق على باب الجديد منها واسنصفى امواله ثم اخذ يتأهب لحرب حاكم تونس فجمع الجيوش وسار بهم وكانت جموع تيطرى وقسنطينة تنتظره بالقرب من التخم لان الباشا فوض اليه امر الحرب فنفض بالجموع الى تونس ولما تجاوز حدودها اتصل به ابن الاسطول الجزائري بعد ان ارسى في حلق الواد اياماً انقلب راجعاً من غير طائل وفي سنة ثمان وعشرين خرج القبطان حميدو غازياً على الثغور الافرنجية فصادف في طريقه مراكب كثيرة للدانمارك فاستولى عليها وفي هذه السنة انعقدت الهدنة بين حكومة الجزائر ودولة البورتغال على ان تؤدى دولة البورتغال لحكومة مليونين ونصف مليون فرنك وان تنقلها فدية اسراها وفيها سار القبطان حميدو غازياً الى ثغور اليونان فائخن فيها بالقتل والاسر وغنم عدة مراكب لهم وانقلب راجعاً فرفع ملك اليونان امره الى السلطنة السنية فبعثت الى باشا الجزائر توبخه على ذلك وامرته برد جميع ما اخذه لليونان وفي سنة تسع وعشرين اتصل به ان اليهود لبسوا نساءهم الثياب الخضرة فقبض على اعيانهم وقتلهم واحرقهم وكان هؤلاء الاعيان اكلوا اموال الناس بانواع الخيل والدعاوي الباطلة فالزم الباشا اقاربهم بدفع جميع ما ثبت عليهم وفي سنة ثلاثين ومائتين اتفق عمر آغا وكان عزل عن وهران مع عبدالله وكيل الخرج على قتل الباشا فدخلوا عليه وهو في الحمام فذبحوه وتولى محمد الخزناجي وهو في سن التسعين وكان محبوباً عند اهل الجزائر وفي اليوم السابع عشر من ولايته دخل عليه عمر آغا في ثلعه فقتله وتولى مكانه فاغزى القبطان حميدو الى جبل طارق فصادف مراكباً لدولة امريكا فصادقوه القتال وكانت الدبرة عليه فقتل هو وجماعته وغنم الامريكيون مراكبه ثم آل الامر بعد ذلك الى انعقاد الصلح بين الفريقين وفي سنة احدى وثلاثين ومائتين جيز الانكليز وهولانده عمارة مختلطة بينهم لنظر اللورد اكسمون وبعثوه الى الجزائر ولما وصل اليها كتب الى عمر باشا انا اللورد اكسمون قائد العمارة الانكليزية الهولاندية اعلن لك انني لا ارغب في سفك الدماء ولا ارضى بخراب البلاد ولكن اطلب معاهدة مربوطة بشروط اولها اطلاق الاسارى عموماً من غير استثناء ثانياً ارجاع ما دفعته

لكم سردينيا ونابولي في السابق عن امراهم ثالثا ابطال عادة الاسر بالكلية رابعها ان تكون هذه الشروط بعينها جارية بين حكومة الجزائر وباقي الدول فاجابه عمر باشا بقوله لا جواب عندي الا الضرب بالمدافع وفي الحال امر باطلاق القنابل على العمارة وانتشب الحرب بين الثريقين الى المساء وفي صبيحة اليوم الذي يليه شبت النار في المراكب المولاندية والاتصال بعضها ببعض مع شدة الهواء احترقت عن آخرها واتصلت النار ببعض مراكب الانكليز وهاج البحر وتلاطمت امواجه فاقلع اكسون بنا سلم من عمارته وتوغل في البحر ولما سكن رجع الى الجزائر وخاطب الباشا بخطابه الاول فقبل شروطهم وانعقد الصلح بين الباشا واكسون ولما شاع هذا الخبر في الجزائر ثار الجند على عمر باشا ولقموا عليه قبول الشروط الانكليزية فقبضوا عليه وقتلوه خنقا وولوا مكانه علي خوجه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والفاشاع الشكير على اعيان الحكومة واكثر من قتل الاتراك وجعل بطانته من العرب واخذ الناس بالارهاب والسطوة وظهر الميل الى العمل بالشرعية المطهرة والقيام بوظائفها واعلن بالمحافظة على الصلوات في اوفاتها ومن وجد في دكانه بعد الاذان يجلد واشتدت وطاته على المتحرفين عن الشرعية حتى توفي بالطاعون ثم ولي حسين كاتب الخيل واستقر له الامر وفي سنة اربع وثلاثين وقع الصلح بينه وبين صاحب تونس بامر الدولة العلية وفيها عزل حاكم وهران محمد باي ابن محمد باي ابن عثمان الكردي فاتح وهران وتولى مكانه حسين باي

﴿ذكر قيام السيد محمد التجيني﴾

اصله من بني توجين امراء تاهرت وكان والده السيد احمد زهدا عابدا صاحب طريق وله مريدون واتباع ولما شاع امره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة انتقل باهله واولاده الى فاس في ايام سلطانها مولاي سايمان العلوي واقام بها الى ان توفي فقام بامر الطريق بعده ابنه السيد محمد ورجع الى بلدهم عين ماضي وهي في الجنوب الشرقي من اعمال وهران وكانت حكومة الجزائر ترهب سطوته وتوقع خروجه عن طاعتها وفي سنة اربعين ومائتين رحل من بلاده للعجاز برا واتصل الخبر بحسين بانما نبعث الى - اكم قسنطينة في القبض عليه فالت منه وبعد رجوعه الى وطنه دعا الناس الى طاعته والخروج عن دعوة الحكومة فوانقته اهل تلك النواحي ونهض من بلده الى

نواحي معسكر فلاذ الحشم ومن اليهم بطاعته وخرج حسين باي حاكم وهران في جيوشه وتزاحف الفريقان خارج معسكر من جهة غريس وعند المصاف نهبقر الحشم ومن وافقهم وانفرد التجيني في ثلاثمائة مقاتل من قبيلة الارباع فمعلوا انفسهم كما تعقل الابل وقتلوا حتى قتلوا عن آخرهم وبعث الباي براس التجيني الى الجزائر فمعلقت على بابها وارسل سيفه الى السلطان الغازي محمود خان وفي هذه السنة عزل حاكم قسنطينة وولى احمد بن احمد الشريف وهو اول من تولى من العرب على ولاية في الجزائر واطلق عليه لقب باي

❖ ذكر ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال ❖

اعلم ان حكومة الجزائر وان كانت قليلة العدد والعدد فقد كانت لها اليد الطولى في البحر الرومي وكانت بهوشها وغوازيها كثيرا ما تسم النغرر الافرنجية بالخسف والدمار ولذا لاذ اكثر ملوكهم بمسالمتها واذعنوا لما تفرضه عليهم دفعا لعاديتها فكانت دولة انكلترا تؤدي لها ستمائة ليرة انكليزية في كل سنة ودولة فرنسا هدايا ثمينة تؤديها عند تغير قناصلها ودولة الدانمرك آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وهدايا نفيسة ودولة هولندا ستمائة ليرة فرنساوية ومملكة سيسيليا اربعة وعشرين الف ريال شينكو وهدايا قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو ومملكة سردينيا ستة آلاف ليرة فرنساوية والولايات المتحدة باريكا آلات ومهمات حربية قيمتها اربعة آلاف ريال شينكو وعشرة الاف ريال نقدية وهدايا تحضرها قناصلها معها والبورتغال هدايا بهية واسوج ونروج الات حربية وذخائر بحرية تساوي قيمة وافرة ودنوفر ورام من المانيا ستمائة ليرة انكليزية واسبانيا هدايا نفيسة وربما حاول بعضهم في بعض الاحيان مقاومتها وتحرك الانتقام منها فلا يصادف نجاحا فيضطر الى مسالمتها

❖ ذكر تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر ❖

ان الفتن في اوروبا منذ زمان لم تخمد لها نار واشدها اضطراما ما كان منها في ايام نابليون الاول ولما سكنت بانعقاد الصلح بين الملوك وكان الفرنسيين يغصون بهذه الحكومة ويتربصون بها الدوائر حتى اتفق لقونصلهم مع حسين باشا الخصام الذي ادعى لاهانة القونصل حين عقدوا معاهدة تجارية في اصناف المحبوب

مع الحكومة فنقرر لها في ذمتهم اموال طائلة وقارن ذلك حدوث الاضطراب في فرنسا وقيام الامة على ملكهم فتأخر اداء تلك الاموال نحو العشرين سنة ولما خمدت الفتنة جددوا المعاهدة مع الحكومة سنة خمس وثلاثين ومائتين والاف هجرية وتسع عشرة وثمانمائة والاف ميلادية ومن فصولها ان دولة فرنسا تؤدى للحكومة الجزائرية سبعة ملايين فرنك على يد وكيلها يعقوب كوهين بكري وميخائيل ابي زناك اليهوديين والاداء يكون منجماً اول سنة ست وثلاثين ومائتين والاف هجرية وعشرين وثمانمائة والاف ميلادية وكان لتجار فرنسا من اهل مرسيليا على تجار الجزائر مليونان وخمسمائة الف فرنك فرفعوا امرهم الى دولتهم وطلبوا منها ان تنقد لهم اموالهم من اصل السبعة ملايين المحكوم بها للحكومة الجزائر فادت دولة فرنسا للحكومة اربعة ملايين ونصف مليون وابتقت ما ادعى به تجارها في صندوق الامانة وامرت ان تجري دعوى تجارها مع غرمائهم من اهل الجزائر في تجلس التجارة في باريز فغضب الباشا لذلك وطلب اداء الاموال المحكوم له بها كلها وان تكون مرافعة التجار والغرماء في تجلس الجزائر وادعى ان الحق له في ذلك بموجب العهود التجارية بين الحكومة وسائر الدول وطال النزاع واستمرت فرنسا مصرة على امرها والباشا يطلب الجواب من قنصل فرنسا الجنرال دوفال فيحاوله بالمواعيد وفي اول يوم من شوال سنة ثلاث واربعين ومائتين والاف دخل القنصل دوفال على الباشا لاداء التهنئة بعيد الفطر فشكا له الباشا عدم رد الجواب من ملك فرنسا على كتاب قدمه له فقال له ليس من العادة ان يجاب الملك من هو دونه بدون واسطة ففهم الباشا من ذلك ان مراد القنصل ان الملك لا يعتني بجوابه مثله فاشتد غضبه ولطم القنصل على وجهه بروحة كانت في يده فعظم ذلك عند القنصل وطير الخبر الى ملكه فجاءه الامر بيارحة الجزائر فبارحها بمن معه من الفرنسيين المقيمين في الجزائر ثم ان الباشا عدا على من تأخر في البلد من ضعفائهم فاستاصلهم وخرب قلعة دي لاكار وكل بناء للفرنسيين في الجزائر وبونه وبوصول القنصل الى باريز جبرت دولة فرنسا اساطيلها وبعثتها الى الجزائر لنظر الاميرال كوليت فنازلها يغاديا القتال ويراوحها واستمرّ محاصراً لها نحو ثلاث سنين حتى لانت قوته ونفدت ذخائره وانقرض معظم جيشه وتكسرت اكثر مراكزه وكانت خاتمة امره بقتله ذكر بعض المؤرخين ان النفقة على هذه الحملة كانت اكثر من عشرين مليون فرنك واما حكومة الجزائر فلم يلحقها كبير ضرر ولما علم حسين باشا ان دولة فرنسا لا ترفع يدها عن الجزائر وانها تراجع

منازلتها لا محالة اخذ في تثقيف البلد وتحصين حوزتها ثم انتقل باهله وحاشيته الى القصبة وفي سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية وتسع وعشرين وثمانائة والفس ميلادية بعثت دولة فرنسا بعثتها دي لابر الى الجزائر يطلب الترضية من الباشا فا ياتت اليه ورده وبعد اقلعه اطاعت عليه القنابل من برج المرسى واتصل الخبر بلك فرنسا ففاوض اهل دولته فوسطوا محمد علي باشا خديوي مصر ان ينصحه فارسل له كتابا ينصحه ويحذره ويعلمه به بان العاقبة وخيمة فلما قرأه حسين باشا قال الرسول بلغه سلامي وقل له يا كل النول ولما وصل هذا الجواب الى الخديوي عرف الحكومة الفرنسية بعدم تأثير نصيحته له فاجمعوا على حرب الحكومة الجزائرية ومنجزتها فجمعوا جنودهم وكانوا اربعة وثلاثين الفا مع مائة واثنى عشر مدنا واستأجروا اربعمائة مركب وسيرتها من طولون الى الجزائر لنظر الاميرال دوبري في احدى وعشرين ذي الحجة سنة خمس واربعين ومائتين والفس هجرية والتاسع عشر من يونيه سنة ثلاثين وثمانائة والفس ميلادية فعدل بها عن مرسى الجزائر الى مرسى سيدي فرج القرية من الجزائر وكانت خالية من العمران الا شذمة قليلة من العسكر كانت في برج هناك فلما اخذت عليهم مراكب فرنسا تفرقوا وبوصول العارة الى المرسى اخذت الجنود تنزل الى البر بهيئاتها ورفعوا رايتهم على البرج واتصل الخبر بباشا الجزائر فارسل في المدائن والخواهي ينادي بالجهاد وعقد لظهره يحيى آغا على قتال العدو فنهض من الجزائر في الحشود والعساكر واتهم القتال بين الفريقين فكانت الديرة على الاغا وجموعه ثم تلاقت الجيوش من وهران وقسنطينة وتيطرى وزحف بهم الاغا في السابع والعشرين من ذي الحجة على عسكر فرنسا وبين وحملوا عليه حملة رجل واحد واستمروا حتى ادخلوه الخيام ووضعوا راياتهم على الاستحكامات فهبت الفرنسيس من تلك الحملة وتراجعوا وعززتهم فرقة الطوبجية وردوا الكرة على الجيوش الجزائرية فاخرجوهم من العسكر وهزموهم وتبعهم العدو الى ان ادخلهم معسكرهم في استوالي ثم اخرجهم منه واستولى عليه بما فيه من الذخائر والمهمات وعرف ذلك اليوم يوم استوالي واجتمع في الجزائر حشود العرب والبربر للثعب والسلب بدعوى الجهاد وفي الثالث من محرم سنة ست واربعين ومائتين والفس الموافق الخامس والعشرين من يونيه سنة ثمانمائة وثلاثين نهض يحيى آغا من الجزائر بتلك الحشود وانتشب الحرب بينه وبين فرنسا وبين فانهمز يحيى آغا وحشوده فتعقبهم العدو الى ان تجاوز استحكامات ابى جارية واستولى عليها بما فيها من المدافع والمهمات

وخيّموا عندها وقوى طمعهم في الاستيلاء على الجزائر وفي صبيحة ثامن المحرم ارتحلوا من ابى جارية وضربوا معسكرهم في اطراف البساتين وفي عاشر المحرم اطلوا على البلد وسلطوا عليها المدافع واخذوا يعقرون الاشجار ويعفون الآثار واخذت النار في برج مولاي حسن وكانت فيه خزينة البارود فاحترقت وتطايرت حجارة البرج على البلد فدمرت المنازل ومات خلق كثير تحت الردم وعظم الكرب في مدينة الجزائر واستولى القلق على اهلها وتنبه حاكمها من غفلته ولما علم انه قد فاته التدارك استأمن لنفسه واهله وجميع الاهالي فامنه قائد الجنود الفرنسية المارشال على شروط وقع الاتفاق عليها

﴿ ذكر المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسي بورمون ﴾

﴿ وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ﴾

﴿ ست واربعين ومائتين والف هجرية والخامس ﴾

﴿ من يوليه سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية ﴾

اولاً كفة القلاع المختصة بمدينة الجزائر وابواب المدينة تسلم للعساكر الفرنسية في صباح السادس من يوليه الساعة العاشرة ثانياً يتعهد القائد العمومي الفرنسي ان يترك للبasha امواله المختصة به ثالثاً ان يكون لحضرة البasha الحرية بان يتوجه مع عائلته وامواله الى المحل الذي يرغبه وفي مدة اقامته في مدينة الجزائر يكون هو وعائلته تحت حماية القائد العمومي الفرنسي وان البasha وعائلته يكونون تحت حرس نصوص رابعاً ان القائد العمومي يمنح هذه الحماية المعطاة لحضرة البasha لكافة قواد العساكر الجزائرية خامساً تعطى الحرية للديانة المحمدية وللكتاب الاهلية ولديانتهم ولا ملاكهم ولتجارتهم وامنائهم وان لا يعارضوا في ذلك وان نساءهم تحفظات معتبرات سادساً ان مبادلة هذه المعاهدة تكون غداً الساعة العاشرة صباحاً وتدخل العساكر قلعة القصبة ويقيمون في قلاع المدينة والشطوط البحرية وفي الغد صباح اليوم السادس من يوليه والثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والف في الساعة التي وقع عليها الاتفاق دخلت جنود فرنسا من الباب الجديد في اعلا المدينة وانزلت رايات الدولة العثمانية من القصبة والابرار وارتفعت رايات فرنسا عليها وتفرقت الجنود الفرنسية في البلد وتم استيلاء فرنسا على مدينة الجزائر وبلغوا امنيتهم التي

كانوا يتمكنون الحصول عليها منذ سنين عديدة غير مباينين بوفاء المعاهدة ولا ملتفتين للقيام باعباء المعاهدة وانقرضت الحكومة الجزائرية وانتشر ساكنها وكانت مدتها فيها ثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة وثلاثة عشر يوماً تقريباً والله عاقبة الامور وبعد استقرار العساكر الفرنسية في المدينة انتقل الباشا وارباب الحكومة الى خارج البلد وخلتهم فيها رؤساء الجنود الفرنسية وشاع امر الجزائر فاهتزت له المشارق والمغرب وعد عند المسلمين من اعظم النواب ولو كانت حكومة الجزائر مستعدة لحماية حوزة بلادها آخذة بالحذر من مباغطة العدو لها وكانت جنودها كاملة الاستعداد متمرنة على الحروب عالملة بطرقها ما وصل عدوها الى مرغوبه منها في اقرب مدة وعلى ايسر وجه ولكن استيلاء الكبر والعجب والتعظيم على رجالها مع ما بلغوه من البذخ والترف اداهم الى اهمال الامور وعدم الاكتراث بها كما وقع بالاندلس ليقضي الله امراً كان منوعاً

❖ ذكر اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر ❖

اول ما ابتدأ به قائد الجنود الفرنسية في الجزائر رتب مجلساً من رؤساء الجنود لابط خرائنها من الاموال والجواهر والمهمات الحربية والذخائر فتحصل من ضبطهم على ما قيل من الذهب والفضة وقيمة الجواهر ثمانية واربعون مليوناً وستائة الف وثمانون الفا وخمسمائة وسبعة وعشرون فرنكاً ومن الصوف والحنطة والشعير وغيرها ما يبلغ قيمة ثلاثة ملايين من الفرنك ومن المدافع والبنادق والبارود والرصاص والقنابل وغيرها من آلات الحرب مع ثمن الاملاك الاميرية داخل البلد وخارجها ما قيمته خمسون مليوناً من الفرنك ثم حمل الباشا مع اهله واتبائه الى نابولي بطلب منه فاقام فيها مدة ثم انتقل منها الى الكورنه ثم الى الاسكندرية ولما وصلها احتفل به محمد علي باشا واطاعه على المهمات الحربية وغيرها وصنع له مأدبة حضرها الاعيان واكابر البلدة وفي اثناء الطعاج اثني حسين باشا على الخديوي ومدح اعماله وهمنه في اعمار مصر وترقيتها فاجابه الخديوي بقوله يا حضرة الباشا ان جميع ما رايت واستحسنته كان منشؤه من اكل النول وكان ذلك منه تذكراً له فيما سلف من الجواب عند قراءة الكتاب فتفص حسين باشا وتوجه لمحله متألماً وبعد ايام قليلة توفي سنة اربع وخمسين ومائتين والف هجرية ولما كثر الهرج بين الانكشارية والجيوش الجزائري جمعهم القائد العمومي وحمل اكثرهم الى نواحي ازميز ورخص للاغنياء منهم في الاقامة بالجزائر ريثما يبيحون

عقاراتهم وامتعتهم وبعد فراغهم من اشغالهم حملهم الى جهات مختلفة ودون الدواوين وجند من اهل المدينة جنداً بلدياً وبنى قواعد حكومتهم في الجزائر على اظهار الهيبة ومراعاة امور الشريعة الاسلامية واحترام المساجد وتعظيم العلماء وحرية العوائد وتلطف ما شاء في امالة القلوب اليهم وبذل الاموال ترغيباً حتى يلين اليهم القوي ويدخل في طاعتهم الابي واذن ان سياسته هذه كافية في الاستيلاء على سائر المغرب الاوسط ولم يعلم ان دون ما اراد خرط القناد وقد ظهر لهم بعد حين ان في عين اليقين حروباً يشيب لما الوليد ويضعف لديها القوي الشديد الى ان نالوا غاية مطلوبهم وحصلوا على نهاية مرغوبهم وذلك تقدير العزيز العليم

❖ ذكر خروج الماريشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً ❖

❖ وما جرى بعد ذلك من الحوادث ❖

بعد ان اتم القائد العمومي اشغاله الابتدائية في الجزائر خرج منها ثالث صفر سنة ست واربعين ومائتين والف الموافق للخامس والعشرين من بوليه في طائفة من الجند الى البليدة فتلقيه اهله وادوا طاعتهم ودخل البلد وكان ابو مرزاق التركي حاكم تيطرى قد دعاه اليها ووعده بطاعة اهل تلك النواحي ولما شاع الخبر تداعى الناس الى الجهاد ونادوا به في جبال متيجة القريبة من البليدة فهرعوا اليها وحمدوا للمهاجرة وفي غاس اليوم الثالث من دخول القائد العمومي اقتحموا البلد واستاصلوا اكثر الجند الفرنسيين وفر القائد فبين افلت من الجند الى الجزائر فدخلها على اسوأ حال وشاع خبر هذه الواقعة فأكبرها الناس واستخفوا امر الفرنسيين وفسدت قلوب اهل الجزائر عليهم وضعف ما كان عندهم من الهيبة لهم وانحط قدر القائد بينهم وقارن ذلك الاضطراب الواقع في الحائر بين الجنود البرية والبحرية في دعوى التغلب على الجزائر فكل فريق ادعى ذلك واتصل بهم ان الامة في فرنسا ثاروا على الملك وخاموه وابدلت الدولة الملكية بالدولة الجمهورية وكان القائد من حزب الملكية فايقن بالعزل وبعد ايام حضر الامر بعزله وتعيين الجنرال كلوزيل حاكماً على الجزائر وبجضوره باشر الاحكام وسافر الماريشال بورمون الى مالقة من بلاد الاندلس مستعجلاً قلب ولده المقتول في معركة سيدي خلف بالجزائر ثم ان الجنرال كلوزيل طمعت عينه الى الاستيلاء على امصار القطر فبعث الى حاكم وهران وحاكم قسنطينة يدعوهما لطاعة دولته فاجابه صاحب وهران الى

ذلك واخذ اهلها في الخروج منها الى تلمسان ومعسكر وغيرها ولم يتخلف فيها الا الحاكم حسين باي وجنده وطير خبره بالاجابة على ان يؤمنه الجنرال كلوزيل على نفسه واهله ومن معه فاسعفه الجنرال بذلك وسير ولده الاكبر في عدة مراكب حرية اليه فدخل وهران واستلم زمامها من يد حسين باي في تاسع رجب سنة ست واربعين ومائتين الموافق خمسة وعشرين ديسمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف ميلادية وذلك بعد ستة اشهر من دخول الجزائر ثم لحق حسين باي ومن معه بالجزائر وعومل بما عومل به حسين باشا ولما بلغ احمد باي حاكم بسكره امر الجزائر جمع الجيوش وزحف الى قسنطينة حاضرة الولاية فخرج اليه حاكمها محمود باي ابن جافر باي فدافعه عنها الى ان وقع الخلل في جيشه وتفرق عنه ودخل احمد باي الى الحاضرة وفر محمود الى جبال البربر فاغتناله بعضهم وساق رأسه الى احمد باي ثم وصله رسول الجنرال بكتابه يدعوه الى طاعة فرنسا فقبله ومزق الكتاب فاستشاط الجنرال غيظاً وارسل الكونت دي مريمون في الاسطول الى بونة وكان عاملها من قبل احمد باي قد نفرت من ظلمه قلوب اهلها فلما اطل عليهم اسطول فرنسا اظهروا له اشارة السلم وفر العامل ومن كان معه من الحامية ولحق الجميع بقسنطينة وتقدم دي مريمون الى البلد فاستولى عليها وقبل الاستيلاء على وهران وبونة انتقض ابو مزراك والي تيطرى ونكث طاعة فرنسا وجاهر بالحرب فخرج اليه كلوزيل من الجزائر في ثامن عشر نوفمبر سنة ثلاثين وثمانمائة والف واقام اياماً في البلدة ثم سار قاصداً المدينة حاضرة ولاية تيطرى وزحف اليه ابو مزراك في جموع العرب والبربر فالتقى الجمعان بثنية موازيه واشتد القتال فانهمز ابو مزراك وجموعه واستمر كلوزيل سائراً الى الحاضرة فدخلها في الثالث والعشرين منه وتلقاه اهلها مطيعين فولى عليهم مصطفى بن عمر وفي اثناء اقامته في المدينة استامنه ابو مزراك على نفسه فامنه ولما حضر عنده اعقله وكر راجعاً به الى الجزائر ومر في طريقه بالبلدة فوجد القبائل المجاورة لها قد دخلوها واستاصلوا الحامية الفرنسية ونهبوا الذخيرة فاستمر سائراً على وجهه الى الجزائر موقناً بانه لا طاقة له على اذعان القبائل والشعوب الجزائرية وان جيوشه غير كافية في حملهم على الطاعة مع ما عليه فرنسا من الاتباك واختلاف الكلمة بين الاحزاب الملكية والجمهورية فاستجلب دي مريمون وجنده من بونة لما علم انه لا يجلب الناس الى طاعة فرنسا الا امرأته منهم او من الاتراك فولى مصطفى بن عمر

على مدينة المديّة وبعث الى صاحب تونس حسين باشا من اولاد حسين بن علي يطلب منه بعض المترشحين للولاية من عائلاتهم فبعث اليه من اختاره من اقاربه فولاه على مدينة وهران في اوائل فبراير سنة احدى وثلاثين بعد ان اشهد على نفسه انه فرنساوي وادى بين الامانة على ذلك ثم اخذ يدس الى الاتراك القاطنين في مدن الداخلية كتلمسان ومعسكر ان انترنيس اجمعوا على ان يجعلوا في الجزائر حكومة تركية تكون تحت حمايتها وبعد تأسيس امورها يتخلون عنها و يسلمون امورها اليهم وجعل توليته على وهران دليلاً على صدق خبره فركنوا الى قوله و بعثوا اليه بطاعتهم سرّاً ثم فشا خبرهم وانتشر ذكره فقامت عليهم الاهالي في كل جهة واستأصلوا الكثير منهم واعتصم اترك تلمسان بقاعة المشور ثم عزل كلوزيل عن سخط من دولته ولحق بفرنسا وتولى الجنرال تريزين وتعين الجنرال بويه حاكماً على وهران و بوصوله اليها رجع التونسي الى اهله فعلم العرب ان اشاعة التونسي تحض سياسة من الفرنساويين لتفريق الاتحاد فكفوا عن الاتراك وسالموهم ورجع الامر الى ما كان عليه من الاتحاد وجمع الكلمة على الجهاد وكان ابن ابي مزراك بلغه ان كلوزيل اشخص والده الى الابسكندرية منفياً فثار في محله من تيطرى ودعا الناس الى الجهاد وجمع الجيوش رنازل المديّة وضيق على ادائها فطار الخبر الى الجنرال برتزين فسير جيشاً لانتقاذ عاملهم مصطفى بن عمر فعرض لهم ابن ابي مزراك باقرب من البلد وناوشهم القتال ثم تمكنوا من دخولها واقلبوا بعاملهم وحاميتهم راجعين الى الجزائر ولما احتلوا بضائق جبال موزايه احاطت بهم جموع القبائل تحت راية ابن ابي مزراك والتحم الزريقان واستمر القتال في حال سيرهم واقامتهم الى قرب الجزائر ووقع الفشل في عساكر فرنسا نقتل اكثرهم وانتبعت اثقالمهم ولم يصل الى الجزائر الا القليل منهم ثم ارتدّ ابن ابي مزراك بمجدوعه الى المديّة فاستولى عليها واستمر فيها الى ان استولى عليها سيدي الوالد رحمه الله وكانت هذه الواقعة نزلاً للجنرال تريزين في داخلية الجزائر وفي تلك الايام ظهر الحاج علي بن السعدي في جبال زواوه ودعاهم الى الجهاد واجتمعت كلمتهم عليه وكان الجنرال برتزين بعد واقعة المديّة جمع اعيان الجزائر وامرهم ان يختاروا منهم من يصلح للولاية على العرب والبربر في داخلية البلاد ويكون واسطة في ميلهم الى طاعة فرنسا فوقع اختيارهم على السيد محي الدين بن السيد علي مبارك لشهرته في تلك النواحي فولاه الجنرال ولقبه آغّة العرب على اصطلاح الحكومة الجزائرية

فخرج الى قريته القليعة على مسافة قريبة من الجزائر وبث رسله في انقبائل يدعوهم الى الطاعة وبينما هو كذلك اذ عصفت ريح ابن السعدي وشاع الخمداره من جبال زواوه الى سهل متيجيه فاضطرب امر الآغا ولم يسه له الا اتباع السعدي فتوجه اليه بمن معه من القبائل واتخذها يداً عنده فاکرم نزله ثم زحف ابن السعدي بجموعه الى الجزائر وخيم بوادي الكرمه على مسافة ساعين منها وعاش جيشه في اطرافها واضطرب الجنرال برتزين ثم خرج بجنوده اليهم فوقع بهم اولاً ثم رجعت الكرة عليه فانهمزمت جيوشه وارتدوا على ادبارهم واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون الى ان دخلوا الى المدينة وامتلأت ايدي الناس بالاسلاب والمهمات ورجعوا الى وادي الكرمه ثم زحفوا على المدينة ووصلوا الى باب عزون احد ابوابها فقام الجنرال عن اللقاء فانقلبوا راجعين الى اوطانهم تحت راية ابن السعدي ثم اخذ الجنرال تريزين يلاطف في استمالة انقبائل بما امكنه وظهر الاغضاء عما وقع منهم فجنحوا للهادنة معه وقدموا الآغا السيد نجي الدين ابن السيد علي مبارك في عقدها فدخل الجزائر وعقدها مع الجنرال ثم رجع الى القليعة وانفتحت ابواب الجزائر للوارد والصادر من انقبائل المجاورة لما ثم عزل الجنرال تريزين سنة سبع واربعين ومائتين والاف هجرية واثنين وثلاثين وثمانمائة والاف ميلادية وتولى الجنرال الدوك دي روفينو واحضر معه ستة عشر الف جندي لردع القبائل وحملهم على الطاعة ولما علم ان هذه السياسة لا تجديه تنعاً عدل عن التعسف الى التلطف واقام مدة على ذلك ثم ان فرحات شيخ بلد بسكرة وما يليها من ايلة قسنطينية اظلم الجوى به وبين صاحبها الحاج احمد باي نزع الى الفرنسيين واوفد جماعة من اقاربه الى الجنرال الدوك دوفينو فتلقاهم بالاكرام وتقبل طاعة شيخهم ثم انقلبوا الى شيخهم بانواع الهدايا الثينة ولما وصلوا الى طرف سهل متيجيه انقض عليهم جيش من قبائل الجبل فاستنفوا ما معهم واتد الوفد راجعاً الى الجزائر فعظم ذلك عند الجنرال وبعد ان وقف على من فعل ذلك في ايام الهدنة حمله الغضب على الانتقام منهم فاغزاهم قائد جيوشه فمجهم وقتل من لحق به منهم واخذ شيخهم اسيراً الى الجزائر وبوصوله اشهروا قتله في السوق وشاع خبر هذه الواقعة فاستكبرها الناس وحسبوها نقضاً للهدنة من حاكم الجزائر فعادوا لما كانوا عليه من شن الغارات على ضواحي الجزائر والتعرض للوارد اليها والصادر وتحرك ابن السعدي بعد سكونه ونادى في تلك الجهات بالجهاد وقامت الحروب

بين جموع المسلمين وجيوش فرنسا ووقعت بينهم عدة وقائع كانت الحروب فيها سجالاً ولما استمر القتل في اهل متيجه دخل الكثير منهم في طاعة فرنسا وارتحلوا الى قرب الجزائر وترفع الباقون الى الجبال واخذ الناس حذرهم وعلموا ان الفرنسيين لا يكثرثون بنقض العهود ولا يعبثون بالوفاء بها وهذه الحوادث كلها في ايالة الجزائر وايالة تيطري واما ايالة وهران فلم تنقطع الحروب فيها مع حاكمها منذ دخلها جيش فرنسا ثم ان آفة العرب لما رأى ان الامر تفاقم بين حاكم الجزائر والقبائل اهل داخلتها وعلم انه لا طاقة له بتلافي ذلك ارتحل من القليعة ولحق بجبال بني مناد ولم يزل مقيماً بين ظهرائهم الى ان ظهر امر سيدي الوالد في ايالة وهران وتمشت له الطاعة الى ايالة تيطري فبادر الى الدخول في طاعته واما السيد الحاج علي بن السعدي فانه لما احس من تنسه الكبر ولحقه الضعف والتجبر ترك جبال زواوه ولحق سيدي الوالد في معسكره ولم يزل مشغولاً بعبادة الله تعالى الى ان قضى نحبه وفي اثني عشر مايو سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة عرض للجنرال الدوك دي روفينو مرض الجأء الى الرجوع الى فرنسا وخلفه الجنرال افيزار موقناً وفي ايامه تشكل انقلم العربي في دوائر اقسام الحكومة وتعين له الملازم لامورسير وكان يكتب الخط العربي ثم ترقى في المناصب الى ان صار جنرالاً واشتهر في وطن الجزائر بابي مراوة وفي اول ابريل عزل الجنرال افيزار وتولى الجنرال قرارول وتمكن من مهادنة القبائل في ايالة الجزائر واسنولى الفرنسيين على بسائط متيجة وسهولها وتوسعوا في مسارحها وقد انتهي الكلام على الحوادث الاولى للفرنسيين في الجزائر

ذكر حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر

اعلم ان الجزائر لما دخلت في حوزة الدولة العلية وانتظمت في ملك ممالكها ايام السلطان الغازي ياووز سليم خان على يد عروج باربروس الاول واخيه خير الدين باربروس الثاني اقامت الحكومة فيها لحماية البلاد وحفظ حقوق العباد وجرى حكمها حكم ممالك الدولة العلية لعهد السلطان احمد خان الثالث وفيه احست الحكومة بالقوة فاستبدت في احكامها وقد كان نفوذها مع استبدادها قاصراً لا يمتد الى المدن والقرى واما الجبال وظواغن العرب في البادية فان لهم ادارة تخصهم موكل امرها الى زعمائهم ولما كانت الحكومة غير قادرة على تنظيمهم في سلك الطاعة

القت بينهم دسائس العداوة والبغضاء فتفرقت كبتهم وضعت شوكتهم وبهذا كان استحوادها عليهم وهذه السياسة من اكبر الوسائل التي نتوصل بها الامة القليلة الاجنبية الى الاستيلاء على الامة الكثيرة الوطنية كما قيل (فرق واحكم) ولما استولى الفرنسيين على مدينتي الجزائر ووهران وتمكن منهما تفرق الناس فرقا وسلكوا من الخلاف طرقا وفسد السبل ولا يغرو فان سكانها عرب وبربر مختلفو الطبع والمعتقد ومن شان اهل البادية اثارة النتن لينهيا لهم ما اعتادوا عليه من الغزو لتعيشهم فترى كل فريق يترصده فرصة الوثوب على مقابله لا سيما وقد كانت الحكومة الجزائرية احكمت عرى هذه الضغائن بينهم ولما آل الامر الي ما آل اليه ازداد هيجانهم وسرى داعي الانتقام في نفوس العامة وصار كل من له ثار يحاول الاخذ به فطوي لذلك بساط الامن ووقف دولاب التجارة وتعطلت الزراعة فانهز العدو الفرصة واكثر من شدة الغارات على الضواحي ولما اشتد الامر وكثر القتل وعظم الكرب تداعى اهل العقد والحل من الاشراف والعلماء والاعيان للنظر في من اجتمعت فيه شروط الامارة ليبياعوه فيجمع كبتهم ويقوم بشؤونهم وحيث ان سيدي الجدد كان ممن اجتمعت فيه الشروط على الوجه الاكل وكان اعصف القوم ربحا وابعدهم صينا وانفذهم كلمة اجتمع الناس اليه وراودوه على الامارة فاعتذر اليهم بكبر سنه فاوندوا جماعة من اعيانهم الى صاحب المغرب الاقصى لاتصال بلادهم ببلاده فاكرم وفادتهم وعقد لابن عمه علي بن سليمان على امارة المغرب الاوسط وبعثه معهم فلقية الناس بالطاعة واذعنوا له وسارت خيله في البلاد الى مليانه شرقا وبث العمال وجبي الاموال فلم يحل هذا الصنيع في نظردولة فرنسا لمنافاته لمقصودها ولم تغافل عنه وبعثت الى سفيرها بطانجة ان يقدم على النور من قبلها التنبهات المشددة الى سلطان المغرب وينذره بعداوة دولته ويتهدده بالحرب ان لم يرفع ابن عمه عن البلاد فاخذ الرعب منه كل مأخذ واسترجع ابن عمه بعد ان اقسام بتلسان نحو السنة اشهر وترك احوال المغرب الاوسط على ما كانت عليه من الاضطراب وتسلط الغوغاء فاجتمع اعيانه ورنهوا شكايتهم الى سيدي الجدد مرة ثانية والحوا عليه في قبول بيعتهم له على الامارة والجهاد فابى قبول الامارة وقبل القيام بالمر الجهاد فرضي انقوم بذلك لما فيه من تشاغل الغوغاء والسفلة عن الفساد واخذت الحشود من ذلك اليوم ترد على حضرته في القيطينة فكان ينهض بهم الى وهران فينازلها ويأخذ بتخفيفها وجرت بينه وبين حاكها الجنرال بويه حروب ظهر فيها من

اقدام سيدي الوالد وثجاعته وحسن سياسته ما قيد الابصار عليه ورشحه للامارة وجعله حرياً بها واستمر سيدي الجدد مواظباً على الجهاد بعزم لا يردده راد ولا يصده عنه صاد وله فيه وقائع كثيرة اعظمها واقعتا خنق النطاح وواقعة برج راس العين

﴿ ذكر واقعة خنق النطاح الاولى ﴾

في اواخر ذي الحجة سنة سبع واربعين ومائتين والتاسع والعشرين من ماية سنة اثنتين وثلاثين جهز سيدي الجدد سرية عقد عليها للسيد عبد القادر بن زيان الزياتي وبعثه لاستكشاف احوال العدو بوهران فلما قرب منها تراءى له العدو معسكراً في ساحتها بالموضع المعروف بخنق النطاح فاقام يراقب حركاته وطير الخبر الى سيدي الجدد فنهض من القيطينة وخيم بوادي سيك وارسل في الجبلت ينادي بالجهاد وبعد ان تلاحق اناس به سار بهم الى ساحة وهران وخيم بالقرب من العدو وبات المسلمون يوقدون النار على اللال المطلة على البلد وفي صبيحتها زحف كل من الفريقين الى الآخر ودارت بينهما رحى الحرب واشتد البأس وكثرت القتلى من الفريقين وكان سيدي الوالد بين الصفوف يحرض المسلمين على الثبات ويأمرهم بالتقدم فتحامل عليه احد فرسان العدو برتحة فمرت في خلو الابط الايسر فشد عليها بعذده وهوى بسيفه على الفارس فقدمه نصفين ولما تولى النهار وقعت الهزيمة في عسكر الفرنسيين فولوا مدبرين واتبعهم المسلمون الى الابواب وامتلأت الايدي من اسلابهم وذخائرهم وفي هذا اليوم طعن فرس سيدي الوالد وكان اشقر اللون ثمان طعنات بحربات العدو ثم رماه احدى بالرصاص في راسه فوقع به ولم يبال بذلك بل استقل واقفاً وثبت في مركزه الى ان قدم اليه اتباعه غيره فركبه واستمر على القتال الى ان انتصر المسلمون على عدوهم وقد اشار لذلك سيدي الوالد في مقصورته بقوله

واشقر تحتي كلمته رماهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى

﴿ ونض المقصورة ﴾

توسد تبهد الامن قد مرت النوى * وزال اغوب السير من مشهد الثوى
وعرّ جباداً جاد بالنفس كرها * وقد اشرفت مما دعاها الى النوى
وكم قد جرت طلقاً بنا في غياهب * وخاضت بحار الآل من شدة الجوى

وكم من مفازات يضل بها القطا * قطعت بها والذئب من دولها عوى
 لذا قد غدت مثل القسي ضوامراً * وتلك سهام للعدى وقعها شوى
 الى ان بدت نيران اعلامنا لها * وما ضوه نيران الكرام له انزوا
 ولا سيما اهل السيادة مثلنا * بنو الشرف المحض المصون عن الهوى
 فقالت ايا ابن الراشدي لك الهنا * كفى فاترك التسيار واحمدوجى النوى
 الا يا ابن خلاد تطاولت للعلی * وبابنت ماواك الكريم وما حوى
 فمن اجل ذا قد شد في ربنا لها * عقلاً وناديناً لك العز قد ثوى
 وحل بكهف لا يرام جنباه * فمن حل فيه مثل من حل في طوى
 فانا اكليل الهداية والعلی * ومن نشر عليهم ذوي المجد قد طوى
 ونحن لنا دين ودنيا تجمعنا * ولا نغر الا ما لنا يرفع اللوا
 مناقب مختارية قادرية * تسامت وعباسية مجدها احتوى
 فان شئت علماً تلقني خير عالم * وفي الروع اخباري غدت توهن القوى
 لنا سفن ببحر الحديث به جرت * وخاضت فطاب الورد بمن به ارتوى
 وان رمت فقه الاصبحي فمع على * مجالسنا تشهد لداك العنا دوا
 وان شئت نخوفاً فالحنا تلق ماله * غدا يدعن البصري زهداً بنا روى
 وانا سقينا البيض في كل معرك * دماء العدى والسمراسعرت الجوى
 الم تر في خنق النطاح نطاحنا * غداة الثقيناكم شجاع لها لوى
 وكم هامة ذاك النهار قد دتها * بجد حسامي والقنا طعنه شوى
 واشقر تحتي كلمته رماحهم * مراراً ولم يشك الجوى بل وما التوى
 يوم قضائنا اخي فارنقى الى * جنان له فيها نبي الرضى اوى
 فما ارتد من وقع السهام عنانه * الى ان اتاه الفوز يرغم من عوى
 ومن بينهم حملته حين قد قضى * وكم رمية كالنجم من افقه هوى
 ويوم قضى تحتي جواد برمية * وبني احدقوا لولا اولو البأس والقوى
 واسيافاً قد جردت من جنونها * وردت اليها بعد وردٍ لقد روى
 ولما بدا قرني يميناه حربة * وكفى بها نار بها الكيش يشتوى
 فايقن اني قابض الروح فانكفا * يولى فوافاء حسامي مذ هوى
 شددت عليهم شدة هاشمية * وقد وردوا ورد المنايا على الغوى
 نزلت ببرج العين نزلة ضيغم * فزادوا بها حزناً وعمهم الجوى

وما زلت ارميهم بكل مهند * وكل جواد همه الكثر لا الشوى
 وذا دابنا فيه الحياة لدينا * وروح جهاد بعدما غصنه ذوى
 جزى الله عنا كل شهم غدت به * غريس لها فضل اتانا وما انزوى
 فكم اضرمو نار الوغي بالطبى معي * وصالوا وجالوا والقلوب لها اشتوا
 وانا بنو الحرب العوان بها لنا * سرور اذا قامت وشائنا عوى
 لذاك عروس الملك كانت خطيبي * كفجأة موسى بالنبوة في طوى
 وقد علمتني خير كفوء لوصاها * وكم رد عنها خاطب بالهوى هوى
 فواصلتها بكرًا لديّ تبرجت * ولي اذعنت والمعتدي بالنوى ثوى
 وقد سرت فيهم سيرة عمرية * واسقيت ظامها الهداية فارتوى
 واني لارجو ان اكون انا الذي * ينير الدياجي بالسنا بعد ما لوى
 بجاه ختام المرسلين محمد * اجل نبي كل مكرمة حوى
 عليه صلاة الله ثم سلامه * وآل وصحب ما سرى الركب للوى
 وما قال بعد السير والجد منشد * ترصد بهد الأمن قد مرت النوى
 وفي اليوم الثاني قفل سيدي الجد ببيوشه الى وادي سيك واقام ايامًا ثم ارتحل
 الى القيطينة واذن للناس في الرجوع الى اوطانهم ليستعدوا لملتها

❖ ذكر واقعة خنق النطاح الثانية ❖

وبعد ان استراح الناس من الواقعة الاولى اصدر الامر بالنزير الى وهران
 وعقد سيدي الجد اللواء لسيدي الوالد وتحلف هو لانحراف صحته فنهض الرالد
 الى وادي سيك وتلاحقت الجموع به ثم ارتحل الى عين الكرمة على مسافة قريبة
 من وهران وكان الجنرال بويه جاءه المدد من فرنسا وبلغه خبر الوالد فضرب معسكره
 في خنق النطاح وقسم جنده ثلاث فرق فرقتين للكفاح وفرقة للمحاماة واما الوالد
 فانه ارتحل من عين الكرمة وعسكر بازاء العدو وقسم جنوده خمس فرق فرقتين
 للقتال وفرقتين للدفاع وفرقة جعلها كمينًا وراء العدو ثم زحف اليه فالتقى الفريقان واذلم
 الجو بدخان البارود وعثير النقع فلم تطل المدة حتى كانت الدبرة على العدو فانكسرت
 ميمنته ووقعت الهزيمة في القلب فولوا مدبرين يطلبون ابواب البلد فلقبهم الكمين واستلعم
 أكثرهم ودخل الجنرال بويه الى البلد مغلولاً في شرذمة قليلة من جنده وفي هذا
 اليوم استشهد السيد احمد ابن عمنا السيد محمد وعيد وهو ابن خمس عشرة سنة بعد

ان ظهر من اقدامه وتجاهله على صفوف العدو ما اوقف العقول وادهشها وعندما وقع عن فرسه ميتاً بين الصفوف هجم الولد في طائفة من وجوه الابطال جعلهم ردة له ففرق صفوف العدو واحتمل ابن اخيه من بينهم فحجب الاعداء لهذه الحملة واعتقدوا ان القتل امير فجمعوا حولهم وقوتهم على ان يمنخوا عنه الهاجين ففشلوا وكان هذا الولد الشهيد من اعز اقارب الوالد اليه لحسن هديه ونجابهته واستشهد في هذه الصدمة من الاعيان نحو المائة ومن الغد قفل الوالد بجيوشه المظفرة الى حضرة سيدي الجد فاعطاهم الدستور الى اوطانهم

﴿ ذكر واقعة برج راس العين ﴾

ولما انهزم الجنرال بويه واستسلم اكثر جنده بعث صريحه الى حاكم الجزائر فامده بالجند والذخيرة ثم ضرب معسكره فيما بين البلد وبرج راس العين في الجهة الغربية من وهران وبلغ الخبر الى سيدي الجد فاخذ يتأهب للحرب وبعث اوامره الى النواحي من عرب و بربر يدعوم الى الجهاد ويخبرهم ان العدو عسكر خارج وهران في غاية مما امكنه من الاستعداد فجاء الناس الى حضرته ارسالاً وانتهى اليه ان العدو عامل على مباغتته فبعث العيون يراقبون حركاته ثم خرج من حضرته القيطينة الى وادي سيك حسب عادته وارتحل منه وعقد اللواء لسيدي الوالد فواصل سيره الى ان اطل على وهران بمنوده وباتوا ليلتهم تلك يوقدون النيران في جميع انحاء البلد معلنين بالتبليغ والتكبير فسقط في يد الجنرال بويه وفاته ما كان اخمره من اخذ المسلمين بغتة ومن الغد عي الوالد كتابه وجعل كل قبيلة على حدتها وعين عليها قائداً منها وامر الجيوش بالزحف الى العدو فتقدموا حتى انتهوا الى البرج فانزل المشاة الى الخندق المحيط به الممتد الى البلد ورتب طائفة من الفرسان لحماية المشاة من مهاجمة العدو وباقي الجموع حملت على معسكر الجنرال وانتشبت الحرب واضطربت نارها واخذ العدو يرسل قنابله على جيوش المسلمين كالطر فلا يزيدهم ذلك الا شدة وتقدماً واشتد القتال وجعل الوالد يتردد بين المشاة والفرسان وسائر صفوف المسلمين يحرضهم على الثبات والصبر في مجال الموت ويذكركم بايام الله وبينما هو كذلك اذ عدا عليه احد فرسان العدو بسيفه فحاد عن سرجه فوقعت الضربة على الفرس فوقع ميتاً لحينه فركب غيره واستمر على ما كان عليه من التحريض وبلغه ان المشاة فرغت ايديهم من الفشك فاسرع اليهم بما يكفيهم منه يومهم ذلك ولم يبال في ذهابه وايابه بقنابل

العدو للمتصلة وصواعقه المتتابعة من البرج والبلد وظهر من شجاعته في ذلك اليوم ما
اشتهر في اقطار المغرب. واتصل القتال بين الفريقين الى الليل فبات المسلمون في
مراكزهم وانسل العدو ليلاً فدخل البلد وانحجر فيها واقام سيدي الوالد محاصراً له
شهرًا كاملاً ثم اقلع عنه لامور عرضت له

❖ ذكر البيعة الاولى لسيدي الوالد ❖

لما طال على اهل الوطن الامد وتوالى عليهم فيما بينهم الكرب والنكد وتسلب
على بلادهم العدو ومنعهم القرار والهدوء فتارة كانوا يدافعونه عن البلاد وآونة كان
يقع بينهم الفساد والحرب والجلاد وسطا القوي على الضعيف وتطاول اللثيم على
الشريف اجتمع الاشراف والعلماء واعيان القبائل من العرب والبربر وقدموا على
حضرة سيدي الجدد والزموه ان يقبل بيعتهم على الامارة لنفسه اولولده سيدي الوالد
وحاجوه في ذلك بما اعجزه عن الاعتذار فاهم عن النظر في هذا الامر فرأى ان الاهتمام
به واجب وتعين عليه شرعاً ان يقوم به لانه مسموع الكلمة نافذ الامر غير انه
لما كان عاجزاً عن القيام باعبائه ورأى ان ولده المنوه به قد بلغ اشدّه وارهف
حده وترشح للامارة وتاهل لها واسنكات فيه شروطها من المدى وعلو المهمة وقوة
الحواس وكمال الخلق وجمال الصورة وشرف النسب وعزة القوم والقوة والفتوة والعلم
والحلم والحماسة والسماحة والعزم والحزم والتحفظ والالتقاء والارتقاء الى غير
ذلك من افراد الفواضل والفضائل ومكارم الاخلاق وتحاسنها

لولا عجائب صنع الله ما ثبتت * تلك الفضائل في لحم ولا عصب

وعلم انه لامندوحة له عن الاجابة والقبول اما له اولولده فحينئذ اتخار الله تعالى
وقدم ولده للامارة ومدافعة اهل الشرك متوكلاً في نصره وتأييده على مالك الملك
فذهبت البشائر بذلك في اقطار الوطن وعمت اثناءه واحيائه وقبل سيدي الوالد
ما انشرح اليه صدر والده من امارته قائلاً انالما انالها فكان قبوله لها دليلاً على
اقبالها وتلقيها بحول الله وقوته اصل استقبالها قد ادبرها الله له في الازل ودياً
لها ثم ابرزه للقيام بها عند حلول الاجل وتباشر الناس لذلك لما راوا من اقدامه
للزحف واتحامه الصف بعد الصف وشاهدوا فيه من الصفات العلية والنعوت السنية
فاجتمع اشرافهم وعلمائهم واعيانهم وتداعي صغيرهم وكبيرهم وخيموا بوادي فروحة من
غريس عند شجرة الدردارة وهي شجرة عظيمة كانوا يجتمعون اليها للشورى بينهم

وجاء سيدي الجدد في بنيه واقاربه وذويه ولما تلاحق الناس الذين يعتد بحضورهم للبيعة وجلس سيدي الوالد تحت الشجرة قام والده فبايعه على السمع والطاعة ودعا له ثم لقبه ناصر الدين وقام عمه سيدي الجدد لأنى السيد على ابي طالب وبايعه وكذا الاخوة وسائر القرابة ثم الاشراف والعلماء والاعيان والرؤساء على حسب مراتبهم وطبقاتهم بايعوه على ما بايعه عليه والده ولا يخفى ما في وقوع هذه البيعة تحت الشجرة من الاتناق الغريب وما فيه من الاشارة الى متابعة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتفاء اثره في بيعة الرضوان التي نوه الله تعالى بذكرها وعظم قدرها في القرآن بقوله لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال المنسرون هي شجرة ام غيلان وكان صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية نازلاً تحتها يستظل بها فبايعه المؤمنون على الموت كما قاله سلمة بن الاكوع واول من بايعه على ذلك ابو سنان الاسدي رضى الله عنه وبايع الناس على بيعة ابي سنان روي ذلك الطبراني عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما وهذه البيعة كانت سنة ست من الهجرة وبعد ان انتهت البيعة لسيدى الوالد ركب سيدي الجدد الى مدينة ميسكر حاضرة الامارة ولما ان دخلها وجد السرور والبشر قد عم عامة اهليها وقد طالع على اهل الصلاح فجراً صادقاً وعلى اهل البغي والفساد نجماً طارقاً فقبل وجه الصالحين وابقنوا بصلاح الحال وتكدر عيش المنسدين وابقنوا بالوبال في الحال وفي المال ثم اقبل الامير بعده في جموعه وكانت زهاء عشرة آلاف فارس فبرز اهل البلد احتشالاً به واستقبلوه في الموضع المعروف بخصيبه على مسافة نصف ساعة منها مظاهرين للطاعة وشعائرها فاقبل عليهم ببشره وابتسامه قبل كلامه وبعد ان تناول من طعامهم الذي كانوا اعدوه لحضرته دعا لهم وحثهم على الطاعة والتزام الجماعة ثم ركب ليدخل البلد فاطلقت المدافع وغردت الموسيقىات بما يطرب المسامع ونشرت الرايات والاعلام وبرزت المخدرات من القصور ثني على الايام فدخلها على احسن حال واتم منوال ونزل في دار الحكومة فجلس على كرسيه ودخل عليه اهل البلد ومن لم يشهد بيعة غديس افواجاً افواجاً لاداء البيعة ثم قام فدخل داره وخير والدتي فقال ان اردت ان تبقي معي من غير التفات الى طالب حتى فلك ذلك وان ايت الـ ان تطابي حقك فامرك بيدك لاني قد تحملت ما يشغلني عنك ثم خرج الى المسجد الجامع فصى الظاهر بالناس ثم خطب عليهم خطبة مبتكرة طويلة تمحوي على وعظ ووعد ووعيد وامر ونهي وحث على الجهاد وبعد الانصراف منه انقرد افاضل العلماء

لتهجير صك البيعة فكتبه في تجلسهم العالم الجليل السيد محمد بن عبد القادر
 الشهير بابن آمنة خال الامير ونصه بحروفه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا
 محمد الذي لانبي بعده الحمد لله الذي جعل نصب الامام من معات الدين لتعان به
 النفوس والاموال وتجتمع كلمة المسلمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله
 واصحابه اجمعين وبعد فقد قال صلى الله عليه وسلم ان الله يجمعى بالسلطان ما لا يجمي
 بالقرآن هذا في الزمان الذي فاض فيه العدل ونضب فيه الجهل فما بالك بزماننا الذي
 كثر فيه الباطل وانتشر وخفي فيه الحق ولم يظهر له اثر حتى ان اعداء الله الكافرين
 ملكوا كثيراً من بلاد الاسلام وتشتت الكلمة واختل النظام ولم يجد الناس لقتالهم
 سبيلاً ولا من يكون لجهاد دليلاً فاجتأوا الى الله تعالى وسألوه ان ييسر لهم من يقوم
 بامر دينهم فما وجدوا من تنفق عليه كلمة اهل الحل والعقد سوى السيد محيي الدين
 ابن مصطفى بن المختار كماله وكثرة ما عنده من الاعوان والانصار فطلبوا منه ان
 يبايعوه على السمع والطاعة فاعتذر اليهم بكبر سنه وبعد زمان طويل تكرر فيه طلبهم
 مرات ووقع الحاحهم تارات ورأى ان النظر في هذا الامر قد تعين عليه واتاه بعض
 علماء غريس وهو من الصالحين فقال له ان اولياء الله تعالى قد اتفقوا على نزع
 ولدك عبد القادر لنصر دين الله ورأى ان ولده مستعد لهذا الامر فحيث وافقهم
 على نزعته ونصرته لكونه ذا حزم وعزم وشجاعة وعقل سليم وذات سليمة صالحاً لتنفيذ
 الاحكام فاجتمع اهل الحل والعقد وبايعوه من غير طلب منه للامارة ولا متابعة
 للنفس الامارة بل بايعوه رغاً عليه وطلبوا والده بالله تعالى وتوسلوا اليه برسول الله
 صلى الله عليه وسلم مدة تريد على سنتين فوافقهم على بيعة ولده تطيبها لخواطرم ورعاية
 لرفع الظلم عن الضعيف ودفعاً للفساد والتعنيف فحضر للبيعة جميع اهل غريس الحشم
 شرقي وغربي وعباسي وخالدي وابراهيمى وحسانى وعوفى وجعفرى وبرجى وشقرانى
 وغيرهم كبني السيد دحو وبني السيد احمد بن علي والزلامطه ومغراوه وخلويه والمشارف
 وكافة اهل وادي الحمام واعلنوا جميعاً بطاعته ونصرته والرعاية له بحيث انهم يحمونه
 بما يحمون به انفسهم واموالهم وان ينصروه نصراً مؤزراً واتفق علماء الاقليم على
 بيعته وطاعته ولم يخالف منهم احد وهم في حان طوعهم واختيارهم وفرحوا به اشد
 الفرح نظراً لما كانوا عليه من الضيق والتريح وكل من سمع به من اهل الآفاق
 يزداد فيه رغبة وذلك لعلمهم بقوة عقله وشدة نبذته وصلاح رايه فعلى من بايع ان
 يبذل جهده في نصرته وعنده لقول الصادق الامين الدين النصيحة لله ولرسوله

ولائمة المسلمين ومن نكت نائما ينكت على نفسه حضر ما ذكر من العلماء والاشراف
 السيد الاعرج والسيد محمد بن حوّا بن يخلف واخوته والسيد محمد بن النعالي والسيد
 عبد الرحمن بن حسن الدحاوي واخوته والسيد محمد بن عبدالله ابن الشيخ المشرفي
 وقربته وكافة اولاد السيد احمد بن علي حاصله جميع علماء غريس واشرافه حضروا
 لهذه البيعة الميمونة ورضوا بها وحضرها كاتبه محمد بن عبد القادر عامله الله باطفه
 في الباطن والظاهر في الثالث من رجب الفرد سنة ثمان واربعين ومائتين والف
 هجرية الموانق للسابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة وانف ميلادية
 ثم كتب جماعة من اعيان العلماء المشاهير على هذا الصك ما يؤذن بحضورهم للبيعة
 وشهادتهم بها على انفسهم وعلى سائر من حضرها فكتب العلامة سيدي الجدي للام
 عم الامير شقيق والده السيد علي ابي طالب بن مصطفى بن المختار ما نصه الحمد
 لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله بعد انعقاد البيعة للامام المعظم والامير الجليل
 المفخم ابن اخينا السيد عبد انقادر بن يحيى الدين احيا الله بهما الدين واعانهما
 على القيام بامور اهلهم ودمر بهما الكفرة اولى العناد واهلك بسطوتهما اهل البغي
 والفساد بايعناه على السمع والطاعة وامثال الامرو لو في ولد الواحد منا او نفسه وقدمنا نفسه على
 انفسنا وحقه على حقوقنا واني اوصيه بنقوى الله وطاعته في السر والعلانية والوقوف
 عند الحدود الشرعية وردّ مسائل الشرع اليه وبتشديده عن ساعد الجد في قطاع
 شافة شياطين الانس اهل الاذابة كالمخاربين وقطاع السبل واهل الغيلة والسرقة
 وغيرهم من هذا القبيل ليم بذلك امره وينفخ به تايدته ونصره وتشرق شمس الحق
 على انقلب وتطدثن بخدمته وطاعته الافكار ويسارع المؤمنون الى الاتقياد والاذعان
 لنكليفه واوامره اللهم ايده وانصره نصراً تعزبه الدين والحق النقوى في قلبه وقوة
 اليقين بجاه سيد الاولين والآخرين وحي به ما دثر من احكام الخلفاء الراشدين
 يامالك الدين والدنيا والآخرة وادم سرورنا وسرور جميع اهل محبته ومحبتنا واتم لنا المقصود
 بنا ينقطع به قلب الجحود آمين كتبه علي بن المصطفى وكتب العلامة السيد ابن
 عبدالله بن الشيخ المشرفي ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
 وسلم بعد انعقاد البيعة للعالم النبيه الصدر الوجه النازم الناثر ابي محمد السيد عبد القادر
 ابن عند الملة والدين شيخنا السيد محي الدين ابن شمس الكمال شيخ مشائخنا واسلافنا
 ابي عبدالله السيد مصطفى بن المختار من اهل الحل والعقد والامضاء والردّ ممن
 ذكر اعلاه واطلعنا على ما اتفق عليه السواد الاعظم وبه فاه لم يسعنا الا الموافقة

عليه والجنوح لما استندوا اليه فآله يلهمه رشده ولا يمنعه رفرده وان ينصر به الدين الحنيفي ويظهر به من اموره كل خفي وان يصلح به وعلى يديه وان يجنبه راي المفسد والسفيه واوصيه بتقوى الله في علانيته وسره ونجواه ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله قاله بضمه ورقه بقلمه كاتبه عن عجل وانقلاب في وجل ابن عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسيني عننا الله عنه وكتب العلامة السيد احمد بن التهامي ما نصه الحمد لله لما فتح الله للمسلمين ابوابه ويسر لخير اسبابه باجابة الولي الصالح والقطب السالك الناجح شيخ اهل الفضل والدين مولانا السيد محيي الدين لما طلبه منه المسلمون من تقديم ابنه الناسك الانجد العلامة الاسعد على الايالة الغريبة وما انضاف اليها من الايالات فاجتمع من له اتصاف بالحل والعقد على نصرة السيد المذكور ومبايعته مدعنين متلقين تلك البيعة بالفرح والسرور نعقد له البيعة جميع من له دخول في تدبير الامور من عالم ومقري وشريف ورئيس من اي ناحية من اهل الراشدية وغيرها فبذلك ثبتت له البيعة الملكية على الخاص والعام يا امرؤ وينمي فلا يسقط من امره ونهيه ادنى شيء فعليه بتقوى الله فيما تولاه وهو ناصره ومعينه على ما اولاه وكان من جملة مبايعيه الفقير كاتبه احمد بن التهامي الحسيني وكتب العلامة الاوحد السيد محمد بن حوا الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً ولما فسد الزمان وضاعت بالمساكين الاركان من كثرة النهب وقلة الامان ولم يجدوا من يصلح بامور المسلمين من الاعيان سوى من ذكر فاتفقت كلمة المعتبرين من اهل الوطن على البيعة للسيد المذكور بالاعلاء وانا عبد الله من جملة من اتفق معهم على ذلك فنسال الله الغني الكريم الوهاب ان يسدده في جميع افعاله وان يهد له البلاد ويصلح به الفساد ويهدي لطاعته العباد كتبه محمد ابن حوا وكتب العلامة السيد بالمختار بن عبد الرحمن بن روكش ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وعلى ما تضمنته رسوم العلماء في بيعة الامام المذكور وافق الموافقة التامة كاتبه بالمختار ابن عبد الرحمن بن روكش وبعد ان تم امر البيعة امر الامير تجلس العلماء ان يكتبوا رؤساء القبائل في اطراف البلاد بامر البيعة وما وقع عليه الاتفاق وان يحضروا في الحضور لاداء بيعتهم كما اداها غيرهم فكتبوا ما نصه الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم اما بعد فاعلموا معاشر العرب والبربر ان الامارة الاسلامية والقيام بشعائر الملة المحمدية قد آل امرها الآن الى ناصر الدين السيد عبد القادر بن محيي الدين وجرت مبايعته

على ذلك من العلماء والاشراف والاعيان في معسكر وصار أميراً لنا ومتكفلاً بإقامة الحدود الشرعية وهو لا يقتني آثار غيره ولا يحدو حدوم ولا يخص لذاته مصاريف زائدة على الحاجة كما كان الغير يفعله ولا يكلف الرعية شيئاً لم تامر به الشريعة المطهرة ولا يصرف شيئاً الا بوجه الحق وقد نشر راية الجهاد وشمر عن ساعد الجند لنزع العباد وعمران البلاد فمن سمع النداء فعليه بالسعي لتقديم الطاعة واداء البيعة لامام منكم فاعلموا ذلك وبادروا لامثاله ولا تشقوا العصا ويذهب بكم الخلاف الى ما لا خير لكم فيه دنيا واخرى حرر في معسكر من تجلس العلماء في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والالف * وعلى نحو هذا صدرت اوامر الامير الى سائر القبائل العربية والبربرية ونصها الحمد لله الى قبيلة كذا خصوصاً اشرافها وعلمائها واعيانها وفقكم الله وسدد اموركم وبعد فان اهل معسكر وغريس الشرقي والغربي ومن جاورهم واتحد بهم قد اجمعوا على مبايعتي وبايعوني على ان اكون اميراً عليهم وعاهدوني على السمع والطاعة في السر والعسر وعلى بذل انفسهم واولادهم واموالهم في اداء كلمة الله وقد قبلت بيعتهم وطاعتهم كما انني قبلت هذا المنصب مع عدم ميلي اليه موءملاً ان يكون واسطة لجمع كلمة المسلمين ورفع النزاع والخصام من بينهم وتأمين السبل ومنع الاعمال المنافية للشريعة المطهرة وحماية البلاد من العدو واجراء الحق والعدل نحو انقوي والضعيف فلذلك ندعوك لتحدوا وتنفقوا جميعاً واعلموا ان غايي القصوى اتحاد الملة المحمدية والقيام بالشعائر الاحمدية وعلى الله الاتكالي في ذلك كله فاحضروا لدينا لتظهروا خضوعكم وتوعدوا بيعتكم وفقكم الله وارشدكم حرر عن امر ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين من معسكر في الثالث من رجب سنة ثمان واربعين ومائتين والالف وفي السابع والعشرين من نوفمبر سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة والالف ميلادية

﴿ ذكر البيعة الثانية العامة ﴾

لما شاع امر البيعة الاولى وذاع اقبلت الوفود تتري من القاصية الى الحضرة العلية رغبة في الطاعة وامثالاً للاوامر السامية المطاعة فاجتمع الطم والرم من جميع الآفاق ثم انعقد تجلس عام حضره الجمهور من الاشراف والعلماء والزؤساء من كل قبيل وفريق وجرى فيه عقد البيعة الثانية العامة بمحل العموم من قصر الامارة وهذا نص ما حرره العلامة الحجة الفهامة السيد محمود بن حوا المجاهري في ذلك اليوم وقراءه على رؤس

الاشهاد بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد النبي الطيب الكريم وعلى
 آله واصحابه ذوي الفضل العظيم حمداً لمن فضل امة محمد عليه السلام وخصها بمزايا لم
 يعطها احداً من الانام وجعلها خير امة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن
 المنكرات والارجاس هدام به الى مبيع الرشاد وطهرهم من عبادة الاوثان والانداد
 والاضداد وجعلهم الشهداء على من سواهم من الانام فشرف بذلك امرهم ورفع قدرهم وجعل
 اجماعهم حجة وسبيلهم اقوم حجة واوجب عليهم نصب امام عدل وفرض عليهم اتباعه
 في القول والفعل ليكف الظالم وينصر المظلوم ويحده شملهم بالخصوص والعموم ويكافئهم
 عدو الدين لتكون العليا كلمة المسلمين وصلاة وسلاماً علي من صدع بالحق ودعا الخلق الى
 القول بالصدق وجاهد في الله حق جهاده حتى استقام الموعج وآب عن فساد سيدنا
 ومولانا محمد اشرف رسول واكرم شافع مقبول صاحب المقام المحمود والحوض المورود
 وعلى آله واصحابه اهل وداده وسيوف جلاده الذين بذلوا انفسهم واموالهم في طاعته
 ونصرته واوضحوا شريعته وبينوا طريقته فغازوا بذلك اسنى المراتب ونالوا الدرجات العلى
 والمناصب فعم نجوم الاهتداء ومصابيح الاقتداء هذا ولما انقرضت الحكومة الجزائرية من
 سائر المغرب الاوسط واستولى العدو على مدينتي الجزائر ووهران اعادها الله دار ايمان
 واسلام بجاه انبي عليه السلام وطحت نفسه العاتية الى الاستيلاء على السهول والجبال
 والنفاد والتلال وصار الناس في مرج ورج وحيص ويص لا ناهي عن منكرو ولا من
 يعظ ويزجر قام من وفقهم الله للهداية وظهرت عليهم العناية من رؤساء القبائل وكبرائها
 وصناديدها وزعمائها فتفاوضوا في نصب امام يبايعونه على الكتاب والسنة يسمعون لامره
 وتهيء ويتابعونه في جميع احواله وجالوا في ميدان افكارهم فيمن هو لذلك اهل من ذوي
 الكمال والفضل فلم يجدوا لذلك المنصب البليل الا ذا النسب الطاهر والكمال الباهر راس
 الملة والدين قانع اعداء الله الكافرين ابا المكارم السيد عبد القادر ابن مولانا السيد
 تقي الدين ايد الله به الاسلام والمسلمين واحيي به ما اندرس من معالم الدين فبايعوه على
 كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق
 ايديهم تم قدمت على حضرة الوفود من سائر الجهات والحدود فبايعوا اولهم وآخرهم شريفهم
 ومشروفهم كبيرهم وصغيرهم بيعة تامة كاملة عامة بيعة مسمع وطاعة افراداً وجمعة بيعة عن
 وتعظيم وتبجيل وتكريم بيعة يعز الله بها الاسلام ويخذل بها الفجار الاثم ينعون عنه السوء
 بما ينعون به انفسهم وارلاهم واموالهم ويذلون في مرضاته ارواحهم واكبادهم ان امرهم
 سمعوا وان نهام خضعوا وخضعوا بطيعونه ما ساسهم بالشريعة الغراء وينصرونه في

السراء والضراء فمن وفي بيعته نال مسرته واثق مضرته ولاقي مبرته ومن نكث فانما ينكث على نفسه وخسر في يومه وامسه والله المسئول في هداية الخلق الى طريق الحق والرافة والرفق ولما ازدهت هذه البيعة بكاملها وطرزت بجلالها وجمالها كل سرورها وقتت بدررها بوزارة ابي المحاسن السيد محمد بن السيد العربي اقام الله به امر هذه الدولة السنية والامامة البهية ومن حضر هذه البيعة وباع وسمع لها وتابع من القبائل الشرقية والاحياء الغربية الوزير المذكور وبنو عمه وسائر العلماء والاعيان من معسكر وقعة هواره واحوازها كبني شقران وبني غدوا وسجراره وقبائل غريس واحيائه وغماره وعشائره واعيان القبائل الشرقية كالعطاف وسنجاس وبني القصير ومرابطي تجاجه وصبيح وبني خويدم وبني العباس وعكرمة والمحال وفليته والمكاحلية واحلافهم واعيان مجاهر والبرجية والدوائر والزماله والغرابه وكافة قبائل اليعقوبية من الجعافرة والحساسنه وبني خالد وبني ابراهيم ثم القبائل القبلية كاولاد شريف واولاد الاكرد وصدامه وخلافة وغيرهم ممن يطول ذكرهم من قبائل المغرب الاوسط وعماؤه وسهله ووعره ثم الكل بايعوا عن انفسهم وعن قبائلهم بالاذن العام من الخواص والعوام وقعت هذه البيعة العامة في ثلاثة عشر رمضان سنة ثمان واربعين ومائتين والالف وفي الرابع من فبراير سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كتبها خادما الشريعة السحاء محمد الشهير بابن حوا ثم بعد الفراغ من كتابة صك هذه البيعة وقراءته على العموم جلس الامير الوفود واقبل عليهم ونظر بعين الرضى والقبول اليهم وقبل منهم ما قدموه لاعتابه السامية من عتاق الخيل والسروج المثقلة والاسلحة الفاخرة وغيرها من انواع الهدايا النفيسة جرياً على عوائدهم مع الملوك قبله وخطب عليهم بما انشرفت له صدورهم وتضاعف به سرورهم ثم خلع عليهم وفرق فيهم الاموال وبالغ في اكرام كريمائهم واستمال قلوب لؤمائهم وظهر لهم من انواع اللطف ولين الجانب ما اخذ باسماهم وابصارهم ثم صرفهم الى اوطانهم فرحين بما آتاهم الله من فضله

* ذكر تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك *

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر اتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة فاستوزر محمد ابن العربي واستكتب ابن عمه السيد احمد بن علي ابني طالب والسيد الحاج مصطفى بن التهامي والسيد الحاج محمد الخروبي وعين لحجابه محمد بن علي الرحاوي وولى الحاج الجيلاني ابن فريجة ناظر خزينة المملكة ومحمد ابن فاخة

فاطر الخزينة الخاصة والحاج الطاهر ابو زيد ناظرًا على الاوقاف والسيد الحاج الجيلاني العلوي مأمورًا على الاعشار والزكاة بانواعها وعين لنظارة الامور الخارجية الحاج الميلود بن عراش ونظم الحاشية واقام كل فرد منها في مقام يخصه ورسم له اثرًا يقصه وبث العمال والقضاة في سائر الجهات ورتب تجلسًا للشورى يشتمل على احد عشر عضوًا من اجلة العلماء وجعل رآسته للعلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المراهي ودوّن الدواوين وطفق يرد على الناس ما اختلسه بعضهم من بعض وينصفهم مما وقع بينهم من انواع المظالم والتعديات ايام الفتنه ويهدم ما كانت الحكومة الجزائرية اسسته من المغارم والضرائب والعوائد فطار بذلك ذكره وانتشر في المغرب الاوسط امره واختار الامير مدينة معسكر لاقامته تأنيسًا لاهل غريس وتطيبًا لنفوسهم لانهم كانوا دغاة هذه الامارة وكانت منها حركته ونهضته وفيها اولًا قراره وبانجادهما كمل امره وايّنه اسه وعرايه

✽ ذكر خروج الامير لتهديد البلاد وما جرى بعد ذلك ✽

✽ من الحوادث ✽

بعد ان فرغ الامير من شؤنه ورسوم ملكه نبض من حضرته معسكر في شوال سنة مائتين وثمانية واربعين وفي فبراير سنة الف وثمانمائة واثنين وثلاثين ليختبر الاحوال ويتنقد الاعمال ويجمع شمل الاقوال بالانفال ويقيم من تحلف عن البيعة على الطاعة ويحمله على سلوك سبيل الجماعة والوطن اذ ذاك قريب العهد باختلال الحال فشمّر الامير عن ساعد جده واشهر سيف الحق وانتضاه من غمده ودوّن بلاد الربر وزناته وجال في مواضعهم وضبط الامور وجبى الاموال وعنا وعاقب وشافء وكاتب ثم انتقل راجعًا على الساحل يتوخى الثغور فانتفى الى مرفأ ارزيو وكان قاضيها احمد بن طاهر يراجع حاكم وهران ويدعوه الى الاستيلاء على المرسى المذكورة فقبض عليه الامير واشغفه الى معسكر فاعنقله بها واقبل على شأنه من ضبط الثغور وثقيفها فرتب الحامية وقرّر ذخائرها ثم ارتحل الى الحفيرة

✽ ذكر غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث ✽

ان قبيلة فليته تشتمل على بطون وعشائر عديدة من دابهم سلب النفوس والاموال وقطع السابلة من عهد الحكومة الجزائرية وبعد انقراضها اشتد عدوانهم

واتصل عيشتهم ولما آل الامر الى الامير رفع الناس امرهم الى اعتابه وطلبوا منه ان يقطع شافة فسادهم فاجابهم الى ذلك ونهض من الحضرة غب رجوعه من ارزيو ونزل بالبطحاء المعروفة الآن بهيرة ومنها اغزا السير اليهم يحدوء فصيحهم واكتسح اموالهم وشتت شملهم وجعلهم عبرة لغيرهم وبعد الفراغ من امرهم بالغه انتقاض قبائل عكرمة وبني مديان فسار اليهم وراسلهم في الرجوع الى الطاعة فلم يتثلوا واذهروا الشقاق فاغار عليهم واستولى على جميع موجوداتهم واعظم النكابة فيهم ثم استناموا له فامنهم ورد عليهم اموالهم وولى عليهم عمالاً وثق بهم وقفل راجعاً وغب دخوله الى الحضرة بالغه ان حاكم وهران اغار على قرية الدبه وهي في جنوب قلعة هواره ووقع باهلها واخذ عالمها السيد قدور الديبي اسيراً في امله وولده فنهض من فوره وكان العدو الى وهران مسرعاً فادركه الامير في الدار البيضاء قرب البلد وحمل عليه وكان قد قدم الاسرى والاثقال وضعفاء الجند الى ناحية البلد واستمر يدافع عنهم الى ان دخلوها وفات الامير تدارك الامر واستشهد يومئذ من اعيان المسلمين علي بن الحبيب الرحاوي والميلود المغراوي في آخرين واما العدو فكان يمدل قتلاه فلم يعلم عددهم وهذه اول غزوة للعدو على داخلية بلاد وهران فعظم ذلك على المسلمين واخذوا حذرهم منه وعين الامير قبيلة الغرابة لمراقبته وسد الطرق عنه ومنع مواصلة اوغاد الناس له وبعد ان تب العيون ممن يوثق بدينهم رجع الى معسكر ثم جيز جيشاً من الحشم والدوائر واغزاهم الى وهران فعاثوا في نواحيها واثخنوا وسبوا وغنوا وفي اثناء ذلك وقع تبارش بين قبائل البربر في نواحي نهر مينة افضى بهم الى القتال فطار الخيل الى الامير فعجل بالسير اليهم واصبح شائنهم وجمع كتبهم وبالف في عقوبة من اثار التثنية واسعها وكتب على عقد الصلح بينهم ما نصه قد امضينا بحول الله وقوته الصلح المبرم بين بني فلان وبني فلان بعدما امرنا به ونحونا اثر ما كان بينهم من بقايا حمية الجاهلية والزمناء كل فريق منهم ان يقف عند حده وان يرنعوا جميع ما يعرض لهم من الدعاوي وانقضوا الى من وليناه امرهم حسبما حذر ذلك في الاصل وواجبنا العمل بقتضاه وربنا العقوبة الشديدة على من يتعداه فمن سعى في نقضه او تعرض لافساد كاه او بغضه فقد عرض نفسه لسخط الله تعالى وغضبه وتلزمه المجازاة العينية من جانبنا العالي بالله وعلى هذا النص اجري الصلح بين اولاد الاكرد واولاد شريف وبني نسل وغيرهم وارتنع النزاع بين سائر القبائل

الشرقية ثم بلغه انقراض ابن نونة قائد الحضر في مدينة تلمسان فبار اليه من حينه حتى انتهى الى البلد وبعث اليه يعظه ويأمره بالرجوع الى الطاعة ويعدده بالعنف فابى وتمادى على شأنه ثم جمع قوته وخرج لقتال الامير وقام الكول اوغلان وهم الطائفة الثانية من اهل تلمسان وقائدهم ابن عودة في داخلها مستمرين على الطاعة فلما خرج ابن نونة وطائفته الحضر من البلد للقتال انتهزوا الفرصة فيهم للعداوة القديمة بينهم فظاهروا الامير عليهم ووقع القتال داخل البلدة وخارجها ثم كانت الدبرة على ابن نونة وفرقة واستمر القتل فيهم ونهبت اموالهم وعاث الكول اوغلان في منازلهم وفر ابن نونة الى ضريح الغوث سيدي ابي مدين رضي الله عنه في قرية العباد بتشديد الباء الموحدة ثم دخل الامير الى تلمسان ومن الغد توجه الى زيارة الغوث ووجد ابن نونة متعلقاً باستار الضريح لا ئذاً به فامره وعفا عنه وتقبل فيئته واقره على قيادة طائفته ولم يزل الامير في تلمسان ونواحيها الى ان اصلى خلالها وابرم الصالح بين الحضر والكول اوغلان وجمع كلمتهم ثم رجع الى معسكر وفي اثناء الطريق بلغه خبر موت والده سيدي الجد رحمه الله في ثالث ربيع الاول سنة تسع واربعين ومائتين والف وعشرين من يوليه سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة والف وكان الفرنسيس ابنوا حصناً على البحر في ساحل بلاد تجاهر وشحنوه بالحامية والذخيرة وزعانف تلك الناحية يواصلون اهلهم ويعاملونهم بالبيع والشراء فلما آب الامير من تلمسان اجمع على النهوض الى تلك الناحية فجمع شأنه واغزى السير اليها الى ان قرب من الحصن وكان اهلهم يخرجون كل يوم بباشيتهم يطالبون المرعى مستعدين للدفاع فلما خرجوا تربص عليهم حتى اوغلان في الطلب ثم غار عليهم فقتلوا ودانعوهم عن انفسهم وهم راجعون الى الحصن ولم ينج منهم الا من دخله وغنم المسلمون جميع ما كان معهم وكان في المرسى عدة مراكب مشحونة بالذخائر فحاض الجيش اليها وغنموا ما فيها واقام الامير اباماً يرتب العيون على الحصن ويأمرهم بالتضييق على اهلهم وذعر من كان يواصلهم من اهل تلك النواحي ثم رجع الى معسكر وطار خبر هذه الوقائع الى حاكم الجزائر فوجم لها وبعث الصريح الى دولته فجهزوا الجيوش وارسلوا معها ذخائر وهدايا كثيرة وفوضوا امر الحرب اليه وعزلوا الجنرال بويه حاكم وهران وولوا مكانه الجنرال دي ميشيل فجاءها في رابع ذي الحجة سنة تسع واربعين ومائتين والف والخامس عشر من شهر ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف ووجد وهران تحت الحصار مغلقة الابواب وجيوش المسلمين تجول في انحاءها لا

ينترون عن مهاجرتها فضاقي صدره لذلك وطفق يلقي الدسائس في قلوب ضعفاء اهل
 الايمان كالدوائر والزمالة وبعدهم ويمينهم فآثر ذلك فيهم وفتحوا له طرق المواصلات من
 جهتهم ثم ان الامير بعد رجوعه من واقعة الحصن الى معسكر اخذ بها اهبة الحرب
 واستكمل استعدادها وارتحل يريد وهران وكان العدو ابتنى في اقرب منها حصناً
 يعرف بغنور فلما وصل الامير خرج الجنرال دي ميشيل في المعسكر وكان القائد
 عليها يومئذ الجنرال بوبريص وتزاحف الفريقان نقسم الامير جيوشه الى فرقتين فرقة
 لقتال بوبريص والفرقة الثانية جعلها تحت قيادته وزحف بها على حصن غنور ولما
 قرب منه ترجل ومشى في مقدمة الجيش وحمل على الحصن مرتين فامنع عليه وانقلب
 الى مظاهرة الفرقة المعينة لقتال بوبريص نقوى عزيمتهم وثبت قلوبهم وحمل بالجميع
 عليه فهزمه وشتت شمله وولت عساكر فرنسا الى ادبارها يطالبون البلد ولحقهم المسلمون
 واشتحنوا فيهم قتلاً واسراً الى ان امتنعوا عليهم باسوارها وبعد انصرف الامير من
 القتال بلغه ان اهل ارزيو ركنوا الى الفرنسيين بدسائس قاضيهنم العنقل في معسكر
 واقاربهم وانهم احضروا شرذمة من عسكر وهران لحمايتهم ثم دس اليه رجل منها اسمه
 طوبال انه يخرج كل يوم مع ضباط المعسكر في طلب الصيد وعين له المحل الذي
 يبنغونه فيه فركب الامير في الحال وخالف جموع الغرابة ومن يليهم الى حصار وهران
 وبعث الاسرى الى معسكر واغرى السير الى ارزيو وكان في اقرب من الموضع الذي
 عينه طوبال فلما خرج الضباط واتباعهم في معية طوبال فاجأهم الامير بجميله وحال
 بينهم وبين البلد فدافعوا عن انفسهم واتهموا طوبال في امرهم فعدا عليه احدهم
 بسيفه وقتله ثم اظهروا علامة التسليم رانقوا السلاح فانهزم الامير وجعلهم تحت الحفظ
 وتقدم الى البلد ففرت حمايتها الى المراكب واقلعت بهم الى وهران ودخل الامير
 فقبض على من توجهت عليه التهمة في مواطاة حاكم وهران في هذه القضية واصح
 شان البلدة وثقف اطرافها وانزل فيها حامية كافية وانقل راجعاً الى الحضرة فانزل
 الضباط في دار الضيافة وامر باكرامهم والقيام بشؤونهم وعقد للقاضي احمد بن
 الطاهر البطيوي مجلساً خاصاً من العلماء فادعوا النظر في امره وقامت البيعة عليه فحكم
 المجلس بقتله فسملت عيناه وقطعت يداه ورجلاه ووضع في حفرة في ساحة الصراية
 الى ان مات بعد ثلاثة ايام

❖ ذكر استيلاء الفرنسيين على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم ❖ ❖ وغير ذلك من الحوادث ❖

لما رأى الفرنسيين ان الامير قد استنقام امره وقويت شوكته وظهر لهم منه ما لم يكن في حسابهم ثقلت افكارهم واضطربت آراؤهم فمنهم من يقول ترك البلاد اولى ومنهم من يقول الثبات فيها اليق بالمقام بين الدول ثم قرأ راي الاكثر منهم على مداومة الحرب وبذل الجهد في الاستيلاء على داخلية البلاد وكان حاكم الجزائر يرفع الى وزارة الحرب ما يحدث من الوقائع في وهران وما هي عليه من الحصار وضيق المجال مع قلعة الجند والذخيرة فيبعثوا اليه بالمدد فقوي عزيمته ودعته نفسه الى الاستيلاء على مستغانم فتوجه اليها في فرقة من الجند واستولى عليها وفراكثر اهلها الى الداخلية وطار الخبر الى الامير فوجم لما وفاوض رجال دولته ومن حضره من اعيان القبائل وذكر لم تكذب العدو على الوطن وارههم كيف مد يده اليه واستولى على سواحله وقال يوشك ان تغافلنا عنه ان يخلل امر المسلمين فامتعضوا لذلك وتداعوا الى الجهاد والذب عن الدين والوطن فجمع الامير الجيوش واحتشد عرب المغرب الاوسط وبرابرة ونهض من حضرته الى مستغانم ونازلها وكان العدو عند دخوله اليها جمع الالادي على ترميم سورها وتثقيف اطرافها وابتنى حصناً خارجها ليستعين به على الدفاع ووضع المدافع في السور والحصن وبالغ في تحصينها ولاول نزول الامير عليها بعث الى اهلها في الخروج منها فخرج الجمل الغنير ولحقوا بالحضرة وتلسان وغيرها من مدن الداخلية وقراها ولم يبق فيها الا من اختار تجاورة العدو من الكول اوغلان ثم ان الامير لما رأى امتناع البلد وحصينها امر باحضار المعاول والفوس وغيرها من آلة الهدم والعدو لما رأى الجيوش الاسلامية ملات انحاء البلد حام عن اللقاء وانحجر داخلها ورتب عساكره داخل السور يقاتلون منه فامر الامير بالمهجوم فثار الغبار وتزلزلت الارض برعود البارود وتوالت كلل العدو وقنابله على المسلمين فلم يثنهم ذلك واستمروا على هجومهم والامير امامهم الى ان انتهوا الى السور واخذوا في هدمه بالمعاول والفوس فلم تعمل فيه ولما اعجزهم الامر ولم يتمكنوا من عدوم امرهم بالرجوع الى تخيبتهم وحفر نقي في الارض من المعسكر الى السور وجمع الالادي عليه ثم ملأوه باروداً واضرموه ناراً ثم امرهم بالمهجوم على السور ولما انتهوا اليه وجدوه قد انتحيت فيه كوة غير كافية لما قصد به من نقب السور او تفهغه

فعدلوا الى المراكب في المرسى وسجوا في البحر اليها واضعين اسلحتهم على رؤسهم
 فالت عليهم بالقنابل وظاهرتها حامية الحصن فارتدوا عنها ولما علم الامير ان العدو
 لا يخرج من البلد ليناجزه الحرب ارتحل الى ارزيو واخلاها من الحامية الاسلامية
 وعرض الهجرة على اهلها وانقلب راجعاً الى حضرته وخرج حاكم وهران من مستغانم
 من بعده الى ارزيو واستولى عليها ووضع فيها حامية وذخيرة واستمر ذاهباً الى وهران
 وكان بين دي ميشيل وقبيلتي الدوائر والزماله مواصلة خفية فعمل الحيلة ومد يده
 اليهم وهم في منازلهم من سهل اغبال فاخذ منهم رجالاً ونساء في صورة اسرى ثم
 ارسلوه في فك اسراهم فاشتراط عليهم الخضوع لدولة فرنسا والسكنى في مسركين من
 ضواحي وهران فاجابوه الى ما اشترطه ورد عليهم اسراهم وظهر ما كان كامناً في
 صدورهم واتخذوا امر الاسرى عذراً فيما قصدوه ثم اتصل الخبر بالامير فعظم عنده
 ذلك ورأى ان لا سبيل الى تدارك امرهم الا بالسياسة الفعالة فبعث اليهم من
 خاصته من ينقون به ويقبلون نصيحته فوعظهم وحذرهم من مكائد العدو وغوائله
 واقفهم على ما القوا به انفسهم من مكر الله تعالى وغشيه والخروج عن الدين الاسلامي
 الذي قام بنصرته وتأبده آباؤهم وافنوا فيه انفسهم واموالهم فاثّر ذلك فيهم واذعنوا
 له واعتذروا بانهم لم يجنحوا الى العدو رغبة عن دين الاسلام ولكن للتوصل الى
 المعيشة والراحة بما لحقهم من معاناة الحروب ومقاساة الخطوب الى غير ذلك مما لم
 يجعله الرسول عذراً لهم فيما ارتكبوه واستمر يراودهم ويعظهم الى ان اجابوه وادخلوا
 في مسركين ورجعوا الى بلادهم وارتاح الامير الى فنتهم الى الاسلام وبقيت
 وهران على ما هي عليه من الحصار وقطع الطرق عنها واستمر الامير يبث السرايا
 والغوازي في نواحي الساحل فيسمونها خسفاً ودماراً ويشخنون فيمن يصادفونه من
 انصار العدو واشيائه بالقتل والسبي وتارة يشن الغارات بنفسه على الخوارج عليه
 من قبائل البربر وغيرهم من خاواغن العرب وزناتة ويشخن فيهم حتي يدعنوا الى الطاعة
 ثم يعطف بعد ذلك الى السواحل ويعظم النكاية في العدو ويرصد من يتردد اليه
 من اوغاد الناس الذين لادين لهم وجعل ذلك دابه وديده الى ان ضاق الحال
 على الفرنسيين في تلك النواحي وتاخر عنهم اسعاف دولتهم لما كانت عليه من
 الارتباك الداخلي فجنح الجنرال دي ميشيل الى السلم واتفق ينظر فيما يوصله الى معلومه
 من غير ان يلحقه انحطاط في منزلته عند دولته فاتفق ان تحافظي الغور في جهة
 مستغانم صادفوا رجلاً من متصرفي البرجيه راجعاً من ارزيو وده نر من حامية

يحرسونه الى ان يبلغ مأمنه فحملوا عليهم وقتلوا بعضهم واستاقوا الآخرين الى معسكر
فارتاح لما دي ميشيل واتخذها ذريعة لمخاطبة الامير وفي السابع عشر من جمادى
الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف وفي اول ستمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانمائة
والف مخاطبه بتحرير يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر اني لا اتأخر عن كوني
اخاطب سموكم بشيء تحبني عليه بواعث الانسانية وان لم تدعني اليه وظيفتي وهو
اطلاق سبيل النفر الذين بينا هم يحرسون رجلاً عريباً اذ خرج عليهم كمين من
جيوشكم فاخذوهم اسرى ولا اظن ان قوة شهامتكم تاتي هذا وتضع امام طلبي
شروطاً لانني كنت من قبل اخذت بعض اسرى من عرب الغرابة والزمانة في
ميدان الحرب ثم اطلقتهم من غير شروط وبناء عليه اتأمل ان سمو الامير اذا
كان يرغب ان ياخذ من الاعتبار قدراً عظيماً ان لا يطيل المراجعات وان ينعم
باطلاق الاسرى * فاجابه الامير ان ما وقع من الاسر وسفك الدماء ويتم الاولاد
وتأيم النساء وسائر ما حصل من المصائب والنوائب العمومية والخصوصية للمسؤولية
علينا فيه وانما المسؤولية والعهدة على القائد الفرنسي فوجم الجنرال وقواد العسكر
لهذا الجواب. وعجبوا من شدة الامير وجزالة جوابه قال شرشل الانكليزي في تاريخه
عند ذكر هذه القضية ان حضرة الامير عبد القادر اجاب الجنرال دي ميشيل
بتحرير يظهر منه دقة افكاره وحسن سياسته حيث انه جعل العهدة على القائد
الفرنساوي حتى ان الجنرال وان يكن تأثر بذلك الجواب فانه قال بعد ان امكن
النظر فيه شتان ما بين السياسة الفرنسية والافكار العربية ثم ان الجنرال كتب للامير
كتاباً ثانياً ونصه من الجنرال دي ميشيل الى الامير عبد القادر بن محيي الدين
لي امل بان تذلق الحرية للاربعة الاسرى التعيسين الحظ المحبوسين في قلعة معسكر
وما كنت اتردد عن السعي لديكم فيما تمنعني وظيفتي الرسمية عنه حيث تدفعني
الانسانية اليه ولعلي ان البشر الراقين الى الدرجات العليا عليهم ان يمتازوا باعمال
كريمة دالة على التفاوت الذي وضعه الله بينهم فارجو الافساح عن الفرنسيين
الذين وقعوا في شر مكيدة وهم في الدفاع عن بعض العرب لتخليصهم من انتقام
ابناء جنسهم ولا اظن انكم تضعون في طريق ذلك بعض العقبات لانكم اذا رغبت ان
تعدوا من كبار اهل الارض لا تثنأخرون عن اظهار كرم اخلاقكم واذا دواعي
الحرب اوقعت بين يدي بعض اتباعكم فانا اعدكم بارجاعهم بدون عوض ثم كرر
الطلب ثالثة بما نصه الى الامير عبد القادر بن محيي الدين بما انني ما اخذت جواب

كتابي الذي ارسلته اليكم منذ شهر فاحب اليّ القول بانه لم يصلكم من انكم لم
تلتفتوا الى قبول مطالبي وعليه جئت لثالث مرة اكرر طلب فك الاسرى
الفرنساويين الموجودين عندهم لانهم لم يؤخذوا في ساحة الحرب بل سقطوا باقبح
خدعة في اقبح مكيدة وعليّ ان اذكركم ان فرنسا هي اقوى دولة في الدنيا
فليس من الحكمة ان تدوموا على خطة المقاومة فاذا كان اليوم في امكاني ان
انتصر عليكم قبل وصول النجدة التي استنظرها فماذا تكون حالكم اذا فرغ صبر
فرانسا نحو العرب وارسلت ما تهيبه لي فعندها تهجم عليكم عساكرنا فتفرقكم كما
يبعث الهوى الرمال فاذا رغبتم ان تبقوا في مركزكم السامي فما عليكم الا اجابة
دعوتي حتى اذا اجرينا المعاهدات تبادر القبائل الى زرع حقولهم الخمية غانمين
ما يقدمه الشعب العظيم اليهم فجأوبه الامير من عبد القادر بن يحيى الدين
الى الجنرال دي ميشيل اما بعد فقد وصلنا كتابكم المتضمن افضل النصائح فقدرناها
قدرها وعلمنا انكم تحثونا في كتبكم الثلاث على الافساح عن الاسرى وتنبون حظهم
مع اننا نعتني بشأنهم غاية الاعتناء والافساح عنهم ليس له اهمية لدينا غير ان
الحالة التي نحن بها لا تسمح لنا ان نردم بدون ندية فاذا رغبتم في الاتفاق اقبل
تسليم الاسرى اليكم عند المعاهدة بيننا على ان ديننا يمنعنا عن طلب الصلح ابتداء
ويسمح لنا بقبوله اذا عرض علينا وان الثقة التي منحنونها اياها في تحاريركم حملتنا
على ان نبداكم بالمخاطبة وان المفاوضة التي تطالبونها يقضي ان تكون مبنية على شروط
محترمة منا ومنكم ولا يحصل الاتفاق الا اذا عرفتموني شروطكم وما تطالبونه مني وانا
اعرفكم بثباتي والله المعين وكيف تفاخروني بقوة فرنسا ولا تقدرון القوة الاسلامية
مع ان القرون الماضية اعدل شاهد على قوة الاسلام وانتصاراتهم على اعدائهم ونحن
وان كنا ضعفاء على زعمكم فقوتنا بالله الذي لا اله الا هو ولا شريك له ولا
ندعي بان الظفر مكتوب لنا دائماً بل نعلم ان الحرب سجل يوم لنا ويوم علينا غير
ان الموت مسر لنا وليس لنا ثقة الا بالله وحده لا شريك له لا بعدد وعدد وان
دوي الرصاص وصهيل الخيل في الحرب لا آذاننا من الصوت الرحيم فاذا سمعتم على
عقد صلات ودادية دائمة بيننا وبينكم فافيدونا حتى نرسل اليكم رجلين من كبار
قومنا ماذونين بالمفاوضة معكم وحينئذ نتم امانكم بعودة الله ولا تظنوا باننا ناسف
اذا اضطررنا الى ترك البلاد لاننا نعلم يقيناً ان الارض لله تعالى يورثها من يشاء
من عباده وقد سلمنا وراثتها فحيث ما كنا نجد امتنا وقد ظهر لنا من مضمون

كتبكم انكم ستقرون قوة العرب مع دوام استعدادهم للقتال ومسابقتهم للنزال في كل زمان ومكان راذا فتحتم التواريخ تروا ما اجره في آسيا وجنات الشام من الجراءة والثبات والاقدام والفتوحات التي اظهرها الله على ايديهم واني اعتذر لعدم جوابي علي كتابكم السابق باني كنت مشغولاً في الوقت الذي استلمته وعندما كتبت الجواب كان رسولكم ترك معسكر وتوجه لطرفكم وهذه المراجعات اوقفت الجنرال وقواد العسكر في ميدان علموا منه انهم يخاطبون اماماً عادلاً وتعلقت آمالهم بالوصول الى مامولهم وقال بعضهم عند ذكر تحرير الجنرال ما ملخصه هذا المكتوب لم يكن لتحريره محل في مجال السياسة لان الحرب بين الامير عبد القادر والفرنساوية ما برحت قائمة على قدم وساق وبجسب اصول الحرب يحق لهذا الامير ان يحاصر المدن والقللاع الموجودة بايديهم وان يرصد سائر طرقاتهم ويمنع المواصلات التجارية وغيرها وان يجري القصاص على من يتعرض لها ثم قال فانظر الى هذا الجنرال الذي يدعي النعنة والمعرفة بالنظامات الحربية كيف كبا به جواده في ميدان سطور تحرير المذکور الذي لا يمكن تحريره الا في حال السلم ولذلك اجابه حضرة الامير اخيراً . بعد النجبة وصلي كتابك الذي اظهرت فيه رغبتك في الحصول على اطلاق الاسرى الذين اوقعتهم الاقدار الربانية بين يدي وقد فهت جميع ما تضمنته رسائلناك وما اشتملت عليه من تكرار الغالب ومن العلم عندكم ان جميع الاسرى الذين اوقعوا في ايدي عسكركم في ميادين الحرب لم اتعرض لكم ولا لمن كان قبلكم في اطلاقهم ولا اتعبت افكاركم براسلة قط لان حكمهم عندي حكم الاموات وموتهم اعتبرها حياة لهم غير اني كنت اتالم عليهم شفقة ورحمة وقولكم ان هؤلاء الاسرى الذين تطالبون اطلاق سراحهم ما كان خروجهم لامر ينالكم بكم بل كنوا يجمعون عرياً من انتقام ابنا ووطنه فهذا لا اعتبره وسيلة لاطلاقهم فان المحافظ والمحافظ عليه كلاهما اعداء لنا وانتهاز الفرصة في الانتقام منهم غاية مقصودي وسائر العرب الذين عندكم اوغاد واراذل يميلون واجباتهم الدينية هذا واني رايتك تفتخر بانك اطلقت الاسرى من الغرابة والزمانة من غير شروط مع انك لو راجعت افكارك لوجدت ان رحمتك انما كانت لاناس استظلوا بظلكم وابتوا بجهلكم يملئون اسواقكم ذخائر ويكونون عيوناً لكم على المسلمين ويخدمونكم بكمال الصدق ومع ذلك فان عسكركم قد سابوهم كل ما يمكنه فلو كان هذا المعروف الذي تحببتم به مع غير هؤلاء كالحشم اوبني عامر مثلاً لكان يحق لكم الانتحار

وكنتم تستحقون الشكر وتلى كل حال فتى خرجتم من وهران على مسافة يوم او يومين يظهر للعيان من يستحق الثغر منا . قال المؤرخ الانكليزي لو كان هذا الجواب الكبريائي في غير تلك الايام لاهاج في صدر الجنرال الفرنسي نيران الحماسة وحرك منه سواكن الاحن وربما صاح باعلا صوته وقال اين العربي المبارز والبطل المناجز ولكن الوقت لم يساعده وكان دي ميشيل لما ارتحل الدوائر والزمالة من جواره ورجعوا الى بلادهم حفظها لهم فعند ما خسرت صنقته من مخاطبة الامير ولم يحصل منها على طائل غزاهم واخذهم على غرة وطار الخبر الى الامير فاغرى السير وواصله وقطع مسافة خمسين ميلاً في ثلاث ساعات وكان العدو لكثرة ما في يده من المسلوبات والاسرى رجع الى وهران على مهله فادركه الامير قبل وصوله اليها وحمل عليه حملة شنت بها شمله واوهى بها قوته ولم يسهه الا الفرار فاتخذته وسيلة لنجاة وترك جميع مسا استولى عليه من المسلوبات والاسرى في ايدي المسلمين كما انه ترك قتلاه في نعل المعركة ولاقى فله بوهران ثم ان الامير ردت على الدوائر والزمالة مسلوباتهم واسراهم وامرهم بالرحيل الى تمزوغت في نواحي تلمسان فارتحلوا في العشرين من رجب سنة تسع واربعين والرابع من ديسمبر سنة ثلاثة وثلاثين وثمانائة وبعد هذه الواقعة انسد باب المخابرة بين الامير وحاكم وهران فيما كن يمدده

❖ ذكر رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخابرة ❖

❖ مع الامير واطهار رغبته في السلم ❖

كان الجنرال دي ميشيل معروفاً عند دولته بانه من رجال الحرب وابطال الطعن والضرب فعزلوا الجنرال بوية وولوه مكانه وبوصوله اخبرم نار الحروب وفتح باب الشدائد والخطوب فكانت الدبرة فيها عليه ودام ويلها يصاحبه ويماسيه ولم يزل على ذلك الى ان يثس من شجاعه في امره وعجز عن درك ما كن يومه من فوزه فرجع القهقرا واخذ يدبر فيما يخلصه من ورجته ويكون وسيلة للوصول الى رضاء دولته فلم يرا اوفق من وضع اوزار الحرب والتماص من شرك الشدة والخطب ففتح لذلك بمراسلة الامير باباً وهياً لما اسباباً فحيل بينه وبين مراده وعاد الى مقارعته وجلاده ثم رأى ان دون فوزه خطر انتقاد فعاد الى ما عول عليه اولاً من قرع الباب ومعاطاة الاسباب قال المؤرخ الانكليزي لما استعظم دي ميشيل جرأة عدوه

الاسد الكاسر وسرعة حركته في الدواحي فكانه في كل ناحية حاضر تبين له ان تدبيراته لم تنتج له الظفر بالآمال وتأسيسات افكاره قد اعتراها التلاشي والاضمحلال وان سور الحصار قد حال بينه وبين الزاد وبلاء المجاعة ما برح في شدة وازدياد وعجز عن المدافعة بعد بذل الجهد والاجتهاد فلم ير احسن من الصلح او تخلية البلاد ثم فكر في امره واوفد على الامير مردخاي الموسوي في طلب الصلح واتعبه برسالة يقول فيها . الى سمو الامير عبد انقادر حيث لا تجدني ايها الامير غافلاً ابداً عن كل فعل حسن فاذا كان سموكم تريد ان تتخابر في امر المعاهدة فانا مستعد لذلك مع الامل انه يمكن الحصول على معاهدة موافقة يتوقف بها سفك دماء امتين اقتضت الارادة الالهية ان لا تكونا تحت سلطة واحدة حرر في رجب سنة تسع واربعين وفي دمبر سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والف ميلادية . قال بعضهم فهذا الكتاب حقق لحضرة الامير عبد انقادر ما كان يتصوره وهو ان عدوه واقف موقف المسنغيث ولذلك ضرب عن رد الجواب صفحاً وانما قال للرسول وهو مردخاي انه بحسب الوقت الحاضر لا يمكنني رد الجواب وان كان الجنرال يسمح بايضاح وتفصيل في هذا الامر فهو اولى فلما وصل اليهودي الى الجنرال وبلغه الرسالة الشفافية عن لسان الامير عبد القادر تلقاها بالقبول وردت مع اليهودي كتاباً آخر يقول فيه . الى سمو الامير عبد القادر حيث لم يصلني جواب من سموكم عن التحرير الذي قدمته وقع في فكري انه لم يصل اليكم لا انه وصلكم ولم تهتموا به . حيث انكم لا تعلمون شيئاً اوفق لحفظ المقام الذي رنعتكم الظروف اليه من التسليم بطلي لانه بواسطة المعاهدات المطلوبة التي نعقدتها بيننا نتمكن الاهالي ان تلتفت الى فلاحتها وتتمتع بلذة حاصلات اراضيها وتذوق حلاوة السلم بدلاً عن مرارة الحرب . ثم انني كتابه بعبارات اوضح من الاولى وابين في طلب الصلح .

❖ ذكر ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية ❖

لما اتصل مکتوب حاكم وهران بمحضرة الامير جمع رجال دولته واعيانها واخبرهم بما وقع بينه وبين الجنرال من المخابرات في شان اسرى ارزيو اولاً ثم في امر الهدنة ثانياً واستشارهم في ذلك واستكشف ما عندهم فيه فراهم جانحين الى السلم راغبين في عقد الهدنة لاسيما ان العدو هو الطالب لها والراغب فيها . قال شرشل الانكليزي ما حاصله قد تمكن هذا الامير المظفر الحديث السن من ان يطالع رجال دولته ورؤساء

رعيته على هذا المكتوب الذي هو في الحقيقة سند يشهد له بان العدو هو السابق في التماس الصلح وقد تأتي له ان يجيب اليه اذ لا داعي للتأخر عنه فلذلك حرر في جوابه بعد التحية وصاني كتابك ايها الجنرال المحترم وفهمت ما ذكرته فيه واعلم ان افكارك مواطنة لافكاري موافقة لها وبذلك تحققت استقامتك فكان منأ كدًا بان الشروط التي تونقنا العناية الالهية لاجرائها بيننا نتمسك بها بصدق عظيم ولا نتجاوزها وما انا مرسل لنحوك معتمدين وما وزير الخارجية الميلود بن عراش والآغة خليفة بن محمود يتخبران معك في الشروط التي يمكن اجرائها وحينئذ تجري المعاهدة وتذهب العداوة من بيننا ونستبد لها بالعداوة التي لا تحل بقاءنا وينبغي لك ان نثق بي لانني والله لم تسبق لي خيانة في عهدي ولا نقض لعهدي . ثم قال وكانت المقابلة بين القواد الفرنسيين وعثماني عبد القادر خارج وهران على فرسخين منها في خمس وعشرين خلين من شهر رمضان سنة تسع واربعين واربعة فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمئة وائف ميلادية وجرت مذاكرة طويلة في قضايا مختلفة قدمها الجنرال دي ميشيل ثم ركب وزير الخارجية راجعا الى الحفرة ومعه نسخة الصك المشتمل على المسائل التي وقعت المذاكرة فيها غير نمضية من الجنرال ونصها

اولاً ان العداوة من هذا اليوم تبطل بين فرنساوية والعرب ثانياً ان فرنساوية تلزم بتكريم ديانة الاسلام مع عوائدهم ثالثاً ان العرب تلزم برد الاسرى فرنساوية رابعاً ان يكون السوق حراً خامساً ان العرب تلزم برد من يهرب من فرنساوية اليهم سادساً من اراد السفر في الداخلية من فرنساوية يجب ان يكون بيده رخصة مختومة من قنصل الامير ومن قنصل الجنرال . ولما ادلى عليا الامير وافي عليها وامضاها بخطه ثم حرر ورقة اخرى ذكر فيها ما اشترطه وهي اولاً يكون للعرب الحرية بان يبيعوا ويشترؤا كما يتعلق بالحرب ثانياً يكون قنصل مراسي اريزو تحت ولاية الامير كما كان قبلاً بحيث لا يضر شئ من امنه واما وهران ومستغانم فلا يرسل لما الا البضائع اللازمة لاهلها ثالثاً يلتزم الجنرال بترجيع كل من يهرب اليه من العرب مقيداً مع انه لا تكون له سلطة على المسلمين الذين يحضرون عنده برضاء رؤسائهم رابعاً لا يمنع مسلم من الرجوع الى بيته متى اراد . وفي اليوم الخامس رجع وزير الخارجية واجتمع بالجنرال دي ميشيل داخل وهران وانبره ولم يسلمه ورقة مطالبيه الا بعد ان امضى ورقة الامير التي فيها شروطه ثم ان الجنرال اختار ان يكون صك الهدنة واحداً تحرر فيه مطالب الامير بالخط العربي ومطالب الجنرال بالخط فرنساوي وكل منهما يمضي الآخر على شروطه بخطه فاجابه ابن عراش الى ذلك ونص الصك . ان قائدي الجيش

الفرنساوي المقيم في وهران الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر بن تقي الدين اعتمدا واتفقا على ما يأتي ذكره من الامور الاول منذ يوم تحريره يصير ترك الحروب والخصومات بين فرنساويين والعرب وكل من الجنرال دي ميشيل والامير عبد القادر يجتهد في القاء الالفة بين شعبين اقتضت الارادة الالهية ان لا يكونا تحت سلطة واحدة ولاجل ذلك لتعين وكلاء من الامير عبد القادر في وهران ومستغانم وارزيو كي لا تقع الخصومة بين فرنساوية والعرب كما انه يقام وكيلاً عن فرنسا ضابط فرنساوي في معسكر الثاني يصير احترام ديانة الاسلام وعوائدهم الثالث يلزم رد الاسرى من الفريقين الرابع يصير اعطاء الحرية الكاملة لتجارة الخامس تلتزم العرب بارجاع كل من يفر اليهم من المعسكر فرنساوي ويلتزم فرنساويون بتسليم كل من يفر اليهم من اهل الجرائم الهاربين من القصاص الى وكلاء الامير في المدن الثلاث السادس من اراد من الاوربيين يسافر الى داخلية البلاد يجب ان يكون مصحوباً بتذكرة تكون عليها علامة وكلاء الامير وتحتها الجنرال وبذلك يحصل على الحماية في جميع الاقليم حرر في وهران في السابع عشر من شوال سنة تسع واربعين ومائتين والثامن والعشرين من شهر فبراير سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والفتم ان ابن عراش اخذ الصك وعرضه على حضرة الامير وبعد اطلاعه عليه وامعاف النظر فيه امضاه بخطه ورجع ابن عراش الى وهران فلما رآه الجنرال وعلم ان الامير وافق على ما حرر في الصك وانه امضاه تهلل وجهه واظهر لابن عراش بشاشة زائدة لم يعهد لها منه قال المؤرخ فرنساوي لويس دينليوت في تاريخه عند ذكر هذه المعاهدة ان الميلود بن عراش وزير السلطان عبد القادر ومعه في عقد المعاهدة مع الجنرال دي ميشيل لما وفد عليه حاملاً صكها الذي صادق عليه الامير قابله بكمال الاحترام والاحتفال وكان امراء الجيش فرنساوي جالسين على حسب مراتبهم والمعسكر مصطفة حولهم يسمعون ما تقرر في الصك وبعد تلاوته امضاه الجنرال بخطه ثم التفت الى ابن عراش وفتح معه باب المذاكرة فقال ان العرب لا تتجهل قوة فرنسا واستعدادها فاجابه ابن عراش نعم ان العرب لا تتكبر قوة سلطنة فرنسا واقتدارها ثم قال الجنرال اني كنت عازماً قبل عقد المعاهدة على ان اطلب من دولتي عشرة آلاف جندي زيادة على ما عندي واخرج من هذه المدينة وتابع تحاربكم مدة شهر وما يدريك يامولود ان بهذا الفعل يدخل على سلطانك الوهن ويلحقه الضعف فاجابه ابن عراش اننا لا نحاربكم محاربة نظام وترتيب ولكن محاربة هجوم واقدام ولونعلت ما قلت وخرجتم

بهذه القوة كنا نتقهقر امامكم متوغلين في الصحراء باهلنا واثقالنا وفي حال هذا التقهقر نناوشكم القتال حتي لا ترجعوا عنا ثم نصابكم حتي تضعف شوكتكم وتلين قوتكم ومتى سحقت الفرصة وتورطتم في فيافي الصحراء قلنا الكرة عليكم واحاطت جيوشنا بكم من كل ناحية وتكون ذخائركم نفدت وقوتكم ذهبت وعساكركم لحقها التعب واخر بها السغب فحينئذ ماذا كنت تصنع ايها الجنرال قال فلما سمع الجنرال هذا الجواب المفصح عن جبل من اوضاع الحرب التي لم تخطر له على بال تعجب ولم يمه الا السكوت ونفترق المجلس وانقلب ابن عراش الى الحضرة بعد ان اتم سفارته . وشاع امر المعاهدة وارتفع الحصار عن وهران ومستغانم وارزيو وسكنت الطرق اليها من الداخلية وتعينت الوكلاء فيها من قبل الامير نعين . ردخاي بن دران الموسوي في الجزائر ومحمد بن يخ في وهران والاعا خليفة ابن محمود في ارزيو وعين سفير فرنسا الكومندان عبدالله ويسون في معسكر واصله من ممالك الامراء المصريين استجدمته دولة فرنسا في العساكر المشاة وامست افكار الجنرال دي ميشيل هاجمة على بساط الراحة لعله ان هذه المعاهدة صارت حداً فاصلاً بينه وبين الغوائل السابقة وطير الخبر الى وزارة الحرب في باريس فاجابه ان الملك صادق على المعاهدة وانقد عليه اموراً اخل بذكرها في صك المعاهدة نفهم الناس ان دولة فرنسا انشرفت لعقد المعاهدة ولم تنشر لشروطها وايد لم ذلك انها اخذت في استعمال الوسائط لنقضها قال المؤرخ لويس دينليوت ان دولة فرنسا قد حاولت ان تنقض هذه المعاهدة واستعملت لذلك مكاييد متنوعة ولكن فطنة الامير ومعرفته بالسياسة عرقلت امورهم وافسدت سبيل نجاحها انتهى . وقصارى ما يقال ان تلك المعاهدة كانت عبارة عن مشاركة لا تخلو عن مخالطة من الطرفين وذلك ان كلاً من الامير والجنرال دي ميشيل جعل لنفسه باباً في صكه يخرج منه متى شاء وعلى كل حال فان الامير ارتاحت افكاره من جهة الحروب الفرنساوية وانصرفت همته لتنظيم الوطن وتوسيع سلطنته في بلاد المغرب الاوسط كما قال بعض مؤرخي الافرنج كانت هذه المعاهدة كنناد قام بنادي في اندية العرب بوجوب طاعة هذا الامير فسمع نداه واجيب دعاه وامتد ملكه وبعد صيته ومداه كما انها جعلت للفرنسي نوع ساطة في الاماكن التي استولت عليها . ولما وصل عبدالله ويسون الى العاصمة دخل على الامير في القاعة الملوكية بملاسه الرسمية وقدم اليه الرقيم المعلن بتعيينه وكيلاً عنده فلما قراء قال له الآن ادخل علينا السرور حيث اننا نظارنا شروط المعاهدة

اخذت منعولها وظهرت من القوة الى النعل وامره ان يواصل التردد عليه ويرفع ما
يعرض له من الحاجات اليه وغب خروجه من الحضرة الاميرية توجه لزيارة ارباب
الدولة واعيانها في منازلهم ثم قابله بثملها في منزله واظهر لم غاية الميل والمحبة
وخدعهم بلسانه العربي الفصيح ثم ان المسلمين الذين كانوا حاجروا من وهران ومستغانم
تشوقت نفوسهم الى الرجوع اليها وتبذروا فرصة المعاهدة فمنعهم الامير واوعز الى
قناصله بمنعهم وسد باب القبول في وجودهم ربي سنة اربع وثلاثين وثمانمائة والى بعد
ابرام المعاهدة وصل وفد السلطان عبد الرحمن بن هشام صاحب المغرب الاقصى
لاداء التهنئة للامير بالملك واصحبهم هدية من نفائس بلاده ومقداراً وافراً من ذخائر
الحرب وادواته فاكرم الامير وفادتهم واعظم جانبهم وكان نفر من العساكر الفرنسية
فروا الى المغرب الاقصى فبعثهم السلطان مع الوفد ليرى الامير رايه فيهم نقبلهم
وارسأهم الى الجنرال دي ميشيل فاهتز لذلك فرحاً وعلم صدق الامير ووفاؤه بعهوده
ووعوده ولما فرغ الامير من هذه الاعمال صرف همته الى تهديد القاصية من البلاد
وردع اهل البغي والفساد كالدوائر والزمانة ومن شايعهم كابن العربي ومن تبعه من
قبائل شلف وابن المخني رئيس البرجية وكان الامير لما تقلد امر الامة واشتغل
بالجهاد نزار فيا يلزمه من التناقضات نراى ان ما يجي من اموال الزكاة والاعشار
لا يفي بواجباته فطرح المسئلة في مجالس الشورى للنظر فيها فاتفقت آراؤهم على فرض
ضريبة على الرعية تسمى معونة بضم العين وبنوا ذلك على اساسات شرعية مؤيدة
بنقول نقية واعمال سلفية فلما تم امر المعاهدة قام اولئك الظلمة وبثوا دسائسهم في
افكار العامة بان البيعة انما كانت على الجهاد وحمل اثقال الضريبة انما كان لتناقضاته
بـ ث ان الجهاد طوى بساطه والامير ركن الى مسالمة العدو فلما ان ترجع في بيعتنا
ونتنع من دفع اموالنا فاثرت دسائسهم في بعض القبائل كبني عامر فامتنعوا من دفع
المعونة واتصل خبرهم بالامير فاوعز الى مصطفى آغا بن اسماعيل رئيس الدوائر ان
يركب عليهم فيردعهم ويحيي اموالهم فارتاح لما ابن اسماعيل لما تهيباً له في ذلك من
اخذ ناره منهم ثم راجع الامير افكاره فطن لدسائس ابن اسماعيل فكتب اليه بالكف عنهم لئلا
وسار اليهم بـ راء فدافعوه وقرهه ثم اوفدوه الى الامير جماعة من اعيانهم فدافعوه على المنبر لئلا
على الناس في امر المعونة فارأى الوجه التي بعثه على اخذها منهم ثم قال اعلموا ان الغاية
الوحيدة في قبولي لتقليد هذا الذئب ان تكونوا آمنين على انفسكم واعراضكم واموالكم
مطمئنين في بلادكم متمعين بروضائكم الدينية ولا يمكن ان اباع مادي من ذلك الا

بمساعدةكم مالا ورجالا وبهذا تعلمون ان المنافع الحاصلة منكم عائدة عليكم ولا اظن ان يخطر في بال احدكم ان الاموال التي تؤخذ منكم ابتغيها لنفقاتي الشخصية لعلكم وتحققكم انني غني ملي بما خلفه لي والدي وبالجمل فحق لا نطلب منكم الا ما تجبركم الشريعة على دفعه وتجبرنا على اخذه فراجعوا انفسكم وشدوا آذانكم مما يلقيه اهل الفساد اليكم وكونوا على كلمة واحدة وصفقة متحدة فيما ينفعكم ويصالح شؤونكم ولا يتم لكم ذلك الا بطاعتنا قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب فلما سمع الناس كلام الامير انشرفت صدورهم واظهروا الازعان لاوامره والطاعة لاحكامه وتقدم اليه وفد بني عامر في شانهم فبروا ساحتهم مما نسب اليهم من الخروج عن الطاعة ومنع الجباية واوقفوه على دسائس مصطفى بن اسماعيل واشياعه واخبروه بما هو عازم عليه من نبذ الطاعة وذكروا له ما لحقهم منه من الظلم والعسف فاسروا في نفسه واكرم الوفد وردداهم الى بلادهم وفي غرة ذي الحجة سنة تسع واربعين والحادي عشر من ابريل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة والى توجه قاصدا تلمسان ونواحيها فطار الخبر الى الدوائر والزمانة فاحتشدوا واستجاثوا بعرب رباح واهل انكاد وصمدوا لقتال الامير ولما قرب من منازلهم بعث الى ابن اسماعيل وغيره من اعيانهم يدعومهم الى الحضور عنده لينظر في حوادثهم مع بني عامر فاستنكفوا وزحفوا اليه بجمعهم ودارت بينه وبينهم حرب انكشف فيها اولا الخوارج وتركوا جميع موجوداتهم فلما اكب جيش الامير على الغنائم والتروا بالتمعية عطف عليهم الخوارج بجمعهم من كل ناحية فهزموهم وكان الامير على حدة في فرقة قليلة فلما راي الهزيمة قد استولت على جيشه حمل عليهم مع كثرتهم فاصيب فرسه ووقع بين الصفوف فاردفه ابن عمه السيد المولود ابو طالب ثم ركب فرسا آخر واتصل القتال الى الغروب وقتل من الفريقين عدد كثير وجرح ابن اسماعيل في جملة من بني عمه ثم بلغ الامير ان الخوارج يكيدونه في تلك الليلة فتغافل عن ذلك ونام مع كافة الجيش في غاية الامن فلما كان الثلث الاخير من الليل هجم الخوارج على المعسكر فاستولوا على موجوداته وتحاص الامير من بينهم وبعد طلوع الشمس تراجع الناس اليه فانقلب بهم الى حضرتهم وطار الخبر الى حاكها محمد بن السنية فجمع الايدي على تجديد ما سلبه الخوارج من ادوات الملك وهدمته وهيا الموكب الملوكي ولما قرب الامير من الحضرة تلقاه بذلك وتلقاه العلماء والاعيان ودخل عاصمته في الهيئة التي خرج فيها واصبح في دار ملكه على ما كان عليه

تري الناس في ابوابه ورحابه * كأنهم من فرط كثرتهم غل
ولما رأى الخوارج ان حادثتهم لم تحدث في امر الامير ضعفاً ولا في افكار
رعاياه تشويشاً ندموا ندامة الكسعي واقاموا يترقبون شديد الانتقام ووقعوا من
امرهم في حيرة وقد تبرأ منهم الحميم وتباعد عنهم انقريب ولم يبق على مشايعتهم
الا ابن الغاري وقومه والبعض من قبيلة رياح وسلم بما وقعوا فيه من الوبال والخسران
والذلة والهوان وما آل اليه امرهم ان شاء الله تعالى

❖ ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به ❖

لما علم الامير ما بين الجيود المنتظمة والحشود المتطوعة من الفرق العظيم عزم
على تنظيم جند كاف يكون دابه التمرين والتدريب ليصل بقوته ومعرفته بالامور
الحربية الى مقاصده الجسيمة فبعد رجوعه من واقعة الدوائر عقد مجلساً عمومياً من
رجال الدولة واعيان الرعية وزعمائها وخطب عليهم خطبة اوضح فيها فوائد العسكر
النظامي وبنائمه واخبرهم انه اعتزم على تنظيم عدد منه كاف فاجابه الجميع الى
ذلك ووافقوه عليه وطاقق المنادي يقول باعلا صوته في الاسواق ليبلغ الشاهد
انغائب انه صدر امر مولانا ناصر الدين بتجنيد الاجناد وتنظيم العساكر من كفة
البلاد فمن اراد الدخول تحت اللواء المحمدي وبشملة عز النظام فليسارع الى دار
الامارة معسكر لينقيد اسمه في الدفاتر الاييرية . فتلقى الناس هذا الامر بانشرح
وارتياح وتسابقوا اليه طوعاً من كل جهة حتى من انقاصية وصار له موقع عظيم
عند العامة والخاصة واستحسنه كل عاقل ووانق عليه كل فاضل وامتلأت عند
سماع امره قلوب الاعداء رعباً وعلوا انهم قد حملوا انفسهم من عداوة الامير اسراً
صعباً وامست افكارهم في قلق وقلوبهم بنار الخوف في التهاب وحرق ولم يكل الامير
امر الجند لغيره بل هو تولى ترتيبه وتنظيمه بنفسه فجعله ثلاث فرق . فرقة
مشاة . وفرقة يركبون الخيل وعرفوا بالخيالة . وفرقة الثالثة مدفعيون وولى وقتئذ
على المشاة والخيالة من مشاهير الابطال قدور بن بحر وعبد القادر بن عز الدين
ومحمد قوشارمه ومحمد السنوسي وسالم الزنجي واحمد اغديوي وغيرهم كل واحد على
الف جندي وولى على المدفعيين محمد آغا المعروف بابن كسكسه (الكول اوغلي)
ووضع لهم قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها (وشاح الكاتب
وزينة العسكر المحمدي الغالب) ونصها . حمداً لمن اعز كلمة نبيه سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم واعلاها . ومكن شريعته على اساس التقوى وبنائها . وصلاةً وسلاماً على نبي الملاحم . المؤسس ترتيب الصفوف كانهم البنيان المرصوص او الموج المتلاطم من كان يتقي به اكابر اصحابه رضي الله عنهم وارضاهم . وجعلنا ممن اقتدى بهم ووالاهم . وبعد فانه لما كان يجب للجيش وضع قوانين لا يتعدها . وهيأت يتميز بها وشؤون اخرى لا بد ان يرهاها . وكان من ولاء الله امرنا واختاره اميراً علينا ناصرًا للدين سيدنا ومولانا عبد القادر بن تحيي الدين . ايده الله عارقاً بذلك . خبيراً بتلك المسالك . وضع لعسكره المحمدي . وجنده الاحمدي . قوانين تجري امورهم عليها . ويرجعون في شؤونهم اليها . وهيئات تتميز بها امرؤهم . وترتيبات يكون عليها اعتمادهم . ثم امر نصر الله بجمعها فجاءت بحمد الله كما امر . وعلى الوجه الذي صدر . سميتها (وشاح الكاتب . وزينة العسكر المحمدي الغالب) ورتبتها على مقدمة واربعة وعشرين قانوناً وخاتمة اما المقدمة فانها تشتمل على مسائل الاولى رتب نصره الله عسكره على ثلاثة اصناف . الاول الراكبون وسماهم الخيالة . الثاني المشاة وسماهم العسكر المحمدي . الثالث المدفعيون وسماهم الرماة والطوبجية وجعل على كل صنف من هؤلاء الثلاثة رئيساً فعلى الالف خيال آغة وعلى الخمسين سيافاً وعلى العشرين رئيس الصف ودونه الجاويش ولكل الف وكل مائة كاتباً وعلى الكاتب رئيساً سماه باش كاتب واما العسكر المحمدي فانه قسمه بلى مئات وقسم كل مائة الى ثلاثة اقسام وجعل لكل قسم خباء ورئيساً عليه سماه رئيس الخباء اي الخليفة وعين له نائباً يقوم مقامه وسماه خليفة رئيس الخباء وجعل على كل ثلاثة اقسام من هؤلاء رئيساً سماه سيافاً وعين لهم كاتباً يختصم وجعل على كل عشرة من السيفيين فاكثراً رئيساً سماه آغة ورئيس العسكر المحمدي وشأنه النظر في احوال السيفيين فمن دونهم واما الطوبجية فيسمى رئيسهم باش طوبجي وعين لكل مدفع اثني عشر جندياً يقومون بامره وعليهم رئيس وكاتب . المسئلة الثانية كسوة العسكر المحمدي على نوعين الجوخ والكثبان اما الجوخ فعلى ثلاثة اصناف احمر قان وهو الاعلى وادنى منه الجوخ العسكري وهو الاحمر الكاشف والصنف الثالث اسود فاما الصنف العال الجيد فلرئيس العسكر المحمدي ولرئيس الخيالة واما الصنف الذي دونه فهو للسيفيين والكاتب اصحاب الرتبة الاولى وعلم الحرب والطنبورجي وهو صاحب الطرنبيطة واما الاسود فلباس الطوبجي ورئيس الاثني عشر مدفعياً وكاتبهم واما رئيس الصف ورئيس الخباء فكسوتهم متنوعة فيختص رئيس الصف بالغلبة

المعروفة بالمتنان لمن الجوخ الاسود والسروال من الاحمر وعكسه رئيس الخباء فنتيانه
احمر وسرواله اسود واما الكتان فهو كسوة سائر افراد العسكر المحمدي بخلاف الخيالة
فان اكسيتمهم من الجوخ الاحمر الدون (تنبيه) امر مولانا ان لا يغير احد كسوته
المخصوصة به سواء كان آغة اوسيافاً او رئيس صف او رئيس خباء او خيالاً
او طوبجياً او عسكرياً ولو بلغ ما بلغ في الغنى ومن استهون بهذا الامر فانه يعاقب العقوبة
الشديدة وقد جعل مولانا نصره الله لسائر رؤساء الاصناف المذكورة علامات يتميزون
بها ويعرف بها الرئيس من المرؤوس فجعل لرئيس العسكر المحمدي وهو الآغة اربعة
علامات من الذهب اثنتان على منكبيه احدهما مكتوب عليها . اشهد ان لا اله الا الله
واشهد ان محمداً رسول الله . والاخرى مكتوب عليها (الصبر مفتاح النصر) واثنتان
في صدره على شكل اقمر فذات اليمين مكتوب عليها (لا اله الا الله) وذات الشمال
مكتوب عليها (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) وجعل لرئيس الخيالة علامتين
من الذهب ايضاً احدهما على منكبه الايمن مكتوب عليها (الخيل معقود بنواصيها
الخير الى يوم القيامة) والاخرى ينعما على صدره مكتوب عليها (محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم) وجعل للسياف علامتين من الفضة على شكل السيف يضعهما
على عضديه احدهما وهي اليمنى مكتوب عليها (لا اتع من التقوى والشجاعة)
وعلى الاخرى وهي اليسرى مكتوب عليها (ولا اضر من المخافة وعدم الطاعة) وجعل
لسياف الخيالة علامة واحدة من الفضة يجعلها على عضده الايسر مكتوب عليها (ايها
المقاتل احمل تفنم) وجعل لرئيس الصف علامة واحدة يضعها على عضده الايمن وهي
من الفضة ايضاً مكتوب عليها (من اطاع رئيسه واتي مولاه نال ما يرجوه ويقتناه)
ولنائبه علامة من الجوخ الاحمر يضعها على ساعده الايمن وجعل للباش كاتب علامة
من الفضة على شكل القمر مكتوب عليها (ناصر الدين) يضعها على ساعده الايمن
وجعل لرئيس الطوبجية علامة من الفضة يضعها على كتفه الايمن وهي صورة مدفع مكتوب
عليها (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) (المسئلة الثالثة) لما كان يجب على الجند باصنافه
اعني المشاة والخيالة والطوبجية ان يكون كل فرد منه عالماً بمكائد الحرب متخلفاً بها
مستعملاً لها عند مقابلة العدو ومن غير تكلف عين مولانا لكل صنف من هؤلاء
الاصناف معلماً عارفاً نشيطاً حافظاً لجميع ما يجب استعماله حال الحرب وعن نصره الله
للعسكر والطوبجية منها سناء الطنبورجي يعني الطرنبيطي يجمع العسكر والطوبجية
ويفرقهم بنقرات الطنبوراي الطرنبيطة ويدعوهم الاقدام والاحتجام وله في تعليم الحرب

صنغ مخصوصة وفي غيره صنغ اخرى منها صيغة للعصه وصيغة لتبديلها وصيغة لاجتماع رؤساء الصف وصيغة لاجتماع السيفين وصيغة للحمل على العدو وصيغة للحد من الى غير ذلك وجعل نصره الله للخيالة منبهاً وهو النفير المعروف بالبورى يجدهم ويترقبهم باصوات مختلفة ينهمونها وعين لتعليم الحرب والتمرين عليه اوقاتاً معلومة في ايام معلومة يخرج فيها العسكر والخيالة والطوبجية كل صنف على حدة حسبما تقضي به عليهم قوانين الحرب (تنبيهات) الاول يجب على رئيس العسكر والسيفين وروءساء الصفوف وخلفاء الجميع وسائر الجند ان يتعلموا حرب البواريد (البندقيات) الى ان تحصل لهم المنة ويقدر على تعليم غيرهم ومن لم يتعلم منهم يعاقب الثاني يجب على المدفعين ان يتعلموا حرب المدفع من ذلك ونيشان وحركات المدافع يمينا وشمالاً على حسب الحاجة ومن تعلم ذلك وحصله بكرمه مولانا ومن لم يتعلمه يعاقب الثالث وهو آكد ما ان الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي وخليفته اذا قاتلا العدو على غير القوانين الحرية وحصل من ذلك اختلال في صفوف العسكرو هزيمة فانها يعاقبان على حسب اجتهد السلطان (المسألة الرابعة) اخترع مولانا علامات من خالص المذهب والنظرة على شكل بديع سماه الشيعة المحمدية يعني النيشان ونبه على سائر الجند ان من ظهرت شجاعته او ابدى مزية وقت الحرب بان انقذ اخاه من يد العدو او سبق غيره بالمجوم او الكر اورد المزية على العدو وغير ذلك من المزايا التي توجب له العز والاحترام عند مولانا وثبت لديه ذلك فانه يمنحه الشيعة ويلبسه اياها بيده الكريمة وتضرب الموسيقى له اعلاماً بذلك والشيعة تكون على حسب المزية اذا كان حاضراً بين يديه واما اذا كان مع احد الخلفاء فانه يلزمه ان يثبت مزيته اني يستوجب بها حمل الشيعة عند الخليفة وهو يرفع الامر الى مولانا فيثبت له بها وسنذكر مراتب الشيعة في آخر الخاتمة (تنبيهات) الاول ان مات الاغة اعني رئيس العسكر المحمدي او السيف او كبير الصف في الحرب فلا ينقطع راتبه وانما يبقى جارياً على بنيه الى ان يقدر احد اولاده على حمل السلاح فيجري عليه بعد ذلك راتب عسكري حتى يترقى في الخدمة فيزداد في راتبه على حسب الرتبة التي ترقى اليها الثاني ان جرح العسكري في القتال جرحاً يمنعه من المشي ويقدر على القتال ركباً فانه يدخل في صنف الخيالة وان تعطل بالكلية فانه يجري عليه راتبه من غير شرط الى ان يموت الثالث اذا مرض العسكري مرضاً يمنعه من الخدمة بشهادة الاطباء فانه يجري عليه نصف راتبه الى ان يموت (المسألة الخامسة) ان مولانا جعل للسكوكات الجارية في البلاد

صرفاً معلوماً نتعامل به رعيته وسك نصره الله نوعين من العملة احدها المحمدية والآخرى النصفية فجعل صرف الدور ابو مدفع المعروف بابي عمود اربع ريات وكل ريات فيه ثلاثة ارباع جزائرية وكل ربع جعل صرفه ثمان محديات وكل محمدية نصفيتين من السكة الجديدة المضروبة في دار السكة بحيث اذا اطلق الريال لا ينصرف الا الى هذا الصرف وجعل الدور الجزائري ثلاث ريات الا ثمان محديات وبهذا الصرف يعطي راتب العسكر باصنافه (المسألة السادسة) في قيمة الكسوة وآلات الحرب اما كسوة الجوخ فالسروال قيمته ستة عشر ريالاً والغليظة وهي المنتيات قيمتها خمس ريات والصدريه ستة عشر محمدية واما كسوة الكتان فالكبود قيمته اربع ريات والسروال ثلاث ريات وثمان محديات والقميمس رياتان الا ستة محديات والشاشية وهي الطربوش عشرون محمدية والبالغة وهي المداس على حسب سعر السوق واما آلات الحرب فالبلاصكه وهي تحمل الفشك ريات واحد والمخزمة ثمانية عشر محمدية والبندقية اي البارودة بتمامها عشرون ريالاً وقيمة العالية وهي السنكي ثلاث ريات والسكين وهي السيف احد عشر ريالاً (تنبيه) اذا اضاع الجندي شيئاً من الكسوة وآلات الحرب في الحرب او في حال تعلمه فلا ضمان عليه وكذلك الخيال اذا ا تلف الفرس او السرج او آلة حرب في حال القتال او تعلم الحرب فلا ضمان عليه ومن ا تلف شيئاً مما ذكر في غير هذين المواطنين فانه يضمن ما ا تلفه بالقيمة المذكورة واذا لم يلى شيء كالبلاصكه او المخزمة مثلاً فانه يجدد من بيت المال (المسألة السابعة) ان مولانا اوجب ان يكون روءى ساء الجند باصنافه من ذوي النجدة والشجاعة والاقدام والقوة في الدين واليقين والصبر والثبات والفضيلة والتنبيه للمكائد الحربية لان الرئيس في العسكر ينزلة القلب في الجسد اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله فلاجل ذلك لا تكون رئاسة العسكر والخيالة واصحاب الرايات الا باختيار مولانا ونظيره لمن فيه هذه الخصال الحميدة ومن ثمت لا يكون العسكري سياقاً الا بعد ان يتولى في الرتب الصغيرة وتظهر نتائجه الا اذا كان ممن حمل الشيعة فانه يستوجب ان يتولى سياقاً من غير تدريج هذا اذا توفرت فيه الشروط واوجب نصره الله ان لا يكون احد الخيالة رئيساً على العسكر المشاة الا اذا كان من اهل الشيعة فانه له ذلك ان احتج اليه واختاره الامير لمصلحة رآها فيه (المسألة الثامنة) قد جعل مولانا لمؤنة العسكر المحمدي ميزاناً معلوماً بالرطل ونصفه وجعل وزن الرطل ستة عشر اوقية وكل اوقية ثمانية اثمان وكل

ثن مائتي شعيرة مقصودة الاطراف وان لا يكون الكيل وآلة الوزن الا بجم الامارة وعين نصره الله لكل عسكري رغيفاً وزنه نياً عشرون اوقية ونضيحاً ثمانية عشر اوقية واثني عشر اوقية من البرغل وستة اثمان من السمن فان فقد الخبز فرطل بقسماط مكانه فان فقد امعاً فانه يعطى من البرغل بدلها وعين للعسكر السمن في الصيف والزيت في الشتاء

القوانين

❖ القانون الاول ❖

لرئيس العسكر المحمدي وهو الآفة اثنان وعشرون ريالاً راتباً شهرياً لا ينقص له من هذا العدد شيء وله في كل يوم ثلاثة ارغفة احدها من الخبز الابيض الخاص والاخران من الخبز الاسمر او خمسة ارطال بقسماط عند فقد الخبز وله ستة ارطال من البرغل في كل ليلة ونصف رطل سمناً وخمسة ارطال حطباً وله مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط معاً وله في كل يوم خميس واثنين شاة وله كسوة تامة من بيت المال وان بليت فانها تجدد له بالثن فثن المنتان وهو الغيلة ثمانية وعشرون ريالاً جزائرياً وثن السروال اربعة واربعون ريالاً وثن القميص ريال واحد

❖ القانون الثاني ❖

للسياف اثنا عشر ريالاً في الشهر وله في كل يوم رغيفان احدها ابيض والثاني من مطلق الخبز او رطلان ونصف بقسماط ان لم يوجد الخبز وله في كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً ومثل ذلك في النهار ان لم يوجد خبز ولا بقسماط وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ربع شاة وكسوته تجدد بالثن

❖ القانون الثالث ❖

لرئيس الصف ثمان ريالات راتباً شهرياً وله رغيفان في كل يوم او رطلاً بقسماط وله من البرغل رطل ونصف في كل ليلة وان فقد الخبز والبقسماط يعطى في النهار مثل الليل وله من اللحم في كل خميس واثنين نصف ربع الشاة والميفته

ست ريات ونصف شهرية وله في الخرج مثله وكسوتهما تجدد بالثمن

❖ القانون الرابع ❖

لباش كاتب العسكر اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان احدهما ابيض والاخر اسمر او رطلان من البقسماط ورطلان من البرغل في كل ليلة واوقيتان من السمن وله مثل ذلك في النهار عند نقد الخبز والبقسماط وله في كل يوم خميس واثنين ربع شاة ورطل حطب في كل يوم وليلة ووظيفة هذا الباش كاتب كتابة امور الجيش كالرواتب والاكسية والديون التي تترتب في ذمة افراد العسكر وقراءة القانون وقت الحاجة ومن وظيفته ايضاً انه يجمع ما تحته من الكتاب ويعلمهم فرائض الغسل والوضوء والتيمم والصلاة والصوم وعقائد التوحيد كما ان كل واحد من هؤلاء الكتاب يعلم المائة التي هو كاتب عليها جميع العبادات والعقائد ويؤذن للصلاة ويصلي اماماً كما ان الباش كاتب يجب عليه ان يعلم الآفة وظائف الدين ويؤم في الصلاة وقد اوجب مولانا علي العسكر ورءوسائه ان يحترموا هؤلاء الكتاب ورئيسهم ومن اهان احدهم فانه يعاقب العقوبة الشديدة

❖ القانون الخامس ❖

لكاتب المائة سبع ريات في كل شهر وله في كل يوم رغيفان من مطلق الخبز او رطلان من البقسماط وله في كل يوم خميس واثنين نصف زرع الشاة من اللحم وكوة الكتاب جميعاً ان يليت تجدد بالثمن

❖ القانون السادس ❖

لحامل الراية المحمدية سبع ريات في كل شهر وله رغيفان من الخبز الاسمر او رطل بقسماط ان فقد الخبز وباقي الخرج فهو فيه مع رئيس العسكر ولا يكون حامل الراية الا من اهل النجدة والشجاعة والجرأة وينزل مع الرئيس في تحله

❖ القانون السابع ❖

للطباخ رياتان في كل شهر وله جلود الشياه التي يذبحها

❖ القانون الثامن ❖

لمعلم الحرب اثنا عشر ريالاً في كل شهر وله رغيفان من مطلق الخبز او رطل ونصف من البقسماط عوضاً عنهما ان فقد الخبز وله في كل ليلة رطل من البرغل وواقية من السم من ربع شاة من اللحم ولا يكون المعلم الاً واحداً عند كل رئيس ويكون نزوله مع السيف

❖ القانون التاسع ❖

لرئيس الطنبور سبع ريات ونصف في كل شهر وله رغيفان كل يوم من مطلق الخبز او رطلان بقسماط وينزل مع الرئيس

❖ القانون العاشر ❖

لمطلق العسكر المحمدي اعني لكل فرد منهم ست ريات في كل شهر وله رغيف او رطل بقسماط ولسائر اهل الخباء اي الخيمة في كل ليلة خمس وعشرون رطلاً برغلاً ورطل ونصف رطل سمناً ومثلها زيتاً في فصل الشتاء وعند فقد السم من الخطب خمسة عشر رطلاً سواء كانوا في سفر او حضر ولهم خمس وعشرون رطلاً من البرغل ان فقد الخبز او البقسماط والمائة منهم لها في كل يوم خميس واثنين خمس شاة يقسمونها على الاخوية هذا تمام المؤنة واذا نقص من المائة او اهل الخباء فانه ينقص لهم من هذه الاشياء كلها بقدر ما نقص من الاشخاص

❖ القانون الحادي عشر ❖

لجاويز العسكر سبع ريات شهرياً وهو مثل العسكري في كل شيء وامره بيد الاغة اي رئيس العسكر المحمدي تولية وعزلاً

❖ القانون الثاني عشر ❖

لرئيس الخيالة تسعة عشر ريالاً في الشهر وله رغيفان احدهما ايض والآخر اسمر وله اربعة ارطال من البرغل واربع آواق سمناً في كل وقت اعني بيلاً ونهاراً واربعة ارطال من الخطب في الليلة ومثل ذلك كله من البرغل والسمن والحماط ان فقد الخبز والبقسماط

﴿ القانون الثالث عشر ﴾

لسياف الخيالة تسع ريات في كل شهر وستة عشر محمية وله رغيف واحد ابيض وله نصف ربع الشاة من اللحم في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون الرابع عشر ﴾

لكل خيال سبع ريات في كل شهر ولكل واحد منهم في كل يوم رغيف اسمر او رطل بقسماط عوضاً عنه وللخمسين خيالاً في كل خميس واثنين شاتان ونصف شاة ولهم في كل ليلة سبعة وثلاثون رطلاً من البرغل ومن السمن رطلان وربع ولهم مثل ذلك في النهار ان فقد الخبز والبقسماط ولهم من الحطب عشرون رطلاً وينقص لهم من اللحم والسمن بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون الخامس عشر ﴾

باش طويجي اربعة عشر رياتاً في كل شهر وله في كل يوم رغيفان احدهما ابيض والاخر اسمر ورطلان من البقسماط عند نقد الخبز وله ثلاثة ارطال من البرغل في كل ليلة وثلاثة آواق سمناً ومثل ذلك في النهار ان نقد الخبز والبقسماط وثلاثة ارطال حطباً ومن اللحم ربع شاة في كل يوم خميس واثنين

﴿ القانون السادس عشر ﴾

عين مولانا كما سبق لكل مدنع اثني عشر جندياً ستة يقاتلون وستة يرتاحون وعليهم رئيس وهو الثالث عشر سماء رئيس المدفع ولهذا الرئيس كل يوم رغيفان من الخبز الاسمر وله في كل يوم خميس واثنين من اللحم ثمن شاة وباقي الخرج والمرتب فكالعسكر

﴿ القانون السابع عشر ﴾

كاتب الطوبجية مثل كاتب المائة في كل شيء

﴿ القانون الثامن عشر ﴾

لكل واحد من الطوبجية ستة ريات ونصف في كل شهر وله رغيف واحد

اسمر في كل يوم او رطل بقسماط ولم من البرغل واللحم والسمن والحطب مثل ما
للعسكر واذا نقصوا ينقص لهم من الخرج بقدر ما ينقص من عددهم

﴿ القانون التاسع عشر ﴾

ان معلم الطوبجية في الايام التي يتعلم العسكر فيها الحرب لا بد ان يكون مقابلاً
بالانفار والمدافع للعسكر ويختارون كما يفعلون مع العدو لاجل التدريب والتتربن

﴿ القانون الموفا عشرين ﴾

ان ربط الفشك وتذيب الرصاص انما هو على الطوبجية في كل نخلة اي عرذى
لانهم احق بذلك واذا كثر عليهم الشغل يستعينون بالعسكر

﴿ القانون الحادي والعشرون ﴾

ان العسكري البعيد الدار اذا ظلب التسريح الى اهله واخذ الرخصة فيه فان
بارودته تبقى تحفوظة عند السيف وكذلك العسكري المريض الذي يكون في المستشفى

﴿ القانون اثناى والعشرون ﴾

المؤنة انما تجري على العسكر والخيالة والطوبجية وروسائهم في السفر والحضر ما
داموا في الخدمة فان كانوا مسرحين بالرخصة في بلادهم عند اهلهم فلا شيء لهم
منها البتة

﴿ القانون اثالث والعشرون ﴾

لا يرخص لاحد من العسكر او الخيالة او الطوبجية ان ياخذ شيئاً من المؤنة
الا بحضور باش كاتب العسكر وباش كتب الخيالة وباش كتب الطوبجية ومن تخلف
من هؤلاء الكتاب عن الحضور في الوقت المعين لهم يعاقب ويشهر عقابه

﴿ القانون الرابع والعشرون ﴾

ان من اعتناء مولانا بجنده انه ابنى لهم في كل محل يتعينون فيه مستشفى
وهياً فيه للمريض جميع ما يحتاج اليه من اكل وشرب وفراش وغطاء وخدمة من
افراد العسكر بشرط ان يكونوا ذوي نباهة وآداب وطلاقة وجه واتساع خاطر حتى
لا تضيق نفوس المرضى منهم وعين في كل مستشفى طبيباً ماهراً وجميع ما يلزم من
الادوية ياخذ ثمنه من بيت المال والخدمة اذا تعلموا صناعة الطب والتريض وشهد
لهم الاطباء بالمعرفة الزامة فان مرتباتهم يزداد فيها على حسب تناوتهم في المعرفة ومن

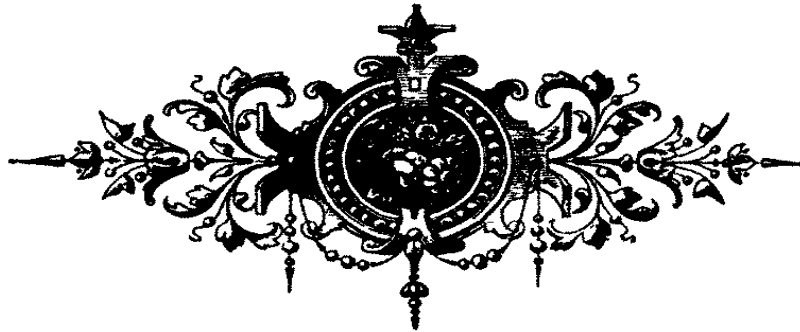
شانهم ان يقوموا بتريض المرضى في حال السفر والحضر وجميع تنقاتهم من بيت المال وجعل لرئيس الاطباء كسوة من الجوخ الجيد تامة واثنى عشر ريالاً في كل شهر وله في كل خميس واثنين من اللحم ربع شاة وله رغيفان من الخبز الابيض في كل يوم او رطلان من البقساط وفي كل ليلة رطلان من البرغل واوقيتان سمناً او زيتاً عند فقد السمن وكذلك في النهار ان فقد الخبز والبقساط معاً وله في كل يوم ثلاثة ارطال حطباً انتهى تقييد المسائل والقوانين التي هي في الحقيقة اصول ولها فروع كثيرة مذكورة في غير هذا المختصر

❖ الخاتمة في انواع الجزاء ❖

اوجب مولانا على رئيس العسكر وهو الآتة ان يتفقد عدد العسكر وكسوته وسلاحه وجميع الآت الحرب في كل يوم سبت وان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر يحبس عشرين يوماً واوجب عليه ان لا يأخذ من العسكري ولا من السياف ولا من كبير الصف ولا من غيرهم محمية واحدة وان لا يغش في شيء من الخدمة وان ثبت عليه شيء من ذلك فان اسمه يمحي من الديوان العسكري ويطرد ويهان واوجب نصره الله على السياف ان يتفقد ما تحت يده من العسكر في كل يوم اثنين وخميس فان تخلف عن ذلك لغير عذر ظاهر فانه يحبس عشرة ايام وان وجد في سلاحه فساد لم يصلحه فانه يحبس خمسة ايام واوجب عليه ان لا يظلم احداً من العسكر وان لا يأخذ منهم شيئاً وان لا يغش في الخدمة ولا يخون فان فعل شيئاً من ذلك وثبت عليه فانه يحبس ستين يوماً ويجب عليه ان يطيع الاوامر الاميرية ولا يخالف في شيء ما واوجب على كل سياف من سيافي العسكر ان لا يركب في يوم الحرب ولا في يوم تعليمه وانما يكون مع الرؤس عليهم ماشياً ليرتب صفوفهم للقتال او التعليم ويشجعهم وهو المتكفل بسلاحهم وهو المسئول عنه بالنسبة لمن فوقه فلا بد ان يتفقد ويعدده والا فانه يضمن ما فقد منه واذا مات العسكري او غاب بالرخصة وكانت البارودة في يده فانه ياخذها منه ويدفعها الى الخليفة وياخذ منه سنداً فيها تبرئة له من الضمان فان غابت ولم ياخذ فيها سنداً فانه يضمنها واوجب على رئيس الصف ان يتفقد ما تحت حكمه من العسكر كل يوم صباحاً ومساءً وذلك ان يصنهم ويقف الكاتب معه والدقر في يده فيسمي افراد العسكر واحداً واحداً وكل من ذكر اسمه يجيب فان ذكر اسماً ولم يجبه احد يعلم ان المسمى غائب فيئخذ

ينظر في امره فان كانت غيبته لعذر مقبول فلا باس عليه والا فانه يطلب ثم يحبس يوماً وليلة ومن انف من الخروج للتعليم فانه يحبس يوماً وليلة وان تخلف السيف والكاتب او كل منهما عن الحضور للتعليم فانهما يحبسان ستة ايام واوجب على الجندي طاعة سيافه وانقيام باء العسة واوجب على عموم العسكر طاعة عموم رؤسائهم فمن عصي رئيسه في شيء فانه يحبس خمسة عشر يوماً ومن سمع الطنبور لينعلم الحرب ولم يجب فانه يحبس يومين ومن سمع الطنبور يدعو الى الخروج الى القتال ولم يخرج فانه يحبس شهراً ومن خرج للتعليم او للقتال في غير الكسوة الاميرية فانه يحبس يوماً وليلة وكذلك الآفة والسياف ورئيس الصف ومن ترك الوسخ على سلاحه او كسوته فانه يحبس ثلاثة ايام ومن اتلف شيئاً من سلاحه او افسده في غير يوم الحرب او تعليمه فانه يضمن قيمته كما تقدم في المسائل ومن هرب من الخدمة العسكرية ورجع باختياره فانه يحبس على قدر الايام التي غاب فيها ومن هرب وقبض عليه بامر الامير فانه يحبس على حسب اجتهاد الامير ومن اطلق طلقاً واحداً من بارودته ليلاً او نهاراً لغير مصلحة فانه يحبس يوماً وليلة واذا نام العسكري في العسة القائم بها فانه يحبس ثمانية ايام واذا باع العسكري شيئاً من البارود وثبت عليه ذلك فانه يحبس شهراً واذا كان العسكري المذنب مسافراً فانه يضرب بالسوط على قدر الايام اني يحبس فيها قانوناً وجميع ما يلزم رئيس العسكر المحمدي ويجري عليه يلزم رئيس ابيالة ويجري عليه وكل ما يلزم العسكري يلزم الخيال وكل ما يلزم سباف العسكر يلزم سياف الخيالة وان ركب الخيال فرسه من دون موجب فانه يحبس يوماً وليلة وما يجري على العسكر يلزم سائر الطوبجية ويجري عليهم وما يجري على السيافين يجري على باش طوبجي وان عمل احد رؤساء العسكر او الخيالة او الطوبجية ما يستوجب العزل فانه ينحط عن رتبته الى رتبة عسكري ويلبس لباسه وكسوة الجوخ ترجع الى بيت المال وان وجب حكم من الاحكام السابقة على افراد العسكر فان رؤساء الصف هم الذين يتولون نفوذ الحكم القانوني فان السياف يحكم عليه بحسب القانون الذي يخصه وان فرط رئيس العسكر في نفوذ الحكم القانوني فان مولانا او خليفته يعاقبه حسب القانون وان فعل العسكري خصلة حميدة في حال الحرب فانه يجوز الشيعه المحمدية ويستوجبها على الهيئة المذكورة في المسائل ويجوز حرمة فوق السيافين واذا فعل رئيس العسكر مزية فانه يحمل الشيعه اللائقة والشيعه نشان صورة يد مفتوحة الاصابع ذهباً وفضة وفي وسطها مكتوب ❖ ناصر الدين ❖ تربط على الراس فوق

الاذن اليمنى ولناقلها في كل شهر خمسة وعشرون ريالاً ويجب احترامه على الجميع
وهكذا الخيالة ورؤساؤهم فمن عمل بقتضى هذه القوانين وبما ذكر في المسائل فقد
فاز في الدنيا والآخرة ونال من الله تعالى الرضى وزيادة فيجب على من سمع ما
ذكرناه ان يطيعه ويعمل به ويدعن له ويرضى به والله ولي التوفيق والهادي الى
سواء الطريق حرر في اواخر جمادى الاولى سنة تسع واربعين ومائتين والف





❖ رسم احد خيالة جيش الامير ❖



❖ رسم احد عساكر الامير ❖

﴿ صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر ﴾

كانت هيئته شبه دائرة حسنة الانتظام خيامها نخروطية الشكل متناسبة البعد في البناء كل خيمة تضم ثلاثة وثلاثين نفرًا ومدخل المعسكر من جهة الشرق وعليه مدفعان وفي المقدمة خيمة رئيس المدافع ويقابلها خيمة رئيس الجراحين والاطباء والمستشفى وفي نصف الدائرة خيمة الامير وطولها خمسة عشر مترًا في عرض ستة امتار مزينة الباطن بانواع الاقمشة الملونة مفروشة الداخل بالزرابي المتقنة تبنى على ثلاثة عواميد ارتفاع كل واحد منها خمسة عشر قدمًا متناسبة الوضع في البعد ويجلس الامير فيها مقابلًا للمدخل وامامه صندوقان صغيرا الحجم من حديد ضمن حداها اوراقه المهمة وضمن الثاني مال ينقعه في الاحسان والخيرات ويقابل المدخل ستارة يقف عندها عبدان دائمًا ومن ورائها مكان يخفي فيه للوضوء والصلاة والمقابلة السرية وعلى بعد ستة امتار من الخيمة مركز راياته ومربط خيله المختصة به واذا جلس داخل خيمته نقف حوله كتمة اسراره وخواص المأمورين واركان الحرب بغاية ما يكون من الادب والخضوع ويقف من ورائهم ثلاثون عبدًا من اهل الشدة والبأس المشهود لهم بالشجاعة والفروسية وهم الحرس الخصوصي للامير يتناوبون ليلاً ونهاراً واثمانهم من بيت المال واذا اراد اصدار امر ما اشار لمن يريد به فيقرب منه ويتلقى الامر ثم يرجع القهقري وخيام كنبه اسراره وخواص مأموريه عن يمين خيمته وشالها ومن ورائهم خيام تحافظي الخزنة ولوازمات الجند من البسة والسحة وغيرها وموهنة الجيش ومرباط الجمال والبغال على ناحية منها وفي كل جهة من المعسكر سوق يشتمل على قهاوي ودكاكين تباع فيها اصناف البضاعة والماكولات واذا حضر وقت الصلاة واذن المؤذن يخرج الامير فيصلي بهم اماماً ويعاقب كل من تخلف عن صلاة الجماعة لغير عذر وكان يجلس لفصل الدعاوي بعد فراغه من صلاة الضحى الى اذان الظهر ثم يخرج ويصلي اماماً ويرجع لخيمته ليقيل ساعة ثم يجلس للفصل ايضاً الى اذان العصر وبعد الفراغ من الصلاة تصدح الموسيقى امام خيمته بانغام شجية والحان انداسية تحرك اوتار الاشجان ويتواجد من الحائض كل انسان حتى ان الخيل تكف عن الاكل ويتخيل الناظر انها ترقص من كثرة حركة يديها ورجليها عند استماعها فاذا انتهت الموسيقى نادى الجاويش (الله ينصر ناصر الدين وبطيل عمره) فيجيبه الجميع بتل ذلك وبعد اداء صلاة العشاء تضرب الموسيقى

لحقاً واحداً ثم يمنع الدخول والخروج من المعسكر ولا يؤذن في الدخول والخروج منه الا بأمر الامير وكل من يخالف هذا القانون فجزاؤه الاعدام

﴿ صفة رحيل المعسكر ونزوله ﴾

اذا اراد الامير الرحيل يطلب الخزندار بعد اداء صلاة الصبح ويأمره بتهيء الجيش للرحيل فيطلق مدفعان بينهما برهة يسيرة وهذه علامة الرحيل فينادي يشور جميع الجند لجمع الامتعة وهدم الخيام وتحميل المؤنّة والذخائر وتمتطي الفرسان صهوات الخيل ثم تاتي الاغوات وقواد القبائل الى خيمة الامير فياذن لهم بالدخول ويسألهم عن الاراضي والمراكز الموافقة للنزول ثم ياتي الخزندار فيخبره بتهيء الجيش للمسير فيخرج من خيمته ويمتطي صهوة جواده فيثب به وثبتين ثم تصدح الموسيقى بلحن الرحيل فيبتدىء الجيش بالمسير على ترتيب عجيب الى ان يصلوا المحل المناسب للمبيت فينزل الامير وتنصب الرايات ويحيط به الحرس ويذهب الخزندار لترتيب نزول الجيش وتعيين محل خيمة الامير وفي اقرب وقت ترى الخيام نصبت والمضارب ضربت ونزل كل فريق في منزله ووقف الخفر في تحله فعند ذلك يذهب الخزندار واحد اركان الحجاب فيخبر الامير بامكان دخوله المعسكر فيركب جواده ويسير والمأمورون من ورائه والموسيقى تصدح بلحن الوصول الى قرب الخيمة ثم تغير اللحن فيبدأ فرس الامير وينقرب من الكرسي المعد لنزوله وعند وطئه الارض تطلق ثلاث مدافع اعلاماً بنزوله

﴿ ذكر خروج الامير لتمهيد البلاد ﴾

لما بلغ ابن عربي خبر انتصار الدوائر على جيوش الامير اظهر ما كان كامناً في صدره من نبذ الطاعة والدعوة لنفسه وحمل قبائل البربر في ناحيته على اظهار ما كان يدسه اليهم من الخروج عن طاعة الامير واجتماع كتبتهم عليه فاجابوه الى ذلك واحتشدوا اليه فنهض بهم الى نواحي القلعة واستجاش بالبرجية وكان رئيسهم تدرر ابن الخنّي تلى مشربه فعمدوا جميعاً في انقرب من قصبة البرج نخرج اليهم الامير بعد ان اخذ اهبطه وعرض جنده المنظم وسار اليهم في الثامن من صفر سنة خمسین وفي السابع عشر من يونيه سنة اربع وثلاثين وثمانائة والفسق جمعهم واتخن بينهم قتلاً وسبياً ودخل القصبه فاخذها نارا وحطم اشجارها ثم بعث السبي وفيهم

حريم ابن المغني واولاده الى الحضرة وارتحل الى انقاعة وفر ابن عربي بجموعه الى نواحي مينة فاتبعهم الامير وصادفهم القتال فهزبهم اقبج هرمة وامتلأت ايدي جيوشه بالغنائم ولما علم اهل تلك النواحي ان ابن عربي قد تلاشى امره ولا مناص لهم من عقاب الامير اوفدوا عليه علماءهم واشرافهم فاعتذروا اليه واوقفوه على دسائس ابن عربي وادوا اليه طاعتهم وطاعة من خلفهم فقبلها منهم وولى السيد ابا شقور خليفة عنه في تلك النواحي وولى السيد نعي الدين بن علال على مليانه ونواحيها وفوض اليه في جمع كلمة القبائل الشمالية الى شرشال وتنس من الاساكل البحرية وانتاب راجعاً الى الجهة الغربية فاحتل بسبك ثم ارتحل الى ثنية ماخوخ وشن الغارات على قبيلة رباح في منازلهم فيما وراء تلمسان لجهة الشمال ففجهم واكتسح اموالهم وحملهم على الطاعة ثم انعطف غازياً على بني خلاد من قبائل ولماصة في الساحل فاشحن فيهم واستولى على موجوداتهم وادوا طاعتهم وعسكروا معه فلما بلغ الدوائر ما حل باشياعهم تناذروا وانفدوا الى حليتهم الشيخ ابن الغماري وقومه ومعدوا القتال الامير في المهرارز غربي تافنا فزف اليهم الامير في السادس من ربيع الاول سنة خمسين واربعة عشر يولييه سنة اربع وثلاثين فاصطفوا قباء الجند ودعتهم نفوسهم الى الهجوم عليه فاذاقهم نكل الحرب وردمهم على اعقابهم ووقع رئيسهم ابن اسماعيل جريحاً فحملوه وولوا الادبار تاركين قتلاهم في المعركة وبعث الامير روءس من هلك من اعيانهم المشاهير كعبدالله بن الشيخ الغماري وغيره من الابطال المعروفين فندبوا على ابواب الحاضرة معسكر عبدة لغيرهم ودارت البشائر بهذه الانتصارات المتتابعة الى الولايات واعلن بها في المدن والقرى والخواحي ففرح الناس بذلك وانشرت صدورهم لما يعملونه من مرض قلوب الخوارج وشدة حقدهم على المسلمين وظلمهم عباد الله ايام الحكومة الجزائرية وبعد ان فرغ الامير من امر الخوارج واشياعهم ارتحل الى تلمسان فكان يوم دخوله يوماً مشهوداً وتفاوض الخوارج في امرهم فاشار عليهم رئيس الدوائر مصطفى بن اسماعيل بان يلقوا بالمغرب الاقصى ويدخلوا في طاعة سلطانه واشار الشيخ ابن الغماري والمازري بالاذعان الامير قائلين هو سيدنا وابن سيدنا فان تقبل توبتنا ورفع قدرنا بين اقراننا فذلك والا فحينئذ ننظر في امرنا والحق بسلطان المغرب الاقصى غير موافق لان فينا الضعيف ومن لا قدرة له على الوصول الى تلك البلاد على ان غالب سكانها لا تنالهم الاحكام السلطانية فلا نسلم من غوائلهم ولا يخفى ان توالي الحروب وتتابع الغزوات علينا افنى لنا الظاهر واباد المال واخذ قوانا

فقال ابن اسماعيل ان ابن يحيى الدين اذا ظفر بكم لا بد ان يقتلكم ويعاقب اشلأكم
واحدًا بعد واحد على اسوار معسكر وكذا انظر الى الحشم يتفرجون عليكم ويشتمون
بكم والذي ينجو منكم يعيش تحتهم ذليلاً حقيراً واطال عليهم في التحذير والتنذير
فلم يلتفتوا اليه واستامنوا للامير فبعث اليهم منشور الامان مع كاتبه الخاص السيد
مصطفى بن التهامي والعلامة السيد عبدالله سقاط فاطمأنت قلوبهم وطابت نفوسهم
وتوجهوا مع الرسولين الى تلمسان ولما دخلوا على الامير مذكعين تقبل طاعتهم واكرم
نزلم واقرب الشيخ ابن الغاري على رئاسة قومه وولى المازري على قومه الدوائر وامرهم
بالرحيل الى قرب تلمسان فامتلأوا وارتحلوا وخالفهم ابن اسماعيل ولحق ببلاد ولما صه
ثم ان المازري قدم شفاعته الى الامير في عمه ابن اسماعيل فشفعه فيه واحضره
الى اعتابه فتلقيه الامير ولاطفه واحسن السؤال عنه وعن احواله وبعد ان خرج من
عنده لقيه اقاربه فسألوه عما جرى فقال لهم هذا آخر العهد بيني وبين هذا الامير
فقليل له في ذلك فقال اني رايته لا يثائر بما يرضى ولا بما يغضب فعملت انه يغير
لنا السوء كيف وقد وقع ما ما وتنع مما يوجب ذلك والان قد استقام له الامر ثم
ذهب الى اهله وتنصر وقتل فمين قتل من جيش الفرنسيس وسناتي على بقية خبره ان
شاء الله تعالى ولم يزل الامير مقيماً في تلمسان الى ان اصلى شانها وشان اياتها
وفي اثناء ذلك ظهر قصور من قائد طائفة الكول اوغلان فعزله وولى مصطفى باي
ابن الباي المقلج ثم باغاه ان فرقة من الدوائر فروا من منازل المعينة لم قرب تلمسان
ولحقوا بالحرانواحي وهران من جهة البحر فغزاهم وفي طريقه راي بعض الرعاة الجيش
فسبقه اليهم وانذرهم فبادر جماعة الى الهروب ودخلوا في حصن للفرنسيس كان
قريباً منهم وتراخي آخرون فلقى بهم الامير واكتسح اموالهم وردهم عن وجهتهم
فتفرقوا اوزاعاً في انقبائل وانقتل الامير راجعاً على بلاد اولاد خالفه من بني عامر
ونزل بوادي الكيجل فحضر لديه من اعيان الدوائر رئيسهم المازري وبنو عدّه ولد
عثمان ومن اعيان الزمالة رئيسهم محمد بن المختار ومحمد ولد قاسم وابن غنور وجماعة
من الونازرة فامرهم ان يرتحلوا من منازلهم الى معسكر وعين نخلة العرقوب لسكناهم
فاجابو وارتحلوا حالاً واصل هؤلاء الدوائر والزمالة اخلاط من العرب والبربر كانوا
يلوذون بالباي محمد حاكم معسكر وفتح وهران من يد دولة اسبانيا فلما حدث الطامعون
الجارف في المغرب الاوسط في اوائل القرن الثالث عشر من الهجرة خيم الباي في
ظاهر البلد وخرج الناس لخروجه فعين من هؤلاء الخدم جماعة للنزول في دائرة

خيامه فسموا دوائر وعين آخرين لجل اثقاله واثقال عسكره فسموه بالزمانة ولما حصل
لهاتين الفرقتين ما حصل من الاحترام والامتياز بين جميع الرعية باحراز مقاصدهم واستثنائهم
من سائر المطالب الميرية صار الناس من جميع الجهات يهرعون الى الدخول في
خدمتهم والانحياز اليهم فكثرت عدد كل من الطائفتين وصارتا قبايتين عظيمتين وكثرت
نسلهم وقويت شوكتهم ولما انتقل الباي محمد الى وهران بعد ان فتحها انتقلوا معه
فحازوا الوظائف الجليلة والراتب العالية ونقدموا على من سواهم من اعيان الوطن
وروسائه عند حكومة وهران فلما بدلت تلك الحكومة بدولة الامير واحسرا بالخطا ادهم
عما كانوا عليه اتقوا واستنكفوا واقحموا الشدائد العظيمة التي لا يعانينا غيرهم فهلك
رجالهم ونفيت اموالهم وقل عددهم وانقطع مددهم وبلغوا من الضعف غاية ومن العوز
نهيته ثم حملتهم الاتفة على الانخراط في سلك الفرنسيين والدخول في عددهم فقاتلوا
المسلمين دونهم وبذلوا قوتهم في نصرتهم ولم يتخل عنهم الامير الا بعد ان اذاع على
نفاقهم واعراضهم ظاهراً وباطناً عن الاسلام وطالما حاول ابعادهم عن وهران فما امكنه
ذلك ولم يزل اعقابهم ومن لم يهلك من كبارهم مع الفرنسيين لهذا العيد واما الحشم
فانهم اخلاط من انقبائل كانوا خدماً وحشداً لبني زيان ملوك تلمسان واما بنو عامر
فاصلوهم من عرب الشام ومنازلهم معروفة ببلستين برج بني عامر ولما فرغ الامير من
تهديد الجهة الغربية واصلاح شؤنها دلى عليها السيد محمد البوحميدي الوهاضي وانفقت
راجعاً الى حضراته معسكر وتفرغ للنظر في احوال الجند وتكثير عدده واستكمال
عدده ولما اتصل ذلك بالجنرال دي ميشيل حاكم وهران اوعز الى وكيلهم في معسكر
عبدالله بمساعدة الامير واعطائه الآراء في تحسين احوال الجند والاستعانة في تعميمه
وتدريبه وارسل من طرفه معلمين ماهرين واربعائة بارودة ومقداراً وافراً من
الذخائر الحربية وقال ان الامير مستعد للقيام باعباء المالك غير ان ذلك لا يتم له
الا بالعساكر المنتظمة والجيوش المدربة واما الحشود والجموع الغير المنتظمة فلا تجدي
نفعاً ولا تستطيع جلباً ولا دفعاً فحجب الناس من نصائح هذا الجنرال ومساعدته
الامير وعدوه من شعائر الانسانية ودلائل الرغبة في دوام المواصلات والمسالمة ثم ان
الامير وجه خليفته على بسكره والصحرى السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن ومعه السيد
محمد بن كانون الى احمد باشا باي تونس واصحبها بسيف مرصع بالجواهر وخيول
سروج مذهبة وآلة شاي من الذهب وغيرها ثم رجع الوفد بغاية من الممنونية مصحوباً
بالهدايا السنية فتقبلها الامير قال بعض مؤرخي الافرنج وبهذا الاتفاق انتهت احوال

العرب للتقدم والنجاح ثم في اواخر شهر آب وفد الشيخ ابن الغاري رئيس قبيلة انكاد حليف الدوائر على الحضرة وابن عربي مظهرًا للخضوع والطاعة ومعه صهره محمد بن المداح رئيس قبيلة اولاد خويدم وقدر بن المختي وروساء البرجية فانزلهم الامير في دار الضيافة وقدموا كلهم في وقت واحد كأنهم على ميعاد وفي ثاني يوم وضوهم اذن لهم الامير في الدخول عليه فبشّ في وجوههم واحسن السوءال عنهم وبعد ايام اذن لهم في الانصراف الى اهلهم سوى ابن عربي وصهره وشيخ انكاد ابن الغاري فانه امر بحبسهم حتى ينظر في امرهم ومن الاتفاق العجيب انه حدث الوباء المعروف بالريح الاصفر تلك الايام فمات به ابن عربي وصهره ابن المداح وبقي ابن الغاري ففر من السجن وكان دس الى اهله ان يأتوه بفرس ايبزب عليه نظرًا لشيخوخته وعين لم الوقت والموضع الذي يلاقهم فيه ففعلوا فقبض عليهم العسكر بالليل وذهب ابن الغاري وخادمه الى الموضع الذي عينه لاهله فلم يجدهم ولحق بحرش بلد المشارف علي مسافة قليلة من الحضرة فاقام به ينتظر اهله ولما طال عليه الحال بعث خادمه ليأتيه بما يقوته فقبض عليه المشارف وسالوه عن حاله فاجاب انه غريب سائل ثم قويت الشبهة فيه فضيقوا عليه فاقر بامرهم ودلهم على سيده فقبضوا عليه واحضروه بين يدي الامير فامر به فعاق على سور البلد وعلق خادمه لجانبه ولم يزل الامير جائلاً في ميادين هذه المقاصد متواصل الحركة في درء المناسد تارة بالطنع والاشفاق وتارة بالوعظ والاحسان علي حسب ما يقتضيه الحال والزمان الى ان استقامت الامور وامنت السبل وارتفع الشقاق وارتاحت الافكار واشتغلت الرعية بما يعينهم من زراعة وتجارة وعمّ الامن البراري والقفار قال بعض المؤرخين بلغ امر بلاد الجزائر في الامن الى حالة لو سارت البنت البكر الجميلة في محاريها وقفارها حاملة نقائس الجواهر على راسها لا تجد من يسالها فضلاً عن يتعرض لها بسوء وتعطرت المحافل بذكر الامير عبد القادر ورمقته عيون التعجب لما وصل اليه مع حداثة سنه من الامر المدهش الذي لم يكن مظهرًا عند من يعرف احوال بلاد الجزائر وضغائن اهلها وعدم انتظام امرهم ثم قال وكان الامير تحافظاً على اقامة الحق ناشراً لواء العدل على عموم الرعايا يجري القصاص الشرعي والسياسي على اصحاب الجنايات بما يستحقونه لا تاخذه في ذلك لومة لائم وكان الناس يقبلون احكامه ويتلقونها بانشرح صدر وطيب نفس وقال غيره بعد ذكر ما جرى بين عساكر الامير والخوارج ان همم الامير عبد القادر لم تفت في اثناء ذلك عن السعي بما فيه راحة البلاد فانه رتب

سائر ما يلزم من الخلفاء عنه والولاية ووطد الراحة العامة والحق يقال ان الحصول على ذلك في مثل تلك الاوقات امر عظيم جداً وهو دليل كاف على عظم همته فانه قطع ما يوجب سقوط امارته وحول احوال البلاد من العسر الى اليسر ومن الاضطراب الى السكون في مدة عشرين شهراً من يوم بيعته وابتداء دولته وقال ومن العجب ان تمكن امارته كان بقوتين قوة رغبة وقوة رهبة الا ان القوة الاولى كانت هي المعول عليها ولذا كان الاكثر من سكان البلاد يطيعونه بخلوص ووداد وقال بلغ الامير عبد القادر في الفطنة والدهاء ما لم يبلغه غيره من امراء العرب وناهيك به من امير جليل تلتف في الشروط التي قررها في عقد المعاهدة وظهرها في اسلوب عجيب حتى ان الجنرال دي ميشيل لم يتوقف في قبولها ولم يتلعم في الموافقة عليها بل اجراها وامضاها في الحال ثم ظهر له منها ما تركه في حيرة من امره وعلم ان الامير قد خدعه والحرب خدعة فمن ذلك ان جميع المعاملات التجارية تكون في مدينة ارزيو لا في سواها من الاساكل وانها تكون تحت نظره لا مدخل للفرنسيين فيها وان جميع ما يرد من الداخلية لا يباع الا في ارزيو ولا يشحن الى بلاد اوربا الا منها واما وهران ومستغانم فلا يرد عليها من الداخلية الا ما تقضي به حاجة اهلها فاعتمد الوكيل خليفة ابن محمود في ارزيو على هذا وجعله نصب عينيه واستقصى في اجرائه وافرط حتى انه منع غيره ان يشتري شيئاً من واردات الداخلية وانما هو يشتري من الباعة ما يجلبونه الى البلد ويشحنه على حسابه الى بلاد الافرنج فغضب لذلك تجار فرنسا وتقدموا على الجنرال دي ميشيل ظاناً منهم ان ذلك عن اذنه وبرخصته فرفعوا امرهم اليه فانكر ان يكون ما يفعل الوكيل منه ثم انه اجري ما ارضى الطرفين وذلك انه ابقى الوكيل ما يرد عليه من واردات الامير المخصصة به من املاكه وما سوى ذلك جعله حراً لا يختص باحد دون آخر قال وكان الامير نبيه على وكلائه ان لا يقبلوا رجوع المسلمين الذين هاجروا من وهران ومستغانم وارزيو فكانوا يمنعون كل من رجع من اولئك المهاجرين ان يدخل الى احدى هذه المدن ويجبرونهم على الرجوع الى داخلية البلاد وساعدهم ما ذكر في الشرط الثالث من شروط المعاهدة ثم اتصلت اخبار هذه الاجراءات وامثالها بدولة فرنسا فكبر عليها الامر ولعدم اطلاعها على احوال البلاد توهمت ان الامير يراجع امير مكة المكرمة ويطلب منه الامداد فانتخبته لمراقبة اعماله وحركته غلاماً فطناً اسمه روس ليون وسنه نحواً من عشرين سنة وهو من عائلة شهيرة في فرنسا وارسلته صحبة ابيه الى الجزائر بعد ان اعلمته بالامر المهم المرسل لاجله وهو

تحقيق احوال الامير ومراقبة حركته فلما وصل الى الجزائر تملطف حتي وصل الى الامير واسلم علي يديه فامر الامير بعض الفقهاء بان يقرأ القرآن وآداب الشريعة والعقائد الدينية ويعلمه اللغة والكتابة العربية ولما تعلم احضر الى الامير فتعجب من اعنائه وذكره ثم زوجه واستعمله في كتاباته الخصوصية تاليفاً له وتشويقاً لغيره فقام باداء وظيفته اتم قيام ولازم الامير في اغلب المواضع وخاض بعض المعامع ودام على هذا الشأن مدة من الزمان ولما احكم التدبير في امر الولوج شرع في التفكير باتمام العمل وسرعة الخروج فكتب كتاباً بما اراده الى امير مكة المكرمة وقد خط الامير في الامضا وبخاتمه الخصوصي ختمه وترك الامير مشغولاً بالحرب مع فرنسا في بعض الوقائع فانتهز الفرصة وآب الى معسكرهم راجعاً ومنه توجه الى باريس واخبر الحكومة بما فعل فاصحبه بهدية ووجهته الى مكة ولما قابل الشريف محمد بن عون وسلمه الكتاب والهدية اعتبره واكرم نزله وبعد ايام سلمه الجواب مع هدية لائقة بالامير ثم وادعه وامره بالمسير فانقلب راجعاً وكان مفعمون الجواب اهداء السلام والدعاء بالتوفيق وبلوغ المرام فعند ذلك تحققت الحكومة الفرنسية ان لا تخايرة بينهما في امور سياسية وقد الف روس تاريخاً سماه ثلاثين سنة في الاسلام اودع فيه من اخبار الامير ما حسنه وزينه ثم امرت الجنرال دي ميشيل ان يبعث من طرفه الى دار الامارة معسكر مراقبين مستعدين لالقاء الدسائس في قلوب اعيان الرعية فجاؤا اليها في صورة متفرجين وجعل امرهم الى وكيلهم عبدالله فاحس الامير بهذه النكيدة وتنبه لها واخذ حذره منها فسد على المراقبين طرق شبايحهم وقصر يد الوكيل وايدبهم عن الوصول الى مرادهم وبالجملة فان آمال الفرنسيين التي كانت تتعلق بحصول الراحة لهم والقاء الدسائس المؤثرة في قلوب رعايا الامير خابت وذهبت سدى ثم ان دولة فرنسا بعثت جماعة من اعيان امرائها الى الجزائر في السادس من ربيع الاول سنة احدى وخمسين والثالث من يولييه سنة خمس وثلاثين وثمانمائة والاف وجعلت اليهم النظر في امورها وعند وصولهم اليها تذاكروا فيما انتجته حروبهم من المنافع والمضار ثم تناوضوا فيما يلزم استعماله لتوطيد سلطتهم في البلاد وانتقوا على وضع حكومة عسكرية تتوزع سياسة تخرصة في الجزائر وسائر المواطن التي استولوا عليها في الساحل فصدر امر دولتهم باجراء ما انتقوا عليه وتعين الجنرال الكونت د'روان دورلون واليا على الجزائر وعزل الجنرال دي ميشيل عن وهران وقد سمعت من الوالد رحمه الله ان سبب عزله انه بلغ دولته بان مراده الدخول في الاسلام فعزلوه حالاً وولوا مكانه الجنرال

تريزيل وامر بدوام المحافظة على المعاهدة والرعاية لها ولما كان ميالاً بالطبع الى الخصام جلاباً لاسبابه جرى في ظاهره على ما تقتضيه اوامر دولته وفي سره على مقتضى طبعه واتفق ان اهل تيطرى بعثوا يبعثهم الى الامير واوفدوا عليه مشيختهم فاتصل به خبرهم فوجم لذلك ورأى انه قد تهيأ له الوصول الى ما يريد من نقض المعاهدة التي عقدها الجنرال دي ميشيل لتقل امرها عليه وتخالفتها لمرامه وجاءته رسل ابن اسماعيل وقومه يعرضون عليه امرهم ويعدونه باداء الطاعة عند اول فرصة نتيهاً لهم ففرح لذلك ثم ان الامير بعث وزير الخارجية الميلود بن عراس الى والي الجزائر ليبلغه التهنئة والتبريك بالولاية ويرى ما عنده في امر الوطن واصحبه مكتوباً اليه ملخصه بعد التحية ان معتمدي ابن عراس وجهته الى حضرتكم ليبلغكم التهنئة والتبريك من قبلي بالولاية على الجزائر . ولقيامي بالمحافظة على امور المعاهدة اوعزت اليه ان يفاوضكم في امور تعين علي اجرائها لتوطيد الراحة في جميع المقاطعات الداخلية في السهول والجبال والسواحل التي على ساحل الجزائر وجوارها ووهران والمدية وخشيت ان يكون ذلك سبباً مكدرًا لما بيننا من المصافاة . و مراد الامير من هذه ان يثبت بوسيلة خفية امارته على جميع الاقليم ما عدا الاربع مدن التي بيد الفرنسيين . وصار ينتظر الجواب معتمدًا ان اجابه برفض قبول المداخلة مع العرب الذين هم خارج وهران ويحبيه بانه لا يعنيه التعرض له بمن لا يعنيه امرهم على انه يعلم من الجواب هل يمكنه ان يملك اقليم تيطرى بدون مجاوزة حدود المعاهدة ام لا فلما وصل ابن عراس الى الحاكم اكرم وفادته والان له الجانب وكان جوابه الامير بعد اداء واجبات التعظيم . قد وصلني مرسومكم . وبلغني معتمدكم ما تعلقتم به ارادتكم في الجهة الشرقية وحيث ان جل مقاصد سموكم توطيد الراحة العامة كما هو المطلوب والمرغوب فيه عند دولة فرنسا ورجالها فلا تتوقفوا واني اؤمل نجاح مقاصدكم ورفاهية شعبكم وسعادة البلاد ولك ان تعتقد بانك لا تقاوم في كل ارض تقصد الاستيلاء عليها بشرط ان تكون لك قوة على اخذها قال بعض مؤرخينهم ان قرب عهد الجنرال بدخوله الى الجزائر واليا عليها وعدم معرفته بدهاء العرب وطرق حيلها وخلو مجلسه ممن يشير عليه بالرأي ويوقفه على خفايا احوال البلاد هو الذي حسن له هذا الجواب مع ما اوصنه به دولته عند تقليده الولاية بقولها يلزمك ان تحافظ على مسالمة الامير عبد القادر في سائر الاحوال وان لا تجري امراً ما يوجب اغرار خاطره واياك ان تعاطي حركة ثقفي عليك بطالب العسكر من هنا مطلقاً ثم ان الامير لما رأى ان لا شيء ينفعه من اجراء ما عزم عليه

اعتمد علي التوجه الى تيطرى فتمعه حدوث الريح الاصفر حينئذ في البلاد وبعد زواله تاهب للسفر وكتب الى حاكم الجزائر يخبره بذلك وكان بعد رجوع ابن هراش بعث اليه بصورة الشروط التي ابرمها مع دي ميشيل في المعاهدة فهاله امرها فلما اتصل به خبر المسير غضب وكتب في الجواب ما نصه قد فحمت ما تضمنه تحرير سموكم والذي انظره ان هذا العزم خال من الصواب وليكن في علمكم ان الجنرال دي ميشيل لم تكن له سلطة ولا حكم الا على ايالة وهران ولذلك لم يتعرض لما يتعلق بباقي الولايات ومهما توسعت دائرة التاويل فيما جرى في معاهدة الثامن والعشرين من فبراير فلا يكون لكم طلب الا على ايالة وهران وبناء على ذلك فلا نسمح لكم ان تدخلوا ايالة تيطرى ولا ان تتجاوزوا وادي شلف شرقاً ونهر ارهيو الى كوجيله وبالجملة فلكم ان تحكموا في البلاد التي هي لكم الان بحسب شريعة الاسلام وبذلك نكون اصحاباً ولا اقدر ان ارخص لعاكركم ان تدخل الى ولاية تيطرى لان كلما يجري هناك يختص بي واني مستمر مع ساكني الاقاليم على السلم ومعتد على تعيين مراكز فرنسوية في البليدة وبوفاريك متى رايت ذلك مناسباً لصالح فرنسا فاجابه الامير قد وصلني تحريركم وتعجبت مما ذكرتموه فيه ثم اقول ان مربي افكار حضرتكم بعيد عن الاصابة لان تحافظتي على السلم لا يجيئها احد ولولا ذلك ما احتجت الى مذاكرتكم فيما اجره في وطني وقصارى الامر انه لا يبعد ان يكون بعض اهل الفساد انقى في ذهن حضرتكم ما اوجب ان يكون جوابكم على هذا الاسلوب وعلى كل حال فاني عدلت الآن عن النهوض الى تيطرى ابقاء للسلم ورعاية له ثم ان اهل تيطرى لما طال عليهم الامد وتاخر عنهم الامير في انجاز الوعد ولوا امرهم رجلاً من غز مصر يقال له الحاج موسى بن حسن ويعرف بابي حمار لارمانه على ركوب حمار له قد جاء الى تلك الولاية واستوطن بلاد اولاد نائل منها واظهر النسك والصلاح وانتحل تلقين اواراد الطريقة الشاذلية فاجتمعت عليه كلمة اولاد نائل وغيرهم من قبائل تلك الناحية وزحف بهم على مدينة المدينة وهي حاضرة الولاية فدافعه اهلها واطلقوا عليه مدفعاً كان عندهم من ايام الحكومة الجزائرية فانكسروا ذلك كرامة له ودانوا بطاعته وادخلوه الى البلد ثم انهم نظروا الى مدفعهم فوجدوه متداعى الاجزاء من قبل اطرافه فلما استعملوه تفرقت اجزؤه ولما شاع امره واتصل خبره بالدوائر والزماله وهم في منازلهم قرب تلمسان نبذوا طاعة الامير ونكثوا عهده وارتحلوا من منازلهم الى قرب وهران ولحق رئيسهم ابن اسماعيل بالكول اوغلان في قصبة المشور من تلمسان فاهتز

تريزيل حاكم وهران لذلك فرحاً وطار الخبر الى الامير فتعاطف عنهم واقام ينتظر ما ينهله حاكم الجزائر مع ابي حمار المستولى على الولاية التي ارعد وابرق في امرها ولما رأى الامير ان الجنرال تصام عن ابي حمار ولم يتعرض اليه احتشد الجيوش وعرض عساكره النظامية واحلح خلاهم وضرب معسكره العام في هبرة لنظر اخيه الكبير السيد محمد سعيد لمراقبة الفرنسيين من جهة مستغانم وارزيو واوعز الى البوحميدى والى تلمسان ان ينحدر بجموعه الى نواحي وهران ليشغل حاكمها ويقف في وجهه ونهض هو في عساكره النظامية وحشود الجهة الشرقية قاصداً تيطرى بعد ان علم الجنرال بذلك في اواخر كانون الاول سنة اربع وثلاثين وثمانمائة وان توجهه ضروري لتوطيد الراحة في تلك الجهة وقطع الحركات بين القبائل ولما قارب بلاد العرب صيبح تعرضوا له وطلبوا جائزة الطريق جرياً على عادتهم مع حكومة الجزائر فكبحهم واعظام النكايه فيهم فاذعنوا للطاعة ثم احلح ببلاد جنبدل واتصل خبره بابي حمار فجمع اعيان حشوده وخطب عليهم ووعدهم بالظفر وقال لهم آية صدقه ان مدفع ابن نعي الدين لا يعمل فيهم وان باروده عند المواجهة يصير ماء ومثل هذه الترهات تم كتب الى الامير يدعوهم الى الجهاد فاجابه ان هذا غير ممكن الآن لكوني عقدت معاهدة مع الفرنسيين واما انت فان كنت مستعداً لذلك وعزمت عليه فشانك وما تريد فلما اطالع على هذا الجواب كتب اليه يدعوهم الى بيعته فاجابه اني مبائع من اهل الوطن فان كانت بيدك اوامر سلطانية فاظهرها حتى نراها فان وجدناك صادقاً نقدم لك الطاعة امثالاً لامر السلطنة العظمى والا فوالذي تراه اعظم مما تسمعه فلما بلغه هذا الجواب استشاط غيظاً ونهض من المدينة في جموعه للقتال وتزاحف الفريقان في بلاد وامري وكان الامير عند ما شاع ما القاه هذا المدعى على جموعه من الخزعبلات خطب على عسكره بقوله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وتلى آله واصحابه اما بعد فاعلموا ان الحق تعالى قلني هذا الامر للمدافعة والذب عن الدين والوطن وقد بلغكم خبر هذا الرجل فان تركته وشأنه اخاف على الوطن ان تغتاله غوائل الفرنسيين على حين غفلة وينشا عن ذلك من المفاسد ما يعسر علينا اصلاحه واطال في هذا المعنى ثم قال هذا واني اختبر امره الذي كاد ان يوقع في قلوبكم ما يؤهل بكم الى تشتيت الشمل وتبديد الجمع وذلك اني اطلق عليه مدائعي فان كان الامر كما زعم فاننا اول مطيع له بعد اختبار احواله من جهة الشرع وان كان الامر بخلاف زعمه فهو دجال من دجالي هذا الوقت ثم امر بالزحف واطلاق المدافع على ابي حمار فلما اطلقت القل على جموعه انهزموا وولوا مدرين لا يلوي احدثهم على الآخر في تلك الجبال والودية

وفرهو تاركاً نساءه واولاده وسائر ما كان معه من الذخائر والمهمات واثخنت العساكر في تلك القبائل الضالة عن سواء السبيل قتلاً وسبياً ثم صدر الامر بالكف عنهم بعد ان لاذوا بالطاعة وكان سببهم قد ارسله الى مليانة فرداه عليهم وجاء الطلب من ابي حمار في رد نسائه واولاده فردوا عليه ثم ارتحل الامير الى المدينة فدخلها وادى اهلها واجبات الخضوع واسترسلت عليه الوفود من جهات الولاية وقاصيتها لاداء البيعة فبايعوه عن انفسهم وعمن وراءهم وبعد ان اصلح شؤنهم وثقف اطراف الولاية عقد عليها للسيد محمد البركاني من اعيان اشرافها ولما شاع خبر هذا الاستيلاء واتصل بالجنرال تريزيل حاول ان يتخذ وسيلةً لنقض المعاهدة فجمع مجلسه وفاوضهم في ذلك وقال ان امير العرب عبد القادر تجاوز الحدود المقررة له فمن المتعين علينا ان نهاجمه في دار ملكه فاستحسنوا قوله ثم بعث بهذا النص الى حاكم الجزائر فابى ذلك ونقمه عليه واطلع مجلسه على ذلك وقال اني لست مأموراً من الدولة بنقض المعاهدة ولا مستعداً الآن لفتح باب الحروب ويجب ان نتنازل ونسعى في تجديد المعاهدة مع الامير ما دام في المدينة التي استولى عليها وعلى اياالتها ونضرب صفحاً عن تعرضنا له لعدم مساعدة الوقت على مناجزته فوافقوه على ما قرره ثم حرروا شروط المعاهدة وبعثوها صحبة القبطان سنت ايبوليت والموسوي ابن دران واصحبها الحاكم ببدايا فاخرة الى الامير . وصورة الشروط التي انتخبها الحاكم اولاً يعترف الامير براسة ملك فرنسا على افريقية ثانياً تكون سلطنة الامير عبد القادر محصورة في ايلة وهران المحدودة بنهر شلف ونهر ارهيو الى كوجيله ثالثاً تعطى الرخصة العامة للافرنج في السفر في سائر جهات بلاده رابعاً اعطاء الحرية التامة لتجارة في الداخلية خامساً لا يصير تسليم ولا استلام شيء من الاغلال والبضائع الا من الاساكل التي بيد الفرنسيين سادساً يدفع الامير عبد القادر ضريبة سنوية للدولة مع وضع رهائن للامن على ذلك . فلما وصل الرسولان الى الامير في مدينة المديه وكان على اهبة الرجوع الى دار ملكه رحب بهما واكرم وفادتهما وعرض عليهما ان يتحياه الى الحضرة فاجاباه الى ذلك ونهض من المدينة راجعاً والرسولان في معيته قال بعض مؤرخي الافرنج وقد حصل للناس تاثير عظيم من ذلك واستدلوا به على عظم ملك الامير وحسن سياسته حتى انه جعل ضباط الفرنسيين يسافرون معه ويقصدون عرش ملكه ولما كان الامير في المدينة كان في معيته خليفته السيد محي الدين بن علل والي مليانه فلما بلغ في مسيره الى وادي الفضة اعطاه الاذن بالتوجه الى ولايته واستمر سائراً الى معسكره

العام في هبة ففضة وارتحل ال معسكر ودلائل اللطف والوداد نتجدد لاولئك الضيوف من قبله وبعد ايام سلمهما رقيماً الى حاكم الجزائر وضمنه الشروط التي رغب في عقد المعاهدة ان يكون عليها وبوجوبها وهذه صورتها . يشترط ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين . اولاً ان تبقى جميع الايالات الخاضعة له تحت سلطته وحكمه كما ان المدن التي استولى عليها الفرنسيس تبقى على حالها في ايديهم ثانياً ان ولاية المدينة ومليانه عند عزلهم تبعث اسماءهم الى الحاكم العام ليعرفهم ولتكون المواصلات مع الامير بواسطتهم ثالثاً ان التجار يكون حراً للجميع رابعاً ان الفرنسيس يكرموا العرب كما ان العرب يكرموا الفرنسيس في جميع الاماكن خامساً ان الامير له ان يشتري من الجزائر بواسطة وكيله فيها سائر ما يحتاج اليه من الآلات والمهمات الحربية سادساً ان الامير يرد جميع الفارين اليه من الفرنسيس كما ان الحاكم العام يرد الفارين اليه من العرب سابعاً ان الامير اذا عزله على السفر الى قسنطينة او غيرها يخبر بذلك الحاكم العام مع الافادة عن سبب ذلك السفر . فلما اتصلت هذه الشروط بالحاكم اظهر السكون اليها وفهم من فخواها ان الامير جانح لعقد معاهدة جديدة فسافر لوقته الى وهران وبعث اليه لاول وصوله يخبره بقدومه اليها ليكون قريباً منه تيسيراً للمخاطبة وكتب اليه ما نصه بعد التحية والعظيم قد وصلني رقيم سموكم من يد رسولي القبطان سنت ابيوليت وفهمت منه ما في افكاركم ولاجل ان اتمكن من اجراء المخاطبة معكم بوجه السرعة حضرت الآن الى وهران في السابع عشر من صفر سنة اثنتين وخمسين واليوم الرابع من يولييه سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف . فاجابه الامير يهنيه بوصوله وكان الحاكم ينظر الجواب بغير ذلك حيث انه كان يتقن ان يدعوه الامير الى الاجتماع ثم ان الجنرال تريزيل انكر على الحاكم قدومه الى وهران وقال له لا اجد لزوما لحضوركم لانني انظر ان ذلك مما يدل على ضعف احوالنا وايضاً فان دنوكم من الامير يكون كالمصادقة له على سائر تصرفاته فاطر ذلك في الحاكم وانقلب راجعاً الى الجزائر قال بعض مؤرخي الانكليز عند ما تعرض لذكر شروط الامير ان معاهدة كهذه جاء بها القلم الخفيف لتنقض حقوقاً عظيماً ونحنا اوجدنا السيف البتار لا بد انها تعتبر فتحاً لباب الحرب وفي الحقيقة انها كانت نتيجة سياسة الامير حيث علم انه بعظم اهمية قوته تقوم هذه المعاهدة وعلم ان تلك القوة تاتي به باستقلالية تامة سواء اشترط او اشترط عليه ولذلك وصف نفسه في تحريره الى الحاكم بناصر الدين ثم ان الحاكم لما وصل الى الجزائر امر الجنرال تريزيل ان يعتني دائماً باستجلاب صداقة

الامير والاتحاد معه فاستشاط تريزيل لذلك غيظاً وامسى متجيراً بين كونه يخضع
 لاوامر الامير ويطلب رضاه في كل الامور المتعلقة بداخلية البلاد وبين كونه يضع
 نفسه في حالة يتمكن بها من الاستقلال في عمله ثم كتب الى الحاكم يخبره بنزوع
 الدوائر والزماله الى الخضوع لدولة فرنسا وانهم طلبوا منه ان يأذن لهم في النزول بارض
 مسركين خارج وهران وان يعين لهم فرقة من العسكر لحمايتهم وحيث ان الحاكم كان
 مؤملاً في الحصول على المعاهدة اجاب الجنرال ان يتربص في امرهم وان يكون معهم
 على حالة تحتتمل قبول طلبهم ورفضه ولما اتصل ذلك بالامير كتب اليهم . اما بعد
 فليكن في علمكم جميعاً انه قد طالما نتحناكم ووعظناكم وبيننا لكم ما يجب عليكم شرعاً
 ان تفعلوه او تتركوه فلم تقبلوا ذلك ولم تلتفتوا اليه والان بلغ السيل الربى فلا بد ان
 ترجعوا عن غيكم وتسلخوا جادة الاسلام التي مضى عليها اباؤكم وتتركوا منازلكم
 التي انتم فيها الان وترجعوا الى منازلكم الاولى بقرب تلمسان والا فلا تلوموا الا انفسكم
 لما يحل بكم من الانتقام بحول الله وقوته قال بعضهم ولما بلغ هذا الكتاب اولئك القوم تحيروا
 في امرهم . وصاروا بين امرين خطيرين . اما الانقياد الى الطاعة والرحيل من منازلهم
 الجديدة وقلوبهم تأباه واما اشهار ما هم عليه من النزوع الى الفرنسيين والانفصال عن
 المسلمين . ثم ترجع عندهم الاخير . وارسلوا وفدهم الى الجنرال تريزيل فاطعوه على
 حقيقة امرهم وطلبوا منه انجاز ما كان وعدهم به فاجابهم الى مطلوبهم وخرج مسرعاً
 الى مسركين حيث مخيمهم فتلقاه رؤساؤهم وقدموا اليه طاعتهم وعقد عليهم شروطاً وهي
 اولاً تعترف القبائل برئاسة ملك فرنسا وتلتجئ تحت حمايته ثانياً تخضع القبائل لمن يوليه
 عليها من رؤساء الاسلام ثالثاً تقدم القبائل في الاوقات المعينة المرتب الذي كانت تقدمه
 الى بكوات الترك رابعاً يكون اقتبال الفرنسيين جيداً عند القبائل كما يكون اقتبال
 القبائل عند الفرنسيين خامساً تجارة الخيل مع سائر المواشي وتجارة المحصولات تكون
 مطلقة لكل انسان عند القبائل . اما البضائع التي تعين للوسق فلا يصير وسقها الا
 من المراسي التي يعينها الحاكم العام سادساً لا تكون تجارة الاسلحة وسائر متعلقات الحرب الا
 بواسطة مأموري الفرنسيين سابعاً تلتزم القبائل بتقديم نجداتها متى دعاها والي وهران الى
 غزوة حربية في اقليم افريقية ويكون للفارس فرنكان وللماشي فرنك كل يوم وكل واحد
 منها يحمل في الاقل خمس فشكات ويعطى من الترسخانة عشر فشكات . وكل من يقتل
 حصانه في الحرب يعطى بدله ثماناً ان لا تعدى القبائل على من يجاورها من القبائل فان صار
 تعد منها عليها حينئذ تعلم والي وهران ليحضر حالاً لنجدتها ناساً متى ذهبت العساكر الفرنسية الى

العرب يعطي لهم كل ما يحتاجونه من المونة بالثمن العادل عاشرًا الاختلاف الذي يحدث في القبائل ان كان في قبيلة واحدة يصرفه قاضيها . وان كان بين قبيلتين يصرفه قاضي وهران الحادي عشر ينتخب رئيس من كل قبيلة ويسكن مع عائلته في وهران فقبلوا هذه الشروط وصادقوا عليها . ولما رجع الى وهران بعث الى الحاكم يخبره بما اجراه مع اولئك المنتصرة . وارسل اليه صورة ما اشترطه عليهم فلم يجز القبول ولا وقع موقع الاستحسان . وبعث اليه الجواب بما حاصلة . وصلني تحريك مع صورة الشروط التي اجريتها مع قبيلتي الدوائر والزماله وهذا العمل وان يكن سيعود على فرنسا بالنجاح فانه سيكون لامحالة مانعًا لامضاء المعاهدة المنتظرة مع الامير عبد القادر وقد رجى الى ابن دران الموسوي اجراء ما نبتغيه من الامير . وبالجملة فاني ارى عملاك هذا لم يوافق طريق الصواب . قال المؤرخ المذكور فغضب تريزيل لهذا الخطاب . وكان جوابه الى الحاكم . قد وصلني تحريككم وفهمت منه ان وساوس ابن دران الموسوي كادت تؤثر فيكم والذي اقله ان هذا الرجل لم تكن له خبرة ولا عنده وقوف على بواطن الامير عبد القادر وان التربص بهذا الامر مما يزيد ملك هذا الامير قوة جديدة وخلاصة الامر ان ما اجريته مع الدوائر والزماله لم يكن مخالفًا لاوامر تجلس وزارة الحرب في باريز وان كانت افكاركم تاباه فلكرموا برد ورقة الشروط مع تعيين من يخلفني في وهران فلما اطلع الحاكم على هذا الكلام علم انه قد اخطأ في اجتهاده وان تريزيل اكثر اطلاعا منه على غوامض امور العرب ومع ذلك فانه لم يياس من الحصول على ما رغب فيه من اجراء المعاهدة مع الامير قال وكان الامير يجنب كل امر يكون سببًا في تقض المعاهدة الاولى حتى انه دأبًا يصدر اوامره الى خلفائه بذلك ثم كتب الى الحاكم محتج عليه فيما اجراه تريزيل ويقول له قد ارتكبتم ما يؤذن بنقض المعاهدة التي عقدناها مع الجنرال دي ميشيل وارتبطت بها دولة فرنسا واعتمدتها ومن جعلتها ان لانقبلوا من يلتجئ اليكم من العرب كما اننا لا نقبل من يفر اليها من الفرنسيين فجاء الجواب من الحاكم محتويًا على مخادعة ومحاولة وصوته . اني اوضح لسموكم ان المعاهدة التي رغبنا في اجرائها الآن معكم لا تكون مخالفة للمعاهدة التي وقع عليها الاتفاق مع الجنرال دي ميشيل سابقًا نعم ان لفظة هارب المحررة في صك المعاهدة السابقة لم تفهم منها العموم اذ ربما يكون الهارب ليس في نيته الالتجاء وانما قصد بسكناه عندنا ما هو جار بين الناس من تفضيل ولاية على اخرى وهذا اظنه لا يضر ولا يكون فاتحًا لابواب الخصام الذي لا شك انه يكون ممقوتًا عند اصحاب السلم

العام هذا وانني على كل حال احافظ على تلك المعاهدة بكمال الشرف والاعتناء فاجابه الامير بقوله قد وقفت على ما حواه كتابكم والذي اقله لك الآن انك ايها الحاكم تعلم الشروط التي ربط بها دي ميشيل نفسه باذن دولته وعند وصولك الى الجزائر وعدتني بالمحافظة عليها وانك تعلم جيداً ان الحكومة الفرنسية ملزمة بان ترد الى كل مذهب التجأ اليها ولو كان رجلاً واحداً فكيف بالعشيرة والقبيلة وعلى هذا فان قبائل الدوائر والزمالة من جملة رعيتي التي احكم فيها بموجب شريعتي والان ابلك البلاغ الاخير انك ان رفعت الحماية عنهم فحقن على ما كنا عليه من المعاهدة التي وقع عليها الاتفاق قديماً والا فاني لا استطيع تخالفة شريعتي في التجلي عنهم حتى انهم لو اعتمدوا على رايكم لضعف آرائهم وقلة دينهم ودخلوا مدينة وهران فلا ارفع عنهم يدي ولا بد ان الحقهم واطالبهم بالرجوع عن خطئهم الفاحش فان كنت ولا بد معتمداً على انفاذ ما صورته افكارك من ادخالهم تحت حوزتك فاطلب وكيملكه من عندي واختر لنفسك ما يحلو وميادين المعامع نقضي بيننا ومسؤولية ارهاق الدماء واتلاف الاموال راجعة اليك وعليك والله يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد

❖ ذكر انتقاض المعاهدة ❖

لما وصل الامر الى هذا الحد وعلم الامير ان المعاهدة قد طوى بساطها وانقطع نياطها فاوض اهل دولته وندبهم الى الجهاد ثم دعا روءساء الجند واعيان الحضرة الى الجامع وطلع على المنبر وخطب عليهم بقوله . اما بعد فلا يخفى ان الله تعالى قال في كتابه المجيد يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدا فيكم غلظة وقال وقاتلهم حتى لا تكون ننة ويكون الدين كله لله وهو لاء القوم قد عاهدناهم فنبكثوا وصدقناهم فغدروا وصابرونا فلم يصبروا وان تركناهم وشأنهم فلا نلبث ان نراهم قد فتكوا بنا نلى حين غفلة وها هم قد خدعوا الدوائر والزمالة وغيرهم من ضعفاء الدين وحازوهم اليهم فما الذي يمنعنا من دفاعهم ومقاومتهم ونحن موعودون بالنصر على اعدائنا فهيا بنا ايها المسلمون الى الجهاد وهلموا اليه باجتهاد وارفعوا عن عواتكم برود الكسل وازيلوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل اما علمتم ان من مات منكم مات شهيداً ومن بقي نال الفخار وعاش سعيداً ثم هز سيفه في يده ثلاثاً ففج القوم عندها بالتكبير وقالوا نحن على السمع والطاعة لسيدنا ومولانا ناصر الدين ثم قام اياماً ينتظر جواب حاكم الجزائر فلما تاخر عنه وجاء الامر للوكيل بالسفر الى وهران دعى وكلاءه

من مواضع اقامتهم وامر بنصب العلم الاكبر خارج الحضرة ونودي بالجهاد وصدرت الاوامر الى سائر النواحي والجهات بالتأهب للحرب فارتاح المسلمون لذلك واخذوا يستعدون للقتال واهتز المغرب الاوسط باهله لقتال العدو وبادر ابطاله من المتطوعة الى دار الملك

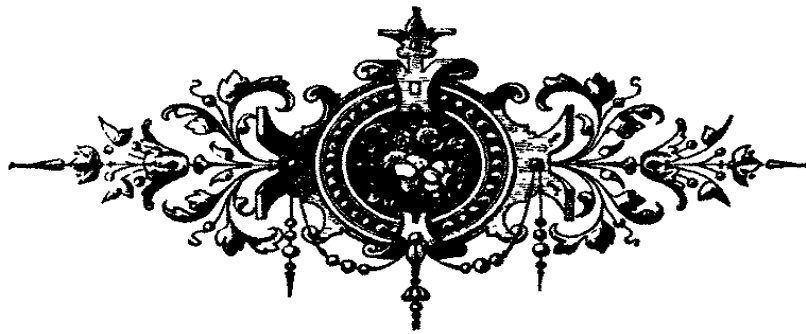
❖ ذكر وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل ❖

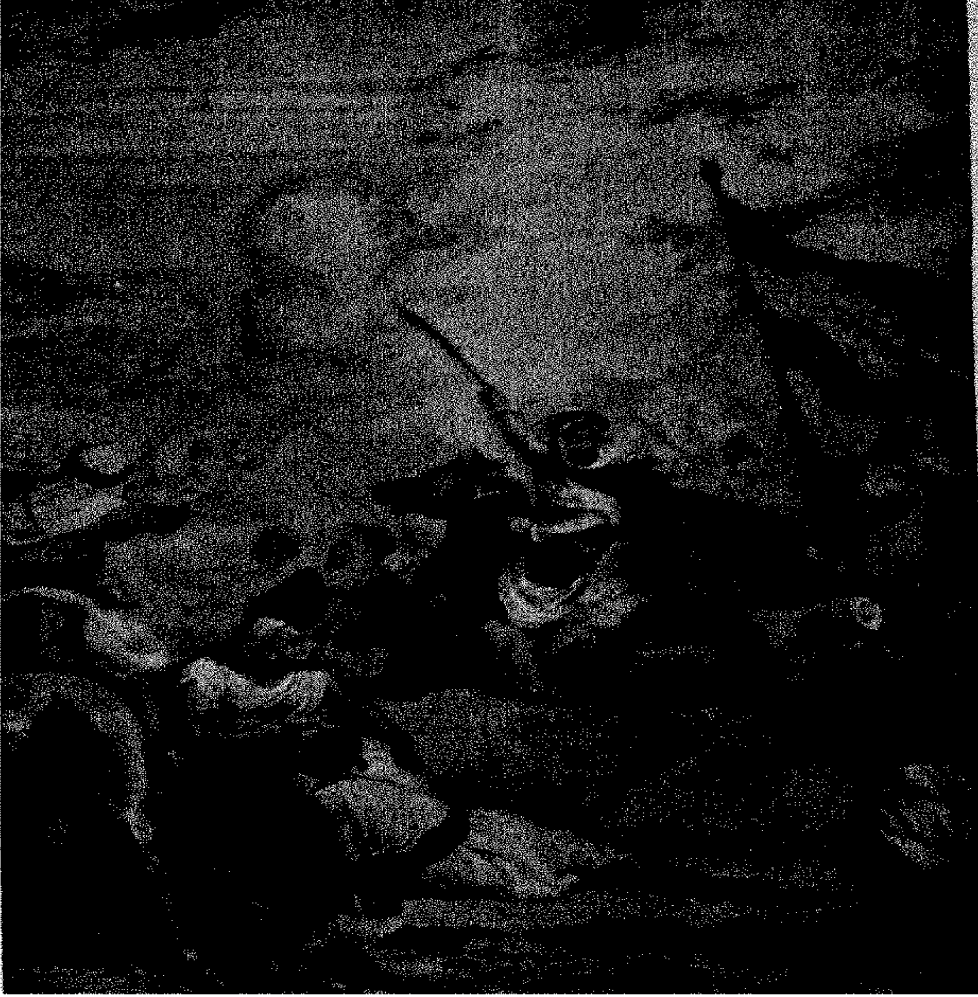
❖ وعزله وغير ذلك من الحوادث ❖

ولما كان الجنرال تريزيل عازماً على نقض المعاهدة بما امكنه خرج من وهران في الرابع عشر من ربيع الاول سنة اثنتين وخمسين وازل شهر يولييه سنت ست وثلاثين وثمانمائة والفي خمسة آلاف من المشاة وفرقة من الخيالة واربع قطع مدافع جبلية وعشرين مركبة زاداً عدا عن المركبات الاحتياطية يقدمهم جيش الدوائر والزمالة ونزل في تليلات علي مرحلة من وهران وكان الخليفة البوحميدي في تلك النواحي مراقباً له من مدة شهر فطير الخبر الى الامير فنقض لوقته من الحضرة في نحو النفي فارس والفي من المشاة واحتل بسبك عازماً على الإقامة هناك الى ان يتلاحق الناس به فعاجله تريزيل وارتحل من تليلات زاحفاً اليه فعباً الامير كتابه ورتب مصافه وحضر خليفته ابو حميدي في جيشه فعينه في المينة وجعل خليفته بوشقور على الميسرة وثبت هو في القلب وتزاحف الجمعان في حرش مولاي اسماعيل بالقرب من سبك وابتدأ القتال مناوشة واستمر على ذلك متواصلاً يومين وفي اليوم الثالث هجم عسكر الفرنسيين على المسلمين والتحمت الصفوف واشتد القتال فارتدت عساكر الفرنسيين على الاعقاب منهزمة الى داخل الحرش بدون ترتيب ولا نظام وقتل منهم على ما ذكره روا في تاريخه عدد كثير فيهم الكندان اودينو ابن الماريشال دوك دي تريجو ووقع هذا الرئيس قتيلاً امام صفوفه كان سبياً في الهزيمة الشنعاء الى الحرش وحيث ان جيوش الامير اجهدهم العطش وطال عليهم القتال وراوا العدو قد انهزم رجعوا عنه وئفرقوا ظناً منهم انه يستمر منهزماً الى وهران ولم يبق مع الامير سوى عمه سيدي الجد لام السيد علي ابي طالب وهذه النادرة الاتفاقية ذكرتني ما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم في غرة حنين حين تفرقت جيوشه حتى المهاجرين والانصار ولم يبق معه سوى عمه العباس آخذاً لجام بغلته صلى الله عليه وسلم التي كان راكباً عليها يومئذ ثم ان جيوش الامير لما علموا ان العدو بات

تلك الليلة في الحرش وان الامير لم يزل مراقباً له صاروا يتراجعون اليه افواجاً افواجاً حتى اجتمعوا كلهم وتلاحقت به الجموع التي شهدت القتال بالامس وامتلاً سهل سيك بالمسلمين واما الجنرال تريزيل فانه لما رأى ان طريقه الذي جاء عليها قد سدت في وجهه انعطف راجعاً الى وهران على طريق ارزيو ولما رآه الامير انه سلكها خف في الف فارس انتخبهم من عساكره واردف كل فارس منهم عسكرياً من المشاة وسبق بهم الى مجاز نهر هبره المعروف بالمقطع وليس لذلك النهر مسلك غيره فاحاطت جيوش المسلمين بالجنرال وعساكره واضربوا عليه نار الحرب في حال السير من كل جهة واستمروا على ذلك الى ان قاربوا المقطع وكان الامير وصل اليه فلما رآه مقدمة الجنرال ارتدت على اعقابها واضطرب العسكر الفرنسي وخابض بعضه في بعض واختل نظامه والجاه المسلمون الى غياض النهر واذاقوه نكل الحرب واثخنوا فيه بالقتل والاسر واستولى الغرق في النهر على عدد كثير منهم واستولت الايدي على سائر العجلات وما فيها من الذخائر والمدافع واكب المسلمون على جميع الغنائم والاسرى الى الغروب وكان التعب اخذ منهم ماخذه وفي هذه الفرصة انسل الجنرال تريزيل رمن بقي معه من الجيش الى ساحل البحر ومن هناك جدوا في الحرب الى ارزيو تاركين القنلى والجرحى وسائر ما خرجوا به من وهران في ايدي المسلمين وفي الساعة السابعة ليلاً دخلوا الى ارزيو على اسوء حال وقد اسهب موءرخو الافرنج في هذه الواقعة وللخص ما انتخبته من اقوالهم انه لما علم الجنرال تريزيل وقواد العسكر ان طريقهم التي جاؤوا عليها من وهران قد سدت عليهم عرجوا على طريق ارزيو فبلغهم ان الارعار التي في تلك الجهة يحذر المرور فيها بركبات الذخائر ومركبات المدافع فاعتمدوا على السير فيما وراء جبال حميان ويعبرون نهر هبره ولما نظر الامير الى الطريق التي سلكوها علم انه اذا سبقهم الى المقطع يتمكن من جوزه قبل ان يصلوا اليه وبذلك يمسون في قبضته وكان الامر كذلك وقد ادرك منهم ما اراد وارتاد وقال آخر سبق الامير الى، تجاوز النهر وضبطه من نتائج التصورات السعيدة التي تكال صاحبها بالنجاح وقد وصل الجنرال تريزيل وجيشه الى المقطع عند انتصاف النهار بعد ان اعياهم السير ودوختهم جبرش العرب التي كانت تحيط بهم وتجاذبهم القتال وبينما هم في حالة الدفاع نظروا الامير قد انقض عليهم هو ومن معه كالعقبان على مستضعف الطيور فتحميرت عساكر فرنسا واستولى عليها الدهش ولم يجد الجنرال مسلكاً يقودهم اليه ولا مغيثاً يفرج عنهم ما هم فيه فاندفع آخر العسكر الى الامام واولهم الى الخلف واخذ الطوبجية ذات اليمين

ففرقت عجلاتهم بدافعها في تلك المخاضات المهلكة التي لا اطلاع لهم عليها من قبل
وتفرقت كتائب العسكر وانقلبت من هنا الى هناك ابتغاء الخلاص ولات حين مناص
واقتمهم اكثرهم مسيل النهر فاخذهم ولم يات الغروب الا وقد تشتت من بقي منهم
وتركوا موتاهم وجرحاهم وسائر ذخائرهم في يد العرب واسرعوا متسابقين الى ناحية
ارزيو دون انتظام لا يابوي بعضهم علي بعض فوصلوها ايلاً في الساعة السابعة واما العرب
فانهم باتوا تلك الليلة في ابتهاج لا مزيد عليه وارتفعت اصواتهم وتعاليت مشاعلهم
واقاموا على ذلك طول الليل ولو صعد انسان الى الجول رأى منظرًا عجيباً وسمع اصواتاً
كالرعد القاصف وتراءت له هضبة تجتمع من رؤوس الجيوش الفرنسية وقال غيره
لما ارتحل الجنرال تريزيل من حرش مولاي اسماعيل قاصداً ارزيو حشرته جيوش
العرب عند المقطع وهو المحل الذي اعده الامير عبد القادر لدفن العساكر الفرنسية
ثم هجرت عليه جموع المسلمين يقدمها حضرة الامير كالعقبان على الطيور الضعيفة
وفي اقل زمان فتكت في العساكر فكاً لم يُعهد نظيره وكرت على باقي الجيش
فشتت شمله ولم تكتف حتى حكمت سيوفها في اعناقهم وقد حاول العسكر الة نسوي
الذي اكثره جرحي ان يفروا فلم يهتدوا الى الطريق ومن اقتمهم النهر منهم هلك والعرب
في وسطهم كالجزر استعمل مديته في اعناق غنم محبوسة وفي وقت الغروب تلاحق
الباقون وفيهم الجنرال تريزيل في سهل ممد على سيف البحر وساروا الى ارزيو
ولو اتبعهم العرب ما تركوا منهم تخبراً انتهى





وعذار رسم الاميرة
وحملته على الفرنساويين في هذه الواقعة

اخبرني من يعتد بغيره من احبابي قال حدثني من اثنى بحديثه وامانته من اصحابي قال ذهبت سنة سبع واربعين ومائتين والى مدينة وهران بقصد التجارة بها وذلك عقب استيلاء الفرنسيس عليها قال وكنت يومئذ في سن الشباب حين بقل عذاري فاقت بها مدة وكان الحاج عبد القادر بن تعي الدين اذ ذاك مهادناً لكبير الفرنسيس بوهران والجزائر قد انزل كل واحد منهما ببلد الآخر وكيله وتجاره على العادة في ذلك ايام الهدنة فلما كان ذات يوم ورد الخبر بان قبيلتي الزمالة والدوائر من ايلة الحاج عبد القادر وهم نحو اثني خيمة قد فروا منه ونزلوا حول مدينة وهران مستجيرين بالفرنسيس وقد رنحوا رايتهم واعانوا بانهم تحت حكمه ومن جملة رعيته فبعث اليهم الفرنسيس يعلمهم بانه قد قباهم ولا يصيبهم مكروه فلما كان من الغد بعث الحاج عبد القادر مع كبير دولته الحاج الحبيب ولد المهر العسكري كتاباً الى الفرنسيس يقول فيه انك قد علمت ان هؤلاء القوم الذين فروا اليك هم رعيتي ومن ايلاتي وعليه فلا بد ان تردهم عليّ والا فالحرب بيني وبينك فامتنع الفرنسيس من رددهم واجاب الى الحرب واتفقوا ان يخرج كل منهما الى الآخره تجار الذين في ارضه وان من بقي منهم بعد ثلاثة ايام فدمه مدر واتفقوا ايضاً على ان يكون الوكيلان لآخر من يخرج وان يكون خروجهما في ساعة معلومة من الليل بحيث يلتقيان على المدة التي بين ارض المسلحين وارض النصاري ففعلوا وخلص كل الى مأمنه ولما انقضى الاجل تراحفوا للقتال في يوم معلوم فكنت بينهم حرب يشيب لها الوليد ولما كان المساء سمع الناس من داخل البلد ضوضاء وجلبة عفيفة وباروداً كثيراً واذا بالحاج عبد القادر قد هزم الفرنسيس هزيمة شنعاء حتى الجماع الى سور ارزيو وازدحموا على ابوابه وركب بعضهم بعضاً وجاءت خيالتهم من خلفهم فركبهم ايضاً ومشوا عليهم ورفسهم بخيلهم فهلك بهذا الازدحام من الفرنسيس نحو اربعة الاف غير الذين هلكوا خارج البلد بالكور والرصاص والتوافل والرماح واستولى المسلحون على معسكر النصاري بما فيه من مدافع وعجلات وفساطيط واخبية واثاث وكنت فكة بكراً ثم نال لي وكنت في تلك المدة مساكناً لبعض كبراء عسكر الفرنسيس في دار واحدة فلما انقضت الواقعة يوم اويومين سألته كم تراه يكون هلاك من عسكر الفرنسيس في هذه الواقعة قال اقرب لك ام ابعد قلت بل قرب قال انا كبير من كبراء العسكر وتحت نظري ثمان عشرة مائة بقي منها في هذه الواقعة ثمانية عشر عسكرياً انتهى كلام الخبر

واستشهد في ذلك اليوم العظيم من روءساء العسكر الحدي الاغة قدور بن بحر

ومن اعيان الجيوش المتطوعة خليفة بن محمود الذي كان ايام المعاهدة وكيلاً في ارزو
والسيد محمد بن الجيلاني الورغي والسيد محمد المشرفي في عدد من المسلمين ثم ان
الامير امر بجمع الغنائم ودفن المجاهدين وانتحل الى سيك وبعث الاسرى والغنائم الى
الحضرة وكتب الى خلفائه في مليانه والمدينة يبشرهم بما من الله به على المسلمين من
عجيب الانتصار الذي خلف لعدوهم تريزبل عند دوله العار والشنار وبعد ان اقام الامير
في سيك اياماً ارتحل الى حضرته معسكر وكان عمه سيدي الجدي علي ابي طالب
قدم اليه ثاني يوم المقطع قصيدة تهنئة يقول فيها

هنيئاً لك البشري نصرت على العدى * ودمرت جيش الكفر بالقتل والخسف
وحزت مقاماً دونه كل باسل * يرى الحرب ميدان الخلاعة والقصف
بجيش عظيم قد تفرد في الوغى * له سطوة عزت وجلت عن الوصف
فسعدني بهز مذ حلات بشطنا * تطوف بكاس الراح تخضوبة الكف
تعاطيك طوراً من لبيب ومن لغى * وآونة تاتيئك بالقرقف الصرف
ولما تولت خيانا ورجالنا * مددنا لم ايدي النزال الى السيف
بكل جواد يسبق البرق عدوه * وآخريطوي الارض كالريح والطرف
نهار بدا كالليل اظلم حالصاً * اصبنا لم النفي قتيل مع النصف
قلبنا لم ظهر المجن عشية * فمالوا الى حب الحياة عن الخطف
وبدد شمل المشركين بنصرة * ازال غياهب الضلالة باللفظ
امام له تبدو العالي بقطرنا * فله ذاك الفرد قد قيس بالالف
امير شريف في البرية مفرد * وفرع لمحيي الدين اغنى عن الرصف
صرفنا به غم الزمان وكربه * وغبنا عن الدهر المروع بالصرف

❖ الى ان قال ❖

وتبني اصول الحب فيك على الوفا * اذا ما بناها الكافرون على حرف
يحييك دهر انت ظرف وداده * وما كل خل طرفه لك كالظرف
وان اخا الود الذي عم فضله * ليقنع من تلك الثمائل باللفظ
الا لا ارانا الله فيك اسامة * قدم لعروس الملاك زاهية العطف

﴿ وهنأه بعض الادباء ايضاً بمقصورة مطلعها ﴾
هون عليّ الامر يا دهر فما * انصفتني ولا قلبت المشتطاً
عسى الذي اجذب روح مهجتي * ينصب مني روحه الوصل عسى
او يرتضيني حضرة المولى الذي * ساوى الذي مضى وما ياتي ورا
باهت به الاقبال عند حربها * لما رات نار الحروب تصطلي

﴿ ومنها ﴾

ادرك ثاراً في العدى بحزمه * كحمر الفاروق فيما قد مضى
وبر امر الملك حتى شاده * برعم من عاداه من كل الملا
جاهد في الله وامسى ضارباً * بسيفه هامات عسكر العدى
قاتل اهل الكفر لا يبغي بذاً * الا رضى مولاه في يوم الجزا

﴿ ومنها ﴾

نحرا بعد القادر المولى السري * يبقى ليوم الدين حيث الملتقى
ابن الملوك الصيد والقوم الاولى * يروى حديث مجدم عمن روي

﴿ ومنها ﴾

رقيت يا كهف الانام للعلی * وكل باغ سقته الى الردى
بشرى لك النتح الذي اوليته * هنئت بالنصر وادراك المنى

﴿ ومنها ﴾

نفسى لك الفدا وكل من على * وجه بسيط الارض ذاته فدا
نحيت ظلم الشرك والكفر ايا * نتيجة الدهر سليل المصطفى

﴿ ومنها ﴾

يزهو به الدهر العبوس بعدما * قد كان قدماً قبله على شفا
ندا حداة النصر لا يجيبه * الا امير قد اجاب من دعا
حاز الكمال كله بين الورى * علماً وحلماً ثم مالمساً وثقى

ولما بلغ حاكم الجزائر خبر هذه الواقعة اصدر امره الى الجنرال تريزيل ان
يتخلى عن وهران ويسلمها الى الجنرال دولورانج ويحضر الى الجزائر ففعل وطار الظهير
الى دولة فرنسا فاحتدمت لذلك وكثر الشعب ونودي في تحافلهم ان العرب هدموا

شرف فرنسا فتحركت فيهم الحمية قال بعض مؤرخيهم قام احد الاعيان في مجلس النواب وقال ان هجوم الفرنسيين على بلاد الجزائر اراه من الاعمال الناشئة عن الطيش والهوس لان سائر الاعمال الحربية فيها لم تأت بنجاح والمدن التي استولوا عليها لا ارى فائدة لهم في الاقامة فيها ثم قام المسيو تييرس الذي تقلد رئاسة الجمهورية الفرنسية سنة ثمان وثمانين ومائتين واثني عشر سنة احدى وسبعين وثمانمائة واثني عشر سنة بعد حرب المانيا فقال ان غزوتنا الافريقية لا تحسب من قبيل المهاجرة ولا من قبيل المطالبة بقصد التملك وحالنا في تلك الاقاليم لا يحكم عليها بانها من احوال الحرب ولا من احوال السلم وقصارى ما اقول انها فزوة باطلة عارية عن الفائدة ولا اقول هذا طعناً في حق عساكرنا بانهم ليسوا باهل شجاعة وان قوادنا ليسوا باهل معرفة ولكن اقول ان الحرب لا يكون الا لامرئين اما للفتح واما للتربية فان كان الاول فليس هذا سبيله وان كان الثاني فلم نحصل عليه ولم نصل اليه فلما سمعت رجال المجلس هذه الخطب تغيرت افكارهم وكثر الضجيج وكاد ان يخل نظام المجلس ثم اتفقوا على ان ينفذ المجلس في ذلك اليوم ثم يعقد مرة اخرى ومن الغد اجتمعوا وقر قرارهم على عزل الكونت دوروان ودورلون حاكم الجزائر وتولية الماريشال كلوزيل مكانه واقرار الجنرال دولورانج على ولاية وهران وامروا كلوزيل بالحمل على معسكر عاصمة مملكة الامير عبد القادر واما الامير فانه علم ان يوم المقطع وان جاء بنصر عظيم وتأيد جسيم فانه قد فتح باب حروب يشيب لها الوليد وينقاعس عن دخول ميدانها البطل الشديد فشغله هذا التصور عن التجهيز بما اوقعه بعده و اخذ يتأهب للحرب ويستنهض هم المسلمين وكتب الى خلفائه ينبههم ويستلفتهم الى سطوة الفرنسيين ويذكرهم بشدتهم وعدم تغافلهم عما وقع بعساكرهم وكان السيد محيي الدين بن علال خليفته في مليانه كتب الى قبائل البربر المستوطنين في ساحل ولايته الدائنين بطاعة الفرنسيين بدعوتهم الى الدخول في طاعة الامير والتعاون على الجهاد ودفع العدو عن البلاد وينبههم من غفلتهم ويقرع اسماعهم بما صاروا اليه من الربال والخسران في الدنيا والآخرة فقال اعلموا ايها القوم اني رايت انه من الواجب عليّ ان ارشدكم الى ما فيه صلاحكم وانقيام بامر دينكم ولكن اخاف ان تكون آذانكم صماء عند ذكر نصائحي الناشئة عن صفاء طوبقى لكم وصدق نيتي في امركم ولا شك ان الله تعالى يغضب عليكم لكونكم اطعتم عدوه الذي يعبد غيره اما تذكرون الآخرة واهولها اما تعلمون ان المسلمين كلبنيان يشد بعضهم بعضاً اما سمعتم قوله تعالى وتعاونوا

على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واي بر اعظم من اداء فريضة الجهاد واي اثم يقاس بطاعة الكفار والدخول في زمرتهم والانحياز اليهم اما بلغكم قوله تعالى ومن يتولم منكم فانه منهم وبالجملة فان ما انتم عليه ضلال مبين وخسران لا يقاس به خسران فبادروا رحمكم الله الى الاقلاع عما اوجب لكم ذلك وتوبوا الى الله تعالى ايها المؤمنون وهلموا الى الانضمام الى اخوانكم المسلمين وهاجروا الى مواطنهم واتركوا منازلكم التي هي الآن في خطر عظيم ولا يمسكم خوف على انفسكم واموالكم وانا الزعيم والكفيل بذلك واذا خالفتكم امري ولم تقبلوا نصيحتي واقمت في خدمة الكفار واعانتهم على المسلمين فانكم قد القيت بانفسكم واولادكم الى التهلكة وعرضتموها لمقت الله تعالى واسيوف المسلمين كما هو مقتضى الشريعة السمعية فافهموا كلامي وتعالوا نتفق ونجتمع على كلمة واحدة وقلب متحد بحيث اذا حرك احدا يده تحركت جميع الايدي معه فافهموا وبادروا الى ما فيه وقاية انفسكم وحماية اموالكم وتقوية دينكم وما يبعدكم عن غضب ربكم وانظروا الى ما فعله الفرنسيس وخلفاؤهم من المنافقين بهلال بن الراعي من التعدي على مواشيه وكراعه ظلماً وجوراً واذا وفقكم الله الى ما دعوناكم اليه وصرتم الينا فاننا نعوض عليه اضعاف ما اخذه العدو منه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته فوق هذا التحرير عند اولئك القبائل الكثيرة العدد موقعا حسنا واجابوا جميعا الى الدخول في الطاعة وهاجروا من بلادهم وفارقوا مساقط رؤسهم ولحقوا بالجلال القريبة من مليانه وسهولها وانخرطوا في سلك اخوانهم المسلمين ولما رجع الامير الى معسكره من واقعة المقطع بعث الى خليفته المذكور ان يجمع جيوشه ويفزو على الجزائر فغزاها في خمسة آلاف مقاتل وكان هؤلاء القوم في مقدمة الجيش ومروا في طريقهم في سهول متيجة واعظموا النكابة بالمستوطنين فيها وفتكوا بهم واشنؤهم بالقتل والاسر حتى وصلوا الى ابواب مدينة الجزائر ثم انقلبوا بنا في ايديهم من الاسرى وضروب الغنائم من الامتعة والمواشي واوعز الى خليفته البوحميدي في تلمسان ان يجمع الجيوش وينهض بهم الى منازل وهران فنازلها وضرب الحصار عليها وقطع عنها مواصلة المستنصرة قال بعض مؤرخي الافرنج وبجسب الامر فعل البوحميدي جميع ما امره به الامير وصار الفرنسيس داخل وهران في اشد الضيق الا انهم احسن حالا من اسرى الحرب وكاد الامير ان يحقق قوله انه لا يسمح للطير ان يجول من غير اذنه فوق المدن التي استولى عليها الفرنسيس الذين امسوا كالمغلول يطلب الخلاص من قيوده يتنفسون الصعداء وثفتت اكبادهم غنماً واقاموا يتربون وصول المدد مع اوامر الهجوم ليندفعوا على

ذلك الامير الذي رماهم بسهام نباهته المدهشة انتهى واستمر الامير في معسكره ينتظر ما يحدث من دولة فرنسا وفي الثامن والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين والثالث عشر من اغسطس سنة ست وثلاثين وثمانمائة والف وصل الماريشال كلوزيل والدوق دورليان ولي عهد ملك فرنسا الى الجزائر مع مقدار وافر من العساكر فتلقيا بالاكرام واصطففت لهما الجنود عند باب البحر بالزينة الكاملة ومن الغد جلسا لقواد العسكر واعيان البلد واطلمعهم الماريشال على اوامر الدولة بولايته على مدينة الجزائر وعلى حرب الامير واخبرهم ان ابن الملك انما حضر معه ليراقب اجراء الاوامر فضع القوم استحساناً لذلك وانشدوا الاشعار المهيجة المشهورة بغناء الجزائر لآخذ النار فوهم الماريشال لذلك واخذ ينكلم عليهم فيما يفتتح به امره وقال اول ما نبتداً به ان نزحف بجيوشنا على عاصمة الامير وان ساعدنا الوقت في الاستيلاء عليها يتمكن من اخذ النار ونشفي انفسنا من العرب ثم نعقد مع الامير عبد القادر صلحاً باتاً لكل نزاع فضجوا في تحافهم وكثر تصفيقهم استحساناً لخطابه ولما رأى ارتياح القوم لما القاه اليهم وشاهد منهم النشاط لآخذ النار يوم المقطع واخذ الطيش وتخيّل انه استولى على سائر البلاد ودانت له بالطاعة والخضوع وجعل ما ارتسم في خياله محسوساً في الخارج ولم يكتف بذلك حتى رسم خريطة جعل البلاد فيها اقساماً وعين على كل قسم منها عاملاً وبعد مضي شهرين امسى ما تخيله هباءً منثوراً قال بعض مؤرخيهم ان اعمال هذا الماريشال قضى الله عليها ان تناقض ما تخيله وتنتج له خلاف ما توهمه لانه ارسل البعث الى جهات مختلفة يستفسر بها عن الاحوال فحسرت صفتها ورجعت للجزائر مغلوله لا يلوي بعضها على بعض وامسى الماريشال في كدر لا مزيد عليه لما حصل لجيوشه من الفشل والخيبة واتخذ الناس خطابه وخريطته هزواً وسخرية

❖ ذكر مسير الماريشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر ❖

❖ الى وهران واستيلائهما على عاصمة الامير وخروجهما منها ❖

وفي اول ديسمبر من السنة ركبا اسطولهما في العساكر والذخائر الى وهران وخيما خارجها وفي السابع والعشرين منه سارا قاصدين بعسكر باثني عشر الف عسكري وكان مع الامير ثمانية آلاف خيال واثان من المشاة واربع قطع من المدافع وكان يتربق الفرصة بانفصال خطوط العساكر الفرنسية ليكون الهجوم عليها مناسباً الا ان الجنرال كان يشجب ذلك وجيشه مضموماً الى بعضه ووجهه تجاه ميمنته متقدماً للمهاجمة

العرب قدره الامير يتمتع بنزالة مقدمة العرب واندفع لمعارضة الطريق التي تؤدي الى معسكر وميخته كانت محمية بحرش ويسرته مقيمة على تل افر عليه الطوبجية وكان ترتيبه هذا مما يجلب الاكرام لجنرال اوروبي فانه كان يتمكن للقائد المقتدر ان يأخذ مركزاً حربيّاً مناسباً فاصلاً للنزاع لان الماذق بفن الحرب يجعل الوقت والفسحة خاضعين لما يريه على ان الامر قدر له بان يختبر وقتئذٍ وبتركه مبادىء فن الحرب الاوربي في وقت النزال واخلاء المركز من تحت ارادته كانت وسائطه دون المطالب التي تقضيها حذاقته كذا قال بعض مؤرخي الافرنج ثم ان الامير لما راي العدو لا يثني عزمه شيء زال عن وجهه وانسحب الى قصر عائلته بالبستان المسمى بكشرو ولم يخطر بباله ان يدافع عن حضرته معسكر لان قوته لم تكن قوة حصار وكان يقول لي كل محصور مأخوذ وطير الخبر الى حاكم الحضرة يامرهم بالجلء عنها قبل وصول العدو اليها فخرج الناس سراعاً بما خف عليهم من الاثاث والمتاع ولم يتخلف فيها الا اليهود واستمر العدو سائراً والعرب يناوشونه القتال من اطرافه وكان الحشم لما نزل العدو بالبطحاء المعروفة بهيرة شقوا العمى وتطايروا الى بلادهم وجعلوا طريقهم على الحضرة فانتهبوا دار الملك واستولت ايديهم على الخزائن وفشا النهب في البلد وفي السادس من كانون الاول دخلها كلوزيل فوجدها خالية من الاهل والمتاع فاقام فيها يومين وجاءه الامر بغتة بالرجوع فانقلب راجعاً الى وهران وتخلف فيها اوغاد القبائل المنتصرة من الدوائر والزمالة واضرموا النار في اكثر دورها الشهيرة وكانت اليوم ماطراً فلم تعمل النار فيها وباواها شقاء لآخر الدهر ثم جاء الامير فدخل الحضرة وتراجع اهلها من الجهات وبعد ايام قليلة عادت آهلة عامرة الاسواق واقبلت الجيوش ترد عليها افواجا متأسفين نادمين على ما سلف منهم من التقصير في دفاع العدو وجاء الحشم واعتذروا لاميير واحضروا جميع ما انتهبوه من الامتعة والذخائر ووعدوه بالثبات وحلفوا له الايمان على ذلك وتضرعوا في العفو والعفح عنهم فاجابهم ان مرادي ان تريحوني من الحمل الذي وضعتموه على عاتقي وقدرتني الصوالح الدينية وحدها ان اقوم به الى هذه الساعة فلينتخب القوم خلفاً عني واني ذاهب مع عائلتي الى مراکش فتراموا على اقدامه صارخين انت اميرنا وسيدنا واذا تركتنا فما لنا الا ان نذل لعدونا فقبل الامير توبتهم وصفح عنهم واقبل علي رؤساء الجيش النظامي الذين ثبتوا معه ولم يفارقوه وهم احلاس حرب وفتيان كريمة فاحسن السؤال عنهم وشكر شجاعتهم في حروبهم قبل هذه الواقعة واستدرّ ارزاقهم ثم وفدت عليه

﴿ ذكر مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى ﴾

﴿ ابن التهامي على الحضرة ﴾

وبعد ان اقام ابن فريجة في اعالي البطحاء اياماً ارتحل الى بلاد البرجية وضربت له الخيام بالقرب من قرية البرج وطلق الجيش يبعون على الخيل ويطاقون بواريدهم بالبارود على عادة اهل الوطن والخليفة ينظر اليهم وهو في خيمته فاصابه رصاصة في صدره فمات لوقته وعظام المتاب وانقلب السرور حزناً ووقعت الريبة على بعض الفرسان فمسكوا ورجعت الجيوش الى الحضرة ونما الخبر الى الامير وهو محاصر لتلمسان فارسل ابن عمته السيد مصطفى بن التهامي الى الحضرة وقلده خلافتها وبوصوله اليها قبض على زمام الامور ونظر في امر المتبحرين فتحققت برائتهم عنده وتبين له ان الامر كان خطأ فاطلق سراحهم وهدأت القلوب والتفت الناس الى اشغالهم

﴿ ذكر خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل ﴾

﴿ اليه امره في تلك النواحي ﴾

زعم كلوزيل ان دخوله الى الحضرة يؤثر في المسلمين ويحدث في الملك وهماً يحمل الامير على مسالمة الفرنسيين فاقام في وهران ينتظر ما يصدق ذنه فلما تبين له ان الامر على خلاف ما زعم ورآى احوال المسلمين قد استقامت في اقرب مدة وكلمتهم اتحدت وعلم ان الامير غير ملتفت الى تخايرته بادر لاجراء ما كان وعده به المازري من اغاثة عمه ابن اسماعيل وجماعة الكول اوغلي فسار في عساكره الى تلمسان في الثاني من شوال سنة اثنين وخمسين والثاني عشر من يناير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ففعل الامير بتلمسان ما فعله بالعاصمة فامر بخروج الاهالي والجللاء عنها فخرجوا بها خفة حمله من الاثاث والمتاع فلما وصل كلوزيل بعساكره الى ساحة البلد قاتله الامير واتصل القتال بين الفريقين من طلوع الفجر الى الزوال وخرج جماعة الكول اوغلي وابن اسماعيل نجدة للعدو وفتحوا له ابواب القاعة فدخلها بعد عناء لا مزيد عليه في السابع عشر والثاني عشر من الشهرين المذكورين وفي الثالث من دخوله خرج من القاعة ووقع بينه وبين الامير قتال شديد تكفاً فيه ثم بث العدو سراياه في نواحي البلد فعتروا على الكثير من اهلها فاجبروهم على الرجوع اليها ولما تمكن كلوزيل من زمام البلد وضع ضريبة باهظة على اولياء مثل الكول اوغلي وابن اسماعيل ومن معه من قومه ليسد نزقات تلك الحملة التي

ارتكبا من غير اذن دولته فانتدب لجمعها رئيس الكول اوغلي مصطفى ابن المقلش فالج
 فيها على قومه حتى ان الرجل يبيع ملبوسه وفراشه ويؤدي ما افترض عليه وان
 المرأة تباع مصاغها وثيابها وتدفع عن نفسها ما افترضوه عليها وشاع خبر هذه الضريبة
 في النواحي فنشرت قلوب الناس من الفرنسيين لسوء تصرفاتهم ثم اتصل الخبر بدولة فرنسا
 فنقمت ذلك على كلوزيل فخرج من تلمسان راجعاً الى وهران بعد ان ترك فيها حامية
 وذخائر لنظر القائد كافنيك فلقيه الامير بوساكره قرب البلد وانتشب الحرب بين
 الفريقين واتصل عشرة ايام وكانت الدبرة فيها على كلوزيل وجنوده فرجع مغلولاً الى
 تلمسان وتحصن بالقاعة ثم جدد عزمه وخرج في الثالث من ذي القعدة سنة اثني
 وخمسين والعاشر من فبراير سنة سبع وثلاثين وثمانمائة فالتقاء الامير ثانية بعزم لا يرد
 راد ولا يصده عنه صاعد والحق عليه المسلمون في القتال فدمروا اكثر عساكره واستولوا
 على معظم ذخائره وقد حكى هذه الواقعة بعض مؤرخيهم بقوله خرج الماريشال كلوزيل
 بجنوده من تلمسان راجعاً الى وهران فصادف في طريقه اهوالاً حمة وعائين مصائب
 شديدة منها هزيمة عساكره وتشيت شملها بوادي عوشبه ومنها انه ارتد عن طريقه التي
 جاء عليها وسلك طريق الساحل الى مرسى رشكون فوصلها على اسوء حال ومنها ان
 الامير اخذ بمخنقه فيها واقام محاصراً له مدة شهرين كاملين لا يخلو يوم منها من القتال
 ثم لما اعياه الامر وضافت به الحيلة بعث حريجه الى نائبه في وهران فبعث اليه بالمرآب
 فركبها بجيوشه وحمل ما امكنه من ذخائره ولحق بوهران وكاد الغضب يمزق فؤاده
 وسولت له نفسه امرأ اوتعه في الخجل وهو ما اشاعه في الدوائر الرسمية من انه قهر الامير
 وغلبه والجاه الى الفرار الى الصحراء فكانت جنوده تتحدث في المحافل والجامع بما يكذب
 خبره وتعلن بما حل بها من الوبال وبما شاهدته من اقدام العساكر العربية وقوة جاشها
 وشدة بأسها وروء ساؤهم يوءيدون ما يخبرون به ثم ان كلوزيل نصب الجنرال دولورانج والياً
 على وهران والجنرال بهاراغو قائداً على الجند وتوجه الى الجزائر وبعد ثلاثة ايام من سفره
 سار بهاراغو في ثلاثة آلاف عسكري وثمانية مدافع الى تلمسان ليهد الطريق بينها
 وبين وهران فتمكنوا من المواصلات بين البلدين ولما وصل الى نهر تافنا اقام متاريس على
 شطوط النهر واتصل الخبر بالامير فسار الى ندرومة حيث يمكنه رؤية حركات العدو
 من كل جهة في المحل الذي تشعب منه الطريق من تافنا الى تلمسان ووهران واستمر
 عدة اسابيع يقطع جبال انقبائل الممتدة حول تافنا وبقي عدة ليالي من دون رقاد
 نحرصاً وواعظاً ثم توجه بجيوشه واعترض العدو في وادي تافنا في سابع نيسان والتحق

القتال بينهما نهاراً كاملاً ثم ضرب الجنرال معسكره في الوادي ورتب صفوفه على هيئة قلعة ونزل الامير بعساكره بالقرب منه وحاصره في الهيئة التي هو عليها وفي الرابع والعشرين من الشهر تهيأ الجنرال للانتقال من مكانه فضج المسلحون من كل جهة وزحفوا اليه دفعة واحدة غير مباينين بصلصلة المدافع ولا بقعقة البارود وهجموا على المدافع فاستولوا عليها وسار الجنرال بجنوده على الهيئة التي كانوا عليها والعساكر الاسلامية تعيطه بهم تديقهم نكل الحرب حتي اعجزتهم فانسكروا على هيئتهم الاولى . ويؤيده قول بعضهم خرج الجنرال بهاراغون وهران قاصداً تلمسان وحين حل في وادي تافنا النقا الامير بجيوشه وهجم عليه هجوماً امسى به محصوراً ولما طال عليه الامل امر جيشه بالزحف على جيوش الامير المحيطة به موءملاً ان ينال فرجاً اقله ان تتوسع عليه دائرة الحصار فسوء حظه لم يمكنه من مراده وكانت نتائج افكاره وبالاً عليه وعلى جيشه وقد اظهر العرب ذلك اليوم شجاعة غريبة وكان الامير متمطياً صهوة جواده امامهم يخترق صفوف العسكر الفرنسي غير مبال بما تقذفه افواه بواريدهم من برد الرصاص ولما شاهدت جيوش العرب بسالة اميرهم ازدادت حميتهم وقوي هيجانهم فهجموا بقوة لا مزيد عليها حتى انتهوا الى للدافع الفرنسية فلم يكن من الطوبجية الا الفشل ولم يسعهم الا الهروب وتسليم المدافع وحينئذٍ تقهر الجيش وارتدوا على اعقابهم مداعين عن انفسهم حسب ما تقتضي به احوال الحرب فكانت العساكر الفرنسية تركض وخلصها فرسانها يحمونها ومن ورائهم الجيوش العربية تفتك بهم ولم يرتدوا عنهم حتى اتلفوا منهم عدداً وافراً ولما رأى الجنرال ان عسكره قد دمره الحرب وطال عليه الامل ازمع على الهجوم الاخير فتهاجم وجمع قوته واصبح سائراً على طريق وهران وسار المسلحون ياخذونه من اطرافه الى ان لحق بها في شرذمة قليلة وكانت الجيوش الاسلامية قد اخذ التعب من قوتها ونشاطها فجعلوا يتسللون الى اوطانهم ورجع الامير بعسكره النظامي الى ندرومة

❖ ذكر ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان ❖

لما اتصل خبر الجنرال دولورانج وجيشه بدولة فرنسا امتعنت له وجيزت الجنرال بيجو بثلاثة آلاف لاغاثته فسار بيجو من باريز في جيوشه الى وهران ثم في السادس والعشرين من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين واول يولييه سنة سبع وثلاثين وثمانمائة سار الى تلمسان بالذخيرة الى جيشهم المحصور في قلعتها وكانت الجيوش الاسلامية

من المتطوعة قد لحقها النحج وطالت عليها المدة في الحروب فلحقت باوطانها ولما اتصل خبر ييجو بالامير وهو في ندرومة سار اليه فيمن معه من العسكر والتقى الفريقان علي نهر سكاك واهتاج المسلمون للجهاد وهجموا علي تلك الجيوش الكثيرة فاستطرد لهم ييجو حتى اجازوا النهر ثم انعطف عليهم فاشحن فيهم وانكشفوا امامه وكثرت القتلى والجرحى بينهم ومحض الله المسلمين في ذلك اليوم واستمر ييجو سائراً الى تلمسان وبعد ايام رجع الى وهران وطير الخبر الى دولته يبشرهم بانتصاره ويتبجح بما اتفق له من النجاح في اول حركة كانت منه في بلاد الجزائر ثم توجه الى فرنسا وجعل قيادة الجيش الى الجنرال والستاك

﴿ ذكر حصار الامير تلمسان ﴾

وبعد واقعة نهر سكاك ارسل الامير في المدائن والضواحي ينادي بالجهاد فاجتمع المسلمون في الجهات والضواحي التي عينها لهم لانتظار خلفائه فيها وسار من ندرومه بعد ان ازاح العال في نواحيها فنازل تلمسان بقوته وضيق حلقة الحصار عليها وضبط خارجها فاشتد الامر على اهلها ونفدت ذخائرهم واجهدهم الجوع حتي اكلا جميع ما حضرهم من انواع الحيوان وافضى بهم الامر الى اشنع الاحوال ذكر القائد كافيناك رئيس العسكر الفرنسي المحصور في قلعته انه كان يشتري المهر الواحد باربعين فرنكاً لقوته واما غيره فانه كان لا يجد فاراً يقيم به اوده وكانت مدة اقامة الحصار عليها تسعة اشهر وختم الامير في هذه المدة قراءة صحيح البخاري اربع مرات وقد اخبرني ابن خالي السيد محمد ابو طالب انه راي نسخة من البخاري في مجلد واحد عند الشيخ محمد القلي قاضي بجاية كانت الامير مكتوباً باآخرها بخطه ختمت البخاري بهذه النسخة اربع ختمات وانا محاصر تلمسان عجل الله بفتحها الاسلام وبسفر كلوزيل وييجو الى فرنسا انقضت غيوم جيوشهم عن الداخلية ولم تصل يدهم الى وضع الحاميات في الاماكن التي اختاروها لذلك فيما بين وهران وتلمسان والجزائر والمدينة ورجعوا الى حدودهم وانحجروا في مدنهم ونازلتهم الجيوش الاسلامية فيها حتي اجهدهم الحصار واحتاجوا الى الازواد وانقطعت اخبار الداخلية عنهم لشدة الضبط بحيث ان الجواسيس والسعاة من المنصرة لم يجدوا سبيلاً الى تبليغ التقارير الى اهلها واقاموا على ذلك مدة ولما عميت اخبارهم عن الامير بعث الى السيد حمادي السقال من اهالي تلمسان يفاوضه في ذلك ويحثه على اتخاذ وسيلة يتوصل بها الى مطالعة

اخبار العدو فاجابه الى مطلوبه وتقدم الى الحاكم في ان يجعل اليه ارسال المكاتب الى وهران والجزائر وغيرها ويتكفل بتبليغها ورد اجوبتها فانشرح صدر الحاكم الى ذلك وطلق يجمع المكاتب ويسلها الى سعاة من العرب يرون بها على الامير فيطاع عليها ثم يردوها اليهم فيذهبون بها الى مواضعها وعند رد اجوبتها كذلك فكان الامير لا يفوته شيء من اخبار العدو واحواله ومكائده وما في عزمه ان يجريه معه ثم اناب ابن عمته السيد مصطفى بن التهامي على الجيش وسار في شرذمة قليلة من الفرسان الى المدينة لما بلغه ان الكول اوغل من اهلها اثاروا الفتنة فيها وكتبوا حاكم الجزائر بطاعتهم فقبض على اهل الرية منهم واذاقهم نكال العقاب واصحح خلال البلد وولى عليها اخاه السيد مصطفى بن محيي الدين وانتقل راجعاً الى تلمسان وانتقل امره الى طور التايد والانتصار على الاعداء وامسى يوم سكك وغيره من الايام الهائلة نسيّاً ومنسياً ويعتبني ما ذكره اسكندر بالمار في تاريخه عند تعرضه ليوم سكك وهو ان من العجب رجوع قوة الامير عبد القادر الى حالها الاولى بعد ان اعتراها الاضمحلال والتلاشي ثلاث مرات الاولى بعد استيلاء الجنود الفرنسية على عاصمته والثانية بعد غزوة تلمسان والثالثة بعد وقعة سكك وكل حادثة من هذه الحوادث كانت صالحة لان تكون سبباً قوياً لسقوط قوة اعظم سلطان راسخ انقدم ومع ذلك فانها لم توهثر في امره ولم تحصل الامة الفرنسية منه على طائل فلهذا اقول لله در هذا الرجل العظيم الذي كانت سياسته العجيبة وتصرفاته الغريبة لا يفارقان ذاته طرفة عين ومن هنا تعلم انه كان في اقرب وقت يسترجع ما ينقده من قوته وقال غيره ان تلك الوقائع تسحق عقل القوي وتضعف عزمه ولو كان كالتنخر الا ان الامير كان لا يبالي بذلك لانه عالم بانه اذا ابتسم نغر السعد فبسيفه البشار يقدر كل ساعة ان يجلب العصاة والمتمردين ليخروا عند قدميه

❖ ذكر مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله ❖

❖ عن الجزائر ولحوقه بنرسا ❖

بعد واقعة عوشبه ورشكون رجع كلوزيل الى وهران ومنها الى الجزائر ثم الى فرنسا يستعنب دولته فيما ارتكبه من غزو تلمسان بدون اذن منها فاعتبته واستنجد بها فلم تنجده وجعلت اليه اوامر الحرب بما عنده من الجنود في الجزائر ووهران فرجع بصنفة خاسرة وكان مهتماً بغزو قسنطينة فسار اليها في المراكب في الثامن من

سبعان سنة ثلاث وخمسين والثامن من نوفمبر سنة سبع وثلاثين وثمانمائة وارسى في عنابة وفي الخامس عشر منه احتل بكامله فاقام فيها اياماً ثم عرض جنده وزحف الى قسنطينة فتلقيه القائد علي بن عيسى واقتتلوا قتالاً شديداً وفي آخر النهار انكشفت الجيوش الفرنسية واتصت الهزيمة الى نصف الليل واستمر كلوزيل راجعاً الى كالمه تاركاً قتلاه ومعظم ذخائره ومهماتِه في ايدي المسلمين ثم سار من كالمه الى عنابه ومنها الى الجزائر واتصل خبره بدولة فرنسا فامتعضت له ثم عزلته ولحق بفرنسا وتولى مكانه الجنرال دوبروسوار وقد ساق بعض المشاهير من المؤرخين اخبار كلوزيل فقال اما عمل كلوزيل في فرنسا في سفره الاخير فهو انه تشبث بما رآه سبباً عظيماً في الحصول على مقاصده فطلب نجدة جديدة لكي يتوصل بها الى الاستيلاء على بلاد الجزائر واطهر لوزير الحرب ان الامر لا يتم الا بجيوش كثيرة فلم يجبه الوزير الى مطلوبه ولم يوافقته تجلس نواب الامة وانما امر بالرجوع الى الجزائر واجراء ما اعتزم عليه بما عنده من الجند في الجزائر ووهران فكان هذا الامر موجباً لضعف همته فرجع الى الجزائر وجهاز تسعة آلاف جندي وسار في المراكب الى عنابة قاصداً قسنطينة وفي الخامس عشر من شهر نوفمبر وصل الى كالمه وهي مدينة قديمة رومانية خربت بها العرب لاول الفتح الاسلامي ولم يبق فيها الا آثار ورسوم فاقام هناك للاستراحة والنظر في احوال الجيش ثم ابني فيها برجاً من خشب وشغنه بالحامية والذخيرة وسار الى قسنطينة وكان القائد علي بن عيسى حشد لهم في العساكر فتناجز الفريقان واخذ كلوزيل يسوق جنده الى لظى الحرب واضرام نارها وبعد هجمات ارتدت جيوش فرنسا على اعقابهم وغلبهم العرب على حمل القنلى والجرحى فتركوهم في ايديهم واتخذوا فيهم بالقتل والاسر وبعد العناء الشديد وصل كلوزيل بجيوشه الى كالمه ومنها توجه الى عنابه بعد ان ترك فيها فرقتين من الجند لنظر الامير الای دوفيفه ثم توجه الى الجزائر ولما اتصل الخبر بدولته عزله عن غنم فلحق ببلاده ولم يزل في كدر الى ان مات

﴿ ذكر البعوث الى الثغور ﴾

ولما اتصل بالامير ان كلوزيل توجه في عسكره الى قسنطينة انتبه الفرصة وجوز البعوث الى السواحل فشرح خليفته السيد مصطفى بن التهامي واليوحميدي الى وهران في جموع قبيلتي الغرابة وبني عامر ومن انتى اليهم فاكتسحوا نواحيها واشفوا مزارعها

واستولوا على ماشيتها وانتهبوا الابراج والاكوخ القريبة من اسوارها وضرروا عليها
سياجاً من الرماة والانجاد وقطعوا عنها مواصلة المنتصرة من العرب وامست محصورة
من جميع نواحيها البرية ثم سرح الى الجزائر خليفته السيد محمد بن علال فعاث في
نواحيها واستباح القرى في ضواحيها وانتبهتها جيوشه ثم اضرموها نارا واشتقوا في
اهلها قتلاً وامراً ووصلت خيله الى ابواب الجزائر وجعل الارصاد على من يواصلها
من منتصرة البربر واقام في تلك الجهة يواصل الغارة على الساحل حتى امتلات
الايدي بالغنائم وضاق الفضاء بالماشية ثم جعل العيون على العدو ورتب الحاميات
والمسلحات وانقلب راجعاً الى حاضرة ولايته مليانه وطير الخبر الى الامير بما اجراه
في حركته وفي اثناء هذه الوقائع حدث ارتباك في فرنسا بين مجالسها وانقطعت
الميرة والمدد منها عن مدينة الجزائر وهران وغيرها من مدن الساحل والتحق اهلها
باهل تلمسان في شدة الانحصار والجوع

* ذكر انعقاد الهدنة *

ولما اشتد الحصار على المدن التي فيها الفرنسيس وطالت مدته وصاروا الى حالة
يرثى لها ادركهم حسن حظهم ونباهة ابن دران الموسوي فانتدب من وهران ولحق
بالامير وهو تحاصر لتلمسان وقاوضه في ابرام الهدنة مع حاكم وهران ورغبه بما ينجم
عنها من الفوائد مع راحة الجيوش الاسلامية من معاناة الحروب وشدائدها والح عليه
في ذلك فاجابه بشرط ان يطلق العدو اسرى المسلمين فرجع ابن دران الى وهران
واخبر الجنرال دوبرو سوار قائد الجيش بما كان من الامير فظاهر ارتياحه اليه ثم قر
القرار بين الفريقين على ان ابن دران يتولى المواصلة بين الطرفين فيما يحتاج اليه
كل منهما من الآخر فيبتاع سائر ما يحتاج اليه الفرنسيس في الجزائر وهران وتلمسان
من انواع المحبوب والماشية لنفسه من الامير ثم يبيعهما الى الجنرال وياخذ منه باثمانها
جميع ما يحتاج اليه الامير من المهمات الحربية ثم يبيعهما من الامير وانعقدت الهدنة
على هذا بين الفريقين ثم اطلق الجنرال الاسرى وافرج الامير عن تلمسان وصدرت
اوامره الى خلفائه المحاصرين لوهران والجزائر بالافراج عنها وارفع الحجر عن المدن
المحصورة وراجت الاسواق فيها وعاد اهلها في ارغد عيش فقدوه منذ زمان طويل
وبهذه الهدنة استحصل الامير من عدوه مهمات حربية وذخائر عظيمة وبعد مدة قليلة
استعملها في قهره وكبحه وبهذه الهدنة زادت قوته وتوصل الى فك الذين كان

المسلمون يتأسفون عليهم من الاسرى واستمر الامر على ذلك مدة اخذ كل فريق فيها الراحة والدعة ورجعت له فيها قوته

﴿ ذكر ولاية الجنرال دومرمون على الجزائر والجنرال بيجو ﴾ ﴿ على وهران ﴾

ثم ان فرنسا اتفق رايها على نقض الهدنة وتجديد الحرب مع الامير اذا لم يمنح للسلم على شروط ترضيهم فعزل المارشال كلوزيل عن الجزائر ونصب الجنرال دومرمون حاكماً عاماً عليها وعزل الجنرال دوبرو سوار عن وهران وولى مكانه الجنرال بيجو وسار كل منهما الى موضع ولايته في العدد والعدد فوصل الجنرال دومرمون الحاكم العام الى مدينة الجزائر بثمانين الف عسكري مع مهمتها في اوائل المحرم سنة اربع وخمسين واول ابريل سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة والف فارسل له الامير ابن داران ليبارك له في ماموريته ويخبره بانه از مع علي خرب نقود ويطلب منه ان تجري المعاملة بها في المحلات الحالة بها الفرنسية فاجابه انه لا بد له من الاستئذان من حكومته وبعد مدة ساله عن ذلك فاجاب بان الحكومة لم تسمح حيث لم تحصل المخاطرة عليها في معاهدة دي ميشيل وكانت آراء العامة في فرنسا وقتئذ متفقة على ترك الجزائر لاهلها ورجال الدولة كانوا يرون دوام الحرب فيها الى النهاية اولى من تركها وكان الجنرال بيجو مخيراً من دولته بين امرين اما ان ينقض الهدنة المعقودة بين الامير وحاكم وهران السابق واما ان يعقد الصلح مع الامير على وجه يوافق مقام فرنسا وامرت حاكمها العام ان يجري جميع الوسائل والاسباب التي يحصل بها الوهن في قوة الامير او يجري صلحاً متين الاركان مقبولاً عند دولة فرنسا

﴿ ذكر انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخابرات والمفاوضات ﴾

ولما وصل الجنرال بيجو هذه المرة كان اشد ما يكون من القوة والحماسة فعزم اولاً على نقض الهدنة واشهار الحرب وكتب مكتوباً يتردد فيه اهل البلاد وعدل عنه الى مكتابة الامير في الصلح فكتب اليه الى سمو الامير عبد انقادر اخبركم انني قد حضرت الى وهران مكلفاً من طرف دولة فرنسا باجراء احد امرين اما الصلح وهو الاولى والا سلم على شروط يكون خيرها ونفعها عائدتين على الامتين العربية والفرنسية واما الحرب لآخر درجة تصل اليها الاستطاعة فارجو بعد التامل

فما ذكرناه ان نتنازوا لرد الجواب فلما اطلع الامير على المكتوب علم ان اقدام هذا الجنرال على الحرب يحمله ولا بد على اضرار نارها وهذا يضر بالمسلمين وان اجراء الصلح ولو الى وقت غير مديد لا بد ان ياخذ من سورة الجند الجديد ويكسر شوكته وحينئذ تميل انفسهم الى الراحة وتضعف قوتهم ولذا اجاب الجنرال بما اطعمه في اجراء الصلح وصورة جوابه الى حضرة الجنرال ييجو اما بعد فقد وصلي كتابكم واحطت به علماً فذكرتم ان دولة فرنسا امرتكم باجراء الصلح ان امكن والا فاستعمال السيف مع ان دولة فرنسا تعرف انني اشد الناس رغبة في حصول العافية واشدم بغضاً لسفك الدماء بدون موجب شرعي وانها لتعلم انني راغب في عقد الصلح واقامة دعائه على اساس قوي لا يتزعزع ويشهد لذلك ما خابرتها به على يد سفيرها في طنجة فان ساعدت العناية الالهية على اجراء هذا الامر على يدكم فهو دليل على صفاء طويتمكم لعباد الله تعالى وصدق خدمتكم الدولة والشعب معاً فانظروا ما ترغبون فيه واخبروني به على الفور بواسطة رسولي اليكم حتى انظر فيه ولما وصل ابن دران الموسوي بمكتوب الامير الى الجنرال ييجو وفاوضه في امر الصلح وزينه في قلبه وقلوب بطانته مالت نفوسهم اليه واتفقت كلمتهم عليه فكتب الجنرال الشروط الآتية وجعلها كالاساس للاتفاق واصحبها بمكتوب نصه الى سمو الامير عبد القادر اخبركم بوصول رقيمكم وجميع ما حواه من كلامكم صار معلوماً عندي ولرغبتي في حصول الخير الامتين قد حملت الرسول ورقة ذكرت فيها الشروط التي يتوقف اجراء الصلح عليها واني اطلب ان تقبلوا احتراماتي لجنابكم العالي ونص الشروط التي كتبها الاول ان يعترف الامير برئاسة فرنسا الثاني تحديد مملكته الى نهر شلف الثالث اداء جزية الرابع ان يعطي رهنية كفالة وفعلاً موافقاً لكل معاهدة يتفق عليها في المستقبل الخامس كل من التجأ من الامتين الى الاخرى لا يجبر على الرجوع الا اذا كان قاتلاً ولما اطلع الامير على هذه الشروط صعب عليه قبولها فرد اليهودي فوراً وامره ان ينهي الجنرال ييجو اشفاهاً ان الامير يرى انه لم يزل على الحال التي كان عليها من قبل المخابرة بل يرى انه في مقام اعظم واعلى فلا يمكنه ان يقبل هذه الشروط المجحفة بقامه الذي اعترف به من تقدمك من حكام الجزائر ووهران بمعاهدة الجنرال دي ميشيل لاسيما والمسلمون لا يرضون ان يكونوا تحت حكم الافرنج فان كانت دولة فرنسا تريد اذلالهم واخضاعهم لحكمها فدون ذلك حرب طويلة الذيل مديدة السيل ثم ان ابن دران بلغ الجنرال ما سمعه من الامير وفاوضه في اقليم تيطرى فقال له انما كان استيلاء الامير عليه برضى

اهله وعن طلب منهم وعلى هذا فلا تسوغ له ديانته وشرف نفسه ان يفوت قوماً مسلمين سلموا اليه ارواحهم واموالهم على انه ليس من مصلحة الفرنسيين ان يستولوا على قوم هم لم كارهون فالاولى ان تعدل دولة فرنسا عن هذه الشروط وامثالها وتجعل الصلح مبنياً على شروط تجارية في الاساكل التي بيدها وتعرض عما سوى ذلك ثم قرر له من عنده ان الامير يمكن ان يسمح للفرنساويين ان يعمرؤا سهل متيجة ما عدا البليدة ويمنحهم ضواحي وهران الواقعة على الشط البحري الممتد منها الى مستغانم بحيث لا يتعدون سيف البحر وان يتعهد لكم بالقيام بمقوق كل فرنسوي يختار الاقامة في داخل مملكته وبكونه يدفع عنهم كل تعد من العرب وان طراً على اموالهم شيء من ذلك فعليه ضمانه وقد آلى على نفسه انه لا يسمح بمقدار قدر من الشطوط لدولة اجنبية غير دولة فرنسا واحتراس اليهودي بهذا دفعاً لما بلغ فرنسا من ان دولة انكلترا ارسلت الامير معتمدين ليعملوا معه معاهدة بناء على ان يعطيهم حق التملك في مدينة وهران التي هي في يد الفرنسيين ودولة انكلترا تتعهد باخراج الفرنسيين منها ومن جميع القطر الجزائري فلم يقبل الامير بذلك فلما سمع الجنرال هذا التقرير استكان له وكتب هذه الشروط اولاً يعترف الامير برآسة فرنسا في افريقية ثانياً ان فرنسا تحفظ لذاتها في ايااله وهران بقعة عرضها من عشرة الى اثنتي عشر فرسخاً اتداووها من وادي المالح وانتهاءها نهر شلف وفي ايالة الجزائر تحفظ لذاتها مدينة الجزائر وهي تقضى له عن ايالة تيطرى ووهران ما عدا البقعة المذكورة آنفاً ثالثاً يدفع الامير جزية سنوية من حبوب ومواش رابعاً ان يكون لتجارة حرية تامة خامساً يتكفل الامير بكل الاموال التي تحتاج اليها فرنسا في الحال والاستقبال فلما وصلت للامير واطلع عليها عدل عن مخاطبة يبجو وكتب الى الحاكم العام دومرمون انه غير خفي على حضرتكم ما جرت به المخابرة بيننا وبين الجنرال يبجو حاكم وهران في عقد الصلح والعدول عن عادية الحروب التي اضرت بالامتين وحيث انني وجدت مطمئح انظاره بعيداً عن المطلوب عدلت عن تخابرته الى تخابرة حضرتكم موءملاً النجاح في ذلك ولبعد المسافة بيننا عزمتم على التوجه الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى لاكون فيها قريباً منكم وبذلك تسهل المخابرة بيننا فاهتز الحاكم لهذا الخطاب فرحاً وكان جوابه الى سمو الامير عبد القادر سلطان العرب . اخذت مرسومكم وفهمت منه ميالكم لوضع حد فاصل لنوائب الحرب غير انني الى الان ما وقفت على ما جرى بين سموكم وبين الجنرال يبجو واني اعنقد رغبتكم في صالح الجنس البشري عمومًا

واطلب من الاله القادر ان يمنحنا قوة على تذليل الامور الصعبة واجراء ما نرغب فيه جميعاً من الخير العمومي وارجوكم ان تقبلوا احترامي ثم توجه الامير الى المدينة وفاء بوعدده ولما اتصل بابن دران الموسوي ما جرى بين الامير وحاكم الجزائر من المخاطبة خشي ان تحصل الموافقة بينهما على يد غيره فتقدم الى الجنرال بيجو في ذلك وعظم له الامر وقال ان هذا يخالف لامر الدولة فاستشاط الجنرال غيظاً وطير شكواه بالحاكم العام الى دولتهم فخطأت الحاكم فيما اجراه من قبول المخاطبة مع الامير بدون علم بيجو ونهته عن التداخل في امر الصلح بل يترك امره الى بيجو وفي الوقت كتب الى الامير قد اخبرتم بشديد رغبتني في اجراء الصلح والى الان لم ازل على ذلك غير ان امر الحرب والصلح منوط بالجنرال بيجو فان وجدتم وجهاً مناسباً لاجرائه معه فافعلوا واقبلوا مني مزيد الاعتبار لمقامكم ولما اطلع الامير على هذا التحرير اضطره الحال الى الرجوع الى عاصمته وبعد ان اخذ الراحة سار الى نواحي تلمسان وارسل الى الجنرال بيجو هذه اللائحة جواباً عن لائحته وهي اولاً يعترف الامير بسلطة فرنسا ثانياً كل المسلمين الذين يسكنون خارج المدن يكونون تحت حكمه ثالثاً ملك فرنسا في الغرب يخصص في البلاد التي بين البلدة والبحر ويمتد الى حد المقطع ومن جهة مدينة الجزائر يسمح لهم ان يستولوا على البلاد التي بين تلك المدينة ونهر بني عزا رابعاً الامير يدفع عشرين الف كيلة حنطة ومثلها شعيراً وثلاثة الاف راس من المواشي في هذه السنة فقط خامساً للامير ان يشتري من فرنسا باروداً وكبريتاً وسلاحاً سادساً ان الكول اوغل الذين يختارون ان يبقوا في تلمسان تحفظ اموالهم ويكونون تحت حكمنا ولم ان ينتقلوا الى ارضنا سابعاً ان الذين يتركون ارضنا او ارض فرنسوية يتبعني ان يسلموا عندما يطلبون من احد الثريقين الذي ينتحون اليه ثامناً ان تترك فرنسا للامير رشكون وتلمسان مع قلعتهما والمدافع والبهواوين التي بهما من قديم والامير ينقل ما فيها من الذخائر الى وهران تاسعاً ان تكون التجارة حرة ما بين العرب والفرنسوين عاشرًا الفرنسوية تحترم عند العرب كما ان العرب تحترم عند الفرنساوية الحادي عشر الامير يتكفل بالزرع والاموال التي تحصلها الفرنسوية ويتحتمون بها بحرية وبعد مراسلات عديدة كتب كل منهما شروطاً توقف الجميع في قبولها ثم ان بيجو اعتزم على تجديد الحرب وخرج بيجوشه من وهران الى الناحية الغربية ولما احتل بتافنا بعث بالميرة والذخيرة الى تلمسان في جيش كثيف واتصل الخبر بالامير وهو في نواحي ندرومه فبعث في

الجهات يدعو الناس الى الجهاد ونما انظر الى الجنرال فوجم لها وفكر في امره فوجد ما عنده من الظهر لا يقوم بحمل اثقاله ومهماته في حرب ربما تطول مدتها فوقع في حيرة كذا ذكر مؤرخوهم وغيرهم وقالوا ان ييجو ذهبت به افكاره وقتئذ في كل واد فلم يجد بداً عن المهادنة لاسيما وقد تواترت الاخبار عنده بنفير المسلمين الى الجهاد في سائر القصور فعمله ذلك على تجديد المخابرة مع الامير في عقد الصلح واما الامير فانه نظر في شروط ييجو التي صعب عليه قبولها فرأى ان يصلح خلاها ويعدل بها الى ما لا يقدح في دينه ومنصبه ثم يعرضها عليه فجمع مجلساً عاماً من العلماء واعيان الدولة واراها كيف كثر الشعب بعالة تيطرى في الجهة الجنوبية وان تجدد الحرب بينه وبين العدو يفوته اصلاح الخلل الواقع في تلك الاطراف الشاسعة وربما اتسع الخرق وانتهى الامر الى ما لا خير فيه فمنهم من بادر الى قبوله واستجسانه ورآه من الامور الضرورية التي لا بد منها ومنهم من لم يقبله ورآى ان استمرار الحرب اولى فقام سيدى الجد السيد علي ابو طالب وخطب على اهل المجلس فقال بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه وآله وصحبه وقد علمتم ايها السادة انه لما تكاثرت المظالم وتواطى العمال ومن وافقهم على ارتكاب المآثم انتقم الرب تعالى منهم وعمننا ذلك معهم قال تعالى واثقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة فسلط الله علينا عدو ديننا فنكالب على بلادنا واستولى على مراسينا واستبدل مساجدنا فيها بالكناشس واخلاها من المدرس والدارس فمرج لذلك اهل قطرنا وضائق بهم ارض مغربنا واستبدلوا القصور المشيدة بخيام الشعر ومضارب الوبر وثرقوا اوزاعاً في المواطن وتباينوا في الموارد والمعاطن وتغيرت الاحوال واشتبه الممكن بالمحال وتوالى الحل والارتحال وضعف الرجاء في ان يؤب المسافر ويغود الشادر النافر الى ان طالت القصة وعزماً ندفع به هذه الغصة ومالت شمس الاتفاق الى الافول وتنبأ جند التناصر والتعاصد للرواح والقفول فظهر الله تعالى بلطفه بدر الدين وموئيد كلمة المومنين ابن اخي هذا السيد عبد القادر بن عبي الدين فبذل جهده في الذب عن الدين والوطن واتى في ذلك من العجائب والفرائب ما هو به قمن فكم من حروب اضرمت نارها وكم من كرب ازالها عن المسلمين واطفاً اوارها وكم ضيق على العدو واخذ بخنقه وصيره محجوراً في اخرج مكان واضيقه وفي بعض الاحيان كما علمته تكون الحرب بينهما سجالات وينقد كل منهما من جيوشه ابطالاً ثم لازال العدو يتكاثر ويحلب من بلاده العساكر والذخائر بالعدد الوافر حتى كثره بجنوده وجاء بما ملا جميع اغوار الوطن ونجوده فاستمر

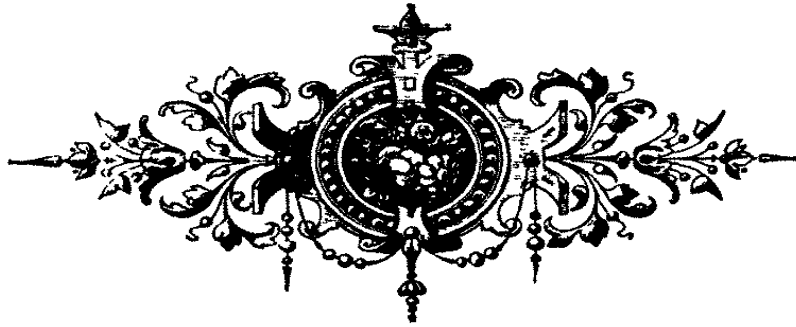
القتل في المسلمين وتوالى عليهم التحريض في سبيل رب العالمين وقد استدعى حضرة الامير كما لا يخفى ملوك الاسلام في اقاصي البلاد واستنصرهم للجهاد فاعاروه اذناً صماء ولم يسمعوا له نداء بل اجابه لسان الحال لا حياة لمن تنادي ولا معين على من تعادي فاذا تمادى الامر ايها السادة على ما نحن عليه ولم ينجح الامير الى ما دعاه العدو اليه فلا جرم اننا نكون قد القينا بايدينا الى التهلكة وتسببنا فيما يضيق على كل منا مسلكه ونكون قد اعنا اهل الفساد على انفسنا ومهدنا لهم السبل الى ما يؤذينا فيتابع الذعار والغوغاء غارتهم ويمجرون الحفاة صوارهم وتمشي سماسة الفتن بين رؤساء القبائل ويسعى المفسدون فيما يفسد عليكم امركم في العاجل والآجل وبالجملة فالمنصف يقول الحق ولا يراعي بعداً ولا قرباً ولا يخاف لوماً ولا عتياً

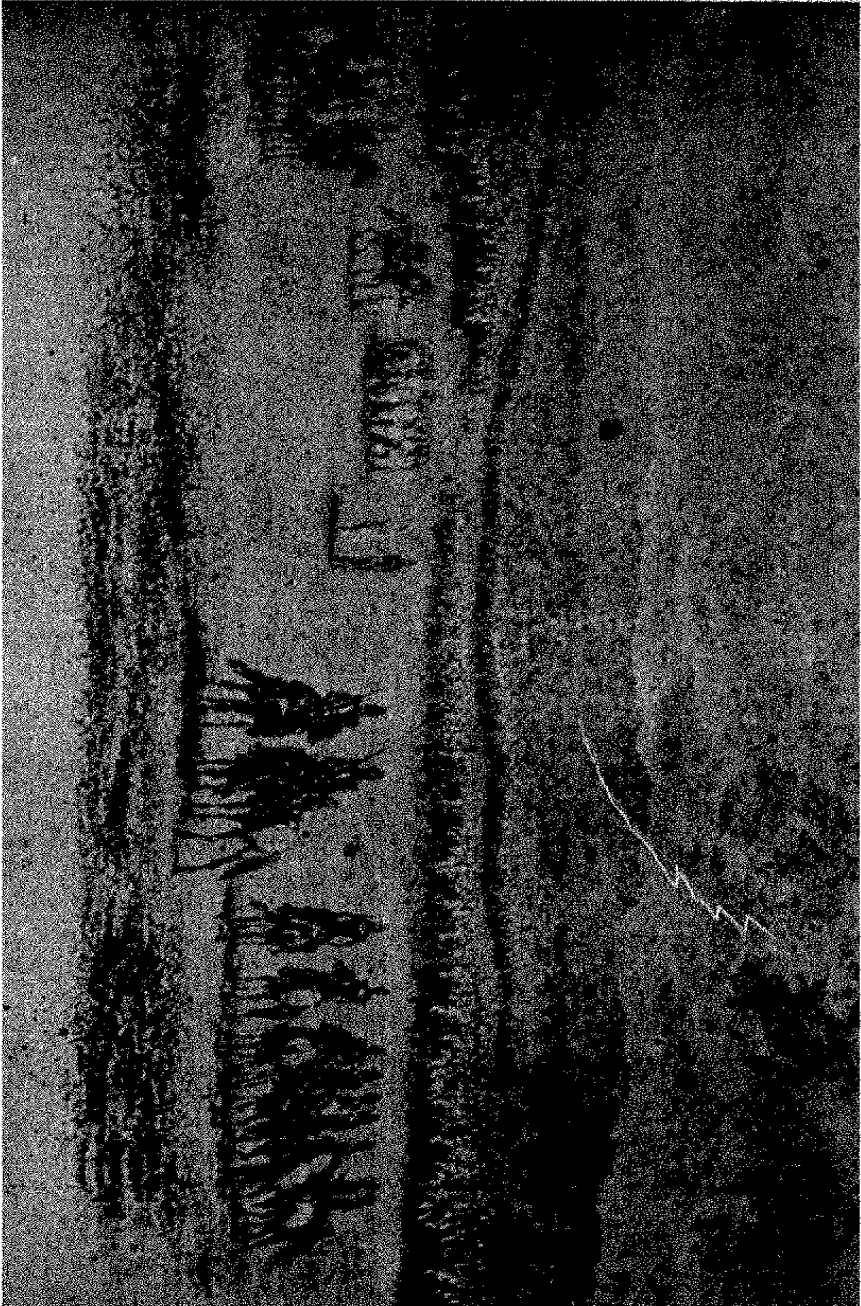
وما علي اذا ما قلت معتقدي * دع الجهول يظن العدل عدواناً
فاذا صحت المنية وصحت امقاصد السنية فلا حرج على حضرة الامير فيما استشاركم فيه واستلفتكم اليه اذ هو من سياسة السلف ومن تبعهم من ملوك الخلف وهو الذي عليه فتوى الفقهاء وبه عمل العلماء والكلام في هذا السبيل كما لا يخفى مديد السيل طويل الذيل والانصاف من اعظم تقوى الله والنصيحة واجبه في دين الله وصون دماء المسلمين فرض متعين حتى في الجهاد وقد قيل سلامة مسلم واحد خير من فتح حصن لكافر معاند وقد ورد في الحديث النبوي من اعان على قتل مساً ولو بشطر كلمة جيء به يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمه الله والمتسبب كالمباشر وورد ايضاً من تشكل بغير شكله وتطور بغير طوره وحام حول حمى سنك الدماء وهتك المحارم فقد باء بغضب من الله ورسوله فالامر بالمعروف والنهي عن المنكر شرطه الامن على النفس والاهل والمال مع ظن الافادة وكونه لا يؤذي الى منكر اعظم من هذا مع تحققه فما بالكم اذا كان مجرد الدعوي فالنظر ايها السادة انما هو للامام لا لغيره وكيف تذهبون الى ان عدم قبول الصلح اولى من قبوله مع علمكم بقاء الانصار والاعوان وكثرة المشاغبيين والمفسدين في الاقطار والاطوان وحاصل ما اقول ان ما تسعون فيه ان لم ترجعوا عنه يدعكم لاجله القريب والبعيد وينقمه عليكم الارب والبلد ثم لا تترك انكم ترجعون بفساد الدارين وفقد راحتين وشماتة الاعداء علاوة على ذلك والله الامر من قبل ومن بعد وما قلت الا بالذي علمت سعد فلما سمع المخالفون ما نبههم اليه رجعوا عما كانوا عليه من الخلاف واتفقت كلمة الجميع على اجراء الصلح ونقريه وراوا ان فيه مصلحة كبرى لامة فارس للجنرال اللائحة الآتية بواسطة السيد حماده السقال

رئيس حضرة تلمسان وهي أولا ترك البليدة للفرنساويين ثانيا رفض كل سلطة عن المسلمين المقيمين بالاملاك الفرنسية ثالثا توسيع معين حدود ملك الفرنسية وقد ولج الامير السيد حماده السقال لينظر في الحدود المتوعدة عنها ويعطي التفصيلات المقتضية وحيث ان الجنرال ييجو ادرك جيدا ان التأخر لا ياتيه بفائدة وعليه حررت المعاهدة المعروفة بمعاهدة تافنا على شرط الاول ان الامير يعترف بسلطة دولة فرنسا على مدينتي الجزائر ووهران الثاني يبقى لفرنسا في اقليم دهران مستغرم وزغران وارضيهما ووهران وارزيو وارضيهما يحد ذلك شرقا نهر المنقطع والبحيرة الذي يخرج منها جنوبا بخط ممتد من البحيرة المذكورة فير على الشط الجاري الى الوادي المالح على تجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر الى البحر بحيث يصير كل ما في ضمن هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية وفي اقليم الجزائر مدينة الجزائر مع الساحل وارض منيعة يحد ذلك شرقا وادي القدرة وما فوقه وجنوبا راس الجبل الاول من الاطلس الصغير الى نهر الشفه مع البليدة وارضيهما وغربا نهر الشفه الى كوع وزغران ومن ثم بخط مستقيم الى البحر فيكون ضمنه القبايع مع ارضيهما بحيث يصير كل ما في داخل هذه الدائرة من الاراضي للفرنساوية الثالث على دولة فرنسا ان تعترف بامارة الامير عبد القادر على اقليم وهران واقليم تيطاري وانقدهم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من اقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في الشرط الثاني ولا يسوغ للامير ان يمد يده لغير ما ذكر من ارض الجزائر الرابع ليس للامير حكم ولا سلطة على المسلمين من اهل البلاد المملوكة لفرنسا وبياح للفرنسويين ان يسكنوا في مملكة الامير كما انه يباح للمسلمين ان يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا الخامس ان العرب الساكنة في اراضي الفرنسية تمارس ديانتها بحرية تامة ولم ان يبنوا جوامع بحسب مراتبهم الدينية تحت رئاسة علماء دينهم الاسلامي السادس على الامير ان يدفع للعساكر الفرنسية ثلاثين الف كيلة من الحنطة ومثاليها من الشعير تكيا ل وهران وخمسة الاف راس بقر يودي ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط الاول من غرة اغسطس الى الخامس عشر ايلول سنة سبع وثلاثين وثمانمائة والف وانقسطين الآخرين يدفع بانتهاء كل شهرين قسطين السابع يسوغ للامير ان يشتري من فرنسا البارود والكبريت وسائر ما يحتاجه من الاسلحة الثامن ان الكول اوغل الذين يريدون ان يقيموا في تلمسان او غيرها من المدن الاسلامية لم ان يتمتعوا باملاكهم بكمال الحرية ويعاملون معاملة الحضر والذين يريدون منهم الانتقال الى الاراضي الفرنسية تكون لهم الرخصة على بيع املاكهم او ايجارها بكل حرية التاسع

على فرنسا ان تخلى للامير عن اسكلة رشكون ومدينة ثلمسان وقاعة المشور مع المدافع القديمة التي كانت فيها قديماً ويتعهد الامير بنقل الذخائر الحربية والامتعة العسكرية التي للعساكر الفرنساوية في تلمسان الى وهران العاشر المثجر يكون حراً بين العرب والفرنساوية ولجميع ان يتمتعوا بالتبادل في كل من الارضين الحادي عشر تكرم الفرنسية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسية وكل ما تملكته او تملكه الفرنسية من الاملاك في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلزم الامير ان يدفع لهم الضرر الذي تحدثه النوايب فيها الثاني عشر يكون رد المجرمين من الطرفين بالتبادل الثالث عشر يتعهد الامير بان لا يعطي احداً من الدول الاجنبية قسماً من الشاطيء الا برخصة من فرنسا الرابع عشر لا يسوغ بيع من تحصيلات او لوازم الاقليم ولا شراء الا في الاسواق الفرنسية الخامس عشر لدولة فرنسا ان تعين في المدن التي في مملكة الامير وكلاء ينظرون في اشغال الرعايا الفرنسية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك الامير ان يضع وكلاء من طرفه في المدن التي تحت ادارة دولة فرنسا حرر في تافنا في السادس من ربيع الاول سنة اربع وخمسين ومائتين واول يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة وحرر صك المعاهدة نسختين كل منهما على شطرين عربي وفرنساوي فكتب الامير اسمه بخطه على الشطر العربي وختم عليه بخاتم الامة وكتب الجنرال ييجو اسمه بخطه على الشطر الفرنسي وختمه بخاتمه الرسمي واخذ كل منهما نسخة وبعد امضاء صك المعاهدة ونقيرها كتب الجنرال لوزير الحرب يعتذر عن عقده المعاهدة التي اقترحها بقوله انكم معتقدون انه يؤلمني جداً ان اعمل افكاري بعدم اتباع تعليماتكم بالنظر الى الحدود المعينة فيها الامير على ان ذلك كان محالاً وايقنوا ان الصلح الذي عملته هو احسن والارجح ان يكون طويل المدة وافضل مما عمله بحصر الامير بين نهر شلف ومراكش ثم التمس الجنرال ييجو من الامير ان يجتمع به فاجابه لذلك وعين له موضعاً يجتمعان فيه فركب الجنرال معجوباً بست فرق من المشاة وفرقة من الخيالة وفرقة من المدافعية وفرقة من فرسان العرب وسار الى المحل المعين وبعده سبع ساعات عن معسكر الامير وثلاث ساعات عن معسكر الفرنسية فوصله قبل الامير وبعد مضي نحو خمس ساعات اقبلت فرسان من العرب يعتذرون عن تأخر الامير بانه ابطأ في الخروج لانحراف مزاجه وليس يبعد ان يصل ثم اقبلت فرسان آخر يطلبون من الجنرال ان ينقدم قليلاً للملاقة الامير فلم يمكنه الرجوع حتى ينال مطلوبه وهو اجتماعه بالامير وبعد ان سار

نحو الساعة اشرف على جيش الامير المشتل على نحو خمسة عشر الف فارس في قادمين
 بنظام عجيب وترتيب غريب في سهل يموج بهم ومنظرهم يفتن العقول وبعدهم شاهد
 الامير وقد احاط به نحو المائتين من روءساء العرب راكبين على سوابق تحنل بهم تيهاً
 يتسربلن باسلحة صقيلة وامامهم امامهم يفوقهم بالمنظر والشهامة متطياً جواداً اسود تليعاً
 مسيره بصنعة غريبة تارة يحنطف الريح بقوائمه خطفاً واخرى يشيه على رجليه وكانت
 تلك الحركات تريده هيبه وهو غير مبال بها وحوله ستة من السياس احدين
 بركابه فتقدم اليه الجنرال مطلقاً عنان فرسه نحوه فتصافحا ثم ترجلا فجلسا





✽ وهذا رسم اجتماع الأمير مع الجنرال بيجو ✽

واخذت الموسيقى تصدح بانغامها المطربة فسأل كل منهما الآخر عن صحته واخذنا في الحديث
 فقال الجنرال انني على هذا الشرط جعلت تقبلي كفيلاً لك عند ملك فرنسا فاجابه الامير
 ليس لك خاطر في ذلك فان لنا ديناً و اخلاقاً عربية تلزمنا المحافظة على قولنا وانا لا اغير قولي
 قال الجنرال فلماذا اعتمدت على ذلك وبجسبه اقدم لك محبة خصوصية اجابه الامير قد قبلت محبتك
 فلتحترس الفرنسيون من كلام المفسدين فقال الجنرال ان الفرنسيون لا تنقاد لكلام احد وليس بعض
 حوادث خصوصية يفعلها البعض تنزع السلام من بيننا انما ينزعه عدم اجراء شروط المعاهدة
 او وقوع خصومة كبيرة وانما الذنوب التي يرتكبها البعض فاننا نعلم بعغنا بها ونقاصه عليها
 من يتجاسر على فعلها فاجابه الامير هذا حسن جداً فليس عليك الا ان تعلمني وانا اجري
 ما يقتضي قال الجنرال اني اوصيك بالكل اعلان الذين يبقون في تلمسان فاجابه الامير
 كن مطمئناً من جهة هم فانهم يعاملون معاملة الحضر قال الجنرال وعدتني انك تضع عرب
 الدوائر والزمالة في بلاد مبره فاظن انها لا تكفيهم فاجابه الامير يوضعون في مركز لا يمكنهم
 من ايقاع ضرر لحفظ السلام وبعد ان سكتوا قليلاً رجع الجنرال الى الحديث فقال وهل
 امرت ايها الامير برجوع علاقات التجارة في الجزائر والمدينة فاجابه الامير لا انعل هذا
 الا بعد ان ترد لي تلمسان فقال الجنرال جداً تعلم باني لا اقدر على ردها لك الا بعد
 تصديق الملك على المعاهدة فاجابه الامير فاذا ليس لك قوة على اجراء المعاهدة فقال الجنرال
 نعم لي قوة على ذلك ولكن يقتضي ان يصادق الملك على ما اجره حيث يكون ذلك
 كفالة له فانه اذا صدق عليها مني فقط ثم اتى جنرال آخر فانه يقدر على ابطالها واما
 اذا صدق عليها من الملك يصير ملتزماً بالاجراء على موجبها فاجابه الامير ان لم ترجع
 لي تلمسان كما وعدتني في المعاهدة فلا اري احتياجاً لاجراء الصلح بل يكون ما جرى
 الا من قبيل هدنة مؤقتة فقال الجنرال هذا صحيح ولكن انت تكسب بهذه الهدنة
 حيث اني بمدتها لا اخرب المواسم فاجابه الامير ذلك لا يفترنا حتى اني اعطيك
 الرخصة بان تحرب كل ما تقدر عليه ولا يمكنك ان تحرب الا مقداراً زهيداً
 ومع ذلك يبقى عند العرب حبوب وافرة فقال الجنرال اظن ان العرب لا يفكرون
 مثلك لانني ارى انهم يرومون الصلح والبعض منهم اثني عليّ لكوني حافظت على
 المواسم من الشفه كما وعدت بذلك حماده الصقال فتبسم الامير ثم سأل الجنرال
 عن المدة التي يمكن رجوع الجواب فيها من فرنسا فاجابه لا تكون اقل من نصف
 شهر فقال الامير حيث ان الامر كما ذكرت فلا نجدد العلاقات التجارية ولا نحدث
 شيئاً من مقتضيات المواصلات الا بعد ورود الجواب من فرنسا ثم قاما من مجلسهما

وودع كل منهما الآخر وهذه المقاتلة كانت اول مقابلة جرت بين الامير وحاكم
فرنسوي وقد اخبرني ابن رايح احد ضباط الفرسان الذين كانوا يومئذ في حرس
الامير انه عندما وقف في تجلسه لوداع الجنرال قرب اليه فرسه الادم الشهير ليركبه
وبعد ان صاغ الجنرال وتزع يده من يده التفت الى الفرس وعلا عليه في اقل من
لحظة وحركه بركابه فرق بين الخيل مروق السهم واندفع به ثلاث دفعات متوالية
على وتيرة واحدة فانهر الجنرال لذلك وتعجب من سرعة ركوب الامير وخفة الفرس
وبقي واقفاً برهة من الزمان ينظر نظر التحيير ثم ركب فرسه ومضى وبعد ان سار
الامير وجيوشه على مسافة بعيدة من موضع الاجتماع امر الجنرال احد ضباط عسكره
ان يرجع الى المحل وياخذ مساحة ما بين تلك الدفعات الثلاث ووضع لها علامات
فكانت مساحة ما بين كل منها تقرب من ثلاثين ذراعاً وفي الحادي والعشرين
من ربيع الاول والخامس عشر من يونيه ورد الجواب من فرنسامع ضابط بقبول
المعاهدة وصحبته هدية نفيسة من الملك للامير وهي اسلحة تجوهره واقشة حرير مطرزة
بالذهب واواني صينية فاخرة مكتوب بالذهب على كل صفحة منها كلمة حكمة من كلام
الحكماء الاقدمين وطعم شاي جميعه من الذهب الابريز ولما وصل الضابط بالجواب
والهدية الى الجنرال ييجو ارسل الى الامير يخبره باتمام الصلح والتصديق عليه من الملك
ويخبره بالهدية وطير الخبر الى حامية مدينة تلمسان يامر قائدها كفيناك بالخروج
مها وتسليمها مع القلعة الى نائب الامير فخرج القائد بميشه من باب ودخل الخليفة
السيد محمد البوحميدي من باب آخر واخذ في نقل اثقال العسكر الفرنسي منها
الى وهران على حسب ما وقع عليه الاتفاق قال بعض المؤرخين ان هذه المعاهدة
كانت مستحسنة جداً عند الحكومة الفرنسية التي اعتبرتها ككلمة حاذق والشعب
الافرنسي نظر اليها كخافضة شان فالدولة افتخرت بان عبد القادر الذي كان عدواً
اصبح حليفاً لها والشعب راي فيها خطاء وهو تسليم ايلة افرنسية الى قوة اجنبية اما
عبد القادر فكانت عنده هذه المعاهدة كحجر زاوية للبناء الذي كان يشيده
بوظيفة واجتهاد وانه كان يقيم عدة سنين بواجبات مضاعفة فكان من جهة ينع
في قالب التنظيم والمناسبة اسباب المنزعات التي كانت تحيط به مسكنا انقلاقل
ونازعاً النزاع ومخمداً الثتن ومن اخرى كان يتلقى بجراءة صدمات هجمات عدو
كان يفوقه جداً في كل الوسائل والخيل التي هي من فن الحرب في اعلى طبقة وعند
ما كان يتخلص من شدة خارجية كان يفرغ كل قوته ليتغلب على الصعوبات الداخلية

ثم كتب هذا الاعلان من الديوان ونشر في انحاء المملكة ونصه الحمد لله وحده
 وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد فان البشائر الاسلامية والمفاخر اليمانية ينبغي ان
 تشاع وتشاد ويطل في ذكرها الاطراء والانشاد وينادي عليها بالتهاني في كل ناد
 وترفع احاديثها الصحيحة ثابتة المتون عالية الاسناد وتسير بنجرها الركبان في الاغوار
 والانجاد وتجلي بجليها الشفاء والآذان والاجياد لياخذ كل مسلم حظه من سواطع مطالع
 مسراتها وينال كل موء من نصيبه من مواهب رغائب مبراتها وخصوصاً فيما يرجع الى
 اءلاء الدين وظهوره ورسوم قواعده الاسلام وفروعه وما يعود الى الاعداء بالصغار
 والهوان ويلبسهم الخزي والخسران فان لذلك تأثيراً كبيراً في قلوب الذين هدى الله
 يدل عليه ويومئذ يفرح الموء منون بنصر الله والى هذا ادام الله لكم التسديد والتوفيق
 وهداكم الى اقوم سبيل وطريق فقد ورد البشير بما شرح الصدر واءلا الاسلام لظهور
 القوة ورفع القدر من فتح تلمسان في تاسع شهر صفر الخير سنة اربع وخمسين ومائتين
 على يد من رفع راية الاسلام واعزها حضرة مولانا ناصر الدين سيدنا الحاج عبد القادر
 ابن محيي الدين بفضل الله وسعاده صاحب هذا الميدان بعد محاصرتها شهوراً عديدة
 واياماً مديدة بصلح اسفر عن العز وجهه نجاحه وطمع في فلك الاسلام طالع سعه
 وفلاحه فاصبحت به تغور الدين بواسم وهبت به رياح بتتابع النصر نواسم وقامت به
 في التهاني كلالعياد والمواسم وبشر بتوالي فواتح تلك الثغور واحياء تلك المراسم واتلم
 ان خيل النصر تنجد كل حين وتغور وتوالي الشدائد على العدو في المساء والبكور
 حتى ترده على اعقابه وتدخل عليه من ابواب الظهور والقابه فيتهافت في الفرار
 تهافت الذباب على الشراب ويقنع من الغنيمة بالاياب وقد اعلمناكم بهذه البشري
 واطلعناكم على هذه النعمة الكبرى لتأخذوا اوفر نصيب من معانيها اللطيفة وترووا
 احاديث صحيحة موصولة باسانيدها النيفة وتعلموا ان كيد الاعداء في افتار وان
 امرهم بمجرد اقباله يعقبه الادبار فيمثل هذا نقر العيون وفي ذلك فليتنافس المتنافسون
 وما ورد البشير حتى انتشرت راية الاسلام في معاهدا وشهد الله بالوحدانية في مشاهدا
 واقامت الصلوات الخمس في مساجدها فله الحمد على هذه المنة العظيمة والمنحة
 الجسيمة نسال الله ان يتم مسرات المسلمين بفتح وهران والجزائر ويجعلها في صحائف
 المجاهدين من الذخائر ويخلص الجميع من يد عماه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير



❖ مدينة نهرسان ❖

وعند دخول الامير الى تلمسان حمد الله تعالى واشى عليه باحواله وقال
الى الصون مدت تلمسان يداها * ولبت فهذا حسن صوت نداها
وقد رفعت عنها الازار فليج به * وبرد فؤاداً من زلال نداها
وذا روض خديها تفتق نوره * فلا ترض من زاهي الرياض غداها
ويا ظلمنا صانت نقاب جمالها * عداة وهم بين الانام عداها
وكم رائم رام الجمال الذي ترى * فارداه منها لحظها ومداهها
وحاول لثم الخال من ورد خدها * فضنت بما بيني وشط مداهها
وكم خاطب لم يدع كفوها لها ولم * بيثم طرقات من وشي ذيل رداها
وأخر لم يعقد عايتها بعصاة * وما مسها مساً ابان رضاها
ولم تسمح العذرا اليه بعطفة * ولم يتمكن من جميل سناها
وشدت نطاق الصد صوتاً لحسنها * فلم يتمتع من لذيد لماها
وابدت له مكراً وصداً وجفوة * وسدت عليه ما نوى ينواها
وخابت ظنون المفسدين بسعيهم * ولم تنل الاعدا هناك منهاها
قد انصمت من تلمسان حبها لها * وبانت وآت لا يحل عراها
سوى صاحب الاقدام في الراي والوغي * وذي القبرة الحامي حماها
ولما علمت الصدق منها بانها * انالني المكربي وحزت علاها
ولم اعلن في القطر غيري كافلاً * ولا عارقاً في حقها وبهاها
فبادرت حزمًا وانتصاراً بهدي * وادبرتها حباً شفاء دواها
فكنت لها بعلاً وكانت حلياني * وعرسي ومكسي ناشراً للواها
ووشعتها ثوباً من العز رافلاً * فقامت باعجاب تجر رداها
ونادت اعبد القادر المنقذ الذي * اغثت اناساً من بمار هواها
لأنك اعطيت المفاتيح عنوة * فزدني ايا عن الجزائر جاها
ووهراً والمراساة كلا بن حوت * غدت حائزات من حماك منهاها

✽ ذكر ظهور محمد بن عبدالله البغدادي في جنوب ولاية ✽

✽ تيطري وقيام محمد بن عوده المختاري بدعوته ✽

قدم محمد بن عبدالله من بغداد الى المغرب الاوسط ايام سيدي الجيد السيد
محيي الدين رحمه الله وزعم انه من ذرية الغوث الاكبر والقطب الاثير سيدي عبدالقادر

الجيلاني قدس الله سره فاحتفل به سيدي الجد واجل مقامه وكان يحضر معه في تلك الايام جهاد العدو ثم لحق بالمغرب الاقصى متجملًا بنسبته فلقبه السلطان عبدالرحمن بن هشام بالتحية والاكرام وبعد سنين رجع الى المغرب الاوسط فوجد سيدي الوالد مرتبكًا في امر العدو فعدل عنه الى قبائل الزناخرة واولاد نائل ومن اليهم من القبائل في الجهة الجنوبية وكان زعيم اولاد تغثار محمد بن عوده من اقوى المشاغبين في تلك الجهة فلعق به وجعله داعية له نقام بنصرته ودعا الناس اليه وقال لهم هذا محمد بن عبدالله المنتظر فاجتمع عليه خلق كثير وكانت نفس ابن عوده منذ ظهر الامير تحذره بالخروج عنه والدعاء الى نفسه واخذ يستميل الناس اليه بانواع العطاء فلما قوي الانكار على الامير في مصالحة العدو وترك الجهاد مع ما كان الناس عليه من استنقال امر الهونة التي ضربت عليهم للقيام بامر الملك ولوازم الجهاد اظهر ما كان يخفيه وجاهر بالخروج عن الطاعة ودعا الناس الى البغدادى المذكور على ان يكون زمام الامور بيده فانقادت اليه قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد موسى واولاد مخثار وغيرهم في تلك الاطراف

❖ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة ❖

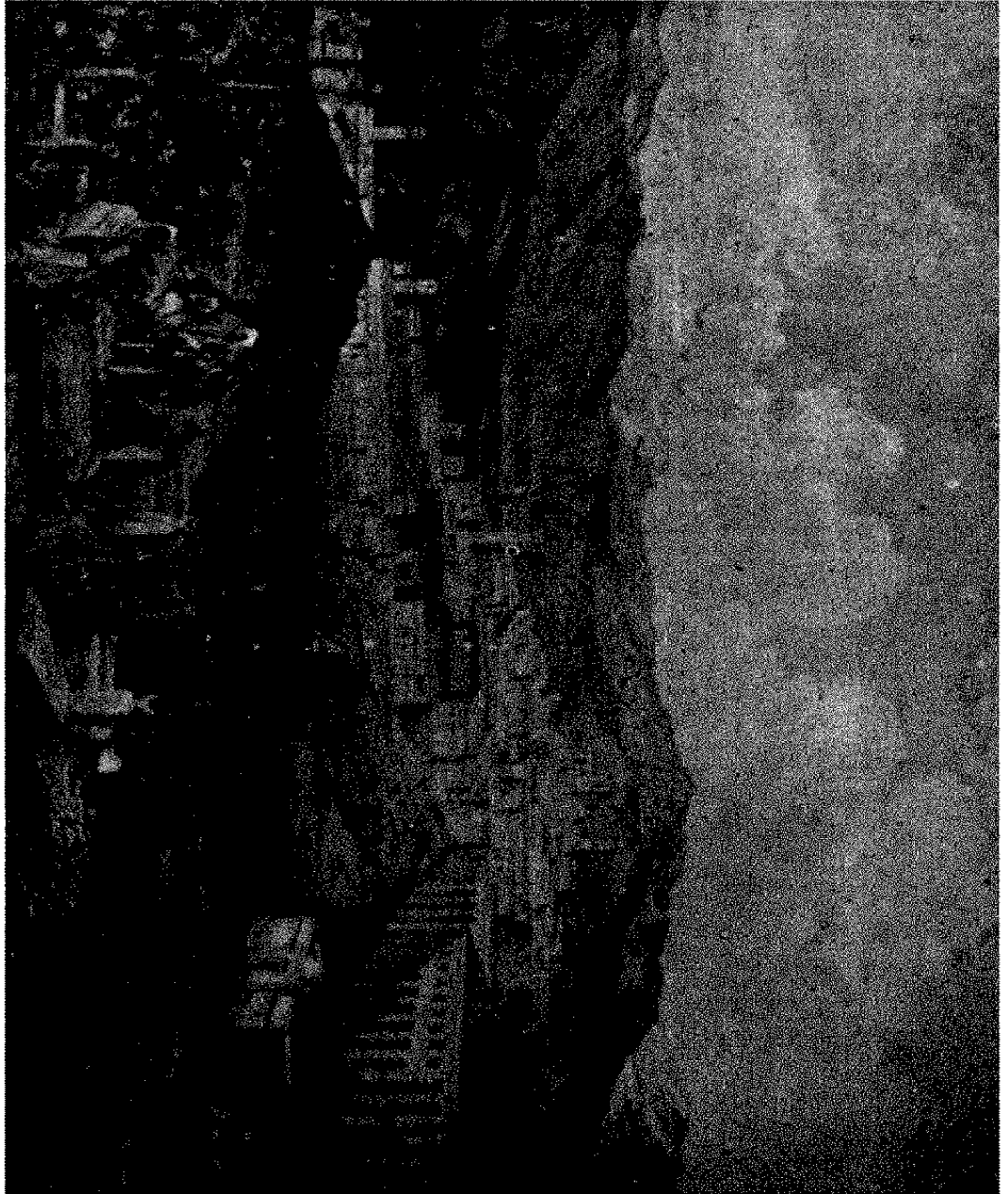
❖ محمد البغدادى ومصير امره ❖

ولما فرغ الامير من عقد المعاهدة مع ييجو وادخ خلل الجهة الغربية من مملكته رجع الى الحضرة ثم نهض منها في ثمانية آلاف فارس والى من المشاة وقطع من المدافع لتمهيد النواحي الشرقية ومشاركة الامور بنفسه فجال في نواحيها حتى انتهى الى المدينة حاضرة ولاية تيطرى فلقبه خليفته السيد محمد بن علال في وادي شلف في اربعة آلاف خيال والى من المشاة وكان وصول الامير الى المدينة لما قويت شوكة البغدادى فاهمه امره ثم سار اليه في الجيوش وجعل على مقدمته الخليفة السيد محمد بن علال فكان بينهما في المسير مسافة مرحلتين ثم ان الخليفة بعث الى اعيان القبائل الدائنة بطاعة الثائر بكتاب يدعوهم فيه الى مراجعة الطاعة ويحذرهم من سوء العاقبة ونصه . الحمد لله الواحد القهار والصلاة والسلام على نبيه ورسوله المختار وعلى آله واصحابه الاخيار وتابعيه من المهاجرين والانصار اما بعد فالذي نخبه به قبائل الزناخرة واولاد نائل واولاد تغثار ومن والاهم ووافقهم على الخروج عن طاعة حضرة الامير انه لما بلغه ايده الله خبر عنكم وشقكم عصي المسلمين بخروجكم عن الطاعة وتخالفكم

لاهل السنة والجماعة واعلانكم بالعدوان ومجاهرتكم بالعصيان صدر امره العالي المطاع
بالله تعالى باعذاركم وانذاركم وبذل النصيحة لكم فان رجعتكم عن غيكم وارتركاب ما
اداكم اليه جهلكم ومرض قلوبكم وضعف دينكم وجئتم اليه تائبين وعن انعالكم الشنيعة
مقامين فذلك والا فانه نصره الله يقاتلكم وينتقم بسيف الله ورسوله منكم ولا يخفى انكم
بانتقاضكم عليه وخروجكم عن طاعته التي اجمع عليها اهل المغرب الاوسط وبايعوه عليها
صرتم من اباح الله دماءهم واموالهم فال مقتول منكم مصيره الى النار والمقتول من
العساكر المحمدية المنصورة ماله الى الجنة فيجب عليكم ايها الناس ان تتوبوا الى الله
تعالى وترجعوا عما انتم عليه من الضلال وتعاونوا بالطاعة والدخول في سلك الجماعة
وتبادروا الى اعتاب مولانا خاضعين طائعين مذعنين لاوامره فانه ايده الله يقبل
توبتكم ويصفح عن زلتكم ويعرض عن جهاكم ولا ينالكم منه الا ما تحبون فهذه نصيحتي
لكم فان تلقيتهموها بالقبول فذلك والا فانكم ستشاهدون بقدرة الله تعالى ما يدع اطفالكم
يتامى ونساءكم ايتامى واموالكم غنيمة يقتسمها المسلمون وحينئذ تندمون على ما فاتكم
من الخير وتأسفون حرر بامر الخليفة السيد محمد بن علال نائب مولانا الامير في
ايالة مليانه فلم يزدكم هذا المكتوب الا اعتداء وعتوا ومع ذلك فان الخليفة
اقام ينتظر فثرتهم اياما ولما يئس من طاعتهم وبلغه انهم تجمعوا وسمدوا للقتال في
بلاد اولاد تختار بعث الى الامير يخبره فوجم لذلك وسار اليهم في جيوشه وزحف
اليهم الخليفة بعسكره في وقت عينه له الامير فلما تراءى لهم سوى الخليفة صفوفه
والقى الجمعان والتحم العسكر بالحشود واشتد انقتال واتصل ثلاثة ايام وفي اليوم
الرابع جاء الامير من وراء العدو والح في قتالهم فانكشفوا واشخن فيهم بالقتل والاسر
وفر الثائر وصاحبه ابن عوده لا يلوي احدهما على الآخر وتفرقت جموعهما في جنات
مختلفة فاقام الامير في موضع المعركة ثلاثة ايام لراحة الجيوش وفي الرابع ارتحل
يقفو اثرهم وبث البعوث في النواحي فدروا من ادركوه منهم واشخنوا فيهم بالقتل
والاسر والتجأت القبيلة المعروفة ببني عنتر الى موضع كثير اشعراء والصخور وتحصنوا
فيه فلحقهم العسكر المشاة واحادوا بهم وضرخوا عليهم حاقة الحصار الى ان اجندهم
الجوع والعطش فلاذوا بالطاعة ونزلوا تحت حكم الامير فعفا عنهم وامن روعتهم ولما
ذاع خبر هذه الواقعة وما لحق بالعصاة من الوبال والتكل اذعن الناس وجاءت الوفود
من انقاصية الى الامير وهو في بلاد اولاد مختار ورجع العصاة كلهم نقدمو طاعتهم
اليه واعترفوا بذنوبهم بين يديه فشملمهم بالعفو ورد عليهم سبيهم واسراهم واستامن

اليه محمد بن عودة فامه ووفد عليه فاكرم وفادته وكتب له بالولاية على سائر القبائل في ناحيته من عرب وبربر وسماه آفة وقرى الظهير الاميري بذلك على اعيان القبائل الذين ترأس عليهم وبهذه السياسة الحسنة صار من كان عدواً بالامس صديقاً اليوم بل خادماً اميناً وبعد هذا الانتظام العظيم حلحت الاحوال في الجهات واستقامت الامور وعفيت آثار الفتن وانكشف الديجور من ساحل البحر الى القفر واما البغدادي فانه وقع في يد بعض العمالة فقبض عليه واحضره الى اعتاب الامير وجعله ذريعة لتوبته فتقبلها الامير منه واشغص الثائر الى المغرب الاقصى ولم يزل الامير ينتقل في تلك النواحي الجنوبية والجهات الشرقية الى ان اجثت المفاسد من اصلها واخضع قبائل الصحراء ودوخها وولى عليها العمال واهل الجباية ثم انتقل راجعاً الى المدينة حاضرة الولاية





❖
والله اعلم
❖

فوفدت عليه وفود الاغواط وقدموا طاعتهم فتقبلهم واكرم وفادتهم وافاض عليهم من احسانه ما استعبدهم ثم انهم اخبروه باحوال بلادهم واقفوه على ما عليه عشايرهم وبطونهم من الطاعة له وطلبوا منه منه ان يولي عليهم من يسوسهم ويضبط بلادهم فاجابهم الى ما طلبوه وولى عليهم السيد الحاج العربي بن السيد الحاج عيسى اللغواطى المشهور فيهم بالسؤدد والرئاسة الموروثتين عن اسلافه واقامه نائباً عنه في تلك النواحي الشاسعة وكتب له في ذلك ما نصه هذا ظهير شريف يتضمن الترغيب في جمع كلمة الرعية والترهيب من السعي في تفريق الجماعة والدعاء الى التمسك باوامرنا المطاعة اصدرناه للمكرم المحترم السيد الحاج العربي اللغواطى وذلك انه لما تقرر لدينا فضله وعدله رأينا انه احق من نقله الامر الاكيد ونرمي به الغرض البعيد ونستفسر به احوال الرعية حتى انه لا يغيب عنا شيء من احوالها ولا يخفى علينا ما يتجشها من طارق احوالها وينهي اليها جميع ما يحدث فيها انهاء يتكفل بمجالاتها ودقائقها وجعلناه نائباً عنا وخليفة لنا في قبائل الاغواط الغرابة والشرافة ومن اليهم من القبائل الصحراوية في الجهات الجنوبية فيجمع سائر وجوهها واعيانها ويخبرهم بامرنا هذا ويتلو عليهم ما قلناه به ويقرر لديهم وجوب طاعته ولزوم اتباعه والاذعان لاوامره ونواهييه وقد عيناه له من العسكر النظامي ما يتوصل به الى تقرير الاحكام وجباية الاموال وقهر الظالم والاحذ بيد المظلوم هذا مع ما نعتد عليه من انقياد رعيتنا لاحكام الشرعية والاوامر المرعية ولذلك لم نبالغ بالاستكثار من العسكر لخدمة خليفتنا المذكور فكونوا ايها الناس لامره السالك فيه على جادة الحق والعدل سامعين ولكمته مطيعين واعلموا ان من نكث فانما ينكث على نفسه والله ولي المتقين حرر عن اذن مولانا ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين في سنة اربع وخمسين ومائتين وثمان وثلثين وثمانمائة وبعد تحرير هذا الظهير وتسجيله تناوله السيد الحاج العربي وسار مع الوفود الى بلادهم فرحين بانالهم من الامير من الاكرام وقضاء المطالب ونيل الرغائب ثم رجع الامير الى المدينة فاستقبلته الاهالي على بعد اميال منها حتى غص الطريق بالوف من الذين ثقاتروا من كل نواحي المدينة ليمتعوا اعينهم بشاهدة ذاته وكانوا يصرخون فليعش مولانا عبد القادر وصدحت عند دخوله الموسيقى باغانيها المطربة ورشقوا ممره بياقات الزهور ولم يزل سائراً الى ان دخل الجامع الكبير فقل فيهِ وخطب ووعظ ثم توجه الى محل الامارة فتوارد عليه الوجوه والعلماء مقدمين له التهناني فكان يستقبلهم بالبشاشة والمواانسة ثم وفد عليه الوفود من قسنطينة وانقبائل

المقيمين بالحدود الجنوبية في اياتها يستجدونه ولكن محافظته على معاهدة تافنا منعتهم عن ذلك وكان رضي الله عنه بعد فراغه من الاشتغال بالامور المدنية يشتغل بالامور الدينية اما في نفسه واما للمعوم فكان مدة وجوده بالمدينة يدرس درسا عاما في التوحيد وكان يوم ختمه ام الbraهين للسنوسي يوما مشهودا حضره العلماء من القطر الجزائري وقدموا له المدائح ومن جملة من امتدحه العلامة السيد قدور بن رويله فقال

اغيوث السماء سحت بروض *	ام نسيم الصبا زكت بربوع
ام شمس الضحى تجلت لسعد *	ام بدا البدر في سعاد الطلوع
وثغور الاقاصي بالزهر تبدو *	باسمات عن البريق الملوع
وخدود الورود تحسبها وج *	نة عذراء ذات خدر منيع
وعيون من نرجس شاخصات *	لم تذوق في الرياض طعم الهجوع
وحمام الارك في الدوح يشدو *	بيديع التسجيع والترجيع
وذبول المنى تجر وتاج ال *	شعر يزهر بهجة الترصيع
ام تحاب العلوم في الدرس يهني *	بفهوم من الغمام المهوع
ام فيوضات بحر لفظ كلام *	زاخر في اصوله والفروع
ام عقود من البراهين تبدو *	بقياس يزهر بحسن صنيع
ام لآلي فوائد ملحقات *	تعان من البيان البديع
قد اقرت لما اسود غريس *	ولها اذغنت جميع الجموع
حيث شمس المدى لعيني تجلت *	فاستنار الفؤاد بين الضلوع
من سماء الامام قطب المعالي *	صاحب الوقت والمقام الرفيع
سيدي عبد قادر من له قد *	خضع المرهبون اي خضوع
ابن يحيى الدين الحسني جدا *	ومن الاصل كان طيب الفروع
فهو للدرس ان تصدى امام *	وهام ان جال فوق سرب
جد حتى اطاعه كل شيء *	يا له من فتى مطاع مطيع
يا حي العلم باطنا ظاهريا *	من به ردع النيلسوف الطبيعي
دم لتوحيد الله اقوى معز *	اوقع الشرك في اذل وقوع
وصلاتي مع السلام على جد *	كم الهادي الرسول الشفيع
وعلى آله واصحابه ما *	فاح مسك الختام بعد الشروع

غزوة وادي الزيتون

خرج الامير بقواده ورؤساء القبائل من المدينة قاصداً فرقة من معسكره نازلة في سهل قريب من البلدة ولما وصل المعسكر امر بعدم خروج احد منه وبالا اجتماع عليه فاصطف الجميع حوله كهيئة نصف دائرة فقال لهم طالما قابلت اعوجاج قبائل وادي الزيتون بالاستقامة وعاملتهم على ما فيهم من الاساءة بالمعاملة الحسنة فلم يزدكم ذلك الا عنواً واستكباراً مع علمهم بانا قد بذلنا نفيس الاتقس والمال للجهاد في سبيل الله واءلاء كلمة الله واخترنا ركوب الاخطار للذب عن الدين والوطن ودافعنا الاعداء بالمال والبدن وقد خالطنا فخالوا اعداءنا في الدين ومنعوا دفع الزكاة والعشر المفروضة عليهم شرعاً لبيت مال المسلمين واني قد بذلت الجهد في ارشادهم وارسلت الاشراف والعلماء انصحهم فما ارتدعوا عن غيهم وقد افل يوم الرحمة عنهم ودنا يوم النقمة منهم فاحملوا عليهم حملتكم المعروفة واهجدوا عليهم بشجاعكم الموصوفة التي اقت الرعب في قلوب كل الاعادي ولا تخشوا رصاص رمايتهم فان الله هو الراي ولا يهولكم اعتصامهم كالنسور في صياحي الجبال فالعياد الماهر يتساقى الجبال لبلوغ الآمال فتوكلوا على الله ان الله معنا وديننا لمن يموت شهيداً ومن آب خائراً عاد والله سعيداً واستمدوا من الله المعونة والنصر والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطاهر فننادى الجميع اللهم صل على سيدنا محمد وانصر ناصر الدين ثم امر بتحيي الجيش للمسير ولما وصلوا ل وادي الزيتون امر بترتيب الجيش للهجوم وقسمه اربعة اقسام قسم للميمنة وقسم للميسرة وقسم لجمع المجاريح وتعقيب المنهزمين وابتى الباقي في معيته على راية مشرفة على ساحة القتال ثم صدحت الموسيقى بالحنان الحماسة والجموم وشرعت الجنود بالزحف حتى قطعوا الوادي وابتدأوا بالصعود الى معتصم العمارة فقابلتهم العمارة باطلاق البنادق من وراء صخور الجبال وقتلوا عدداً من الجند فتوقف الباقي عن التقدم والقواد تشجعهم وتحثهم على الاقدام والثبات وتعدهم بالنصر وامر الامير بالحمل عليهم من كل جانب فحملوا عليهم حملة رجل واحد وعلا القتام وضجت الاصوات من الفريقين وصعد الجند الى اعلا الروابي واذهر النيران في انقري وثارت اعصاة تدافع عن المال والعيال مدافعة الاسود عن الاشبال والتحمت الرجال بالرجال وبطل الرمي بالبنادق وعمل السيف انفصال بالاعناق والمفارق ولم يزل السيف يعمل والابطال تقتل وتجنبدل الى ان دب بالاعداء الفشل وسلموا انفسهم الاسر فامر القائد عند ذلك

بوثق الرجال وجمع النساء والاطفال في محل ووضع الحرس الكافي عليهم واستولى الجيش على الاموال والامتعة ثم رجع الامير الى خيمته وامر بجمع العلماء لترتيب الجزاء على روءساء الاسري فحكم عليهم بالاعدام واحضر بين يديه ثمانية عشر رجلاً منهم فقال لهم قد امرنا الله بقتال من فارق الجماعة وخالف الشريعة المطهرة وشق عصا الطاعة وقد اظفرنا الله بكم وجعلكم في ايدينا فاذا ترون فاجابه احدهم ان قطع اعناقنا اولى من تقديم الطاعة لك عندنا والله يحكم بيننا وبينك يوم القيامة وهو اعدل الحاكمين فوبخه الجاويش على ذلك وامره بالسكوت فرفع الامير راسه و اشار الى الجلاد بضرب عنقه ثم الثاني والثالث الى ان وصلت النوبة الى شيخ هرم فقدم وهو يرتعد خوفاً وجرعاً فهجمت اطفاله على الامير ووقفوا يتباكون وبينهم طفلة صغيرة السن خادبت الامير بقولها بحق الله ووالديك واولادك ان تعفون والدي فلما سمع الامير كلامها غلبت رحمته على غضبه وظهر اثر العفو والشفقة في وجهه وامر بالعفو عن والدها وعن الباقيين واقتبل على البنت وقبل جبهتها لانها كانت سبب عفوهم ثم اعلن العفو عن حالفهم ورد اموالهم عليهم فلما سمعت روءساء القبائل المخالفين لهم بذلك اسرعت للمثول بين يديه وادوا الطاعة والاموال المفروضة عليهم من زكاة وعشر فعند ذلك اقر كل رئيس على قبيلته وامر برحيل المعسكر ورجوعه الى المدينة

﴿ ذكر خروج الجنرال دومريمون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها ﴾

لما فرغ الجنرال ويجو من امر المعاهدة مع الامير بعث بالجند الذي كان عنده في وهران الى الجزائر وبعد ايام اخذ الحاكم العام استعداداً ثم سار في المراكب المشحونة بالعساكر والذخائر قاصداً قسنطينة ونزل في بوزة ومنها خرج الى كمله ولا زال يتقدم الى ان استولى على مضيق عمار وكانت حاميته اذ ذاك من عسكر احمد باي صاحب قسنطينة فلما اتصل بها خبر الفرنسيين تفرقت من غير قتال واقام الحاكم الفرنسي في المضيق المذكور ينتظر لحوق الذخائر والمهمات به وقسم عساكره اربعة فرق وزحفت هذه الجنود في اول يوم من اكتوبر واتصل الخبر باحمد باي فخرج في نقاوة جيشه الى خارج البلد واقام نائبه علي بن عيسى في باقي الجيش داخلها واستمرت الجنود الفرنسية سائرة الى ان وصلت قرب البلد فناجزها المسلمون الحرب واستمر القتال بين الفريقين ستة ايام بلياليها ثم وقعت فترة من الجيوش الاسلامية فتقدمت الجيوش الفرنسية انتهازاً للفرصة واستولت على الخندق فتوقف الحاكم الفرنسي عن القتال وكتب الى الباي

وعلي بن عيسى واعيان البلد يدعوم الى التسليم ونص ما كتبه من القائد العام وروءساء
الجيش الفرنسي الى احمد باي وعلي بن عيسى وسائر العساكر والاهالي المحصورين
داخل البلد نعرفكم ان العناية الالهية منحتنا انتصاراً نجيداً عليكم ويد القدرة الربانية
كلتنا باكايل النصر فها جيشنا الجسور وابطلنا الشجعان قد استولوا بعزمهم وقوة سلاحهم
على خنادق بلدكم ولم يبق بيننا وبينكم الا احد امرين اما اعمال السيف واما التسليم
للنخلة من الحيف لا جرم ان عدم التسليم يعود عليكم بالدمار والخراب ونحن لا رغبة لنا
في سفك دمائكم فالتسليم اسلم لكم واحسن بكم لانكم امسيتم في مركز خطير جداً والخلص
منه بدون ضرر كبير يلحقكم مستحيل كيف وبواريد فرنسا قد احاطت بكم من كل
جهة وصرت في وسطها مثل السمك في الشبكة فاجابوه بما نصه من الامة المحافظة على
شرفها وبلدها الى العسكر الفرنسي المعتدي على حقوق غيره قد وصلت رسالتكم
وفهمنا ما ذكرتموه فيها نعم ان مركزنا امسى في خطر عظيم ولكن استيلاؤكم على
قسنطينة المحمية بالابطال العربية الذين لا يهابون الموت موقوف على قتل آخر واحد
منهم واعلموا ان الموت عندنا تحت اوار بلدتنا احسن من حياتنا تحت سلطة فرنسا
فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم الفرنسي قال لاهل مجلسه من القواد ما ذكره هؤلاء
هو كذلك فانهم ابطال شجعان اصحاب قلوب قوية وما رغبوا فيه سيعود على جنودنا
بالعز والفخر ثم امر باستئناف الحرب واخذ الجيش في طم الخندق وتوجه الحاكم
الفرنسي وفي معيته الدوك دي بنمور الى محل العمل فبينما هم ينظرون الى عمل الجنود
اذا رسلت عليهم كلة من مدافع البلد فاصابت الحاكم الفرنسي في صدره فالتقه قتيلاً
وتقدم الجنرال بريكو ليحملة فاصابته رصاصة في جبهته فالحقته برفيقه ثم اتفق رأي
القواد على تعيين الجنرال كاله قائداً عاماً فامر باطلاق المدافع على البلد فارسلت عليها
كالمطر ثم هجم القائم مقام لامورسير بفرقة على البلد واتصلت النار باللغم الذي كان
المسلمون اعدوه للعدو فدمر عدداً كثيراً من الفرقة الهاجمة وجرح قائدها لامورسير
جرحاً اعجزه عن القيام ثم هجم كومب بفرقة مدداً للفرقة الاولى التي هلك اكثرها
واشتد القتال بين الفريقين وابلى المسلمون بلاءاً حسناً فكان منظر القتل مرعباً وانين
الجرحى محزوناً واستمات الفريقان وثبات اهل قسنطينة في ذلك اليوم اوجب مزيد
الاستغراب لكل من شاهد تلك الحرب الهائلة وبعد هذا فالغاية للجنود الفرنسية
لانهم اقتحموا شدة ذلك البلاء وتعلقوا بأسوار البلد وتمكنوا من نشر راياتهم عليها
غير ان الخسارة التي تكبدوها لا يعادلها شيء فقد قتل من القواد المشهورين عدد

كثير منهم القائد العام الجنرال دوريمون والجنرال بريكو والكنندار كومب والقائد فيه دمبريني وغيرهم من الوف من الجند ومعظم الوبال كان في النهار الاخير ويوم يد هذا ما ذكره بالمار ووافقه روا في تاريخهما ولما دخلت جنود فرنسا الى البلد تفرقت العرب وفر احمد باي صاحبها في له من خواصه ولحق بالزاب ثم اخذ مدينة بسكره من يد حاكمها فرحات بن سعيد الزواوي ورجع الجنرال كاله الى الجزائر بعد ان اقام القبطان بتريل حاكماً على قسنطينة وثبتت قدم الفرنسيين في مدينة قسنطينة وانقطعت منها دعوة الدولة العلية والله عاقبة الامور ثم آل امر احمد باي الى الدخول في يد الفرنسيين وكانت وفاته في مدينة الجزائر

﴿ ذكر استيلاء الامير على بلاد الزيبان وصطيف وما اليها ﴾

﴿ من البلاد الجنوبية والشرقية ﴾

ولما تم استيلاء الفرنسيين على قسنطينة وفر صاحبها احمد باي الى الزيبان حشد الحشود وزحف بهم على بسكره حاضرة تلك البلاد فدخلها وفر صاحبها فرحات ابن سعيد ولحق بالجزائر مستنجداً بما كها انفرنسوي فلم يجده وتغافل عنه وكان الامير وقتئذ في المدينة فجاءه وشكى امره اليه ودعاه الى الاستيلاء على بسكره وما اليها من البلاد فاجابه الى ذلك وجوز الخليفة السيد محمد البركاني في الجيوش المنظمة والمتنوعة وسار بهم مع فرحات الى مدينة بسكره وكان خبرهم اتصل باحمد باي وفر منها ولحق بالتخوم مما يلي الصحراء واستولى الخليفة على بسكره ووفدت عليه اعيان العرب والبربر من نقزاه والزواوده وغيرهم وقدموا طاعتهم وطاعة من وراءهم وارسل الخليفة بالخبر الى الامير فسر بذلك وامره بتهديد تلك النواحي الى اطراف الصحراء ثم بالانقلاب الى صطيف وما اليها من بلاد نجانة الى جبال زناته فنزل ثم انتقل راجعاً الى المدينة ظافراً فانعم الامير على فرحات بن سعيد بايالة بسكره وما اليها فاستلم زمام امورها ورتب العمال في اعمالها ولما فشت الدعوة في سائر النواحي الشرقية والجنوبية بادر من نقاعس من القبائل عن اداء الطاعة فادى طاعته واتسع نطاق المملكة مسيرة شهر طويلاً وعرضاً للمجد واستقامت الامور وترتبت الحاميات والمسلحات في الثغور والتخوم وامنت السبل حتي ان المرأة كانت تسير من اول المملكة الى آخرها لا تسئل من اين والى اين .

❖ ذكر خروج التجيني في حصن عين ماضى من بلاد الاغواط ❖

❖ ومسير الامير اليه ❖

نقدم ان وفود بني الاغواط الشراقة قدموا طاعتهم الى الامير فتقبلها وولى عليهم وعلى من يليهم من القبائل السيد الحاج العربي وردهم الى بلادهم فاذعن الناس للخليفة وقبلوا ولايته ومشت كبتة في تلك النواحي ولم يشذ عنه الا السيد محمد الصغير التجيني ومن وافقه من الاغواط الغرابة فانهم امتنعوا من اداء الطاعة وجأهروا بالعصيان فبعث الخليفة بجبره الى الامير فوجم لذلك وخشى ان يسري هذا الحال في الناس ويرجع الامر الى ما كان عليه من الارتباك فبادر الى قمع هؤلاء الثائرين وتنكيلهم ليكونوا عبرة لغيرهم وسار في الثامن عشر من ربيع الاول سنة اربع وخمسين ومائتين واثنى عشر يونيه سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة في ستة آلاف من الخيالة وثلاثة آلاف من المشاة وثلاث قطع من المدافع وستة هواوين وبعد عشرة ايام من مسيره سيراً عنيفاً في قفار رملية شارب الحصن فرأى من حصانته بالخندق والسور ومن كثرة المقاتلة ما استعظمه ثم تقدم اليه وفرق الجند على جيئاته ومعهم النقبابون للسور ومن ورائهم الرماة فنع اهل الحصن ساحته وحاربوا من المكامن التي اتخذوها تحت السور ومن شرفاته فتأخر الجيش عنهم وجعلوا يناوشونهم الحرب من بعيد واخذوا في قطع الغياض الملتفة الاشجار حول الحصن وحطم البساتين واقامت البطاريات في تلك الفسحات وصار الشروع باطلاق النار وكلما فتحت نفرة لاجل الهجوم تسد من داخل وتكرر ذلك مراراً ثم امر الامير بحفر النفوق فحفر نفق من المعسكر الى داخل الحصن ولما وصل العاملون فيه الى داخل السور احس بهم الرئيس فنقب جيشه على العملة ووقعت بينهم مقاتلة داخل النفق وابطلوا للعملة عملهم ولما طال الحصار على اهل الحصن مدة تقرب من ستة اشهر واجهدهم الجوع واضناهم الخوف اجتمعوا الى رئيسهم واروه ما آل امرهم اليه من الجهد ونقاد الاقوات وما يحتاجون اليه في الدفاع وتكلموا معه بما اضطره الى التسليم وفي التاسع عشر من نوفمبر بعث التجيني الى السيد الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الامير يستامن على نفسه واهله وسائر اهل الحصن ومن حضره من الحشود وطلب مهلة اربعين يوماً يتأهب فيها للانتقال والجلاء عن الحصن فعرض الخليفة ذلك على الامير فاجابه على شروط اولها ان يدفع التجيني مصارفات الحصار الثاني ان يكون مجبوراً على اخلاء المدينة في برهة اربعين يوماً الثالث ان يكون له حق باخذ جميع امواله المنقولة بلا استثناء الرابع لاهل

المدينة حق بمرافقة التجيني باموالهم واسلحتهم الخامس ان يرفع الامير الحصار عنهم ويرجع ثمانية اميال عن المدينة حتى تخلى السادس ان يكون ابن التجيني عند الامير رهينة الى تمام المعاهدة فقبل التجيني الشروط المذكورة وامضى عليها وارسل ابنه معها فامنه الامير وامهله وبعد انقضاء المدة خرج باهله وحشوده ولم يتخلف في الحصن الا المستضعفون فامر الامير بتخريب الحصن فالصق سوره وسائر دوره وابراجها بالارض وغور ماءه وارسلت له قبيلتان من قبائل الاغواط المجاورين للحصن الزكاة والعشور واصرت بقية القبائل على عدم دفع ما كان عليهم من الزكاة والعشر ولحق التجيني بالاغواط الغرابة وساكنهم في حلهم في خيام الشعر فاعلن الامير بذلك الى خلفائه ووكلائه في الجزائر ووهران بانصه الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وبعد فان الله تعالى منذ ولانا امر المسلمين والنظر في مصالحهم لم نزل نجتهد ونسعى في تاليف قلوبهم على الاتحاد والخضوع لشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم وقد توجهنا هذه المرة الى بلاد الاغواط لجمع كلمتهم واصلاح فسادهم فاظهر عامة اهلها غاية الطاعة والانقياد الا ما كان من التجيني ومن اتى اليه فانهم تجاهروا بالشقاق وتظاهروا بالتصدي عن الوفاق فامرناهم بالرجوع الى الحق وحذرناهم من شق عصا المسلمين غير مرة وناشدناهم الله في صون دمائهم واعراضهم فلم يرجعوا عن غيهم بل صمموا على قتالنا واستعدوا لمحاربتنا فخفنا ان اهملنا امرهم من سريان هذا الفساد الى غيرهم فيفوت المقصود الذي هو جمع الامة على كلمة واحدة وطريقة متحدة فاخذنا في حصار حصنهم والتضييق عليهم ولما استشرفوا على الردى وكادت ان تعمل فيهم المدي طلبوا منا الامان مع انهم خدعونا مرات عديدة فنحنناهم الصنع الجميل صوتاً لدمائهم وحفظاً لاعراضهم نقوله تعالى فاعفوا واصفحوا وامناهم على ان يخرجوا من الحصن ويتوجهوا حيث شاؤوا فخرجوا كلهم منه الا المستضعفين منهم وذهب التجيني وحرمة واولاده الى الاغواط الغرابة وابقى ابنه الكبير رهناً عندنا فالحمد لله الذي ايدنا بنصره على من عصى امره وناواه فانه لا رب غيره ولا معبود سواه واصل التجيني من اشراف المغرب انتقل والده السيد احمد في اواخر المائتين بعد الالف من فاس الى بني توجين اصحاب تاهرت وتاكدت من البربر اخوان بني زيبان ملوك تلمسان وبني مرين ملوك المغرب الاقصى ولما طال مقامه بين اظهر بني توجين نسب اليهم فقبل له التجيني وكان حصن عين ماضي موضع سكناه وكان عالماً زاهداً مشتهراً باصلاح وقصده الناس للتبرك به وكان يقول لم يوجد من عصر الصحابة رضى

الله عنهم الى عصري عالم مثلي وله تاليف سماه الكناش ذكر فيه آداباً صوفية وحقائق الهية
وثار ولده محمد الاكبر على الحكومة وزحف بجموعه على مدينة معسكر ودخلها فخرج اليه
حاكم وهران وقتله وقد تقدم تفصيل الواقعة وهذا الحصن اختطه ماضي بن يقرب من اقبال
العرب في المائة الخامسة لاول استيلاء العرب على المغرب الاوسط ايام العبيديين ويحوى
على ثلاثمائة دار وتدخل له العين المسماة بالحصن في قناة وبه صهاريج لجمع ماء المطر تسد
عوز اهله وله من المئانة والحصانة ما بهر العقول وحوله من النخيل والاشجار المتنوعة ما
هو زينة للناظرين

وهنا بعض ادباء اهالي مليانه الامير بفتح هذا الحصن الذي عجز عن فتحه من
قبله بقوله

ايا نسمة الاسحار طبت بصولة *	وطابت بك الاكوان طراً بسرعة
وآب سرور الدهر مذ طاب نشرها *	ونادى منادي النصر من كل وجهة
واقبلت البشرية وعم سرورها *	ونالت به الايام احسن سطوة
بطلمعة عبد القادر السيد الذي *	له الشرف السامي باشرف نسبة
هو البدر وافى في سماء كحله *	بحجو ظلام حل قدماً بيلدة
فعن عين ماضي قد ازاح غشاوة *	فضاءت وعادت خير عين بصيرة
فويل لمن عادى ابن اكرم مرسل *	وويل لمن يدعون اصحاب ذمة
هنيئاً لنا اهل الحجة اننا *	بذا البدر نلنا اليوم اكل منية
بسمي امير دمر الطاغين مذ *	جرى عدله في كل مصر وقرية
فنطلب من رب السماء بقاءه *	لنطرب اياماً باحسن دولة
عليه سلام الله ما هبت الصبا *	وما اشرقت شمس العلا كل لحظة

ولما فرغ الامير من امر التجني رجع الى معسكر لاختد الراحة وبعد ان اقام بها
بضع اسابيع الف جيشاً من خمسة آلاف فارس وامر ان ياخذ كل واحد منهم
على فرسه ما يكفيه من الزاد والشعير وان يجتمعوا في سهل غريس فاجتمعوا فيه ولم
يعلم احد براد الامير بذلك في وقت اشتداد البرد وكثرة الشتاء وقبل غروب الشمس اتبل
عليهم ممتطياً ظهر الجواد لابساً لامة الحرب والجلاد فتوجه بهم نحو الشمال الغربي ولما
اعتكر الظلام امر بايقاد اربعة مصاييح امام الجيش فجعلت في اسنة الرماح فكانت
اشعتها تنبعث الى وراء الجيش ثم ترك الجادة وانعطف فجاءة الى جهة الشمال الشرقي فعلم
الجيش اذ ذاك ان سيره السابق مجرد تورية وتمويه ولم يزلوا يجدون السير الى نصف الليل

ثم نزلوا على حافة جدول فاكلوا واطعموا خيولهم وبعد مضي ثلاث ساعات عادوا للسير العنيف الى نصف النهار ثم نزلوا واطعموا الخيل واكلوا ثم عادوا لما كانوا عليه من السير السريع واستمروا على هذا الحال اربعة ايام واربع ليال وفي صباح اليوم الخامس انكشفت لهم منازل الاغواط الذين اصروا على عدم الطاعة وامتنعوا عن اداء العشر والزكاة وكانت خيامهم تنوف عن عشرة آلاف خيمة وكان اهلها من نكبات الدهر آمنين وفي لذة النوم مستغرقين لم توقظهم الا الصيحات العالية والضربات المتوالية ولما انتبهوا رأوا ما هالهم من الفرسان المنقضين عليهم انقضاض العقبان على الغربان وكثر من النساء العويل والنحيب واندesh عقل البطل النجيب وركض البعض لاسلحتهم والآخرين لخيولهم فلم يتمكنوا من الاجتماع حتى صمت الاسماع بصوت الامير صونوا الحريم واما الرجال فاذايقوم كاس الوبال ثم احيط بهم من كل جهة واستاقوم كقطعان الغنم ولما احضروا مشايخهم بين يدي الامير وقعوا على رجله وتذلوا بين يديه واعطوه المواثيق والعهود على الطاعة وحسن السلوك فرحمهم وتقبل طاعتهم ورد عليهم جميع ما اخذ منهم وفي الحال دفعوا له اربعة آلاف جمل وثلاثين الف راس غنم عما تبقى عندهم من زكاة خمس سنين وكانوا بعد ذلك من اشد القوم تمسكا بالامير واكلهم طاعة له

❖ ذكر المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العالية ❖

❖ وترتيب الاحكام وشؤونها ❖

لما تمت بيعة الامير واستقام له الامر واتخذ الآلة ورتب الحاشية وعين رجال الدولة قسم ما دخل في طاعته الى مقاطعتين مقاطعة تلمسان وولى عليها السيد محمد البوحميدي الوهادي ومقاطعة حضرته معسكر وولى عليها السيد محمد بن فريجة المهاجي ولما قتل ولى عليها السيد الحاج مصطفى بن احمد التهامي وكان رئيس ديوان الانشاء ولما امتدت طاعته الى ما وراء وادي شلف جعل مليانة مقاطعة ثالثة وولى عليها السيد محيي الدين بن علال القليعي ولما مات ولى عليها السيد محمد بن علال من اقاربه ولكل من هذه المقاطعات الثلاثة مرسي تحصها فللمسان مرفا رشكور ومعسكر مرفا ارزيو ومليانة مرفا شرشال ثم دانت له بلاد تيطرى فجعلها مقاطعة اربعة وجعل حاضرتها مدينة المدية وولى عليها اخاه السيد مصطفى بن محيي الدين ثم عزله وولى عليها السيد محمد البركاني ثم تزايدت الفتوحات في الجهات الشرقية والجنوبية فاتسعت المملكة واخذت في الشرق الى ما وراء بلاد مجانة قرب قسنطينة وفي

الجنوب الى القفر فيما وراء وادي سوف حيث مجالات التوارك من بقايا المثلثين وفي الشمال الى ما وراء جبال زواوه فجعل مقاطعة مجانة مقاطعة خامسة وحاضرتها صطيف ومقاطعة الزيان مقاطعة سادسة وحاضرتها بسكره ومقاطعة الجبال مقاطعة سابعة وحاضرتها برج حمزه فولى على مقاطعة نجانة محمد بن عبد السلام المقراني ثم السيد محمد الخروبي القاعي ثم السيد محمد بن عمر العيسوي وعلى مقاطعة بسكره والصحراء الشرقية فرحات بن سعيد ثم السيد الحسن بن عزوز ثم السيد محمد الصغير ابن عبد الرحمن بن احمد بن الحاج وعلى مقاطعة برج حمزه السيد احمد بن سالم الديسي وجعل الصحراء الغربية مقاطعة ثامنة وولى عليها السيد قدور بن عبد الباقي وقسم المقاطعات الى دوائر ووضع في كل منها آغا وهذه الدوائر تشتمل على قبائل وكل قبيلة تحتوي على بطون وعشائر فجعل على كل قبيلة قائداً وعلى كل بطن وعشيرة شيخاً فكانت الاوامر الاميرية تصدر الى العمال المعروفين بالخلفاء ومن طرفهم الى الاغوات ومنهم الى القواد ومنهم الى المشايخ والقضايا التي تحدث في الدوائر يرفعها المشايخ الى القواد وهم يرفعونها الى الاغوات ومنهم ترفع الى الخلفاء ثم تعرض على الحضرة الاميرية اينما كان هذا في القضايا المهمة واما غيرها فان الخلفاء يفصلونها بدون ان يرفعوها الى الحضرة الاميرية وفي وقت الحرب تكون هؤلاء الرؤساء رؤساء عسكرية فيجمع كل منهم جماعة من عشيرته ويحضر بهم الى القتال ولما كان غاية قصد الامير ربط البلاد بالادارة الشرعية لم يستخدم في جميع اعماله الا من اشتهر بعرفة الاحكام وعرف بالعفاف والاقدام وابعده غالب العمال ارباب التقدم والنفوذ في ايام الحكومة الجزائرية واستخدم في ادارة الامور الملكية من كان ذا حزم وعزم وقوة شكيمة من ذوي البيوت المشهورين بالعالم والفضل وحسن السياسة ومع ذلك كان يحلفهم على صحيح البخاري بان لا يعدلوا عن الحق وان يكونوا صادقين في الخدمة مع الامير والرعية وكان مناديه في غالب الاوقات ينادي في الاسواق ان من له شكوى على خليفة او آغا او قائد او شيخ فليرفعها الى الديوان الاميري من غير واسطة فان الامير ينصفه من ظالمه وان ظلم احد ولم يرفع ظلامته الى الامير فلا يلومنّ الا نفسه وتعين العمال براسم خصوصية تحرر بقلم كاتب الديوان الخاص ويختتم باعلا سائر منها بخاتم الامارة وهو خاتم كبير الحجم نقشه في الدائرة

ومن تكن برسول الله نصرته * ان تلقه الاسد في آجامها تجم

وفي جوانبه الله محمد ابوبكر عمر عثمان علي وفي وسط الدائرة الواثق بالقوى المتين

ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين والتاريخ سنة ١٢٤٨ ويصير نصب العامل داخل الديوان الاميري وعند تسليمه مرسوم التقليد يعطى خانماً عليه اسمه ولقبه ويجمع عليه برنس جوخ على حسب الرتبة التي تولاها ويختلف على صحيح البخاري الشريف بحسن السيرة والعدل ومع ذلك لا يغفل الامير عن ملاحظاتهم والسوء ال عن مسراهم مع الرعية وبعد موت المتولي او عزله يرجع انخاتم الى دار الامارة وتلى حسب جسامه انقاطعة او السطة تكون افراد الحكم في الشرف والشهرة وقد اسندت نظارة الامور الداخلية لابي المكرم السيد محمد بن السيد العربي ونظارة الامور الخارجية لابي محمد الحاج المولد بن عراش ونظارة المالية لابي عبدالله الحاج الجياني بن فريجة ونظارة الاوقاف لابي عبد الرحمن الحاج الطاهر ابوزيد ونظارة الاعشار وصنوف الركدة لابي محمد السيد الجياني بن الهادية والحياة يخرجون في السنة مرتين مرة في الربيع لحباية الزكاة ومرة في الصيف لحباية الاعشار ونظارة دار خرب السكة والاسلحة ومعاملها وما يتعلق بذلك من ادوات الحرب لابي البركات السيد محمد بن الجياني من السادة الاقارب وكتابة الديوان الاميري لابن عمه السيد احمد بن علي ابي طالب والسيد مصطفى بن احمد التهامي ثم نقل الاول الى قيادة فليته والثاني الى خلافة المفخرة وعين بعدهما لكتابة السيد محمد بن الخروبي ثم نقل الى صطيف والسيد محمد بن عبد الرحمن المرزلي والسيد مصطفى بن العوفي وانتقلت خدمتهما في كتابة الديوان الى ان مانا آخر ايام الامارة واسندت نظارة الخزينة الخاصة لابي سعيد محمد بن فاخه والحباية الى محمد بن الحاج علي الرحاوي والمبوس الاميري لنظار الحاج النجادي الرحاوي وتعين عبد القادر بن ابي معزة للزراعة والبدالي بن ثمانية للسقاية وعبد الرحمن بن مقيطيف للسلاح وعبدالله بن يوسف لحمل الشمسية او اللواء وهو من حرير اعلاه واسفله اخضر ووسطه ابيض، مرسوم عليه بالذهب المزركش في صورة دائرة تامة نصر من الله وفتح قريب ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين وفي وسطها صورة يد مبسوطة مطرزة بالذهب ولنظارة الاصطبل محيي الدين بن عبدالله ولرئاسة الموسيقى ابو مدين ابن ابي دغن وغير ذلك من الترتيبات الاميرية ولوازمها وبعد ان فرغ منها اقبل على الوظائف الشرعية فعين في كل عمالة وكل دائرة واسعة الانحاء قاضياً عالماً بفصل القضايا الشرعية على مذهب الامام مالك بن انس امام دار الهجرة النبوية فقيهاً نزيهاً مشهوراً بالعرفان والقيام بامور الدين وربط ادارة هؤلاء القضاة بمراجعة العلامة قاضي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المرامي رئيس مجلسه الخاص ونصب السيد بن عبث بن المصطفى المشرفي قاضياً للمسكر وعين لكل

قاض كاتبين اكبرهما يقوم مقام المفتي في مطالعة الفتاوى التي تجري الاحكام على مقتضاها ورتب في سائر المدن والقرى علماء لتدريس فنون العلم وعين لهم مرتبات على حسب دابقتهم وامر بطلب العلم وباحترام اهله واستئنائهم من جميع المطالب الميرية فاذا حضر عنده طالب علم يتحننه في الفن الذي يتعاطاه فان وجده ناجحاً فيه اكرمه والا اعرض عنه فكان هذا سبباً قوياً للطلبة في الاجتهاد وحصل من ذلك نجاح عظيم وانتشر العلم في جميع المقادعات واقبل الناس على تعليم اولادهم الامور الابتدائية فكثر النفع وعمت الفائدة وكنت الكتب حينئذ قليلة في البلاد فاجتهد في جمعها من كل جهة وامر العسكر بان كل من وجد كتاباً يحضره له ثم شدد في حفظ الكتب الموجودة بايدي الطلبة وعزم على ترتيب مكتبة في تاكدمت فصار يجمع الكتب اللازمة ولما احتاج الى اخلاء المدن جعلها في الزمالة فنلت كلها في وقعة طاكين لما هجم ابن ملك فرنسا الدوك رومال على الزمالة واجتهد في تهذيب الاخلاق وباصلاح الآداب العمومية بحيث لو اراد الله باطالة المدة لعادت العرب الى طريق اسلافهم المؤسسة على منطوق القرآن الكريم لانه منع بشدة وصرامة شرب الخمر ولعب القمار لاسيما من العسكر ومنع استعمال الدخان لكونه اسرافاً من دون فائدة سيما للفقراء ومنع الرجال من استعمال الذهب والفضة الا في الاسلحة وعلى الخيول وامر بالصلوات الخمس ان تكون في الجوامع ومن وجد في دكانه وقت الصلاة يجلد وعين مأمورين لذلك ومنع النساء من دخول الجوامع وامر بوابي الجوامع بان تكون عندهم مغرة وكلما جاءت امرأة يسمونها بها فبهذه الوسيلة انقضت النساء عن دخول الجوامع خوفاً على اغطيتهن واحداث اموراً تحسنت للامارة والمملكة لم تكن موجودة في ايام من سلفه من ملوك المغرب فاتخذ في كل مقاطعة دار شورى للمناوذة في الدعاوي المهمة التي تحدث بين الرعايا وفي مصالح المملكة وجعل انتخاب اعضاء هذه المجالس الى الخلفاء وانقضايها التي ترى فيها يكون فصلها على الوجه الشرعي ويكتب فيها صكوك يضع اصحاب الشورى فيها اسماءهم بخطوط ايديهم ورئاسة كل منها تناط بالقضاة فاذا حضرها الخلفاء فالرئاسة لهم وعلى كل حال فهم المأمورون بتنفيذ صكوكها وامر هذه المجالس مربوط بالمجالس العالي الاميري المؤلفة من احد عشر عالماً وهم نواب المملكة ومن تعين فيه لاول الدولة السيد احمد بن التهامي والسيد عبد انقادر ابن روكش والسيد عبدالله سقاط المشرفي والسيد طاهر الخنوزلي والسيد محمد المخنوزلي والسيد احمد بن الطاهر ابن الشيخ المشرفي والسيد محمد بن المختار الورغي والسيد

المكي الخرنوبي والسيد المختار بن المكي والسيد الحاج عبد انقادر بن روكش الاكبر والسيد ابراهيم بن القاوي ورئاسة هذا المجلس الثانية لقاوي القضاة السيد احمد بن الهاشمي المراحي وعند حدوث نازلة مهمة يحضره الامير وتكون الرئاسة له والوجه الشرعي الذي يوجهه يجري الحكم في انوازل موقوف على اتحاد آراء الاعضاء ولهذا المجلس نجل كباقي المجالس تحرر فيه مفردات ما يرد من الحوادث وبهذا الترتيب كانت الاحكام جارية على جادة الاستقامة ونفقات هذه المجالس تعرف من بيت المال كباقي الوظائف والخطط الملكية واما اهل الوظائف الدينية وما يتعلق بها فنصرف مرتباتهم وتعييناتهم من خزينة الادفاف ومن الامور التي احدها الامير حازبها النخل على من تقدمه من الملوك في المغرب انشاء المدارس لمدرسي العساكر في كل المقادعات وعين في كل مارستان اربعة اطباء يرجع امرهم الي طيب حضرته العلية وهو ابو عبد الله الزروالي وكان ماهراً في علم الطب وتهده له اهل الخبرة بذلك وكان عالماً بخواص الاعشاب على اختلاف صنوفها وكان يخرج الرصاص من داخل العنق المصاب بوضع عشب على مدخله فيخرج بعد بضع ساعات من موضعه بسهولة دون ألم وابتنى داراً للمسافرين والوفود في الحضرة واقام ناظرًا عليها من ابناء دولته ينزل الناس فيها على حسب طبقاتهم وتقدم لهم المأكل والمشرب على حسب مقامهم

❖ ذكر احتفال الامير للمولد النبوي والعيدين ❖

كان يحتفل للمولد النبوي ايام امارته احتفالاً عظيماً فيخرج يوم المولد الشريف هو وخاصته وامراء جيشه الى ارض نيجاء مدعة ثم تمنع العسكر فيها شبه تحاربة بحيث تقف العسكر المشاة المنظمة كهيئة قلعة مربعة الاركان ويضعون ما يحتاجون اليه من البارود والذخائر وسط تلك القلعة ويحيطون في كل ركن من اركانها مدفعين ثم تأتي فرقة من الخيالة فتحيط بتلك القلعة فتخرج اليها شرذمة من القلعة لتردها عنها فتبعد عن القلعة نحو عشر دقائق وتطلق البارود على الخيول المقابلة لها فتهم الخيول عليها وتطلق النيران حتى تقرب منها فتراجع تلك الشرذمة الى وراء وهي لا تتترعن اطلاق النار حتى تدخل القلعة وتقف في مكانها الذي خرجت منه ثم تطلق عساكر القلعة النيران المتتابعة على تلك الخيول وتطلق مدفعاً او مدفعين من الركن الذي يليها فتراجع الخيالة عنها ثم تخرج شرذمة اخرى من الجهة الثانية الى ما يليها من الخيالة فتهم عليها فرقة من الخيالة المقابلة لها بجميع قوتها حتى تردها الى مكانها الذي خرجت منه بحيث يتخيل

لنناظر انها لم تخرج منه اصلاً ثم تطلق النيران المتتابعة على الخيالة ويطلق المدفع عليها من الركن المقابل لها حتى ترجع انقهقرى وعلى هذا المنوال تفعل اصحاب الجهة الثالثة والرابعة من الانعال ويستغرق هذا العمل مقدار ساعتين من النهار فيشاهد الناظر من تلك الافعال ما تقر له الاعين وتبتهج به النفوس ونقول في حقه الاسن لا عطر بعد عروس وهكذا كان العمل في ايام الاعياد بعد الفراغ من الصلاة

❖ ذكر ما شيدته الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد ❖
❖ العسكر النظامي مشاة وركبانا ❖

لما فرغ الامير من تهيد البلاد اقبل على تحسين احوال المملكة وتحسينها وتثقيف نفورها فابتنى في الخط الفاصل بين السواد والصحراء عدة حصون منها سعيدة وسبدو في الجهة الغربية وفي الجهتين الجنوبية والشرقية تاكدت وبوغار وسباو وعريب وبوخشفه وطازة ولما ان دخل طازة ورأى تشيدها في اقرب وقت حمد الله وثنى عليه وقال ارتجالاً

الله اعلم ان هذا لم يكن * مني على الامل الطويل دليلاً
كلا وان منيتي لقريبة * مني واصبح في التراب جديلاً
ورضى الاله هو المنى ليكون من * بعدي انتفاع الخلق ثم طويلاً

ثم امر بكتابتها على باب الحصن وحصن تاكدت اعظم الحصون المذكورة واقواها واحسنها موقعاً واوفقها لوصل تجارة الصحراء بتجارة السواد وقد اعتنى به الامير نظراً لمركزه ولما ابتنى هذا الحصن انتقل اليه باهله واهل دائرته وانشأ فيه دار السلاح وجلب اليها عملة من اسبانيا وفرنسا فكانوا يصنعون فيها البواريد وحرباتها والسيوف وغيرها من ادوات الحرب وسماته وابتنى فيه داراً لضرب السكة وجعلها ثلاثة اجناس من الفضة والنحاس مستديرة الشكل فالفضة والنحاس نوعان مكتوب على احد وجهيهما (ومن يتبع غير الاسلام ديناً فان يقبل منه) وعلى الآخر (ضرب في تاكدت) وتاريخ الضرب سنة ١٢٥٥ وهذه القطعة عبارة عن فرنكين والجنس الثاني من الفضة والنحاس مكتوب على احد وجهيه (ان الدين عند الله الاسلام) وعلى الوجه الآخر محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن فرنك واحد والجنس الثالث من الفضة والنحاس مكتوب على وجهه الاول (ربنا افرغ علينا صبراً وثبت اقدامنا) وعلى الثاني محل الضرب والتاريخ وهذه القطعة عبارة عن نصف فرنك وتنقله في رسم هذه الآيات بحسب

ما كان عليه من اختلاف الظروف والحالات وابتنى في الحاضرة معسكر ومليانه والمدينة معاملاً لعناءة الاسلحة بانواعها والبارود والرصاص ومع ذلك كان يشتري منها حين اللزوم من مملكة تونس ومراكش جانباً عظيماً وكان تجار فرنسا يجلبون الملح والكبريت لمراسي الجزائر فيشتريه منهم وفي اوقات الهدنة يحضره من فرنسا وتارة يستخرجه من معدن بجيل وانشريس واما الجوخ والمدافع فكان معلمهما في تلمسان تحت نظارة معلم اسبانيولي . وقد رأيت ثلاث مدافع في باريس اخذت في ايام الحرب مكتوب على كل مدفع فوق خزائنه النارية (عمل في تلمسان وقت اماره ناصر الدين السيد عبد القادر ابن يحيى الدين سنة ١٢٥٥) وقد الزم كل من سلب في الحرب بارودة فرنسوي ان يحضرها لناظر المعامل الحرية وياخذ ثمنها منه اثني عشر ريالاً سينك ورتب صناعاتاً لاصلاح السلاح وهم السمون قرداحية وكانوا يرافقون الجيش سفراً وحضراً ورتب عدداً من الخياطين والسروجية لاصلاح ما يلزم اصلاحه من الالبسة وسروج الخيل للعسكر والمتطوعة في ايام الحرب وبالجمله فقد بذل الجهد والمال في منافع الدولة والبلاد واستقصى السلب ما به العمران ووضع الحاميات والمسلحات في المضايق ومواضع الخوف وحسن الغور فعم الامن سائر المملكة واطفأ نار الثمن التي لم تزل منذ ثقلد امور المسلمين نثقدم تارة وتخبو اخرى واستاصل اهل الفساد والجند المنظم في ذلك اليد الطولى فانه لا يعرف غير الفتك في اهل الضلال ولا يراقب في طاعة مولاه ونصرته الاً ولا ذمة مع قلة عدده اذ لم يتجاوز خمسة عشر الفا وثلاثمائة منها اثنا عشر الفا مشاة والفرسان وخمسمائة خيالة ومائتان وخمسون مدفعيون تدير عشرين مدفعاً للسفر وخمسمائة عبد اتخذها حرساً له تحت رئاسة سالم اغا الزنجي الفارس المشهور وكانت البستهم من الجوخ الاحمر الجيد وسلاحهم نحلى بالذهب والفضة مرصعاً بالمرجان وهذا عدد افراد الجند الشخصية ومن حيث الشجاعة والبسالة فقد كان الواحد منه يعد بعشرة وعلى اتم ما يرام من النظام وكان ينضم له عند اللزوم من حشود المملكة وجيوشها ما تقتضيه الحال وناهيك بجند مع قلته فتح الاقفال ونقل الانفال واستوثق به الامير ملك اقام في مقارعة جيوش فرنسا ومناضلة الثوار والخوارج ستة عشر سنة وبذلك تشهد الاخبار والآثار ولكن لكل هبوب ركود وليس الايام عهود قال شرشل في تاريخه ان هذه الاعمال كبيرة جداً بالنسبة الى سن الامير حين المباشرة لاجرائها مع عدم اطلاعه على احوال العالم كما ينبغي اذ ذاك لكنها صغيرة بالنسبة الى ذكاء عقله الفريد ولا شك انه لو تركت فرنسا الامير مغتنماً تلك الغلظة التي اقترت بها في معاهدة تاننا

لكن اظهر منه ما لم يكن في حساب حيث ان العاقل يندهش متى سمع بان دولة فرنسا احتاجت الى مائة الف عسكري معدودة من اول عساكر الدنيا ثقاتل بها الامير وقتل منها ما يزيد على مائة الف حتى امكنها هدم ما بناه في نحو الثلاث سنين على انه لولا المساعدات الخارجية والداخلية لكنت احتاجت الى اكثر من ذلك والله غالب على امره

﴿ ذكر توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وزدًا الى سلطان ﴾

﴿ المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علماءها ﴾

﴿ وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي ﴾

قد كان الامير يعاقب من يقع في ايدي ضباط النغور من اشقياء المنصرة كالدوائر والزمانة والبرجية وغيرهم ممن يواصل العدو ويتسلل الى مدنه بما اخنسه من المسلمين من عروض وماشية بما دون القتل الا من تحقق ضرره للمسلمين فكان يامر بقله ثم بدا له ان يستفتي المحققين من علماء مصر وفاس في شأن مانعي الزكاة والاعانة التي اقترضها للقيام بامر الجهاد وغير ذلك مما اضطره الحال الى السؤال عنه تاكيدا لمحبته وتواييدا لمحبته فامر بتجيز مدية عذيمة ذات قدر وقيمة واخنار السيد ابن عبدالله سقاط لايصالها الى سلطان المغرب الاقصى عبد الرحمن بن هشام واحكام عرى المحبة بينهما وكتب له كتابا يذكر له فيه ما اجراه من تنظيم العسكر وتدريبه وتعليقه ابواب الحرب ومكابدها واطال في مدح ذلك وجل فقد الامير من ذلك الاذئاب ايقاظه من غفلته وتنبهه على انتهاز الفرصة في الاستعداد لذلك واعلم بما ارسله من الاسئلة صحبة رسوله لعلماء فاس ليجيبوه عليها بالجواب انشافي على وجه التفصيل الكافي ونص السؤال

الحمد لله وحده السادة العلماء الاعلام ائمة الهدى ومصابيح الظلام فقهاء الحضرة الادريسية حفظكم الله ورعاكم ومن كل سوء حماكم جوابكم ابقاكم الله فيما عظم به الخطب واشتد به الكرب في وطن الجزائر الذي صار لغربان الكفر تجاذر وذلك ان عدو الدين يحاول ملك المسلمين واسترقاقهم آونة بالسيف وتارة بشبكات السياسة ومن المسلمين من يداخلهم وينابهم ويحلب اليهم المواشي وجياد الخيل وغيرها من انواع الكراع ولا يخلو امرهم من دلالتهم على عورات المسلمين ومن القبائل من يفعل ذلك فاذا طولوا بتعيين المرتكبين منهم جمعوا وتمالوا على الكذب والانكار مع انهم

يعرفون منهم العين والاثار فما حكم الله في الفريقين في انفسهم واموالهم وما الحكم فيمن يتخلف عن المدافعة اذا استنفر الامام او نائبه الناس للدفاع عن الدين والوطن فهل يعاقبون على ذلك وبأي شيء يكون عقابهم ولا يتأتى بغير قتالهم وهل تؤخذ اموالهم واسلابهم وما حكم الله فيمن يمتنع عن اداء الزكاة كلاً او بعضاً لدعوى عدم وجود نصابه عنده مع تحقق وجوده في الحال فهل يصدق في دعواه مع ضعف الدين في هذا الزمن ام يكون الاجتهاد فيه مجال ومن اين يرتزق الجيش المدافع عن المسلمين الساد لثغورهم عن اغارة العدو ولا بيت مال موجود منظم الآن والذي يجمع من الزكاة لا يفي بقوتهم فضلاً عن كسوتهم وسلاحهم وخيلهم ولوازم مؤنتهم فهل يترك الامر فيستبيح العدو الوطن ام يكون ما يلزمهم على جماعة المسلمين واذا كان فهل على العموم ام على الاغنياء فقط وهل يعد مانع المعونة باغياً ام لا وما حكم اموال البغاة وهل القول بعدم ردها يجوز العمل به ام لا اجيبوا ابقاكم الله عما ذكرنا وعما يناسب المقام والحال ماجورين والسلام عليكم بدا وعوداً حرر في ذي الحجة سنة ١٢٥٢ عن اذن ناصر الدين عبد القادر بن تحيي الدين

وفي اليوم التاسع عشر من ذي الحجة سنة مائتين واثنين وخمسين توجه السيد ابن عبد الله بالهدية والكتاب والاسئلة ولما وصل الى فاس امر السلطان بانزاله واكرامه ثم قدم اليه الهدية والكتاب فاخذ يسأله عن احوال الامير وما هو عليه مع عدوه وعن الرعية وافعالها معه فاخبره بالحقيقة وقدم اليه السوءال فارسله الى شيخ الاسلام اذ ذاك العلامة ابو الحسن علي بن عبد السلام مديش التسولي وامره ان يجيب عنها جواباً شافياً موضحاً كافياً ولما تم تحرير الجواب وقدم الى حضرة السلطان عبد الرحمن امر وزيره باحضار سبع كسوات فاخرات وسبع افراس من عناق الخيل بسروجها واربعة مدافع صغار وستين فرساً وان يعطى من الخزينة عشرة آلاف منقال الى الحاج الطالب وكيل الامير بفاس ليشتري له بها من الادوات الحربية ما يأمره بشرائه وامر بتحرير كتاب الى الامير مضمونه التحريض على امتثال الجناد ونقض المعاهدة وان ما ارسله له من الخيل والمدافع انما هو ليستفتح بهم في الجهاد واجابه عما نبهه له من تنظيم العسكر وتعليمه بقوله ان عسكرنا حين يأتينا العدو ما نجده من الجموع وتلى هذا كان اسلافنا وكتب الوزير للامير فحوداً وزاد فيه ذكر مفردات الهدية وكذلك الحاج الطالب كتب الامير يعلمه بانه قبض عشرة آلاف منقال من الخزينة وانه منتظر امره بالذي يشتريه له فيها ثم امر السلطان باحضار السيد ابن عبد الله

سقاط واوصاه بان يبلغ الامير على لسانه باستئناف الجهاد ونقض المعاهدة ثم امره باكرامه واكرام من معه وبعد ان سلم له الهدية والكتب وجواب السؤال وادعه وامره بالنوجه فجد في المسير الى ان اجتمع بالامير في حصن طازة فاخبره بما اوصاه به السلطان عبد الرحمن من نقض المعاهدة واستئناف الجهاد وقدم الهدية والكتب والجواب عن السؤال وحيث انه في غاية الاسهاب رمت اختصاره ليتاقي درجه في هذا الكتاب تحافظة على احكامه المنقحة وانتشاقاً لريا ازهاره المنقحة فاقول قال في خاتمة رسالته الحمد لله الذي لا يشرك به احداً ولا شئ من دونه ملتجئاً ابلى قلوب المؤمنين ليميز الحبيث من الطيب ويعلم ايها اقوى جلدًا والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي انقذنا من الهلاك والردى وتكفل بالشفاعة الامة غدا ضارب هام العدا وتجاهد من حاد عن طريق الهدى وقاتل من اتخذ مع الله ولداً وعلى آله واصحابه الذين لم ترعهم الكتاب الوافرة ولو كانوا هم اقل عدداً ولا هالكنهم الامم الكافرة ولو كانت اكثر جمعا واقوى عدداً وعدداً وبعد نقد ورد في هذه الايام من ناحية اعمال الجزائر كتاب من اميرها المجاهد في سبيل الله رب العالمين سيدي الحاج عبد القادر ابن محبي الدين ايد الله كتابه وجعل عونه مظاهره ومصاحبه متضدنا السوءال عن مسائل شتى كما ستراه بعد وثقف عليه ولما وقف عليه مولانا الامام كهف الاسلام وما لا ذ الخاص والعام كافل امة محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقاطع طواغيت الشرك بالسنان والحسام امير المؤمنين الآخذ لراية الكتاب والسنة باليمين نبجل الملوك العظام المنصور بالله مولانا عبد الرحمن بن هشام ايد الله ايامه بعزيز داه ونصر مكنين يتصل به الى المولى امداده كف هذا العبد النقيير المعترف بالهجز والتقصير ان يجيب عن تلك المسائل بحسب ما يراه فامثل واجاب عن ذلك بجواب يدل بحسب فخواه على ان المجيب استنرخ ما هو عنده في سره ونجواه وكان نصره الله امر بالاختصار في الجواب وعدم التطويل والاطناب ثم لما طوع به وهو ايد الله على ما هو عليه من الشغف بحجة العلم والتمهيد على بته وغاية الحرص على اذاعته ونشره والمبالغة في التنفير عن البدع المحدثات وقمع الملحدين المعتدين ذوي الجرأة والتعصبات والذب عن السنيية السمحاء وحيادتها وقمع من لحظها بعين الاعتداء والازدراء بها راي ان الجواب المذكور في غاية الاختصار وانقصور فامر المجيب امراً ثانياً بان يجعله تاليفاً ليحيط بجميع معانيه ويطلق في ذلك عنان انقول بما يهري العليل ويشفيه ويتوسع في الجواب ويتعرض لجميع متعلقاته ويسلك به صوب الصواب فقلت ممثلاً لامر المولى

ان الجواب عن هذه المسائل التي عظم موتها من دين الاسلام وتاكيد الاعتناء بها وبمترقاتها على التام ينوقف على تبصر في النقه وتضلع في قواعده وابع واسع في تحرير غوامضه ونوازلها وافي للقاصر مثلي ان يجول في مجالها ويحصل دقائق فروعها واصولها وعلى كل حال فاقول اما المسئلة الاولى ففيها فصول الحوض فيها لقاصر العلم مثلي خطير واكتشف عن لناها مع كلاله الذهن صعب عسير ولكن الامر المولوي تكلفت الجواب عنها على قدر نظري القاصر لان المسافر الجاد في السير قد اخص له في التقصير وبالله سبحانه الاستعانة وهو نعم المولى ونعم النصير ثم ساق السوء الى بحروفه وقال في الجواب الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ فيما يعامل به قبائل هذا الزمان المنهمكين في المحرمات والمعصيان ﴾
قد افتي كثير من الفقهاء المحققين بقتال القبائل المجاورين لفاس ومن سخا نحوهم لما هم عليه من التعدي على حقوق عباد الله وكتان امر اللصوص والجواسيس والذب عنهم ووافق الشيخ مياره على ذلك والامام اللبان والشيخ عبد القادر الفاسي وغيرهم قال الامام ابن العربي قد اتقت الامة على ان فاعل المعصية يقاتل عليها ويحارب الا اذا اقلع عنها وتاب

﴿ الفصل الثاني ﴾

﴿ في دليل عقوبة الجاسوس والنصاب وغيرها من يستحق ﴾

﴿ العقاب وسوء العذاب ﴾

اعلم انه لا يخفى ان كل من تابس بمعصية توعده الله عليها بالعقاب الاخروي فان الامام يجب عليه ان يعاقبه سواء كان فيها مع ذلك حق الادبي ككتات الجواسيس والنصابين وحمائهم والتعصب لهم لما في ذلك من الفساد وادخال الضرر على المسلمين في دينهم ودنياهم او كان فيها هضم لمحق من حقوق الله فقط كالاكل في نهار رمضان او ترك الصلاة او ترك الاذان او ترك النهي عن المنكرات مع القدرة لان من رضي بفعل قوم فهو منهم وسبب هلاك الامم السالفة انهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه

﴿ الفصل الثالث ﴾

﴿ في كون الرجل يؤخذ بجزيرة غيره ﴾

روى مسلم في صحيحه وغيره عن عمران بن حصين رضي الله عنه ان ثقيفاً كانت حليفة لبني غنار في الجاهلية فاصاب المسلمون من بني غفار رجلاً ومعه ناقة له واتوا به النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد بم اخذتني واخذت ناقتي فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخذتك بجزيرة حلفائك ثقيف وكانوا اسروا رجلين من المسلمين وكان النبي صلى الله عليه وسلم يري به وهو محبوس فيقول يا محمد انني لمسلم فيقول له صلى الله عليه وسلم لو قلت ذلك وانت تملك امرك لافلحت ثم قبل النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالرجلين فداوه من ثقيف وامسك الناقة لنفسه قال الابي هذا الحديث اصل في هذا الحكم وهو اخذ الحليف بجزيرة حلفائه وان لم يجزم الا كونه حليفاً فقط ويان ما قاله الابي ان هذه المسئلة لا تخلو من ثلاثة اوجه احدها ان يكون الغير ممن لا ياوي الى المذنب ولا يحميه ولا يتعصب له ولا يقدر ان يكفه عن الذنب فهذا الغير لا يؤخذ بذنب ذلك المجرم كتاباً وسنة واجماعاً سواء كان ذلك الغير من قرابته ام من الاباعد وهو المشار اليه بقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى ثانيها ان يكون ذلك الغير ممن لا ياوي اليه المذنب ولا يحميه ولا يتعصب له الا انه يقدر ان يكفه عن ذنبه ومفسدته ويقدر على الانتصاف منه فهذا تجوز مؤاخذته سداً للذريعة ثالثها ان يكون ذلك الغير ممن يحمي المذنب ويتعصب له او يواسيه او ياوي اليه ويرضى بنعله فهذا يؤخذ بجزيرته ويجمع ما اخذه ولا يختلف فيه لانه بتعصبه له ولو بجأه وحمايته والرضى بنعله صار معيناً له على ظلمه متسبباً بذلك لاتلاف اموال الناس ودمائهم

﴿ الفصل الرابع ﴾

﴿ فيما لا يجوز بيعه للنصارى ولا يحل تمكينهم من تناوله واخذه ﴾

قال مالك في المدونة لا يباع للحرابين سلاح ولا كراع ولا ثياب ولا عروض قال ابن حبيب سواء كانوا في هدنة او غيرها وهو المذهب كما في المعيار

﴿ الفصل الخامس ﴾

﴿ في معاقبة العاصي بالمال وما فيه من الخلاف وتضارب الاقوال ﴾
 ملخص ما ذكره الائمة الاعلام في هذه المسئلة ان ما شرع الله فيه حداً معلوماً كالزنى والسرقة والحراة واقتذف ونحوها لا تجوز العقوبة فيه بالمال اتفاقاً لما فيه من تبديل الحدود المعينة من الشارع قال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون الظالمون الفاسقون اللهم الا ان تعذرت اقامتها فيعاقب بالمال ارتكاباً لاخلف الضررين ودفعاً لاثقل المفسدين ولا يسقط ان زال العذر وما فيه التاديب والتعزير بالاجتهاد فليل يعاقب فيه بالمال مطلقاً وبه قال الشافعي واختاره النووي وابن قيم الجوزي وقيل لا يعاقب به مطلقاً وهو ما لابن رشد ومن وافقه وقيل لا يعاقب الا مع العذر وهو ظاهر كلام الشيوخ المتأخرين

﴿ الفصل السادس ﴾

﴿ في حرمة ترك الامام ونواب الرعية على ما هم عليه ﴾

﴿ من المفساد وارتكب المظالم ﴾

يجب على الامام ان يجري على الرعية الاحكام الشرعية ويحرم عليه ان يتركهم على ما يتعمدونه من ارتكاب المفساد والمظالم ويغافل عن جرائمهم كذاباً وسنة واجماعاً اذ من المعلوم ضرورة ان نصب الائمة والولاة انما هو لزجر من ارتكب من الرعية شيئاً مما ينهى الله ورسوله عنه وذلك فرض عين عليهم فانهم ان تركوه افنى الامر الى هدم الاسلام واستوجبوا الوعيد في قوله صلى الله عليه وسلم من غش امتي فعليه لعنة الله

﴿ واما المسئلة الثانية ففيها فصلان ﴾

﴿ الفصل الاول ﴾

﴿ في حكم التخلف عن الاستنفار وما عليه من العقاب ﴾

من المعلوم ان الاستنفار للجهاد يتعين بتعيين الامام ففى استنفار قوماً فقد عينهم ومضى عنهم وجب عليهم النفير وحرم عليهم التخلف فان ابوا الا التخلف فقد عصوا الله ورسوله واستوجبوا العقوبة في الدنيا والآخرة قال تعالى الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً

الفصل الثاني

فيما ينبغي ان يفعله الامام قبل ان يستنفر الناس
وفين يجب استنفاره وتدريبهم للحروب
واستعمال المكاييد وما يستعان به على
خذلان العدو وتشيت شمله

اعلم انه ينبغي للامام ان يامر قبل النفير بالتوبة ورد المظالم الى اهلها والصدقة
وغير ذلك من انواع البر كما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفعل ذلك ويقول
انما نقاتلون باعمالكم وان يستنفر وجوه الناس وابطالها الصابرين في الباساء والضراء
الذين لا يولون الادبار وان يدرهم امور الحرب ويمرنهم عليها ويعرضهم بالعمل
على حضرته المرة بعد المرة اذ ينبغي له استعمال ذلك شرعاً في كل خمسة اشهر او
سنة على الاكثر فيجمعهم بين يديه ويطلع على احوالهم وافعالهم الحرية ويعدهم
بالعطايا والخصوصيات متى صبروا وظهروا الجلد في الحروب الى غير ذلك مما يزيدهم
قوة ونشاطاً كما انه ينبغي له ان يستعين على العدو باستعمال المكاييد اذ ربما تعمل
المكيدة ما لا يفعله الجيش كما روي ان المهلب بن صفرة لما اعتاص عليه جيشه
في حرب الخوارج وقالوا لا طاقة لنا على مقابلة السهام السمومة وذلك ان رجلاً
اسمه ابزى من الخوارج كان يمنع لهم سهاماً مسمومة يقاتلون المسلمون بها فكتب
كتاباً لابزى وارسله مع ساع له وامره ان يلقيه بين صفوف الخوارج ونص ما
كتبه انه وصلتنا هديتك وحسن موقعها عندنا وقد ائبنا اليك مع كتابنا هذا
الف درهم فاقبضها من رسولنا ولا تقطع مواصلنا ومهاراتنا وما يملك من عندنا اعظم
ومها طابتنا وجدتنا حيث شئت فذهب الرسول بالكتاب ونعل ما امر به ووصل
الكتاب الى قطرب رئيس الخوارج وعجل على ابزى بالقتل في الوقت من غير ان
يتحقق خبره وقال ما اصنع بن هادي المهلب ثم قال المهلب لاصحابه لا تشغلوا الخوارج
عن المنازعة بالقتل فانهم افرقوا الآن فلا يجتمعون ابداً فكان الامر كما قال

المسألة الثالثة

اعلم ان مانع الزكاة يقاتل عليها اجماعاً والمتهم بتغييب المزكي يحلف في العين
مطلقاً وفي غيرها ان سبق له امتناع من ادائها ويخص على غير الامين وقيل مطلقاً

انفساد الناس في هذا الزمان وعدم الامانة ومحل ذلك فيما اذا ثبت له مال اما بيينة او اقرار والا فلا يكفي تجرد التهمة

المسألة الرابعة وفيها اربعة فصول

الفصل الاول

يجب على الامام ان يجبر الرعية على الاستعداد لدفاع العدو ولاصلاح خلل البلاد قال تعالى ان الله يامرکم ان تؤدوا الامانات الى اهلها فالخطاب لائمة والولاة على احد الاحتمالات باداء الامانات اي التكاليف التي كلفوا بها في الرعية من الحكم بالعدل وتدبير امرهم بما يعود عليهم نفعه من استعداد وغيره وقال تعالى في حق الرعية يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم

الفصل الثاني

في جواز صلاح العدو وعدمه

الذي به فتوى العلماء انه يجوز فيما اذا كان العدو مطلوباً لان الجهاد فرض كفاية ولا يجوز فيما اذا كان العدو طالباً لان الجهاد وقئئذ يكون فرض عين الا اذا دعت الضرورة اليه ابقاء على المسلمين وبلادهم فانه يجوز والضرورة لها احكام وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب

الفصل الثالث

فيما يرتزق منه الجيش ان فرغ بيت المال ووجوب المعونة ان

احتياج اليها في الحال والابدان والمال

قال في المعيار عن الامام ابن منظور الاصل انه يطالب المسلمون بخارم غير واجبة شرعاً لكن اذا عجز بيت المال عن ارزاق الجند وما يحتاج اليه من آلة حرب وغير ذلك من العدد فيوزع على الناس ما يحتاج اليه من ذلك ويستنبط هذا الحكم من قوله تعالى قالوا ياذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض فهل نجعل لك خرجاً الآية ثم قال ان هذا الامر يتوقف على شروط احدها ان يعجز بيت المال وتعين الحاجة ثانيها ان يصرفه الامام بالعدل فلا يجوز له ان يستأثر به

الكفار ولا تجدد لذلك تخالفاً من اهل القبلة فان تعمد المسلم ترك الهجرة مع القدرة عليها فقد قال في المعيار ما نصه اختلف العلماء فيمن اسلم وبقي في دار الحرب فقال مالك دمه محقون وماله فيء فهو لمن اخذه وليس بمعصوم حتى يخرج به صاحبه الى دار الاسلام وقال الشافعي دمه وماله معصومان وان لم يخرج الى دار الاسلام وبقول الشافعي قال اشهب وسمنون واختاره ابن العربي وبقول مالك في المال قال ابو حنيفة وبه قال اصبح واختاره ابن رشد وهو المشهور قال وهذا الخلاف انما ورد فيمن اسلم منهم وبقي بين اظهريهم ولم يهاجر لكن المتأخرون الحقوا به في الحكم من كان مسلماً بالاصالة وبقي ساكناً معهم وسواها بينهما في الاحكام الفقهية المتعلقة باموالها واولادها ولم يروا فيها فرقاً بين التريقين الى ان قال فاجتهد المتأخريين في هذا مجرد الحاق سكت عنه الاولون فيمن كان مسلماً بالاصالة لعدم وقوعه في زمانهم بين اسلم وبقي في دار الكفر لاستوائهما في المعنى من كل وجه وهو عدل من النظر واحتياط في الاجتهاد

❖ المسئلة الخامسة ❖

اسلم ان مانع المعونة بالمال والبدن باغ قطعاً لانه منع حقاً وجب عليه يجري عليه البغاة المشار اليه في قول خليل وغيره البغاة فرقة خالفت الامام لمنع حق الى قوله واستمعين بالهم عليهم ويظهر غاية الظهور انه يؤخذ من ما لهم ما جهز به الامام الجيوش التي قاتلهم بها لانهم يبيعهم تسببوا في اتلاف بيت المال فعليهم ضمان ذلك في المال الذي بايديهم وقد قالوا ان الغريم انما ملل ضامن لما تسبب في اتلافه على الخصم من اجرة الرسول والجيوش كله رسول للبغاة في الحقيقة ولا يشك ان من تسبب في اتلاف مال وجب عليه غرمه وهو معنى قول خليل وضمن المعاند النفس والمال ولعل هذا هو المستند في عدم رد الملوك اليوم اموال البغاة اليهم اذ الغلب انها لا تنفي بما جهزوا به جيوشهم التي قاتلهم بها او يقال مستند ذلك سد الذريعة اذ لو ردت اليهم اموالهم لكان ذلك سبباً لبعثي غيرهم فعدم ردها اليهم فيه سد تلك الذريعة ثم قال وايضاً فان بغاة هذا الزمان غير متاولين وكل باغ غير متأول يضمن ما قتله من الجيش كما انه يضمن ما اتلفه من الاموال يؤخذ ذلك من مفهوم قول خليل ولم يضمن متأول اتلف نفسه او مالا انتهي ما لخصناه من الاجوبة المقررة في الرسالة

ثم قال مؤلفها الامام التسولي في خاتمتها هذا ما قصدنا جمعه نسأله سبحانه وتعالى ان يمن علينا وعلى من كان السبب فيها بتوبة صادقة وان يمجبرنا وجميع المسلمين من الفتن الظاهرة والباطنة وان يثبت لنا ولم يحسن الخاتمة وان يهب لنا ولم قرباً على بساط الادب في مقام العبودية وان يدمر اعداءنا تدميراً لا تقوم لهم معه قائمة الى يوم النشور وان يجعل تاليفنا هذا خالصاً لوجهه الكريم وينفع به المتسبب والقارىء ويجعله لنا ولم سداً لبناات النعيم بجاء اشرف اخلق سيدنا محمد عليه افضل الصلاة وأزكى التسليم ورحم الله امرءاً رأى خلافاً فاصلحه او عيباً فستره فان الانسان محل الخطايا والنسيان والله سبحانه يتكرم على الجميع بالعفو والغفران اللهم رب كل شيء واله كل شيء وولي كل شيء وقاهر كل شيء وفاطر كل شيء والعالم بكل شيء والحاكم على كل شيء والقادر على كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لنا ولهم ولجميع المسلمين كل شيء ولا تحاسبنا وايامهم بشيء ولا تسألنا وايامهم عن شيء انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ووافق الفراغ مما جمعناه ظهر يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول النبوي الانور سنة ثلاث وخمسين ومائتين والف وهذا صورة السؤال وجوابه من علماء فاس واما صورة السؤال وجوابه من علماء مصر لم تصل اليه يدي لطول العهد وفي مناسبة ذكر الهجرة قال الشيخ الاكبر والامام الاشهر سيدي نجي الدين بن العربي في الفتوحات المكية في الباب الموفي ستين وخمسمائة في الوصايا ما نصه واعلم ان المقيم بين اظهر الكفار مع تمكنه من الخروج من بين ظهرانهم لا حظ له في الاسلام فان النبي صلى الله عليه وسلم قد تبرأ منهم ولا يتبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسلم وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم قال افا يرى من مسلم يقيم بين اذير المشركين فاعتبر له كلمة الاسلام وقال الله تعالى فيمن مات وهو بين اظهر المشركين ان الذين توفاهم الملائكة خالحي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مديراً ولهذا انكرنا في هذا الزمان على الناس زيارة بيت انقدس والاقامة فيه لكونه بيد الكفار اذ الولاية لهم والمسلمون معهم على اسوء حال نعوذ بالله من تحكم الاهواء فالزائرون اليوم لبيت انقدس والمقيمون فيه من المسلمين هم من الذين قال الله فيهم ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحبون انهم يحسنون صنعا وذلك ايام كنت في يد الصليبيين ثم قال وكذلك يحب الهجرة من كل خالق مذموم شرعاً قد ذمه الحق تعالى

في كتابه او على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم

﴿ ذكر ما وقع فيه الخلاف بين الامير والمارشال من مسائل ﴾
﴿ معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك ﴾

ولما نمّ امر معاهدة تافنا عين الامير وكلاءه في وهران ومستغاثم وكتب الى مسيو كزماي وهو ايتالياني الاصل ووكيل امريكا في الجزائر في القيام باعباء الوكالة له فيها ونص كتابه الحمد لله وحده ولا معبود سواه من عبد القادر بن محيي الدين ناصر الدين الى مسيو كزماي كارل قارئين السلام على من اتبع الهدى وبعد فاننا منذ وقع الصلح بيننا وبين دولة فرنسا ونحن نسأل عمن يكون لنا وكيلًا في الجزائر وواسطة بيننا وبينهم في دوام الالفة والمواصلة ثم بلغنا عنك انك من اعقل الناس واعلمهم بطرق السياسة واخبرنا بعض المحبين انه لا يصلح لو كلتنا في الجزائر غيرك فانشرحت صدورنا لذلك وبناء عليه كتبنا لك هذا اعلامًا بان نكون لنا وكيلًا عند الفرنسيين وتتولى قضاء المصالح اللازمة لنا فيها وتجري امورنا معهم على نظرك وتعرفنا بما هو الاصلح لنا معهم والذي يعرض لنا من المسائل والمصالح نعرفك به والذي يعرض لك من ذلك تعرفنا به ومن المعلوم عنا اننا نشب الخير والهناء والعافية والامن في سائر الوطن حرر في رجب سنة ثلاث وخمسين ومائتين ولما اتصل به مكتوب الامير تلقاه بالقبول والتبجيل وعرض على المارشال تعيينه وكيلًا لالامير في الجزائر فحشيت فرنسا ان يكون تعيينه واسطة لربط علاقات ودية بين امريكا والامير فكتب المارشال الى الامير لا يخفى سموكم ان مفهوم الشرط الاخير من المعاهدة ان وكلاءكم تكون من العرب كما ان وكلاءنا نعتين من الفرنسيين وعلى هذا فلا حق لكم في تعيين مسيو كزماي وكيلًا لكم هنا وكتب مضمونه الى مسيو كزماي وكزماي عرف الامير بالقضية تفصيلًا وحيث ان الفاظ تحرير المارشال كانت قاسية اغناظ الامير وامر ان يحمر الى المارشال الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين الى حضرة المارشال فالان وكيلنا موسيو كزماي قد بلغنا انه لا يسمح له ان يقيم بمصالحنا وقد كتبتم له تحريرًا ارسل اليها نسخة منه فقرأناها وهي تعلن اليه انكم لا تقبلونه وكيلًا عنا وانه يجب ان يقام مكانه ابن عرب فالولا لا تقدر ان نجد ابن عرب يتم وظيفته ويرضى كلانا ويرضى في صوالح الطرفين

وان كرماني رجل حكيم وعادل لا يتسك الا بما فيه النفع للفئتين وثانياً ليس لفرنسا حق ان تجبرنا على تعيين وكيل ضد ارادتنا وميلنا لان ذلك منوط بنا ولنا ان نختار ما هو الاحسن لنا وان كنتم ترغبون ان نقيموا ابن عرب وكيلاً لكم عندنا فافعلوا فاننا لانعارضكم في ذلك فلماذا نتعرضون لنا بانتخابنا فعملكم هذا يناقض مبادئ الشرف الذي يجب ان يراعى في كل الاعمال ويظهر من هذا انكم تريدون ان تردوا الاخلال مرة اخرى في اياتي الجزائر وهران حيث ان الافراد الذين ارادوا ان ياتوا ويستوطنوا اراضيها لم يمنعوا عن ذلك بالقوة الجبرية فقط بل انقوا في السجن كانهم مجرمون ولما وكيلنا كرماني اقام الحجة على هذه الاعمال وامثالها فلم لتنازلوا ان تجاوبوه فتصرفكم هذا يشير الى الاجحاف عن الحق ويظهر انكم ترغبون ان تزرعوا الخصومات بيننا وبين دولة فرنسا فيها اننا قد انتخبنا مسيحياً من مدينتكم وانتم ترفضونه وكنا نتأمل ان تصرف حضرتكم لا يكون كتصرف من سبقكم ولا تمشوا على اثرهم وان دولة فرنسا ترسل رجالاً ليحسنوا ادارة حكومة الجزائر عامين بما يقتضيه العدل والعقل لنتمتع بانمار السلام واستناد حضرتكم في تحريركم على الشرط الاخير من المعاهدة المختص بتعيين الوكلاء متبادلاً منا ومنكم عندنا وعندكم وفهم ان تكون وكلائنا من العرب ووكلائكم من الفرنسيين فهو خلاف اصله المصادق عليه بل هذا التفسير اختراعي فان كنتم تحافظين على المعاهدة فاقبلوا وكيلنا كرماني المعين بتواقة تجلس شورى الامة وان كنتم اتهمتم خرق الشروط وابطال المعاهدة ف نحن مع عدم الميل الى ذلك نجيبكم الى مرغوبكم ولا يخفى ان البغي وخيم ونتيجة الشر تعود على البادئ به وبالجملة انني انتخت كرماني وكيلاً عندكم في الجزائر فرجوعي عنه محال فلما اتصل هذا الجواب بالحاكم وتاكد عنده ان هذا العمل اثر في خاطر الامير اخذ في تلافي الامر وحرر الامير بالموافقة واخبره انه يحافظ على بقاء المعاهدة الجارية على اسلوبها حيث لا امل في الحصول على ما هو احسن ووافق منها وهذه المراجعات التي دارت بين الامير والحاكم بواطها وما ينشأ عنها وما تشير اليه من دقائق السياسة لم تخف عن الامير ولذلك جعل يقضي حزمه وتفطنه للامور جواسيس حذاقاً تخبره على الدوام بمقائق الاحوال لاسيما ابن دران الموسوي وهذه الحال هي التي اوجبت التشديد واثبات وظيفة كرماني ومن ثم شرع الامير يخاطب المارشال بالناظرة شديدة في سائر ما عليه الاخلال والنزاع كسالة الحدود واشباهها ومن غريب الاتفاق انه في سنة ست وتسعين ومائتين والرب كان مدحت باشا والياً على سورية فجاءه مکتوب من كرماني

وهو مقيم في ايطاليا يقول فيه ان الدولة العثمانية عزلتني من وظيفة وكيلاها في ايطاليا بسبب انني قمت بخدمتكم حينما كنتم في هذا الطرف كما ان دولة فرنسا لم تنباني لما عيني الامير عبد القادر وكيلا له عندها في الجزائر ثم نال له وهذا مكتوب الامير الذي ارسله الي في ذلك الوقت بهذا الخصوص بصلكم في طي تحريري هذا اليكم ومما وقع فيه الخلاف مسير جيش فرنساوي من ارزيوالي مستغانم على طريق البر بامر الجنرال ويجو حاكم وهران وجعل ذلك اختبارا لحال الامير معهم هل هو متفطن لمكائدهم ام غافل عنها فان وجده متنبها لما خنس والا فانه يمد يده الى مطلوبه والداعي الى ذلك ان المارشال قم عليه امورا بنيت عليها المعاهدة وتعبها عليه واتبعه في ذلك كثير من رجال دولتهم فحاول ان يعالجها بغالطة الامير وجعل فعله هذا مقدمة لما قصده ولما اتصل بالامير خبر الجيش غضب وعلم مكيدة ويجو فبعث اليه يقول ان مسير جيشكم من ارزيوالي مستغانم على طريق البر مخالف الاصول التي قامت عليها المعاهدة وتقرر عليها الصلح فنعلمكم هذا تحض تعد على حقوقنا وان خفي عليكم الامر وادعيت انك غير منعد بفعلك هذا فراجع الشروط وامعن النظر فيها فانك تجد انه لا حق لكم في المرور على طريق البر الى مستغانم وتعلم ان فهدك لمنطوق العبارة المقررة في صك المعاهدة حائد عن الصواب هذا ان قلت انك بنيت امرك على ما فهمته من العبارة او اولته فلما وقف ويجو على مكتوب الامير علم انه على غاية من الحزم في اموره فلم يسعه الا السكوت ولما استولوا على قسنطينة ارادوا ان يمدوا ايديهم الى المسافة الطويلة التي بينها وبين الجزائر وقبل ان يظهروا هذا الامر راوا ان يجعلوا لذلك مقدمة تكون توطئة وتمهيدا له فسير المارشال قاه مع فرقة من العسكر من الجزائر الى قسنطينة على طريق البر ولما وصل الخبر الى الامير كتب الى المارشال في ذلك وشدد التكير واقام عليه الحجة فاجابه على ما ذكره المؤرخ بالمار ان فرانسا قد وهبتك جميع اقليم وهران وجميع اقليم تيطرى ومن الجزائر جميع ما هو غربي نهر الشفه ولا - ق لك في شرقيه واما اقليم قسنطينة فانه خارج عن الجوال ولا كلام عليه في المعاهدة لانه كان في وقت انعقادها تحت ولاية احمد باي فاستشاط الامير غنبا لقول المارشال ان فرنسا قد وهبتك وعظم عليه ذلك فاجابه اما اقليم قسنطينة فهو خارج عن محل البحث واما اقليم الجزائر فالواجب عليكم ان تتذكروا ما جرى بيننا عليه من المراجعات الكثيرة حين

المخابرة في انعقاد المعاهدة حيث كان مرادي ان اجعل حدودكم تحصورة في ضواحي مدينة الجزائر ولما الخ علي الجنرال بيجو في توسعة الحدود وامتدادها جعلت وادي القدرة حداً لكم في الجهة الشرقية والى البليدة غرباً وكلمة الى عربية وضعت لانتهاه الغاية في كل شيء فكان الواجب عليكم ان لا تتجاوزوا وادي القدرة الذي جعلته لكم حداً ونهاية لغاية ما اجتمه لكم من البلاد على ان المسافة التي بينه وبين قسنطينة لا تعلق لها بما جرى بيننا في المعاهدة مما استوليتم عليه فان ما استوليتم عليه في الشرق تحصور فيما بين قسنطينة وبونه وبالجمل فنتجاوزكم لحد وادي القدرة خارج عن جادة العدل بعيد عن خط الصواب لاسيما واهل تلك الناحية لم يحل في اعينهم نعاكم بل رأوه تعدياً تخضاً على حقوق المسلمين وظلماً بحقهم ودولة عظمى شهيرة مثل دولة فرنسا لا ينبغي لها ذلك وبالجمل فتمريحكم على تاويل الالفاظ لا يليق بكم بل يجب عليكم وعلينا ان نحافظ على النصوص الصريحة ونجري في امورنا على موجبها فاجابه المارشال ان مراجعاتي لسموكم مبنية على ملاحظة كلمة فوق المذكورة في التحديد الشرقي فارجو ان تلاحظوها . اجابه الامير ان جوابي الاول وما بعده ومراجعاتي كلها مؤسسه على ملاحظة سائر ما ذكرناه في التحديد كلمة وكلمة وهو الصواب المطابق للغة العرب وما فهمتموه انتم من كلمة فوق وكلمة الى غير مطابق لما وضعنا له وعندكم من علماء اللغة العربية من يحقق لكم ما ذكرناه وهذه المراجعات كلها لم تحد تنها واستمرت المشاكل تزايد يوماً فيوماً ومع ذلك فان الامير غير مبال بها ولا ملتفت اليها لما اطاع عليه من ميل دولة فرنسا للدوام السلم ولما استولى الامير على تجازء والزيان وغيرها من النواحي الشرقية والجنوبية قام المارشال وتعد وبعث اليه في ذلك فاجابه انكم استوليتم على مدينة قسنطينة والخط الممتد بينها وبين مرسى بونه لا غير فان ادعيتكم ان جميع ما كان تحت ساطة احمد باي لاحق بذلك فهو نحل نظر واما ما استولينا عليه فانه بعيد عن دعواكم ولا حق لكم فيه اذ لا يعد من اعمال قسنطينة التابعة للحكومة احمد باي ولا كان في طاعنه بل كانت حكاه هذه البلاد من اهلها لا تعاق لهم به ولا يد له عليهم منذ انقرضت الحكومة من الجزائر بناء على ذلك ليس لكم في البلاد التي استولينا عليها دعوى تسمع عند اهل العدل الذين يحافظون على حقوق العباد ولا تطمح نفوسهم الى الاعتداء ثم ان هذه الاعمال التي اجراها الامير دون ان يلتفت الى احد فيها قد فتحت له باباً عظيماً لتوسيع مملكته ومدت له طريقاً متسعاً لنفوذ كلدته

وبذلك وضع يده على الاماكن الواقعة عليها النزاع وعلى البلاد الشاسمة كالزيان ونجانه وجبال البربر الشمالية وما اليها وسلم للارنيس استيلاءهم على قسنطينة ولم يسلم لهم دعوى تابعة البلاد التي استولى هو عليها بل قال ان هذه الاقسام خارجة عن حكومة احمد باي لكونه يعلم ان ما تغلبوا عليه لا يمكنه التعرض اليهم فيه لعدم مساعدة الوقت له في ذلك وما كان خارجاً عن محل تغلبهم فلا حق لهم فيه .

« ذكر خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل
« الاعانة والزكاة من الاعراش »

ولما طال على الامير امد حصار عين ماضي كتب الى السيد محمد بن علال خليفته على مليانة بان يحصل الاعانة المفروضة على الاعراش ويستوفي زكاة خمس سنين لم يدفعوها فخرج الخليفة في فرقة من عسكره وما زال يصبح عند قوم ويمسي عند آخرين ويحصل الاعانة منهم والزكاة وكل من تاخر عن اداء ما عليه منها يناجزه القتال حتى انتهى الى جبل تاشته وكان سكان هذا الجبل اصولاً طغاة يسرقون الاموال ويخطفون النساء ذوات البعول من اخبيتهن ويذهبون بهن الى اماكنهم الحصينة ويتزوجون بهن وكانت الحكومة السابقة لا تقدر على ردعهم عن ذلك مع كثرة المتشكين من افعالهم البربرية ولما طالبهم الخليفة بالزكاة والاعانة وامرهم برد ما عندهم من المظالم لاهاليها المجتمعين عنده لم يعتبروا امره واجابوه باننا خدام الاعراش وقد ارسلنا لهم الخبر بذلك وطيروا الخبر الاعراش يستنفرونهم للقتال فاقام الخليفة ثلاثة ايام يراجعهم فلم يجده ذلك نفعاً وفي اليوم الرابع ركب في خمسين فارساً واربعمائة من المشاة فصعدوا الجبل وابتدأوا في القتال وبعد ساعة ولوا منهزمين وتركوا العيال والاموال فاستولوا على الجميع ونزلوا بهم الى المعسكر وبعد ذلك استأمن كبارؤهم فامتهم ولما حضروا عنده امرهم بدفع كافة ما عليهم من الاموال فاجابوه لذلك ثم امرهم برد المظالم لاهاليها فادوا جميع ما غصبوه ثم امرهم بان ياتوه بالنساء اللاتي خطفوهن فاتوهن بالبعض منهم وقالوا لم يبق الا اللاتي هرب بهن رجالهن وفيهن من ولدت منهم بطناً واثنين وثلاثة فلم يقبل منهم ثم اتفقوا ان يدفعوا عنده عشرة رجال من اعيانهم رهناً الى ان ياتوا بهن فاجابهم لذلك واطلقواهم

وسلمهم جميع اموالهم بعد ان استتابهم واخذ عليهم العهود ان لا يعودوا لمثل ذلك وارتحل عنهم وبعد ايام قلائل ردوا اليه بقية النساء وافلت رجالهم المرهونون عنده وقد غير سيدي الوالد كثيراً من امثال هذه الافعال والعوائد فمنها ما اعتاده اهل جبل مطماطة من عدم توريث الزوجات والبنات فارسل اليهم قاضياً وعدلاً فحصلوا لمن ارشئهم ومنعهم عن فعل مثل ذلك وعين لهم الفقهاء والقراء يعلمونهم امور الدين ، يقرؤون اولادهم القرآن العظيم وامر بعقاب كل من ترك صلاة الجماعة لغير عذر

*(ذكر توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس) *

ولما رأى الحاكم الفرنسي بعد اتمام معاهدة تافنا ماعليه الامير من شدة العزم والحزم والاقدام واخذ امره في التموهتهافت من جاهر بعصيانه على اداء الطاعة له اصر على الامير بارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انه جاء لتوطيد الحب وتأكيد السلم وذكر له من فوائد هذا الامر ما جلب به موافقة الامير له عليه ثم ان الامير ارسل اخاه سيدي محمد سعيد ومعه الحاج محمد فانه وفد الى سلطان المغرب الاقصى واصحبها بهدية وكتاب ذكر له فيه ان الحاكم الفرنسي طلب منه طالباً حثيثاً ارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويحكم معه طريق المواصلات واعلمه بان نفسه تميل الى الطلوة والعبادة وتنفر من ثقل ما تحمته من اعباء الامارة في زمان كثير فيه العدو وفسدت فيه الاخلاق وعرفه بما اجراه بعين ماضي واخذ زكاة نعمها عن خمس سنين ولما وصل الوفد الى فاس تلقاهم السلطان عند الرحمن بابرة والاحسان وانزلهم في اعز مكان ثم اخذ يلاطف سيدي العم ويساله عن احوال الامير فيحدثه عن افعاله بما يستغرب ويقضي على السامع بالعجب وبعد ان قضوا بضع ايام استاذنوا ورجعوا الى الامير متحويين بكتاب من السلطان ملخصه بعد الحمد لله تحل ولدنا اندي نظم به شمل الامة وجلي بنور صدقه الشدائد المدلحة حامي حامي الاسلام والمسلمين الامير المجاهد السيد الحاج عبد القادر بن يحيى الدين ايدك الله بنور توفيقه ورعايته وجعلنا جميعاً من اهل قر به وعنايته آمين وسلام الله الاتم ورضوانه الاعم يتواليان على حفرتمكم ذنباً ومقاماً ويرفعان لكم عند الله مقاماً ورحمة الله وبركاته مادام الفلاك وحركاته وبعد قد وافا حضرنا الوفد الذي اشخصتموه من بابكم ووجهتموه من

جنايبكم صحبة اخيكم البر الرشيد السيد محمد السعيد نائباً عنكم في الزيارة لابساً من
عنوان صفاء مودتكم ابهى زي واحسن بشاره فادى اليها كتابكم الذي تفننت عن
ازهار روض اخوتكم في الله مبانیه وتنفست عن كريم عهدكم وسليم عقدكم طيب
معانيه وافحت عن طيب سرائركم معاليه واعربت عن حسن ظنكم خواتمه ومباديه
وافاد بطالع مسراته من خير هناء تلك الاقطار وبلوغ المسلمين بانتظام الكلمة
الاماني والاطوار ابقاك الله للاعلام رافعاً وعن حوزته مدافعاً ولا عدت من
الله معونة وتأييداً وهداية وتسديداً هذا وقد وافتنا الهدية التي وجهتم صحبة
الوفد الذي اشتمتم مخفوفة بحميل الآثار مكسوة بجلل البر والايتار جرياً على
جميل اعتقادكم وعملاً بحسن ظنكم وودادكم نقابنا وجه نظركم بالقبول وتلقينا
حديث صلتكم بالبر الموصول كثر الله امدادكم ووفر عددكم واعدادكم وما اقتضته المصلحة
من توجيهه بashedور من قبلكم لبر فرانساً حيث طالبه طاغيتكم بحث وازعاج جارياً
من الرشد على منهاج فانت والحمد لله من دينك على بصيرة ومن سياستك على
اقوم سيرة نقد مارست احوال العدل سلماً وحرماً واطاعت على بعض دسائسه شهوداً
رغيباً فامرهم كله تمويه وتدليس وشانه كله خداع وتلبيس فكمن من مكائده على بال
ومن امر غدره على بصيرة واحتيال فطالما اسر حسوا في ارتقاء واطهر تمنعاً في
ابتغاء وابدى تحبباً ووداداً واضمر غدرًا وعناداً وفيما فعل بالاندلس واهلها اعدل
شاهد وبرهان وايس الخبر كالعيان فقد كانوا شرطوا عليه نيفاً وسبعين شرطاً لم يوف
لهم منها بواحد ونزهبوا معه فيها في حديد بارد

لا يغرنك ماترى من خضوع . ان بين الضلوع داء دويّاً ذلها اظور التودد
منها الخ قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذرکم وقال سبحانه ولا تؤمنوا
الا لمن تبع دينكم واي خير يجب عدو الدين لجماعة المسلمين فالخازم اليقظ من
لسلمه لا يسقيم ولا يبرح عن سوء الظن به ولا يديم والله سبحانه يحزبك من معونته
على عوائده ويعيد على الكافر شؤم مكائده وما ذكرت ايدك الله من التنعني
من عهدة الامور الاجتهادية والميل الى تعاطي المسائل العلدية لتخرجك من ارتكاب
تجلى اليها سياسة الخلق وربها يخفى فيها ظهور وجه الحق فاعلم ان الله سبحانه
وحرركاته وسكناته ذخراً له وبضاعة فاذا كانت النهضة لله والعزيمة لنصرة دين
الله كملت المطالب وتوفرت الرغائب وهذا هو السر في افتتاح الامام البخاري رحمه
الله في الجامع الصحيح انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى واذا اجتهد الانسان

قدر وسعه وجوده امله الله بتوفيق من عنده وهداه لسبيل رشدہ وللائمة في هذا مجال فبهديهم اقتده وكيف يسوغ لك التنضي وقد رفعت بك في ذلك القطار راية الاسلام وانتظام امر الخاص والعام وارغم بك انف الكفر واحزابه ورد كيده على اعقابه حتى صار العدو يخفض لك الجناح ويرسم اسمك على السلاح وسارت بخبر ذلك الركبان برًا وبحرًا وانا لندرجو فوق ذلك مظهرًا ولولا وجودك وجدك لتفرقت اشياخ تلك القبائل الاسلامية شذر مذر ولا اقترست كلاب الروم امله وعمرت عبده الصليب حزنه وسهله ولكن الله سبحانه تداركه باقامتك وسد ثغوره بحمايتك ولن تعدم من الله عونًا ومددًا ومن صالح المؤمنين عدة وعددًا فانه ان يعدم القائم بالدين وحياطة الاسلام والمسلمين النصر والاعانة والتكئين من انقوي المعين والشاهد نوله صلى الله عليه وسلم لا تزال نائفة من امتي ظاهرين وما فعلت من اخذ زكاة نعم ناحية عين ما نبي عن خمس سنين حين خفرت بها بعد تكرار المطالبة للسيد محمد بن احمد التجاني بسببها نقد انذت حقًا وظهرته واهله ولو انصف وقال - قات المكلف بتلك الاقطار دانيها وقاصيها واليك مرجع طائعتها وعاصيها ونرجو الله سبحانه ان تضاف اليها جميع بلاد اهل الشرك وتنتظم بطاعتك انتظام الجوهر في السلك وتند كامنك في الحوافر والثغور وتبسم فرحًا بك الحامية وانغور بحول الله وقوته وقد تنرسنا في انيك عند ملاقاته الخير وعلمنا صحة فراسة والدك رحمه الله حين تخيره لخلافة على الزاوية ورثحه لتلك الرتبة السامية فالدر من معدنه والخير من اهله

بنو الصالحين الصالحون ومن يكن لآباء صدق يلقيهم حيث سيرا
ارى كل غم نابت في ارومة ابى مثبت العيدان ان يغيرا
ونسال الله ان يحدد بك الآثار والاعلام ويجمعك من الائمة المهتدين ويصلح بك وعلى يدك آمين واذا اردت توجيه باشدور لطاغية الروم فانخره من اهل الدين المتين الذي يرجح جانب الاسلام على انشركين باظهار القوة وتوفر الاجناد واجتماع انقلوب على الجهاد فان اكثر الناس اليوم كل على مولاه الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم والله تعالى يشد ازرك ويدم نصرك آمين من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام ابن المولى محمد ابن المولى عبد الله بن المولى اسماعيل في اواخر ذي القعدة سنة اربع وخمسين ومائتين بعد الالف ولما قرأ الكتاب وفهم ما تغمنه معناه صمم على ارسال سفير الى ملك فرنسا

واستخار لذلك فوقع اختياره على معتمده ناظر الامور الخارجية ابن عراش فبعثه واصحبه بهدية تشتمل على عدد وافر من الابقار والحمر الوحشية والتعام وانواع من البسط والفرش الفاخرة المتخذة من الصوف الناعم نادر الوجود فسار ابو محمد في اصحابه الى الجزائر ومنها ركبوا البحر الى فرنسا وعند وصوله الى باريس احتفل الملك بقدومه وبالغ في موائسته واحسن السووال عن الامير ومدح ثباته في الذب عن دينه ووطنه وشكر اجابته الى الصلح وقبوله لما فيه من التوصل الى ما يحتاج اليه في اموره وما يناله في مدته من الراحة له ولعساكره واطال في ذلك قال بالمار في تاريخه ان الحاكم العام لما راي تقدم الامير اخذاً في النمو على وجه لم يكن في الحساب ونظر ان الفاظ المعاهدة لم تنزل مبهمة بحسب فهمه وشاهد ما عليه الامير من الحزم وثبات الجاش عرض عليه ارسال سفير من طرفه الى عاصمة فرنسا ليقابل ملكها ويظهر له انما جاء لتوطيد الحب وتأكيد السلم فهذا راي الحاكم في الظاهر واما في الباطن فمقصوده انه ربما تنتقل الامور التي بينه وبين الامير الى طور آخر يحمل الامير على رجوعه عن تعصبه لما يراه مصلحة له ووجب عليه ان يثبت فيه ويعمل بقتضاه في الامور المختلف فيها وعلى كلا الوجهين فقد راي الامير ان راي الحاكم حسن فاجابه الى ما رغب فيه واختار معتمده بن عراش لهذه السفارة فبعثه وارسل معه هدايا غريبة وذكر مفرداتها طبق ما ذكرناه ثم قال ولما وصل المعتمد المذكور الى الجزائر تلقاه الحاكم بالمبرة والاكرام ثم ذاكره فيما يتعلق بايضاح مبهمة العبارات المقررة في المعاهدة ورأي ان مذاكرته في ذلك قبل سفره الى باريس اوفى واولى فلم يفر منه بواب شاف بل سلك معه طريق المحاولة والمزاولة وعده بانه بعد رجوعه من باريس يجري له ما يرضيه فغضب الحاكم من هذا الروغان وحمله غضبه على ان كتب لدوائمه ان اجراء امر نهائي مع معتمد الامير لا يوافق صالح فرنسا ولا اهل الجزائر ولما وصل المعتمد الى العاصمة نزل في دار الضيافة بكل اكرام وغب الاستراحة قابله وزير الخارجية وتوجها معا لمقابلة الملك فقابله الملك بكمال الاحترام ونال منه حسن الاكثفات وساله عن احوال الامير واستعلم منه حركات عساكره واطهر له اتياحه الى الهدية المرسلة معه وقبوله لها وقال له اني اعد الامير عبد انقادر صديقاً وحيداً لي واني ارجو نجاح عمله وبلوغ البلاد الجزائرية الى حالتها الرفاهية والتمدن ثم ان المعتمد اخذ في مذاكرة الملك فيما يتعلق بالمعاهدة والبحث في الالفاظ التي وقع

الخلافا في المعنى المراد منها فاجابه وزير الخارجية ان هذا الامر ينبغي ان تكون المذاكرة فيه مع المارشال فانه حاكم الجزائر وبعد ايام انقلب المعتمد راجعاً من باريس بهدية من الملك الى الامير وهي سيف وزوج طبنجة كل منهما مرصع بالياقوت والزمرد واللؤلؤ وحلق الماس وكردون منظم من الياقوت والزمرد وزراني مخصوصة بقضبان الذهب واثواب منسوجة بالذهب وغير ذلك ولما وصل المعتمد الى الجزائر قابله الحاكم وعاجله بالسؤال عما وقع له في امر المعاهدة فاجابه به وزير الخارجية في حضرة الملك فانشرح صدره واطمان فكره ثم استأنف المذاكرة معه في تلك الامور التي لم تنزل شاغلة لافكاره وبعد مراجعات طويلة تقرر عند الحاكم انه يذيل صك المعاهدة بما يوءذن بتغيير اشياء منصرف عليها فيه وتبديلها بما يوافق مصالح فرنسا ونص ما حرره في ذلك التذييل ان المارشال فالاً حاكم الجزائر ومعتمد الامير عبد القادر الحاج المولود بن عراش اتفقا على توضيح الكلمات المبهمة في صك معاهدة تافنا التي تقرر فيها العمل على ما يأتي الاول ان يكون الحد في جهة الشرق من الجزائر ممتداً من تجرى نهر القدرة الى منبعه في جبال طيبارين ومنه الى يسر فوق جسر بني هني وعليه فيكون خط التحديد الحالي فيما بين وطن فليس ووطن بني جعد وما بعد يسر الى اليباب وطريق الجزائر الى قسنطينة بحيث ان يكون برج حمزة وجميع الارض الكائنة في شمال وشرق الحدود المذكورة الى البحر تابعاً لدولة فرنسا وان باقي ارض بني جعد وونوغا جنوباً وغرباً من هذه الحدود يبقى تابعاً للامير وفي عمالة وهران يسوغ لدولة فرنسا ان تزرعها من ارض ارزيو الى ارض مسغانم واذا رات مناسباً لها ان تصلح قسماً من الطريق الكائن في شرق المقطع فلها ذلك بدون تعدي على ارض الامير . الثاني ان ما تعين على الامير ان يدنعه للعساكر الفرنسية من الخنطة والشعير في مدة ثلاثة اشهر والى الآن ما دفعه يلزم ان يكون تقديمه منجماً على عشرين سنة بحيث انه يقدم في اول كانون الثاني من كل سنة منها قسطاً من كل صنف من الصنفين المذكورين وان يكون الدفع في مدينة وهران . الثالث ان جميع ما يحتاج اليه الامير من الادوات الحربية والدخائر يطلبه من الحاكم وهو يحضره ويسلمه الى وكيله في الجزائر بانثامه الاصلية التي اشترى بها نعل هذه الوجوه يكون الاجراء بدون تغيير ولا تبديل وباقي الشروط المذكورة في صك المعاهدة يبقى معمولاً بها ثم لما انتهى الحاكم

تذليله عرضه على المعتمد ودعاه للموافقة عليه بموجب كونه وكيلاً عن الامير فاعتذر اليه بانه غير مرخص له في مثل ذلك ووعدته بالسعي فيما يحمل الامير على الموافقة والاجابة الى مراد دولة فرنسا منه فلم يقنع الحاكم بجوابه والى عليه ان يكتب في هامش التذيل انه اطاع عليه واستحسنه فتوقف ابن عراش في ذلك ثم كتب انني اطعت على هذا الملحق واستحسنته ولست مسوءلاً عن مصادقة اميري عليه وبعد ان حرر المعتمد ذلك رخص له الحاكم في السفر ولا جرم ان ما حرر في هذا التذيل يستدعي الحيرة للامير فان وافق عليه يخرج من يده قسم عظيم من البلاد التي استولى عليها ونقررت احكامه فيها وان ابى فلا بد من خرق سياج المعاهدة ونقض الصلح قال بعض مؤرخيهم وصعوبة القضية جعلت الفرنسيين يتلافونها باستعطاف خاطر الامير ولذلك بدا للمارشال ان يبعث مع المعتمد صهره القائد دوسال الى حضرة الامير ليذاكره في القضية مشاهة وكان الامير وقتئذ محاصراً لحصن عين ماغي فاعتذر المعتمد بذلك واخبره ان المسافة بعيدة جداً فاجابه الحاكم ان بعد المسافة لا يصده عن قعده فاستكان المعتمد لذلك وعلم انه لا مناص من خروج القائد معه فساراً معاً من الجزائر قاصدين الحضرة فلما وصلوا الى مدينة مليانة تلقاها الخليفة السيد محمد بن علال بالتيجيل والاكرام ورفض ان يعرف القائد رسماً بدون امر من الامير ثم ان المعتمد امر الى الخليفة بالامر واطالعه على ما في سره من كونه يخلف القائد عنده وهو يغز السير الى الامير ليخبره بالواقع فوافقه الخليفة على ذلك وتلطف المعتمد في الخروج ليلاً واسرع في السير الى تاكدت وبوصله طير الخبر الى الامير وهو على حسن عين ماغي اما القائد دوسال فانه لما اتصل به خبر سفر المعتمد دونه حملة الغضب على الرجوع الى الجزائر فرجع واخبر المارشال بما اتفق له مع المعتمد فقام لذلك وقعد وكتب الى دولته بالواقع واخبرها بان الاحوال الراهنة تقضي ببطان المعاهدة وفي هذه المدة كان الامير مشغولاً فيها بامر التجني فانتهز الفرنسيون الفرصة وشيدوا الحصون المتينة في بونه وكاله وميله من اعمال قسنطينة في الجهة الشرقية منها ووضعوا فيها العساكر والذخائر واكتشفوا على آثار مدينة قديمة رومانية على البحر غربي بونه وتسميها العرب سكيكدة والبربر روزيكاوا فابتنوا في حزبها مدينة سموها فيلفيل وبهذا المركز توصلوا الى وضع يدهم على جيبل والقل وغيرها من المراسي الصغيرة فيما بينها وبين الجزائر وبعد فراغ الامير من فتح حصن عين ماغي رجع الى تاكدت وبوصله احضر

معتمده ابن عراش ووجهه على استبداده فيما كتبه على التذليل فاعذر اليه بانه لم يفعل ذلك الا لانتقاء شره والخروج من قبضته فقبل عذره ثم اقبل على تفقد احوال الجيش ومهمات الحربية وبعث الى خلفائه في الولايات يحثهم على النظر في احوال من عندهم من المساكر وامرهم بمفاوضة الاعيان والرؤساء في امر الجهاد والاخذ في الاستعداد ودس الى وكلائه في الجزائر وهران وغيرها باستقصاء الاخبار واستطلاع الاحوال والنقب على دسائس العدو ومكائده وبعث الى اهل الثغور في التيقظ والتنبيه الى غوائل العدو والتحذير من مفاجاته ولما اتصل بحاكم الجزائر ما عليه الامير من شدة الالتفات الى اموره وما هياه الله له من النصر والتمكين وثبوت القدم حركه الحسد مع ما اتفق لصره مع المعتمد ابن عراش فبذل وسعه في تقض المعاهدة وواصل رساله الى دولته في ذلك وهي تعيره اذنا صماء ثم بعث صهره القائد دوسال مرة اخرى الى مليانه وكان معه رسالة من الحاكم في طلب الجواب على مقتضى ما في التذليل وعند وصوله الى الحضرة تلقاه الامير بالمبرة والاكرام وبعد اطلاعه على رسالة الحاكم تحير في امره ورأى انه امسى بين امرين خطيرين اما الموافقة و"وصول اليها صعب لبعده عن قبول الامة له واما رفضها وهو يؤدي الى تقض المعاهدة وكان ديوان الشورى وسائر الامة يميلون الى الحرب ويقدمونه على اعطاء الدنية بقبول ما في التذليل مال معهم واجابهم الى ما طلبوه واستحسنوه ثم انه دعا القائد دوسال الى الديوان وكتب حشر اليه الاعيان والقواد فلما استقر به المجلس اخذ الامير يتكلم على العموم فاخبرهم بالقضية وتحريض الحاكم على الاجابة الى مطلوبه والموافقة عليه ثم قال وهذا الرسول الذي هو بمثابة وكيل لدولة فرنسا جالس بينكم وحاضر معكم يسمع كلامي وكلامكم فانظروا ما يحلو لكم واظهروا ما فيه رغبتكم فضج الجميع وقالوا لا نقبل ولا نجيب الى ما هو مذكور في التذليل ولا نرضى بالدنية في ديننا ولا بما يحل بشرفنا فالتار ولا العار فان كانت الدولة الفرنسية ترضى ان تبقى على ما انمقد اليه الصلح في تافنا فذلك والا فالحرب وبالله المستعان فاقبل الامير على القائد دوسال وقال له ها انت قد نظرت بعينيك وسمعت باذنك وليس الخبر كالعيان فاخبر الحاكم بما رايت وسمعت والذي عندي هو ان نتكلم معه بما يقنعه ويحمله على ابقاء المعاهدة جارية في سبيلها القديم فان ذلك احسن للطرفين والبقى بالجانبين وعاقبة الحرب كما لا يخفى وخيمة وسفك الدماء مع امكان حقنها لا يجوز في سائر الشرائع

المقررة ولا يرضى به ذو عقل سليم وعلى كل حال فنحن مسرورون بقدمكم علينا ونرجو ان يكون ما شاهدته وسمعته من نواب المملكة اكبر عذر لنا عند الحاكم ثم ان القائد دوسال بعد ان وقف على حقائق الامور انقلب راجعاً الى الجزائر واخبر مرسله بالواقع فوجم لذلك ثم بعث الى وزير الحرب في باريس يخبره بما جرى وما شاهدته صهره من الامير ورجال دولته وما هم عليه من التمس والرجبة في الحرب واردف الحاكم ذلك بقوله ان تغيير الحال الراهنة يحوجنا الى استعمال اشياء وهي ان تعلن الدبلة الفرنسية الامير عبد القادر بانها لا تقبل الحكم الذين وضعهم في الاماكن المختلف فيها ولا تعرفهم فانها تصدر امرها بتهديد الامير ووعيده فان لم يجد ذلك نفعاً تامر بالهجوم عليه بكامل القوة التي يتوصل بها العسكر الفرنسي الى هدم قوته والاستيلاء على برج حمزة وما يليه من البلاد الشرقية وانها تكتب بعد هذا كله الى الامير ان هذا العمل ليس المقصود به نقض الصلح بل هو متم له ومثبت لروابطه

فلينظر العاقل الى هذا التحرير وما هو عليه من فساد المعنى وهل مع عمل السيف صلح وهل بعد الهجوم والاستيلاء على الاراضي المذكورة معاهدة ثم ان الامير لما علم ان الحاكم ساع فيما يحل به عقدة المعاهدة كتب الى ملك فرنسا رأساً يخبره بالحال ويطلعه على سوء تصرف حاكمه في الجزائر ومخلص كتابه . من المعلوم قديماً وحديثاً ان المسلمين من دابهم تحاربة عدو دينهم قياماً بما اوجبه الشريعة الاسلامية عليهم من الجهاد اما لاعلاء كلمة الله او للدفاع والذب عن الدين والبلاد فاذا عارضتهم امور سياسية او ضرورات شرعية فلهم ان يمنحوا للسلم ووضع اوزار الحرب ونحن لما رأينا الجنرال ييجو راغباً في الصلح ورأينا بلادنا تحتاج الى ما به عمرانها وفيه راحتها اجبنا الجنرال الى مطلوبه وعقدنا معه الصلح ظناً منا ان دولة فرنسا تحافظ على العهد كما اننا كذلك فاذا بعالمكم في الجزائر بادروا الى ما به خيبة الظن وعجلوا بما يؤدى الى الضرب والطمع فكاتبناهم في ذلك فما سمعوا ولا طفقناهم في القول والفعل فما قنعوا بل جمعوا حولهم وقوتهم فيما يحملنا على الاجابة الى ما لا يجوز لنا شرعاً ان نجيب الى مثله وهو التخلي عن قسم عظيم من بلادنا والتسليم في اخواننا اهل ديننا وحيث انه غلب على الظن انكم لاترضون بوقوع ما يكرر صفونا ويقطع مواصلتنا بادرنا الى ارسال هذه الرسالة الودية لتعلموا منها ما هو واقع بيننا وبين عالمكم وثنا كدوا اننا راغبون في مسالمة فرنسا ومصافاتها ودوام معاملتها

في المتجر وغيره من اسباب العمران ولا تظن الدولة الفرنسية ان رغبتنا فيما ذكرناه لضعف
اعتري قوتنا او لقصور اخذ من حدة شوكتنا فاننا بحول الله تعالى وقوته لم نزل ولا
نزال على ما تعهده عساكرها من عساكرنا من كونها تعطيها في ميادين الهيجاء كيلاً
بكيل وثقابها المثل بالمثل غير اننا لما راينا ذلك لا يجدي تنعاً رغبنا في المعاهدة طالماً
للراحة والوصول الى ما فيه عمران البلاد كما اشرنا الى ذلك آنفاً وكتبنا الى جلالكم هذا
اعلاماً بالحال انتهى

وقد وصل هذا التحرير الى الملك الا ان العوارض الكثيرة وقننذ منعت من رد
الجواب قال ثم بعث الامير الى الملك مكتوباً ثانياً ولم يتيسر جوابه وبعد مدة اتصل به
ان وزيري الخارجية والحرب عزلا وتعين لوزارة الخارجية مسيو تيرس الشهير ولوزارة
الحرب المارشال جراردن فتوهم ان هذا التغيير يجديه تنعاً فيما هو راغب فيه فكتب الى الملك
مرة ثالثة والى الوزيرين المذكورين وملخص كتابه الى الملك

قد كنت بعثت لجلالكم برسالتين ذكرت فيهما ما هو واقع بيننا وبين عما لكم في
الجزائر من الوحشة ورغبنا في زوالها من لدن جلالكم بوجه العدل والانصاف كما اننا
رغبنا ان تأمروهم بالعدل عن طريق الظالم والاعتساف والى الان ما وصاني جواب عن
واحدة منهما فظهر لنا من ذلك انها لم يصل اليكم لان كرم الاخلاق يابى ان تكونوا بعد
اطلاعكم عليهما تغافلت عن رد الجواب وبناء عليه كتبت هذا علاوة على ما تقدم رجاء
ان يصل وتطالعوا عليه وانه يحوز القبول وقصارى ما اقول ان عمالك في الجزائر اجهدوا
انفسهم فيما ينقض الصالح المنعقد بيننا وبينكم من غير موجب من جهتنا البتة وانما حملهم
على ذلك ما سؤاته لهم انفسهم من التعدي على حقوق عباد الله ومدته اليد الى ما ليس لهم
فيه وجه فالبلاد التي ذكرها الحاكم في تذييله هي بلاد سبقنا نحن اليها ووضعنا ايدينا
عليها وهي في حكم الموات لا حاكم لها بقنغى الشرع وذلك منذ انقرضت الحكومة من
الجزائر واعمالها ولم تدخل قط في حوزة احمد باي حاكم قسنطينة ولا كانت بينه وبين
اهلها مواصلة سياسية فباي وجه ينازعوننا فيها ونحن ابقى بها واهلها من وجوه لا تنفى
على النصف ذي القلب السليم وهب انها كانت من اعمال قسنطينة التي استوليت عليها
واخذتموها من يد احمد باي فان احمد باي كذب حاكماً عليها بالغلب ايام
دخولكم الى الجزائر وهب انه كذب عاملاً عليها من قبل حكومة الجزائر فان تلك
الحكومة انقرضت وبانقراضها انقرضت احكامها وحكامها فلا سلطة شرعية لاحمد باي
عليها وبقاؤه فيها انما كان على سبيل الدعوى لنفسه والناس لم يقبلوه ان يكون ولي امرهم

ولا اعتبروه رئيساً عليهم مطلقاً وتغلبه كان على نفس مدينة قسنطينة وبونة ولو وجد اهل تلك النواحي من المسلمين من ياخذ بايديهم ويدفع عنهم لسارعوا اليه كما وقع ذلك حين توجهنا الى النواحي التي تليها ومن جعلتها الاراضي التي نازعنا فيها عمالكم بغير حق وبالجملة فسلوك هؤلاء العمال منا حائد عن طرق الحق مغاير لاساليب العدل ومن العجب انهم تعدوا على نثر من عساكري وحبسهم بدون سبب شرعي ولا داعٍ قانوني وعلى فرض ان لهم وجهاً فيما فعلوه فكان الواجب عليهم ان يخبرونا في امرهم ونحن نجري عليهم ما نقضي به الاحكام الشرعية او القانونية على حسب ذنوبهم ثم انهم منعوا بيع الحديد والنحاس والرصاص في اسواقنا كما انهم منعوا تجارنا من شراءه في اسواقهم واهانوا رسلي اليهم واعرضوا عن رد اجوبة رسائلي التي وجهتها اليهم وجعلوا ضريبة على المكاتب التي ترد من الداخلية الى الجزائر وغيرها من المدن التابعة لهم ومع هذا كله فانهم يكتبون الى جلالتم انني عدو فرنسا اطلب حربها واسعى في اسبابه فينبغي والحالة هذه ان تاخذوا من اعنتهم وتضربوا على ايديهم وتامروهم بالعدل عن سوء التصرف معنا فان كل مروتكم مع ما شاع عنكم من مكارم الاخلاق يقضي عليكم بذلك فان قال هؤلاء العمال اننا تاخرنا عن اجراء البعض من شروط المعاهدة قلنا اننا لم نؤخر ذلك الا لكون الجنرال ييجو نقاعد عن اجراء ما تعهد به ضمناً منه انني عاقل عن تلك المعاهدة المحرر عليها سنة ١٨٥٤ بخط يده وما علم انني اعتبر صحة مواعيد شخص هو وكيل ملك فرنسا فانظرا ايها الملك فيما ذكرته لك واسمع برد الجواب والتعريف عن مقاصدك والله يوفقك الى ما فيه راحة العباد وكتب الى وزير الخارجية ما ملخصه

اني اهني فرنسا برجوعك الى الوزارة الخارجية واعلم ان الاثقال المهمة التي تقضي بصرف المهمة وتوجيه الذكر الى تحسين الاحوال بيننا وبينكم تجب اني انتظر منك ما ادنى به نفسي فانك على ما بلغنا تحب الهدوء والسكون وتسعى فيما يحسن العلائق بين شعبك وسائر الشعوب ولا يخفى ان الاحوال الجارية بيننا وبين عمالكم لا يعلحها ويحسنها الا تأييد السلم المنعقد بيننا وبينكم وتوطيده ونجانية الاعضاء بكل وجه واما استعمال الحيل مع الاغضاء عن اجراء شروط المعاهدة لاجل مطامع خارجة عن جادة الحق فلا جرم ان ذلك يفضي بذا وبكم الى ما لا خير فيه لنا ولكم وحيث ان الحق تعالى وهبك من الاخلاق الحميدة ما اكسبك الثناء الجميل من ابناء وطنك فينبغي لك ان تستعمل تلك الشيم الكريمة كذلك في افريقية وبذلك ينتشر ذكرك الحسن بين الامتين وانهطر انديتهما بدحك وكذلك وتحصل لك الشهرة المطلوبة لكل عاقل ويدوم ذكرك في العالم

وبالجملة فاني انتظر منك ما يسر السامع وتبتهج به المجمع من تجديد الروابط الودادية
بيننا وبين دولتكم

وكتب الى موسيو جراردن ما ملخصه

لما بلغني ان ملك فرنسا قلذك وزارة الحرب انشرح صدري لذلك لعلمي انك تميل الى
المسالمة وتسعى في اسبابها ومن يكون قادراً على نظارة الحرب فلا بد ان يكون قادراً على
تمكين الصلح وحمايته من اعتداء المعتدين هذا وان معاملة عمال الجزائر لنا وسوء تصرفهم
معنا لا بد ان يكون قد شاع وذاع وتاسف له كل عاقل وتكدر منه كل فاضل فان
هو لاء العمال بعد ان عقدنا الصلح مع دولة فرنسا واسسناه على شروط قبلها كل منا وجرى
بها العمل قاموا يتعاطون اسباب حل ما عقدناه ونقض ما اسسناه وبنوا امرهم على الطمع
الذي يفتته كل منصف والظلم الذي يجبه كل عادل وحاولوا تغيير كثير من الشروط
ومجثوا في معاني الفاظها العربية ولا ادري هل كان ذلك منهم لجهلهم باللغة العربية ام
هو على سبيل التعنت ومن العجب انهم ارتكبوا ذلك ولم يعلموا انه حطيط في حق دولتهم
العظيمة وبالجملة فنحن نستدعي حسن التفاتك الى المطالب التي اكثرنا عاينها فيها ونرجو
نفوذك القوي عند جلالة الملك يعضد مقاصدك السامية والله تعالى يوفقكم الى فعل
الحير ونقريره .

فمن تأمل في معاني هذه التحارير ظهر له منها حسن مقاصد الامير وشدة ميله الى
الصلح كما ان دولة فرنسا كانت تظهر ذلك ولكن ارادة الله اقضت وقوع الحرب بين
الفر يقين ولما يئس حاكم الجزائر من اجابة الامير الى موافقته على ما حرره في تذييله وعلم
ان ذلك دونه خطر القتاد وانتزاع السيوف من الاغداد بعث الى دولته صورة التذييل
للمحقق وذكر لما ما يحماها على اختيار الحرب وكان معارفاً عندها ان الامير لا يعلم بذلك
لكنها نظرت ان مرور جيشها في تلك الاراضي يكون فيه الشرف العظيم لفرنسا ووضع
اليده لا يعد نقضا لدعائم الصلح واسدرت الامر الى المارشال بهذا وعهد وصوله اليه اخذ
في الاعداد وبعد استكمال تعيينته ووصول الدوك دورليان ابن الملك وروساء العسكر
اليه خرج وهم في معيته من الجزائر في السابع والعشرين من رجب سنة خمس وخمسين
ومائتين والسادس من اكتوبر سنة تسع وثلاثين وثمانمائة سالكين طريق البر ولما وصلوا
لمضيق البنيان قسموا جيشهم الى فرقتين فرقة توجه بها ابن الملك الى قسنطينة والفرقة
الثانية استقر بها المارشال سائراً الى ان دخل الجزائر قال بعض موءرخيهم وكان دخوله
الى الجزائر دخولاً احتفالياً وقوبل باعلا اصوات الابتهاج واستمرت الاحتفالات اربعة

ايام وغملت وليمة فاخرة على ممشي باب الواد وظن ان الجزائر قد انقلبت فكان انتصار وهمي رسمته الخيلة على لوحها وانبأت عنه الشفاه وكان اهل البلاد اني يمرون فيها يعتقدون ان حاكم الجزائر قصد بروره بابن الملك في بلادهم مجرد السياحة والتفرج لما هو مقرر عندهم من امر المعاهدة بين الامير ودولة فرنسا ولذلك كانوا يقدمون له جميع التسهيلات السفرية مسرورين بحليف ودود لاميرهم ولولا هذا ما تركوه يمر في بلادهم من غير قتال قال بعض مؤرخيهم ولو كان عبد القادر هناك بجمعاة عسكري فقط لما مكثهم ان يعبروا ابواب الحديد عند وصولهم اليه ولا مكثهم ان يخرجوا منه ولما مر بوسط قبائل بني مناصر احد قوادهم وحصل اطلاق البارود بينهم انتبه الخليفة السيد احمد ابن سالم من نومه وطير الخبر الى الامير فوجم لها ثم نهض من مليانه الى المدينة وكتب الى المارشال ما ملخصه بينا كئنا معكم في حال سلم ومعاهدة فلم نشعر الا وقد فعلتم ما ينافي ذلك وتجاوزتم الحدود المعلومة بين بلادنا وبلادكم بغير اذني ولا تقدم مخبرة في ذلك ولا علم ومررت بابن الملك في عساكركم الكثيرة في بلاد من الجزائر الى قسنطينة بدون وجه يسوغ لكم ذلك ويجوزة ولو اخبرتموني ان ابن الملك يريد زيارة بلادنا كنت رافقته بنفسي او عينت احد خلفائي لمرافقته والذي يظهر ان القصد من فعلكم هذا اظهار التعدي على حقوقي حتى اتائر لذلك وينجر الامر الى نقض المعاهدة والحال ان فعلكم هذا هو نفسه ناقض للمعاهدة مبطل لها وبناء عليه اعلن لكم انني عزمت على استئناف الحرب وبالله المستعان فارنعوا وكلاكم من بلاد من واندروا قومكم المقيمين فيها والمسئولية عليكم وحدكم .

✽ ذكر ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه ✽

✽ وما آل اليه الامر بعد ذلك ✽

لما يئس الامير من اجابة الدولة الفرنسية الى مادعاها اليه من ترك مطامع عالما والبقاء على ما تقر به الصالح وراى ان العمال الفرنسية عامدون الى نقض العهد واضرام نار الوغى اعتزم على دفاعهم والذب عن دينه ووطنه واصدراوامره الى خلفائه في المقاطعات بالتأهب للحرب والاستعداد لها واطاعهم على ما اظوره الفرنسيين من نقض المعاهدة ثم اصدر اعلانا عموميا ليتلى في المحافل والمجامع وملخصه . ليكن في علم سائر الخلفاء والاعوات والقواد وكافة المسلمين اهل بلادنا الدائنين بطاعة الله ورسوله ثم طاعنا وفقهم الله للقيام بفريضة الجهاد واعانهم بالقوة والامداد ان الفرنسيين

قد ظهر عدوانهم واتضح اعتداؤهم فتجاوزوا الحدود المقررة بيننا وبينهم ومرتوا في بلادنا من الجزائر الى قسنطينة بدون اذن منا فتأهبوا اعانكم الله للعرب وهيئوا سيوفكم للطعن واضرب واستعدوا للدفاع عن دينكم ووطنكم وأجمعوا امركم للذب عن موردكم وعظنكم وحيث ان ما في بيت المال من النقود لا يفي بنفقات الحرب ولوازمها فقد تعين عليكم ان تفرضوا على انفسكم ومن يليكم اعانة جهادية وسارعوا بالحضور الى المدينة فاني انتظركم فيها ووطدوا طريق الراحة والامن في سائر اعمالكم على الوجه الذي اكون به مطمئن البال واعلموا ان النجاح موقوف على اخلاص النية فوجهوا قلوبكم الى الله تعالى واطلبوا منه تاييد كلمته وتشديد اركان دينه بكم والسلام عليكم . قال بالمار وغيره من مؤرخي الافرنج من اطالع على هذا الاعلان وغيره من اعلانات الامير علم ان ما ينسبه اسحاب الاهواء الامير من انه اشهر الحرب بغتة ولم يعلنه بالوجه المعتاد بين الملوك غير مصيب في دعواه ومن المعلوم عندنا ان هذه النسبة الحائدة عن طريق الصدق كانت من المارشال فالأ وحده وذلك انه لم يرد الجواب في وقته المطلوب الى الامير عبد القادر ولانبيه على الفرنسيين في سهول منيعة وغيرها لياخذوا حذرهم ثم لما اصابهم بعد ذلك من الوبال ما اصابهم اشاع هذه النسبة لينتصل من عهدة ما وقع فيه وفي الحقيقة انه وصله اعلان الامير بالحرب في المكتوب السابق فتغافل عنه وترك كل شيء على حاله واما الامير فانه لما طال عليه الانتظار لرد الجواب علم ان اعراض المارشال عنه دلائل على عزمه على الحرب فكتب الى خلفائه وسائر اعيان رعيته في امر الحرب وامرهم بالاستعداد لها كما تقدم وعلى ذلك فلا اعتراض على الامير مطلقاً انتهى

ولما شاع خبر الاعلان بالحرب وسارت به الركبان وتحقق حاكم الجزائر وحاكم وهران باقتراب وقت النزال ومقارعة النصال بالنصال تحيروا في امرهم وخافوا من رجوع بغيتهم عليهم وليس عندهم اذن من دولتهم في فتح باب الحرب ثم ان حاكم الجزائر بعث ابن دران الى الامير واصحبه بكتاب منه والامير وقتئذ في المدينة ينتظر وصول الجيوش اليه وملخص كتابه على ما ذكره مؤرخوهم انني لم ازل احافظ على السلم وقد قدمت رسالة الى الدولة ومنتظر جوابها فاصبر قليلاً وانني ارجو تسوية القضية بيننا بما يرضي ولا يخفى ان غوائل الحرب عاقبتها وخيمة . وانفق ان الامير كان وقت وصول ابن دران الى المدينة في مجلس الشورى فلما بلغه خبره امر باحضاره واعطى الكتاب الى الامير فقراه على اهل المجلس وامر ابن دران ان يتكلم بما عنده من الاخبار

فلما سمع اهل المجلس كلامه وفهموا منه -رام- مرسله اعلنوا له بما وقع عليه الاتفاق واجتمع عليه الرأي من اشهار الحرب ودخول ميادينه فراجعهم ابن دران وبين لهم سوء عاقبة ما اتفقوا عليه فقال له الامير وان يكن الامر كما قلت فانه اسهل عندنا من احتمال الالهانة فقال ابن دران الذي وقفت عليه من الاحوال ان الفرنسيين ليس لهم قصد في ضرركم ومروور ابن الملك في بلادكم انما كان على سبيل التزه والتفرج فعلى هذا اقول ان عملهم على هذه الصورة لا يستدعي الغضب ولا يوجب الحرب وبعد انقضاء المجلس اتفرد الامير في قصره فاستاذن ابن دران في الدخول عليه فاذن له وقرر له ما اطلع عليه من اسرار المارشال وقواد العساكر الفرنسية وكشف له الغطاء عن احوال الوقت ورغبه في مسالمة فرنسا وقال لا يخفى ان الحصومة لا ينتج عنها الا ضعف القوى على اني لا ارى الحرب يوافق احوال سموكم فقال له الامير اني اعلم هذا ولكن اذا كانت الرعايا تطلب الحرب وآذواها اتفقت عليها فماذا اصنع لا سيما والفرنسيين عملوا ما يوجبها ومع هذا ساعدت مجلس الشورى مرة اخرى وافاؤهم في هذا الامر وفي اليوم الثاني امر باجتماع المجلس واحضار العلماء وقواد العساكر ورؤساء القبائل وبعد ان جلس الناس على حسب مراتبهم قال لهم الامير بالامس قد بينت لكم الاحوال واعربت لكم عن حركة الجيش الفرنسي وتعديه على الحدود ومرووره في بلادنا من غير علم منا وعرفتكم غوائل الحرب ومن المعلوم ان فتح بابها سهل ولكن الدخول في ميدانها صعب وحيث انني رايت اضطراب راي بعضكم بالامس جمعتكم اليوم فانظروا في امركم وأظهروا ما ترغبون فيه بعد امعان النظر واني اطلب من الله التوفيق لما فيه عز الاسلام وصلاح الامة فاطرق القوم ملما ثم قالوا بلسان واحد ان الموت اهور من العار وهدم اساس شرفنا فقد وانقنا الفرنسيين على ما طلبوه منا اولاً وثانياً في معاهدة الجنرال دي ميثيل ومعاهدة الجنرال بيجو وحملنا انفسنا ما لا تطيقه والان لما تجاوزوا حدوداً ارتضوها وجرى الصلح عليها فلا بد ان يكونوا قد قصدوا باعدائهم هذا ان يستولوا على بلادنا ويستعبدونا و:ون ذلك بذل اموالنا وارواحنا فلا عدول عن الحرب والنصر مطلوب من الله القادر الذي لا نقاتل الا لاءلاء كلمته فلما سمع الامير كلامهم قال حيث انكم تريدون الحرب ولا تحيى عنها فاعلموا اني لا اتاخر عن اعلانه مرة اخرى وهي المرة الاخيرة ومعاذ الله ان اتخلف عن الجهاد بل ساكون فيه بحوله تعالى وقوته امام صفوفكم غير ان لي حقاً عليكم وهو ان تعطوني عهداً وميثاقاً على الطاعة وبذل النصيحة وان لا تسلكوا معي ولا في سائر امور الدولة والملة

سبيل الحياة والعدو وان لاتولوا الادبار يوم الزحف وان لاتخلفوا عن الجهاد ولذب
عن الدين والبلاد عندما اطلبكم لذلك فاجابوه الى ما امر به وحلفوا له عن آخرهم
ونص يمينهم . بالله العظيم منزل القرآن على نبيه الكريم اننا لا نخون حضرة سيدنا ومولانا
ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن تحيي الدين ولا نسلك في طاعنه سبيل الغش والخديعة
لا ظاهراً ولا باطناً لا سرّاً ولا جهرّاً واننا لانتاخر عن صفوف الجهاد بل كنا يقاتل
لاخر حياته واننا نبذل اموالنا وارواحنا لحماية ديننا ووطننا ابتغاء لمرضاة الله ورسوله
وبعد ان قر القرار على اشهار الحرب صدر من المجلس الاعلان به على الطريقة
المعتادة وصورته . بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً
الحمد لله الذي انزل في كتابه المبين وفضل الله المجاهدين على القاعدین اجرا عظيماً
والصلاة والسلام على نبيه القائل الجنة تحت ظلال السيوف وعلى آله واصحابه واتباءه
الذين قاتلوا في سبيل الله الوفا بعد الوفا وصفوفاً بعد صفوف اما بعد فان الرئيس
المعتدين على البلاد الاسلامية بعد ما عاهدناهم وسالمناهم نكثوا وجالوا في بلادنا وعاثوا
ومن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اعلم ان التهاون في مثل هذا والاغضاء عنه يزيدهم
طغياناً واعتداء علينا فلذلك قد اجتمعنا في تجلس عال بحضور سيدنا المعظم ومولانا المنعم
ناصر الدين عبد القادر بن تحيي الدين نصره الله لاجل المذاكرة في هذا الامر المهم
والخطب الملم فوقفنا الحق تعالى جل جلاله للجواب ولهدنا جادة الصواب واتفقت كلمتنا
واتحدت آراءنا على اعلان الجهاد والقيام بواجبه على اكمل استعداد وقد بايعنا حضرة
اميرنا على الوفاء بواجبات الجهاد الشرعية وعقدنا على الصدق في ذلك النية وحررنا هذا
الصك ليكون شاهداً علينا فيما ذكرناه فاجيبوا ايها المؤمنون داعي الله واتقوا خفافاً وثقلاً
الى ما دعاكم اليه ومن تاخر منكم فانما اثم على نفسه كما ان لومه فيما يحل به من العقوبة
الاميرية عليها . ومن الله نستمد العناية وهو ولي الهداية . - رر في اليوم الحادي عشر
من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين . والسادس عشر من كانون الاول سنة تسع
وثلاثين وثمانمائة في الديوان الاميري العمومي المنعقد في مدينة المدية المحمية . ثم ختم على
هذا الصك الخلفاء والعلماء وقواد الجيش ورؤساء القبائل وبعد تسجيله قدم لاعتاب
الامير فامر بتحرير الكتاب النهائي الى المارشال حاكم الجزائر ونصه
اما بعد فقد وصلني كتابكم صحبة الموسوي ابن دران واحاط علينا بما فيه وقد
كنت كتبت اليكم من مدة خمسة عشر يوماً ما فيه الكفاية والآن اعرفكم تعريفاً نهائياً
ان سائر اهل الوطن اتفقت كلمتهم واجتمع رأيهم على استرجاع شرفهم بالحرب لانهم راوا

تجاوزكم الحدود المعينة في معاهدة تافنا مبطلاً لها ناقضاً لاساسها واما انا فقد اجهدت نفسي في تغيير آرائهم وصدم عن قصد لم يجد ذلك نفعاً بل زادهم هياجاً ورغبة في اشهار الحرب وجعلوا المعهدة في تاخير علي وحدي فبناء على ذلك اعلما اني ما خنت ولا نكشت عهدي معهم وانما ذلك كان منكم لامي فاذنوا لوكلائي عندكم في تعجيل الاوبة الي وبالله المستعان . وبعد مسير ابن دران الى الجزائر اقبل الامير الى ما كان عليه من اعداد المهات الحرية وبث الدعاة الى الجهاد في سائر النواحي فاقبل الناس الى الثغور وسارعوا اليها وفي ايام قلائل امتلأت بهم الاغوار والنجود وجرى ترتيب الكتائب على اكل وجه وظهر من انقياد الرعية الاوامر الاميرية وخضوعهم لها ما شاع في الاقطار وحدا به حادي القطار قال مؤرخهم ولما استقر رأي الامير على الحرب صدرت اوامره بالزحف الى البلاد التابعة لدولة فرنسا من كل جهة فهرع الناس اليها من كل فج عميق وتسابقوا نحوها من كل بلد سحيق امثالاً لامر الامير واغنائماً لطاعته وما كان في يد الفرنسيين حينئذ من الارض لا يتجاوز الشطوط البحرية ولما انتهت المراجعات ورأى حاكم الجزائر ان تدارك الامر قد فات وقته وعلم انه لا مئيد له عن الحرب جمع اعيان مجلس الجزائر واطاعهم على مكتوب الامير الذي جاء به ابن دران واطهر لهم الاسف على ما فاتته من تدارك امره مع الامير الذي طالما دعاه الى المسامحة والبقاء على ما انعقد عليه الصلح في معاهدة تافنا فلم يلتفت اليه ثم جمع قواد العسكر وفاوضهم في امر الحرب وامرهم باختيار الجيوش وعرضها وتدريبها واخذ الالهية للزحف الى البلاد الاسلامية وقال لهم ان اول ما تؤمرون به انكم تقصدون المدن الكبيرة ومتى حصل لكم الاستيلاء على مدينة منها وجب عليكم ان تقيموا فيها ثم رتب لهم طرقاً ووجوهاً لتبلغ الاخبار الحرية اليه وكذلك الامير جمع رؤساء جيوشه المدربة والمتطوعة وامرهم بالزحف الى الاماكن التي يوجد فيها عسكر فرنسا وامرهم بالهجوم على الحصون واستعمال التورية في المسير الى الجهات وعين لهم من يبلغ اخبار كل فرقة الى الاخرى ورتب يريداً مخصوصاً به يبلغه اخبار سائر الفرق

✽ ذكر بدى الحرب ✽

اول سرية كانت با كورة الحرب سرية تحوط وذلك ان الامير امر قائدهم بالغزو على ما يليه من ارض العدو فسار بهم ولما تجاوز نهر الشفة الذي كان يعتبر حداً في ايام الصلح شن الغارة على قبيلة اولاد غانم الدائنين بطاعة فرنسا فغنم سائراً ما يملكونه

من ماشية ومتاع وفي رجوعهم لقيهم حشد من المنتصرة نصرة لهم من اهل تلك الجهة فناوشوهم القتال فانكسرت المنتصرة وقتل قائدهم وانقلب قائد حجوط بالغنائم الى بلاده وقسمها في قومه وهذه الواقعة كانت مقارئة لوصول وكلاء كل فريق اليه ولما اتصل خبرها بجاكم الجزائر امتعض لذلك وجهر فرقة ممن جيشه وبعثها لقتال حجوط فالتقوا عند نهر الشفة وانتشب القتال بين الفريقين ولحق بكل منهما اضرار تستحق الذكر ورجع عسكر الفرنسي الى الجزائر بلا طائل وبعث الحاكم الى وزير الحرب بالخبر وذكر له ما سيتبع هذه الواقعة من النوائب وطلب الاسعاف بالعساكر والذخائر

❖ ذكر غزوة متيجة ❖

ولما فرغ خلفاء الجهة الشرقية من استعداداتهم امرهم الامير بالغزو على متيجة وما اليها كل منهم مما يليه وكان مسيرهم جميعا في اليوم الرابع والعشرين من رمضان واول يوم من ديسمبر وكنت مداشر الفرنسي التي اخططوها مائة لذلك السهل الممتد شرقا وغربا مسيرة ايام ولما قربوا من تلك البسائط شنوا الغارة عليها فاختنقوا في ساكنيها بالقتل والاسر والسبي واكنسوا اموالهم وحطموا زروعهم واحرقوا سائر مداشرهم وابنيتهم واستولوا على كافة ما عندهم من ماشية واثاث وذخائر ولم ينج من القتل في جميع جهات متيجة الا ما ندر ولم تنزل جيوش المسلمين تجدد الغارة على التوالي يوما فيوما الى ان انتهوا الى بساتين الجزائر وضاق انقضاء على ما استولوا عليه من صنوف الغنائم قيل ان هذا الهجوم كان مبهولا لم يسبق له نظير لان عساكر الامير بمجرد هجومها امنت سائر من كان موجودا من الفرنسيين في سهل متيجة وغنمت كافة ما كان عندهم من سلاح وذخائر ومهمات وما يكونه من اصناف الحيوان ثم صدر امر الخلفاء بحرق سائر الابنية في تلك البسائط فامست رمادا تذروه الرياح وفر الناس امامهم افواجا الى مدينة الجزائر فكان دخولهم اليها من الامور المزعجة فرجفت قلوب اهلها عموما حتى المارشال فانه انتقل من قصره خارج البلد الى داخلها وتبعه من كان ساكنا في البساتين وعم الرعب سائر القلوب ثم رجع الخلفاء بجيوشهم وما في ايديهم من الغنائم الى المدينة لان الامير كان ينتظرهم فيها ثم توجه الخلفاء الى ولاياتهم ليدفعوهم والقيام بشؤونهم لعلمهم ان العدو لا يتغافل عن هذه الواقعة الهائلة قال المؤرخ وبعد ان وقع ما وقع في سهل متيجة ارسل المارشال فاللا يخبر دولته بهذه الغزوة الاسلامية التي اخفت العموم والحلات الجيش الفرنسي

الى الثمغن باسوار مدينة الجزائر

﴿ ذكر وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك ﴾

وفي الخامس والعشرين من شوال سنة خمس وخمسين ومائتين وثاني يوم من يناير سنة اربعين وثمانمائة التقى جيش تجحوط مع جيش العدو على نهر ابي بهير من مدن بني يراتن من زواوه وانتشب بينهما قتال تكافأ فيه وخرج جيش آخر من بوفاريك حصن في ضواحي الجزائر قاصداً الى البليدة فزحف اليه المسلمون والتقى الجمعان بالقرب منها واشتد القتال بينهما وبالعشي الح المسلمون على العدو وحملوا عليه حملة رجل واحد فرجع القهقري ثم جمع امره وهجم على المسلمين فانكشفوا ثم قلبوا الكرة عليه وصدفوه القتال فقهقر ثم حال الليل بين الفريقين وفي اليوم الثاني خرج جيش من البليدة مدداً للعدو فتمكن بهم من دخولها .

﴿ ذكر غزوة مستغانم ﴾

وفي الثامن عشر من ذي القعدة والرابع والعشرين من يناير خرج خليفة معسكر غازي على نواحي مستغانم فعاث فيها وحطم زروعها واتحن بالقتل والاسر ونازل مزغران واخذ بمخنقها وقطع عنها المدد من مستغانم ثم بعد مدة جاءها المدد من وهران تقوية لحاميتها ولما طال الامر افرج الخليفة عنها واغار على نواحي وهران فاستاصل عدداً كثيراً من المرتدين المقيمين في ضاحيتها واكتسح اموالهم وارهب العدو ثم انقلب راجعاً الى حاضرة ولايته وطير الخبر الى الامير بذلك وبهذه الوقائع المتتابعة امتلأت قلوب الفرنساو بين رعاً وبعثوا صريحهم الى دولتهم فانجدتهم بعشرين الف مقاتل وذخائر حربية وكراع للنقل وبهذا العدد تم عندهم ستون الف جندي على ما ذكره روا في تاريخه

﴿ ذكر خروج حاكم الجزائر الى المدينة وصدده عنها ﴾

وفي السابع والعشرين من ذي القعدة والثاني من فبراير سنة الف وثمانمائة واربعين خرج المارشال فالابيش كثيف من الجزائر الى البليدة ومنها سار قاصداً المدينة فاعترضه خليفة مليانه بمجموعه وناشبه الحرب واشتد القتال بينهما ثم وقع الفشل في حشود البربر فانكشفوا وثبت الخليفة في الجند المنظم فكأثرهم العدو وزحزحهم عن مصافهم وكثرت القلى والجرحى في الفريقين واتصل القتال يوماً كاملاً وفي الغد اصبح المارشال راجعاً الى الجزائر .

❖ ذكر مسير فرنساوية الى مرسى شرشال ❖

وفي الحادي عشر من المحرم سنة ست وخمسين والسادس عشر من مارس سنة ثمانماية واربعين خرج المارشال فالان من الجزائر الى شرشال وهي اسكلة صغيرة على مرحلتين من الجزائر يسكنها قليل من البربر والكول اوغلان ولم يحتفل الامير بها لانها قريبة الماخذ للعدو ولما توسط المارشال الطريق اليها اعترضته القبائل القريبة منها ووقفوا حركته اياما عديدة مع كثرة جيشه حتى انه هم بالرجوع عنها قال بعضهم خرج المارشال من الجزائر في جيش كثير العدد متوجها الى شرشال وبعد صعوبات وخسائر كثيرة دخلها ورتب فيها حامية كافية .

❖ ذكر وقعة موزايه ❖

وفي الثامن والعشرين من المحرم والثاني من ابريل وصلت النجدة الى الجزائر من فرنسا ووصل الدوك دومال ابن ملك فرنسا ومعه شقيقه الدوك دورليان فشطت فرنساويون في الجزائر من عقالمهم وفرح المارشال فالان ثم اعتزم على المسير الى المدينة حاضرة تيطري فخرج في اثني عشر الف جندي وطار الخبر الى الامير وهو في المدينة فعرض عساكره وسار الى مضيق موزايه وكن رتب الجيوش فيه كما تبها في غيره من المعامل والمضائق التي في طرق العدو الى الداخلية ولما انتهى العدو الى ثنية موزايه في التاسع من ربيع الاول والحادي عشر من ايار اعترضه الامير في العساكر الاسلامية وضرب على مضيقها المصاف واخبرم على العدو نار الحرب وفي آخر النهار رجع المارشال القهقري وارعد في عساكره وبات كل فريق في موضعه الذي ادركه الليل فيه وفي بكرة اليوم الثاني تجددت الحرب واشتد القتال وكان الدوك دورليان في مقدمة المارشال فكأن اكثر الوبال على جيشه ثم اجتمعت صفوف العدو والتحم بعضها ببعض وحملت على المضيق حملة رجل واحد فلو سطوه وانثالت العساكر الاسلامية عليهم من كل جهة واختلطت بهم وتقاتلوا بالسيوف والحرب وصبر العدو الى ان خرج من ذلك المعقل الشديد واتصل الحرب في هذا النهار الى الليل وفي اليوم الثالث ارتحل وسلك طريق المدينة واما به المسامون يناوشونه القتال ويدافعهم باطلاق المدافع عليهم وكما وصل الى مضيق او حرش من الاحراش يخرج له كمين يمنع من التقدم فتارة ينقهق ويرتد اوله على آخره وتارة يقف في موضعه ويرتب جيشه في صورة قلعة يحيطها بالمدافع ويبيت او يظل على تلك الهيئة ثم يرتحل وهكذا دابة في جميع مسيره ولما قرب من المدينة اشتد عليه الحال

وتكملت الجيوش والحشود الاسلامية وحملت عليه وتناقم الامر قال بعض مؤرخيهم فكان اطلاق النار مستمرا متصلا حتى لاح للناظرين وقئذ كان تلك البقعة بجر من الكبريت التهب نارا ولما راي الامير قرب العدو من المدينة امر باخلاؤها فخرج اهلها بما خف الى الجبال اقربية منها وتخلص العدو الى المدينة فوجدها خالية لتاج النار في منارها وكان دخوله اليها في الخامس عشر من ربيع الاول والثامن عشر من مايو وبعد ان رتب فيها حامية ثرت من خمسة آلاف مقاتل اتد راجعا ولم يزل في طريقه في قتال ودفاع الى ان وصل قرب البايذة واما حامية المدينة فانها امست يوم خروج المارشال منها خضورة لان الظليمة السيد محمد البركاني نازلها بالجيوش وقطع جميع ما تنزع به وكنت هذه الوتعة ايام الضيف فنال الحامية من شدة الحر وضيق الحصار ما لا مزيد عليه وآل الامر الى تلف الجبل منها ذكر روا في تاريخه ما ملخصه سار المارشال فالالا في اثني عشر الف مقاتل من عساكر فرنسا ومعه الدوك دومال وشقيقه الدوك دورليان اللذان حضرا من باريس ايشتركوا معه في هذه المعاربة وقعدوا سيفه مسيرهم مضيق موزايه ليتوصلوا منه الى المدينة فاتصل بهم بالامير عبد انقادر فسد في وجوههم المضيق بالعساكر العربية ورتب كمين في اماكن كثيرة في طريقهم فكفونا كما ساروا مرحلة صادفوا مصادمة قوية ومهاجمة لم تكن منهم على بال فتارة يضطرون للناظر الى وراء وتارة يحوجهم الامر الى التوقف عن المسير وهكذا في كل مرحلة قضاها حتى كدوا يقدون قوتهم بالكلية

ثم ان المارشال واولاد الملك اتوا من الرجوع الى هذه الحال فصاروا على مقاساة زيران الحروب العربية وعند وصولهم الى مضيق موزايه صادفوا ما بهر عقولهم من المقاومة الشديدة وكان الامير وجيوشه على رؤوس تلال معونة بتاريس طليعية من الصخر الصلب ولما اخذت عساكر فرنسا تم في المضيق انقضت عليها جيوش الامير واتحدوا بها واتصل هذا بهذا وصاروا الى المقارعة والمعاراة فتحلص الدوك دورليان من المضيق بفرقه بعد ان فقد اكثرها وهان الامر على من وراءه من الجيوش الفرنسية ثم رجع المارشال واولاد الملك بجنودهم بعد ان تركوا لحماية المدينة خمسة الاف عسكري مع ما يلزمهم من الاقوات والمهمات وصادفوا في طريقهم احوالا يقشع الجلد عند ذكرها لا سيما في مرورهم في وادي الزيتون وشعراء تلك الجبال الصعبة المسالك وفي اثناء طريقهم اقاموا اياما لراحة الجند مما قاسوه من المشاق الهائلة التي لا يمكن لمؤرخ ان يصفها ولو تقريبا وفي مدة اقامتهم في ذلك الموضع اعتزموا على المسير الى مليانة

وقتل الدوك دورليان ابن الملك في احدى هذه المعارك فاشاع الفرنساويون انه وقع من العربية فمات وقد بلغني ان تلك المعركة مصورة تجسمة في ساحة وسط مدينة الجزائر

﴿ ذكر مسير الفرنساوية الى مليانة ﴾

وبعد وقائع موزايه والمديد توجه الامير الى مليانه لما كان يتوقعه من تصد العدو اليها ولما اتصل به خبر مسيرهم في طريقها امر اهلها بالجللاء عنها كما فعل في المديد فخرج الناس بما تيسر حمله من اثاثهم وامتعتهم وتركوها خالية ثم ان الامير والخليفة السيد محمد بن علال جمعوا جيوشهم مع العسكر النظامي والنقوا بالعدو في طريقه واذقوه حرارة الحرب ومرارة القتال فلم يصده ذلك عن قصده ولما قرب منها حمل عليه المسلمون حملة ما سبق له مثلها منهم واتصل ذلك نهاراً كاملاً وفي الغد اصبح سائراً والمسلمون يلاحون عليه في القتال ولم يعدم عنه اتباع الكلال المرسله عليهم كما ان العدو لم يصده للاحهم عليه وسد الاودية والمضايق في وجهه حتى وصل الى بساينها فجمعوا عليه واختلطوا به وثار الغبار واظلم الجو حتى لا يكاد يتميز العدو من الصديق واظهر المسلمون من الشجاعة والاقدام ما اذهل عقول الفرنسيين وغيبهم عن انفسهم حتى كان بعضهم يضرب بعضاً وهم لا يشعرون ولما كان القدر الالهي مساعداً لهم اقتحموا هذه الشدائد وتخلصوا الى المدينة فدخلوها في التاسع من ربيع الثاني والحادي عشر من يونيه وبعد ان اقاموا فيها اياماً رتبوا فيها حامية كلديه ورجعوا الى الجزائر واكتنفتهم الجيوش الاسلاميه واذقوهم نكال الحرب واشتد بهم الامر قال موءرخهم وتركوا جرحاهم ومهماتهم في يد عدوهم وما وصلوا الى البليدة الا وهم على آخر رمق ولا استطاعوا ان يسيروا منها الى الجزائر الا بعد ان جاءهم المدد منها واما تلك الالوف التي خرجوا بها فقد اتى التلف عليها الا شزيمة قليلة تخلعوا بها الى البليدة ورايت في تاريخ فاليلوت الفرنساوي كتب ييجوان المارشال فاللا في اثناء هذه الحروب كتب الى قبائل تلك النواحي يدعوهم لطاعة الدولة الفرنساوية ولم يعرض لنص المكتوب وانما ذكر الجواب ومخلصه من عباد الله القادر المؤمنين به وبرسوله مبيد الكفرة بسيفه الباتر الذين يحاربون اعداء الله لاعلاء كلمته وتعظيم اسمه القاهر الخاضعين لاوامر الله واوامر مولانا ناصر الدين سيدنا عبد القادر بن تحيي الدين ابداه الله آمين الى حاكم مدينة الجزائر السلام علي من اتبع الهدى اما بعد فقد وصلنا كتابكم المشتمل

على دعوتنا الى طاعتكم والنداء اليها فاخذ بنا العجب في كل طريق ومذهب وهل في الدنيا ذو عقل سليم يتصور هذا في فكره فضلاً عن كونه يتلفظ به او يكتبه وكيف نترك ديننا الذي هو الدين اقيم والصراط المستقيم ونبتع دينكم الذي يجب علينا في شريعتنا ان نقاتكم حتى نردكم عنه الى ديننا اما علمتم ان ديننا مبطل لسائر الاديان وشريعنا ناسخة لكافة الشرائع ولو انصف علماءكم لاقروا بهذا لانه مقرر في سائر الكتب الالهية كالانجيل والابجیل وان حب الدنيا مع خوفهم على مناصبهم عندكم غطى على قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه واظهروا لكم ما يناسب اغراضكم من التعلق بزينه الدنيا وزخارفها وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ثم اعلموا اننا بوله تعالى وقوته لا نزال نماربكم وندافعكم عن ديننا واطنانا الى ان تقنوا على سوء عاقبة ما ارتكبتموه من عظيم الذنب واي ذنب اعظم من تعديكم على بلادنا اولاً ثم سعيكم في تغيير ديننا ثانياً اما علمتم ان سائر الاديان والنواميس الازلية تامر بالعدل وتنهى عن الظلم والتعدي على الحقوق كما هو منصوص عليه في الانجيل الذي انزله الله على نبيه ورسوله سيدنا عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام فلو كنتم على دينه كما تدعون ما قطعتم البحر الىنا لتأخذوا بلادنا وتغيروا ديننا فما نسبتكم من دين الله ورسوله الا كنسبة الترى من الثريا وبالجملة فنحن لا نترك ديننا ولا نقبل عن طاعة مولانا واميرنا وسيدنا عبد القادر ابن نجي الدين والله تعالى يقضي بيننا وبينكم بما شاء فان الارض ارضه والملك ملكه ونحن عبيده نعمل فيما وفيكم ما يشاء ويحكم ما يريد حرر في سابع عشر ربيع الاول سنة ست وخمسين ومائتين والف من الاعيان والاكابر والاغوات والقواد في ولايتي تيطرى ومليانه ثم قال وكتب لم مرة اخرى وجعل مدار ما كتبه على امر الاسرى الذين هم في قبضته من العرب ومحض جوابهم

الى حاكم الجزائر السلام على من اتبع الصراط المستقيم والدين القويم قد وصلنا مكتوبك وفهمنا ما اشتمل عليه من كونك جعلت الدعوة الى الخضوع لدولتكم مبنية على اطلاق الاسرى منا عندهم وقد عدت بذلك ان فكهم موقوف على طاعتنا لكم فاعلموا ان عندنا اسرى منكم وعندكم اسرى منا فان شئتم انقدا فلا باس وان ايتم ذلك فان الامة الاسلامية لله الحمد كثيرة العدد وافرة المدد والاسرى منهم لا يزيدون في عددهم ولا ينقصون في عددنا واما اجراء الوجه الذي ذكرتموه فان دونه خسران اقتاد وسوق الاجناد بل لا تقبل ان نسمعه وكيف خطر هذا في افكاركم ام كيف تخيلتم اننا نخضع لكم وندخل في طاعتكم لاجل خلاص اشخاص عددهم من

الخمسين الى المائة مع دعواكم قوة الفطنة والذكاء وجودة الرأي وان اغتررتكم باحوال القبائل في نواحي قسنطينة من كونهم لبوا دعوتكم واسرعوا الى الدخول في طاعتكم فما ذلك الا لضعف دينهم ومرض قلوبهم بداء النفاق واستيلاء الجهل على كبيرهم وصغيرهم اما نحن لمسنا مثاهم ولا تروا منا بحوله تعالى وقوته الا ما يخرج من افواه البناق وتذله السيوف عند التحام الصفوف لاسيما وقد اتفق الآن سائر اهل الوطن على تاييد كلمة الاسلام والذب عنها على الدوام الا اذا شاء الله خلاف ذلك فلا راد لقضائه وقواكم انكم ابتنيتم في جهة بني صالح قلاعاً تحصنة اردتم بها ايقاع الرعب في قلوبنا فهذا لا يؤثر فينا ولا يوهن عزهنا وقد سبقتم لمثل هذا في المديه ومليانه وشمتموهما بالعساكر والذخائر ولم تهتم بشيء من ذلك بل رأينا من سوء التدبير وقبيح النظر ككنكم اردتم باذلك المساكين سجنهم او قعدتم نفهمهم او جعلتمهم وليمة للموت ولذلك اننا نرى كل يوم يتربص منهم عدد وافر على مائدتها ونرى افواجاً يفرون اليها صارخين برطانتهم بنا معناه الجوع الجوع فنرحمهم جرياً على عادتنا من الشفقة على امثالهم ومن بقي منهم في داخل المدينتين فهو محصور مقهور هكذا يكون نصيب عساكركم منكم ومع ذلك فانكم تحذعون ضعفاء العقول منا بالاماني الكاذبة واما وعيدكم لنا وتهديدكم بالاستيلاء على بلاد موزايه وبني صالح فاننا لا نعيده اذنًا سامعة واهل تلك البلاد اينما توجهوا يتيسر لهم امر معاشهم فان ارض المسلمين واسعة شامعة الاطراف وفيها المكفاية لهم ولغيرهم وعلى كل حال فلا شرف لكم في التغلب على عباد الله وانما الشرف والتفخر في عمران بلادكم التي نشاتم فيها خلقاً عن سلف وفي اقامة قسطاس العدل واستعمال مكارم الاخلاق واما افعال كهذه فلا شرف فيها وقولكم اخبرونا نحن احوال المغرب فلا خبر عندنا الا الحث على الاستعداد للجهاد فيكم والتواصي بالصبر على قتالكم ولا نعلم من انفسنا الا اننا نؤمن بالله تعالى وبرسوله اليها وان لنا اميراً مسلماً شريفاً من ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم عالماً عادلاً واننا لا نتعل الا ما امرنا به على وفق ديننا وشريعتنا واننا لا نفتر بمواعيدكم ولا بكلام الذين خالفوا الاوامر الالهية من ابناء ملتنا ليعيشوا عندكم في راحة حسبما وعدتموه وما ذكرتموه من قوة الدولة الفرنسية فانا لا نعرفه وانما المعلوم عندنا والمحقق لدينا هو عظيم قوة الله انقار رسبجانه وتعالى

❖ ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة ❖

كان المارشال فاللا يظن انه متى استولى على مدينتي مليانه والمديه تنقاد له القبائل وتمتد له الطاعة في تلك النواحي فبدا له من الله ما لم يحسب ولم يحصل على طائل فيما كان يمتناه من الفخر وتخليد الذكر عند دولته وآل امره الى العزل والنويخ على سوء سيرته وقبح سياسته وما ارتكبه من تطويح عساكرها في مهاوي الهلاك فيما بين مدينتي مليانه والمديه والجزائر وما لحثها في تلك الاودية الوعرة والجبال الصعبة المسالك من الشدائد التي كادت تاتي على آخرها وقد ظهر لي ان اذكر هنا ما ذكره فالايوت كاتب المارشال ييجو في تاريخه نقلاً عن بعض القواد الذين حضروا ذلك وعايينوه بل ذاقوا مرارته وتكبدوا مشقته واقروا به ولم تحمهم العداوة على كتمانهم ولا دعيتهم الحمية الى موافقة حاكمهم في كذبه وبهتانهم فقال ما ملخصه اجتمعت في الجزائر ببعض قواد جنودنا فرنساوية فانهبرني بجميع ما شاهدته وحضره في بلاد المغرب فقال انني في مدة الشهر الاول من اقامتي في بلاد الجزائر شاهدت - وء حال الفرنسيين وعانيت الشدائد التي كانت تحدث يومياً ورايت ارتباك الحاكم العام في تدبير سياسته التي بلغ فيها الى مركز صعب لان امره كان يقضي عليه في كل وقت ان يبعث نجيدات وذخائر ومهمات حربية متتابعة الى العساكر التي وضعها في المديه ومليانه وهذا لا تصل يده الى ذلك في كل وقت لان الجيش الذي عنده في الجزائر لا يقوم بذلك والذخائر والمهمات التي اعدها لما هو بصدده فقدت واحضار مثلها من فرنسا متعذر من وجوه اعظمها انه لا يريد كشف الغطاء للدولة عن اموره كلها خوفاً من توجيه العتاب اليه على سوء تصرفه فلذلك رايناه في حيرة دائمة وارتياب متصل ثم الجاه الحال الى اخلاء كثير من الحصون التي كان جمع ايدي العسكر على تشييدها ومن جعلتها حصن فودوك المهم والحرس الذين كانوا فيه رايتهم على اسوء حال سود الوجوه من حرارة الشمس نخفاء الاجسام من ضنك المعيشة وشدة الامراض ولقد رايت من فضل منهم عن الموت عند ما صدر لهم الامر بمبارحة ذلك الحصن فرحوا كثيراً ثم ان الحاكم راجع رايه وعين فيه حامية من العرب الخاضعين له ولما كانت دواب النقل غير كافية اضطر الحاكم الى اخذ دواب اهل الجزائر ومن دخل في الطاعة من اهل ضاحيتها واستعملها في النقل فصعب ذلك على الناس وتعطلت اشغالهم كما ان الجيش لحقه الضجر الشديد من نتائج الاسفار وبذلك تكدر مورد راحة

العموم وصار الجيش يجاهر قواده بالعصيان وتدم الانقياد لاوامرهم فقام الحاكم لذلك وقعد وتدارك الامر في تسكين روع الاهالي وتطبيب قلوب الجيش ولا طائل تحت ذلك لان الكثير منه قد مات بالامراض المختلفة التي علفت باجسامهم وفشت بين صفوفهم وفعلت بهم ما فعلته سيوف العرب ورمصها حتى ان حامية ملبانته لم يبق منها سوى اثني عشر عسكرياً ثم ازمع الحاكم على المسير بنفسه لتبليغ الذخيرة الى المدينة فخرج في فرقنين من الجيش وكنت احد القواد فيهما واخرج مع عددًا كثيرًا من الدواب وعجلات النقل مشحونة بالذخائر والمهمات وخروجه كان في صورة غير منظمة لسامة العسكر وسائقي العجلات والدواب وذلك لكثرة ما تكبدوه من المشاق المتوالية فكنت اراهم مظهرين الغضب والحق على الحاكم ومن كان على رأيه من القواد وكانوا لا يتحاشون الفاظ السب والشتم بلغاتهم المختلفة ثم وصلنا في مساء ذلك اليوم الى الدويرة وهي قرية صغيرة على مرحلة من الجزائر فيها فندق فدخلته فاذا هو مظلم وسخ ضيق المساحة وفي صباح اليوم الثاني اتحمنا وبعد ان قطعنا مسافة قليلة وصلنا الى قرية بوفاريك ثم سرنا الى البلدة فوصلناها عند الزوال وهي بلدة جميلة المناظر خصبة المزارع وموقعها في انتهاء سهل متيجة عند الاطلس مارثنا عذب رائق وحولها حدائق الليمون بانواعه ومن شدة تعاقب اهليها به يغرسونه داخل البيوت فكانت روائح الزهر عند دخولنا اليها عابقة في ارجاء المدينة وضواحيها وقد سمعت ممن لهم خبرة باحوال تلك البلاد ان هذه البلدة اتى عليها الخراب مرات عديدة لتوالي الزلازل عابها وكان من جملة القواد في عسكر البلدة الجنرال شانكرني والجنرال دوفيفير وقد رأيت العسكر الموجود فيها على غاية الانتظام الا ان الرعب مع اخذ الحذر في كل آن اثر في اجسامهم شولة وفي وجوههم سفرة وفي اليوم الثاني ليوم وصولنا جهز الحاكم ثلاث فرق من حرسها وختمهم الى فرقته التي خرج بها من الجزائر فسرنا معه قاصدين المدينة ولما وصلنا جبال ججوط وجدنا جموع العرب في الطريق فانشالوا علينا من كل جهة وناوشونا القتال فكنا في مسيرنا على حال الدفاع ولم نتمكن من اطلاق المدافع عليهم لضيق المسالك وكثرة الاحراش ولما انتهى مسيرنا الى اول مضيق وجدنا فيه حامية من عسكرنا معهم مدافعان صغيران فنزلنا عندهم ثم ان الحاكم امر الجنرال شانكرني ان يتقدم امامه بفرقته الى مضيق موزايه ليستكشف له الاحوال هناك فسار قبلنا وسرنا خلفه وسار الجنرال دوفيفير بفرقته في طريق اخرى غير طريقنا وكانت جيوشنا تسير في تلك

الاودية الوعة وحشود العرب عن اليمين وعن الشمال يرسلون علينا رصاصهم المتوالي مثل البرد المسترسل ومن العادة ان المدافع تدحر العدو وتفرج كرب العسكر ولضييق الطريق لم يتمكن الموكلون بها من اطلاقها بل لم يتمكن الواحد منا ان يخطو قبل ان يخطو الذي امامه فزاهيك بطريق حرج يكتنفها من الجانبين حائط عال طبيعي من الصخر وبعد بضع ساعات وصل اول العسكر الى المضيق الاعظم وهو مضيق موزايه الشهير وكان وصولهم اليه في حالة محزنة من شدة ما لحقهم من التعب وهناك اجتمعنا بالجنرال شانكرني واما الجنرال دوفيفير فانه قد سلك طريقاً اخرى وكانت طريقه اصعب من طريقنا ولم يتخلص منها الا بعد ان هلك اكثر فرقته لان العرب احاطت به جموعهم وانصبت عليه انصباب الصخر من اعلى الجبل الى قعر الوادي وضايقته حتى كاد عسكره ان ياتي بالسلاح ويطلب الامان ثم صبر ودافع واخذه انقتل من كل جانب ولولا ان العرب لحقهم التعب من تلك الاوعار التي تكبدوا سلوكها لجاءوا على آخرة وبسبب فتورهم عنه انتهر الجنرال الفرصة في التخلص من ذلك المضيق الهيب بعد ان فقد من ضباطه اربعة وخمسون ضابطاً ولم اقف على عدد ما فقد من العسكر واما نحن ففقد امرنا الحالك بالعبور في المضيق الاعظم كيفما كان الحال فاجتمع القواد ورتبوا الجيش صفوفاً فلم يتمكن لهم ذلك وجعلوه على صفين متلاصقين كتف هذا عند كتف هذا اذ لا يسع الامر اكثر من ذلك واشتعلت نار الحرب بيننا وبين العرب وكان الحالك العام انقرد في بطائنه على كتيب عال على فم المضيق ليعاين منه مرور الجيش فكنت ارى الرصاص ينزل عليه وعلينا كالمطر وجرح من اصحابه ثلاثة وكنت ارى العرب كلاسد الضارية يقتحمون علينا تارة بالسيوف والحراب وتارة ينقون بالصخر القريب منا ويرموننا بالرصاص وبهذا كنت اصابتهم لجيشنا اكثر من اصابته لهم ثم خرجنا من ذلك المضيق الى سهل الزيتون فبتنا فيه تلك الليلة على آخر نفس من شدة ما لحقنا من الوبال ونالنا من عظيم الاهوال وفي غد ذلك النهار ارتحنا على طريق المدينة والعرب لم تفارقنا طرفة عين بل تسير حوايلنا على حسب سيرنا ولم تفتر عن مناوشتنا مع الصراخ والشتم ولم تنزل على ذلك الى ان انتبنا الى ساحة المدينة فخرج القائد كفيناك منها ملاقياً لنا فلما رآه الحالك عجل اليه وعانقه وساله عن حال الحرس فاخذ يصف له ما هم عليه وما قاسته الحامية من الضنك الشديد وما نالها من الامراض التي افنت اكثرها وذكر له ان المدينة لم يبق من عمارتها سوى المساجد المحكمة البديان وانه اضطر الى ان يتخذها ماوى للمرضى وانه من شدة البرد وعدم وجود

الحطب اخذنا اخشاب سقوف البيوت الفاضلة عن الحريق لسد عوز العسكر في التدفئة والطبخ وبالاختصار كانت تلك الاخبار مخزنة مكدره جداً فاقنا تلك الليلة للاستراحة وفي الغد دخلنا البلد وقدم لنا الحرس بقولاً خضراء زرعوها في خرابات البلد مع جملة وافرة من البيض والدجاج الذي اتخذه لانتفسهم وقاموا بتربيته وهذه البلدة موقعها جميل فهي مبنية على تل كبير ينحني قليلاً لجهة الجنوب وفيها آثار قلعة قديمة يقال انها من ابنية الرومانيين ومن حيث ان جموع العرب لا تترك شيئاً ينتفع به الفرنسيون في هذه المدينة ولا تتخلى عن حصارها ساعة واحدة كان من الواجب دوام ارسال الذخائر اليها وهذا لا يتأتى الا بعد اتعاب ومشقات شتى لان المقدار من الذخائر الذي يجب ان تبعث لهذا الحرس في كل مرة لا يمكن ان يكون اقل من الف وخمسمائة حمل ولا بد ان يتكرر ارسال هذا العدد اكثر من عشرين مرة في كل سنة والمسافة من الجزائر الى المدينة لا تنقص عن خمسة عشر يوماً ولا يمكن السير في طريقها الى مدة الصيف ومع ذلك فان الاخطار متوالية فان لم تكن من الامطار والثلج فمن فرسان العرب وبناء على ما ذكرناه فلا بد ان يترك الحرس مراكزه ويرجع الى الجزائر والا فانه يبقى فيها اسيراً يتربقب الفرج من الله تعالى ومن المعلوم ان سائر اعمال الجيش الفرنسي في هذه المدة انحصرت في الاستيلاء على مدينتي مليانة والمدينة والغاية المقصودة من وضع الحرس فيهما هي اتخاذها مركزين عظيمين يتمكن الجيش فيهما من محاربة العرب في جميع الجهات الداخلية ولا يخفى ان الوصول الى نتيجة هذه الآراء يتوقف على استعمال حزم شديد وساعد من حديد ثم ان الحاكم بعد ان اقام في المدينة اربعة ايام امر بالاستعداد للرجوع الى الجزائر وسار على طريقه وما سرنا مقدار غرة حتى ظهر لنا نحو الف فارس من العرب شاكين السلاح فاخذوا يطلقون بواريدهم علينا وبعد ان عبرنا اودية عميقة كانت في طريقنا هجمت جيوشنا عليهم ففترقتهم وبلغنا انه جرح منهم عدد كثير كما وقع ذلك في جيشنا ثم لم يلبثوا ان عادوا الينا وما زالوا محيطين بنا عن بعد يناوشوننا القتال الى ان وصلنا غابة الزيتون فبنا فيها تلك الليلة وبات العرب في مواضعهم بالقرب منا وفي الغد انكشف الظلام عن مقدار الف وخمسمائة فارس وفرقتين من العسكر المنظم فاضحت اليهم الجموع السابقة وجعلوا مسيرهم على المينة في طرف الجبل وبوجود هذه الجيوش الكثيرة التي كان الامير عبد القادر قائدها توقف جيشنا عن السير ولما نظر بعض المهندسين الذين كانوا معنا مسير الامير وترتيب جيشه قال ان هذا السير يعد

من مكائد الحرب التي كان الامير يستعملها فظالما نتج بهذا الاستعمال الذي قضي بتكبد فرنسا وبيزن والمقبح خسائر جسيمة ثم ان الامير لما رأى جيوشه قد قربت من عساكرنا بوجه لا يهتدى اليه الا من هب في امور الحرب ومكائدها امرهم بالحملة عليه فحملت الفرقة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة ثم المشرد على التتابع واستند القتال واحمرت الحدق واتصل ذلك عدة ساعات ثم انفصل كل فريق عن الآخر وانكشف الجو وتبين ان العرب لحقها ضرر جسيم ولكنه ليس بالكثير مما لحق بجيشنا وجرح الجنرال شانكرني في كنفه ولم يثبت لمقاومة جيشنا من تلك الفرق والجموع الا الفرقة النظامية التي كنت تحت قيادة الفارس العربي الشهير بالشجاعة وهو محمد البركاني خليفة الامير في مقادعة تيطري ثم خمدت نيران الحرب واخذ جيشنا في السير وفي اليوم الثاني عاد الامير الى نحاربنا ولولا ان المطر الغزير المتتابع حال بيننا وبينه لآل الامر الى خسارة عظيمة وربما كانت تاتي على آخر جيشنا لشدة ما لحقه في هذه المراحل المتوالية من تعب السير ومقاومة الخصم ونقص عدده بالموت في تلك الحروب الهائلة مع عدم تمكننا من الاقامة والراحة لاننا تورطنا في جبال شامقة وودية وعرة لانعرفها واهلها عداء لنا والمدد ما يوس منه ثم بعد مشقة زائدة تمكننا من عبور المضايق وسلكنا في طريق سهل الى متيجة واتصل سيرنا الى الجزائر فدخلناها على هيئة برني لما واما الامير عبد القادر فانه لما هو عليه من شدة الحزم وقوة العزم لا يخاطر في امكاره ان يقر للعدو بالقدم او يجعل له طريقا لذلك بل كان مستغفالا مستغفرا لامره عاكفا على انفاذ اوامره متيقظا لسانه وبعد ان اخذنا الراحة في الجزائر امر الحاكم العام بترميم سورها واصلاح خلاله .

❖ ذكر عزل المارشال فالان عن الجزائر وتولية الجنرال بيجو في مكانه ❖

لما اتصل بالدولة الفرنسية ما اجراه المارشال فالان في داخلية الجزائر من الحروب واطاعت على ما عليه الامير من الاستعداد لمقاومة جيوشها ورات ان تلك الحروب قد افنت عساكرها وذخائرها من غير ضائل عرلت المارشال فالان عن الجزائر فذهب الى فرنسا منكسر القلب محمولا على كاهل اللوم والعيب قال بعضهم لما كان المارشال فالان من خلقا باخلاص لا تناسب احوال البلاد العربية وراته فرنسا انه في سائر حروبه لم ينجح نجاحا تقرر به عينها بل آل امره الى بناء عساكرها ومهماتهما عزله وولت مكانه الجنرال بيجو المشهور في السابع من ذي القعدة واول يناير

سنة ثمانمائة واحدى واربعين وامرت بتجهيز ثمانية وثمانين الف جندي علاوة على ما هو موجود وقتئذ في الجزائر من العساكر لقتال الامير عبد القادر وهذا ما عدا المتطوعة من بعض الدول لانه كان يوجد بين اسرى الفرنسية متطوعة من المانيا واسبانيا وخلافهم وارسلت من المهمات والذخائر ما لا يأتي عليه حصر ولما وصل الجنرال ييجو الى الجزائر واتصل خبره بالامير بعث اليه بكتاب ملخصه

الى الجنرال ييجو وسائر قواد العسكر الفرنسية في الجزائر السلام على من اتبع الهدى واجنب الردى اما بعد فقد بلغني انكم جئتم من فرنسا الى الجزائر لقتالنا بما ينوف عن ثمانين الف جندي زيادة على عساكركم السابقة فيها فاعلموا انني بعونه تعالى وقوته لا اخشى كثرتكم ولا اعبر قوتكم لعلمي انكم لا تضرونني بشيء الا ان يضرني الله به ولا يلحقني منكم الا ما قدره الله علي وقضاه وانني منذ اقامني الله في هذا الامر وجعلني ضدا لكم ما فالتكم بعسكر يكون عدده ثلثا من عساكركم التي تكافونني بها ومدة ملكي كما لا يخفى ثمان سنين ومدة ملككم يتعدى مئاة من السنين وعساكركم كثيرة وآلاتكم الحربية قوية ومع هذا البون العظيم الذي بيني وبينكم فاني اعرض عليكم امورا فاخاروا واحدة منها وهي اما ان تعطوني ما احتاجه من ادوات الحرب بالشراء ثم انظم عسكرا يكون نصف عسكركم الذي تحاربوني به وحينئذ نتحارب واما ان تبقوا في مواضعكم التي تغلبتم عليها وابقوا انا في بلادتي التي تحت حكمي ثم لا يقرب احدنا من الآخر مدة اثني عشر سنة فيبلغ عمر ملكي عشرين سنة وحينئذ اقاتلكم فان غلبتكم فلا عار عليكم اذ يقال غلبكم رجل له قوة عشرين سنة وان غلبتم انتم فتكونوا قد غلبتم رجلا له قوة فيحمل لكم الثغر عند الملوكة واما اليوم فانتصاري عليكم بعد فتية لكم عند الدول وانتصاركم علي لا بعد نغرا حيث انكم غلبتم رجلا عمر ملكه ثمان سنين ولا قوة عنده يقابلكم بها ومن الامور التي اقترحها عليكم انكم تبعثون من قبلكم من يعد عسكرا ثم اخرجوا من عندكم في مقابلة كل واحد رجلين من عسكركم واعطيكم العهد اني لا ازيد عسكرا واحدا على ما تعدون وحينئذ الغالب يملك الوطن ومنها ان يخرج المارشال للبراز ويخرج له واحد من خلفائي فان غلب صاحبكم فلا انازعكم في طريقكم من الجزائر الى قسنطينة ومن اراد من المسلمين اهل تلك النواحي البقاء تحت حكمكم فلا نعرض له وان اراد الخروج منها ويلحق ببلادتي فانتم لا تعرضوا له ومنها ان ابن الملك يبارزني فان غلبته فانكم ترجعون بعساكركم الى بلادكم وتتركون سائر المدن التي في يدكم الان بما فيها من الذخائر والمهمات وان غابني فانكم تستريحون مني ويبقى لكم الوطن من غير منازع فان اخترتم واحدة من هذه

الامور فلا بد ان تحضروا قناصل الدول ليشهدوا عليكم بقبولكم ذلك واما نحن فلا نزال
كلتنا وان استضعفتمونا ولم تبالوا بنا قلناه اعتماداً على قوتكم فنحن قوتنا بالله التقادر على
كل شيء هو ولينا وناصرنا . ولما اتصل هذا المكتوب بالجنرال - ييجو قرأه على قواد
العسكر واعيان تجلس الجزائر فوجوا له ثم اتفق رأيهم على الاعراض عن رد الجواب

❖ ذكر سوالات وجهها الامير الى قاضي فاس ❖

ولما رأى الامير ان بعض القبائل في الساحل اقريبة بلادهم من المدن
التابعة للعدو مالوا الى طاعنه والدخول تحت ظله وحمايته ارسل اليهم من العلماء
والاشرف من يعظم ويحذرهم من مقت الله تعالى وغنجه فلم يجد ذلك نفعاً فيهم
ثم مدد لهم واعد لهم وامرهم بالخروج من مواضعهم والحق باخوانهم المسلمين في الداهلية
فلم يقبلوا وتمادوا على ما هم عليه فاعتزم حينئذ على غزوهم وانفك بهم ثم توقف في
شانهم واستشار الفقهاء في امرهم وبعث الى قاضي فاس في ذلك لينظر ما عنده
فيه وزاد اسئلة اخرى عن اتياء منفردة عرضت له ونص ما كتبه اليه . امد
له حق حمده والثناء والسلام على من لا نبي بعده من خادم المجاهدين والعلماء
عبد القادر بن معيي الدين الى الشيخ الامام علم الاعلام السيد عبد الهادي العلوي الحسيني
قاضي القضاة بفاس المحمية السلام عليكم ورحمة الله وبركته وبعد فما حكم الله في
الذين دخلوا في طاعة العدو الكفر بايمانهم وتولوه ونصروه يقاتلون المسلمين
معه وياخذون مرتبه كفراد جنوده ومن ظفرت بجاعته في قتالهم المسلمين يجعلون
له علامة في صدره يسمونها لتور عليها صورة ملكهم هل هم مرتدون ام لا وان
قلتم برديهم فهل يستتابون ام لا وما حكم نسائهم هل هن كرجائهم ام لا وان
قلتم انهن مثلهم فهل يحكم باستنابتهن او يقتلن او يسترققن كما نقل عن ابن الملاجشون
ام لا وما حكم ذراريتهم هل لنا سبيهم ام لا وهل ما حكم ابن بطلال من
الاجماع على ان المرتد لا تسمى ذريته منقوض بما نقل عن ابن وهب وعن جمهور
الشافعية ان المرتد كل كافر الاصل ام لا وهل يسوغ لنا العمل بما ينقل عن اصحاب مالك
رضي الله عنه من الاقدمين كابن وهب وامثاله في طبقته في هذه النوازل وامثالها مما لم
يشهره المتأخرون ام لا وما حكم الخوارج الاباضية المعروفين في مغربنا ببني مزاب وهم
على ما لا يخفاكم من عدم صلاة الجماعة والجمعة مع المسلمين فهل قول ابن العربي بكفرهم
صحيح يعمل به ام لا . وهل ما ذكره شراح ابن الحاجب من ان الباغي لا يرد عليه

ما له يسوغ لنا العمل به في هذه الازمنة الفاسد اهلها ام لا . وهل ما نقله بعضهم عن ابن رشد من صحة دفع الزكاة لكل ما فيه مصلحة للمسلمين صحيح يعمل به ام لا . وهل ما تقرر من ان العدو اذا نزل بقوم وعجزوا عن دفعه ينتقل الوجوب والخطاب الى من يليهم عام في جماعة المسلمين او هو خاص بالسلاطين من حيث انهم حاكمون على الرعايا وهل وجوب الدفاع والاعانة خاص بالابدان او هو عام في الابدان والاموال حتى ان من عجز عن الدفاع بنفسه مع قدرته على الاعانة بما له وترك ذلك يكون عاصياً وهل هذا العصيان يكون قادحاً في المعدلة ام لا . وهل تجازاة ومكافاة المصطفى صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهديين كانت من بيت مال المسلمين او من خمس الخمس وان كانت من بيت المال فهل لولاة المسلمين هذا بعد ذلك ام لا . وهل لهؤلاء السلطين قبول الهدية ام لا . كما نقل عن عمر بن عبد العزيز وهل يردونها جملة او يضعونها في بيت المال وهل قول ما لك لا ينبغي الامير ولا لعامل الصدقة اذا خرج لبعض عمله ان ينزل عندهم او يا كل من دواعيهم خاص بعمل الشعوب والبطون ام عام حتى في ولاية الاقاليم ولفظ لا ينبغي هل هو على الحرمة او الكراهة اجيبوا ادام الله وجودكم جواباً يشفي المرض وياقي على الغرض محيطاً بالتفاصيل والجلل مبيناً لنا ما يكون به العمل مع ملاحظتكم زماننا ووطننا والسلام مكرر ومعاد عليكم وعلى اهل تجاسم الشريف ولا تنسونا من صالح دعائكم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله واصحابه اجمعين .

﴿ ذكر الآجوبة ﴾

الحمد لله وحده الى شعبة افاضل المجاهدين الامير السيد عبد انقادر بن تحيي الدين لا زلت منصور الراية على الكفرة المعتدين مظفراً بالفتح والتمكين وسلام الله يتوالى على عليّ مقامكم المتين هذا واني احمد الله لكم على ما به خصكم في هذا القطر المغربي من صرف الهمة الى اعلاء كلمة الله والنبى ثم المرغوب من كمال فضلكم ان تسهّدونا من صالح دعاكم ولكم منا مثله ومن الله يرجي لجمعنا فضله وجواب ما اشرت اليه في كتابك من المسائل ان اللاتئين بالنصارى المقاتلين معهم قال فيهم البرزلي في انقضاء من نوازل ما نصه ان المعتد ابن عباد استغاث بالكفار في حرب المرابطين فنصرهم الله عليه وهرب ثم نزل على حكم يوسف ابن تاشفين امير ضهاجه فاستغنى فيها النقصاء فانقضى اكثرهم انها ردة وقاضيه مع

بعضهم لم يرها ردة ولم يبيع دمه فامضى الامير ذلك ولم يبيع دمه واخذته اسيراً ونقله الى اغات الى ان مات فيها ونقله الزياتي في نوزله بواسطة الكتافي ويؤيده ما في ابن جزى على قوله تعالى ومن يتولهم منهم فانه منهم ونصه من كان يعتقد معتقدهم فانه منهم من كل وجه ومن خالفهم في الاعتقاد واحبهم فهو منهم في المقت عند الله تعالى واتحقاقه العقوبة وقد قال الغزالي في كتاب التفرقة بين الايمان والزندقة الذي ينبغي الاحتراز عن التكفير ما وجد اليه سبيل فان استباحة المصلين المقربين بالتوحيد خطأ والخطأ في ترك التكفير اهون من الخطأ في دم مسلم ولا سيما اذا كان فيه تاليف ورد عما هم عليه فهو متعين فعلى القول بعدم ردتهم لا اشكل في عدم سبي نسائهم وذرائعهم وعلى القول بردتهم فكذلك قال خليل وان ارتد جماعة وحاربوا فكل المرتدين قال شارحه ابن عبد الصادق سار فيهم عمر سيرة المرتدين يرد النساء والصبيان الى عشائهم كذرية من ارتد فاهم حكم الاسلام وعلى هذا جماعة العلماء والسلف الا القليل منهم مضى على رأي ابي بكر بانهم كالثاقبين للعهد قتل الكبار وسبي النساء والصغار وجرت في اموالهم المقاسم وذهب ربيعة وابو القاسم وابن الماجشون الى نفل عمر واقتصر عليه المذنب لانه قول الجماعة واما حكم الاباضية فالصحيح عدم كفرهم كما عند ابن رشد في البيان وقال في الفتح عن ابن حزم اهداء الخوارج والبناء واقربهم الى قول اهل الحق الاباضية وذكر الخلاف فيهم غير واحد وتقدم ان التكفير صعب والميل الى عدمه اهن وقد ترجم البخاري بترجمته لقتل الخوارج وباخرى لتركه اشارة الى الخلاف كما قاله في الفتح واما البغاة فلا يؤخذ من ماله من غير السلاح قطعاً كما قيد به شراح خليل قوله واستمعين بما لهم عليهم ثم رد واما السلاح فمليه يحمل المتن ومقابل ما في المتن في غاية الضعف لا يعمل به وقد قال ابن عرفة ان العمل بالراجح هو الواجب ولا يند الحكم بما سواه ونحوه للعقباني والسنوسي واما الزكاة فلا تصرف في غير المصاريف الثمانية التي قص الله عنها انما الصدقات للفقراء الآية قال خليل ومصرفها فقير ومسكين الى قوله لاسور ولا مركب وما نسبته الجنان وغيره لحفيد ابن رشد من اعطائها للماء ولو اغنياء وكذا سائر المصالح لا يجوز العمل به كما للشيخ النواوي وغيره ممن حشاه من المتأخرين واما ان عجز من حل بهم العدو عن دفعه فيتعين على كل من يقربهم اميراً كان او غيره الاقرب فالاقرب ان يدافعه قال خليل وتعين بشجاً العدو وان على امرأة وعلى من يقربهم ان عجزوا او خوطب بنفسه وماله قال تعالى جاهدوا باموالكم

وافسكم في سبيل الله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة واما مكافآت النبي صلى الله عليه وسلم للشعراء والمهدين فمن جملة مكارمه وهي من الفتي والخمس تؤدي في تفسير ابن جزى لقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه الآية مانصه الخمس الى اجتهاد الامام ياخذ منه كفايته وفيه ايضاً ما نصه ما يؤخذ من الكفار منه ما يحدس ومنه ما يكون جميعه للامام ياخذ منه حاجته ويصرف سائرته في مصالح المسلمين وهو الفتي الذي لم يوجف عليه واما الزكاة فلا يكف ارباب الاموال بغيرها واما الولاة فجميع ما زاد بايديهم على ما يعرف لهم من قبل فمن ولام ان يضيفه الى بيت المال ويصرفه في مصارفها واما هدايا من تحت حكم السلطان له فلا يجوز له قبولها لانها رشوة قال خليل في القرض وعدم هديته الى قوله وذو اياه وانقاضي وهو مضمون قول الباجي ونصه اذا كان المهدي تجري عليه احكام المهدي اليه نقال سخون واشهب لانقبل هديته مسلماً كن او كافراً ووجه ذلك ان هديته ريبة اذ ربما تكون لدفع مظامة يجب دفعها او ترك حتى لا يحل تركه ويؤيده ما اشترم اليه من قول عمر بن عبد العزيز كما في البخاري في كتاب الهبة وقضيه ابن الانبية المكررة في البخاري لما استعمله النبي صلى الله عليه وسلم فحاء بال كثير وجعل يقول عند محاسبته هذا لكم وهذا أهدي اليّ فغضب صلى الله عليه وسلم وعاتبه وقال هلا قعد في بيت ابيه وامه فينظار ما يهدي له تدل على انها ترد الى بيت المال ان قبل كما لابن بطال انتهي كتبه اجهل عباد الله راداً العلم لمولاه عبد الهادي بن عبد الله الحسين ونقه الله في اول يوم من المحرم فاتح عام ستة وخمسين ومائتين والـ

❖ ذكر ما تكلم به الجنرال بيجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر ❖

لما شاع ان الامير استغفر سائر اهل مملكته من حدود المغرب الاقصى الى حدود تونس الى الجهاد وامر باخذ كمال الالهية والاستعداد للحاربة العدو ومدانته عن البلاد واتصل ذلك بجاكم الجزائر بيجو امتعض له لاسيما وقد رأى ان اهل الجزائر استولى على قلوبهم الرعب وخامرها الاضطراب فعقد مجلساً حريباً وتكلم فيه بما نقله عنه بالمار المؤرخ وهو قوله اني ايها القواد والرؤساء الانجاد قد كنت اذن ان للامير عبد القادر جنوداً نظامية كافية لما خيرة بنون الحرب واساليه واقتداراً على مقاومة الجيوش الفرنسية والان تحقق عندي ان الامر على خلاف ذلك وكنت اذن ان العرب ذوو

ضخامة وجسامه فتبين لي الآن انهم ليسوا كذلك غير اني لا انكر قوة باهم وشدة شوكتهم وصلابتهم في الجلال ومقاومة الاضداد لكن هذا ما داموا في اوطانهم وما دامت املاكهم في ايديهم التي عليها مدار معاشهم فلاح لي من الراي الذي نتوصل به الى تفريق كلمتهم واخضاعهم للطاعة ان اكرنا نتصدى اولاً الاستيلاء على بساطهم التي فيها انتجاع مشيتهم التي يترزقون منها فان حصل هذا فلا شك في الفوز والنجاح ثم نضع الحاميات الكافية والمسلحات الوافية في الاماكن الصعبة في الطرق التي نمر فيها لنتمكن من اتباع آثار الفارين منهم المتوغلين في الداخلية ونضع جنوداً وافرة في الحدود لتنهم من الدخول الى الممالك المجاورة لبلاد الجزائر فاذا ضاق عليهم المجال واشتدت عليهم من كل جهة الفتن والاهوال فلا محالة انهم يلوذون بطاعتنا وبما يسر علينا الوصول الى هذا ان اكثر روءساء عساكرنا تعلموا اللغة العربية وصاروا ماهرين فيها عارفين بعوائد العرب واحوالهم او نستعمل هذا فتعين قسماً من الجند للمحافظة على الاماكن المهمة في سائر الجهات وقسماً آخر يقيم في التخيوم لمنع الوارد والصادر عن البلاد كما يتنع من فرار اهاليها الى الخارج عنها وباقي الجند نعدده للهجوم والحرب واعلموا ان استعمال المحاربة بالوع النظامي لا يجدينا تنعاً لان الخصم لا يعرف ذلك ونما نقابل العرب بما يقابلوننا به والمقعود الامم هو ان جيوشنا تجعل همتها في استعمال ما نبتلاشي به قوة الامير وتزعزع اركان دولته هذا ما ظهر لي من الراي فانظروا ماذا ترون انتم فاجابوه ان ترتيب الحاميات في المراكز الصعبة لا نراه صواباً اذ ربما يوتعننا ذلك فيما هو ادهى وامر من تركنا اياها وذلك لاننا نخشى ان يحوجنا الحال الى تعيين قسم كبير من جيوشنا لحمايتها او لتخليصها من يد العرب ويبقى في ايدينا من الجيوش ما لا يفي بالمطلوب عند شوب نار الحروب فالاولى الاضراب عن هذا الان فاستحسن يبحو رأيهم ثم اتنقت كلمتهم على ان ينهضوا بجيوشهم الجرارة الى المدن وبعد الاستيلاء عليها ينظرون فيما يلزم من المحافظة عليها ولما انتشر هذا الخبر حدث في المعسكر قلق وامتلات قلوب الجنود رعباً لجهلهم بما يؤل اليه امرهم في داخلية البلاد وخافوا ان يقع بهم نظير ما وقع بن تقدمهم من اخوانهم فيستولي عليهم التلغ كما استولى عليهم مدة عشر سنين قال فالپوت في تاريخه كنت ذات يوم مع الحاكم يبحو في نحل عال فقلت له ايها المارشال انظر الى هذا المنظر البهيح فاجابني انه منظر جميل لاهل الجرانات اما لامثالنا فلا ثم قال لي انظر الى تلك الحيطان السود الشمالية من البلد فلربما يكون هناك سجن العساكر الفرنسية ومن الممكن ان يقاد الحاكم

يعني نفسه ذليلاً في بلاد حجوط وعندها كبة واحدة تكفي في قتله الم تعلم يا فاليوت ان حاكم الجزائر يحتاج الى سياسة قوية لان الامير عبد القادر خصم صديد وقرم عنيد لا يخشى بطش الجيوش الفرنسية ولا ينظرها بعين الاعتبار ثم ان فاليوت استطرد ذكر حكاية عن بعض الجنود في الجزائر نقل قد وقفت على رسالة لبعض افراد الجند الفرنسي ارسلمها الى والديه واخواته في فرنسا عندما شاع اتفاق المباس الحربي على الحرب ونص الرسالة من مدينة الجزائر في الخامس والعشرين من شهر اذار سنة احدى واربعين وثمانائة الى والدي واخوتي اخبركم ان حياتي قد صارت في خطر وذلك اننا في هذا الوقت متوجهون من مدينة الجزائر الى المدينة ومليانة ومن دون شك اننا نصادف في طريقنا اخطاراً وبها لك ولا ادري هل ارجع سالمًا ام ذلك آخر العهد بالحياة الدنيا ولا يخفى ان الموت اقرب من السلامة ولكن يلزنا الصبر وحيث ان احتمال الموت عندي اقرب فاعلموا انه يوجد عندي اثنا وخمسمائة فرنك فاريد ان تعطوا همي منها مائتين يستعين بها على عوزة وان لا تتركوا اولادي بدون البسة حسنة وما بقي من الدراهم فالوالدة تفعل بها ما تشاء واني اخبركم ان العرب فرسان مشهورون بالشجاعة والاقدام وحالنا معهم في الحرب ان رصاصهم يصب علينا كالمطر واما نحن فلا نقابلهم الا بالكل ليبعدوا عنا وان وقع في ايديهم جندي منا فانهم يعرضون عليه الاسلام فان قبل واجاب تركوه والا قتلوه وعندما نسير من محل الى آخر نأخذ ازوادنا معنا لانه لا يوجد في طريقنا فنادق ولا خانات وفراشنا وغطاؤنا ليس الا الكبوط لا غير فهذه حالنا في بلاد العرب وعلى كل حال فانا اودعكم وعياني غريقتان في الدموع قال بالمار لما اعتزم ييجو على الحرب اتخذ البغال والجمال لحمل الاثقال والذخائر والمدافع عوضاً عن العجلات وعرض العساكر فوجدها قد اكسبها تمرينها في المدة السابقة نشاطاً فحينئذ قوي عزمه واشتد حزمه وقال رُوا كذلك العرب قد تدربوا على الحرب وتمرنوا فزاد بذلك نشاطهم الغريزي المفطورون عليه

❖ ذكر مـ ير الجنرال ييجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها ❖

وفي الخامس من ربيع الاول سنة سبع وخمسين وفي الثامن والعشرين من ابريل سنة احدى واربعين نهض الجنرال ييجو من الجزائر في جيش كثيف الى مليانة ثم انقلب راجعاً الى الجزائر على طريقه وكان الامير اعد فرقة من عساكره النظامية

قرب البلد واكن له فرقة اخرى في الغابة قريبة من الفرقة الاولى فلما خرج العدو من البلد بادرت به الفرقة الاولى بالقتال ولما حمل عليها استجرت له وارخت العنان امامه فلحقها لى ان وصل الى الغابة ففرج الكمين واشتد القتال وبينما هم كذلك اقبل الامير بياقي الجيوش الاسلامية وهجم على العدو من ورائه واخذت العساكر بالعساكر وحى الوطيس فانهزم ييجو بجيوشه ورجعوا الى مليانه تاركين القنلى والجرحى والذخائر التي كانت معهم في ايدي المسلمين قال رءوا وهذه اول وقعة وقعت بالمارشال ييجو في ولايته على الجزائر و رآسته على العساكر الفرنسية ولاول تفويضة في امر الحرب مع الامير عبد القادر ثم قال ولما هجم الامير بالقسم الكبير من جيشه الذي كان معه على المارشال انبهر عقله ولم يسهه الا الفرار فساقته جيوش العرب والفرق النظامية قهراً عليه الى مليانه تاركاً قتلاه وما معه من الاثقال وهذه الوقعة نكلت العساكر الفرنسية اشد النكال واوقعتهم في ورطة الوبال وكانت خسائرهم جسيمة ونوائهم عظيمة انتهى ثم ان ييجو رجع الى الجزائر وقسم جيوشه على النغور المهمة فعقد للجنرال بركوباي ديلي على الجهة الشرقية والجنرال بارتسمي على ما يلي الجزائر وتوجه بالقسم الاكبر الى مستغانم ومعه الدوك دومال واخوه الدوك ديتور وضم الى جيشه جيش وهران وبعد اقامته اياماً في مستغانم نهض منها على طريق مجاهر قاصداً قلعة تاكدت فامر الامير اهلها بالجلاء عنها وحمل ما خف من الذخيرة الحربية والمؤن التي كانت فيها واتصل سير العدو مع اتصال القتال الى ان وصلها واستولى على سائر ما بقي فيها من السلاح وآلات المعامل ثم توجه منها الى العاصمة معسكر وكان اهلها خرجوا منها الى ضواحيها فاستولى عليها واقام فيها حرساً ثم رجع الى مستغانم وكان الامير صمدله في الجيوش عند مضيق عقبة خدّه ومضيق فرقوق فلما وصل ييجو الى اول مضيق منها انزال عليه المسلمون من كل جهة واحاطوا به من كل ناحية وانقذت نار الحرب بين الفريقين واتصلت من شروق الشمس الى مغيبها وكثر القنلى والجرحى من الجانبين وجرى في ذلك النهار ما يعجز عن وصفه القلم واللسان قال رءوا لما وصلت العساكر الفرنسية الى مضيق عقبة خدّه وجدت فرسان العرب وحمايتها ينتظرونهم فيه وانتشب القتال بين الفريقين واستمر الرمي بالرصاص والضرب بالسيوف والحرب باخذ كل منهم حظه من النفوس من طلوع الشمس الى غروبها وكانت خسائر الطرفين جسيمة فنقد العرب الكثير من روءاء عسكرهم واغواته كما ان ييجو فقد من العساكر الفرنسية وقوادها عدداً كثيراً وعندما اذن الظلام باغمار سلاح الطرفين اخذ العرب ينفقدون

قذلام وجرحاهم واما يجو فانه انلنز الفرصة وتسلى بجوشه تحت ستر الظلام على حين غفلة من العرب الى ان تخلص من المضايق كلها وجدء في المسير الى ان لحق بسنغانم على اسوء حال وبالجملة ان هذه الوقعة من الوقائع المشهورة التي استمر ذكرها في تحافل فرنسا ومجامعها

﴿ ذكر ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال يجو ﴾

قال اسكندر بالمار بعد وقعة عقبة خدء كنب الامير عبد القادر الى المارشال يجو ما نصه . الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن نحيي الدين الى المارشال يجو . اما بعد فان كانت دولة فرنسا ليس عندها من الارض ما يكفي رعاياها وارسلتكم لتغصبوا اراضيها وتبذلوا في ذلك نفوسكم واموالكم فنحن نتخلي لها عما هو في ايديها الآن من السواحل ونبقى معها في حال جيران ينفع بعضهم من بعض وان ابت الا ان تستولى على جميع وطننا فنحن نبذل وسعنا في مدافعتها وحماية ارضنا منها الى ان يقضي الله بيننا وبينها بما شاء فان البلاد بلادنا والعييد عبيدنا ولا يخفى عليكم ايها الحاكم ان مهاجرتكم على بلادنا كما انها سبب لاتلاف الكثير من جنودكم وذخائركم فكذلك نحن وهذا شيء لا يرضى به عاقل فضلاً عن فاضل ودوائكم تدعى انها اول دولة في العالم تحب الانصاف وتستعمله وتحافظ على ميزان العدل وتحكم به ففعلها هذا يكذب دعواها ويطل مدعاها وانتم وغيركم من رجالها نراكم دائماً تساعدونها على الاعنداء والاعتصاب وتبذلون انفسكم في ذلك ابتغاء مرضاتها ولو كان عندكم ادنى نظر سديد ما وافقتموها على اتلاف جودها في الحرب ومواسم الامراض المختلفة التي لا تذر ولا تبقي فياهل ترى باي شيء تعوضون ما تخسره بلادكم من الرجال والاموال والكراع فان كان يرضيها منكم ان تحملوها ما تقدرون على حمله من حجارة مدينة معسكر او من تراب الاراضي التي اغتصبتموها فافعلوا واني اراك ايها الحاكم تبذل جهدك في تعطيل مواسمنا لتقل الحبوب عندنا ظناً منكم ان ذلك اقوى سبب لخضوع اهل البلاد اليكم والحال ان هذا ليس بشيء عندهم فان مهمهم ليست متعلقة بلذائد الاطعمة والاشربة مثلكم بل يكفيهم ما يسدون به رقهم ويقيم اودهم كيفما كان على انه يوجد عندهم من صنوف الحبوب المحفوظة في الآبار المعدة لها ما يكفيهم سبع سنين آتية وما تاخذونه انتم من ذلك فهو جزء من جملة اجزاء ولا اراكم في هذا الامر الا كن ملاء قدحه من

البحر معتقداً انه ينقصه وبالجملة فحن لا نترك قتالكم مادمتم في طغيانكم تعمهون
وفي سبيل اعنائكم تمشون والحروب قد تربينا عليها وتغذينا بلبانها فحن اهلبا
من المهد الى اللحد وحروبنا كما علم لا نرجع فيها الى قانون يحصرها بل نحن
فيها مغيرون مطلقون نصرها كيف شئنا واما انتم فقد بذلتكم اموالكم وافنيتم
قوة شبابكم في تعلم طرقها القولية وعند اشتباك الصفوف تعاجلكم عن مراجعتها الرماح
والسيوف ومما علم من كتب التواريخ القديمة ان العرب يتخرجون في معامع القتال
كما يتخرج العروس ليلة عرسه فلا يخطر في بالكم انهم يضجرون منها او يتركونها
من ذات انفسهم مادامت الاقدار الالهية مساعدة لم فان حكمت عليهم بغير ذلك
فن المعلوم ان الارض لله من بعدهم يورثها من يشاء من عباده فلا معقب لحكمه
ولا راد لقضائه والسلام على من اتبع الهدى وانتي سبيل الردي حرر في عاشر
جمادى الاولى سنة سبع وخمسين ومائتين وفي آخريونه سنة احدى واربعين وثمانمائة

﴿ ذكر منسير المارشال ييجو الى ولاية معسكر ﴾

بعد رجوع ييجو من وقعة عقبة خذته الى مستغانم اخذ اهبطه وخرج بجيوشه الى
شمال ولاية معسكر وكانت قبائل اولاد خليف وصبح وامثالهم دانوا بطاعته عند ما مر
في بلادهم الى تاكدت ثم توجه الى الجهة الجنوبية وانتبه في مسيره الى بلد سعيدة
وهذه البلدة اختطها الامير واسكن فيها مهاجري مستغانم ووهران ولما قاربها خرج
اهلبا الى النواحي فوجدها خالية فخرها ولاذ اهل تلك الجهات القريبة منها كاولاد
ابراهيم والحساننة والجعافرة بالطاعة وعدل الامير عن قتاله وسار غازياً على قبائلي الدوائر
والزماله في ساحة وهران فصبحهم واكتسح اموالهم واشحن فيهم بالقتل والاسر ولما اتصل
الخبر ببيجو امتعض لذلك وارتحل راجعاً من الجهة الجنوبية الى مستغانم ثم الى وهران
وفي هذه الايام ارسل حضرة الاسقف دويش الى خليفة مليانه السيد محمد بن علال
يستأذنه في الحضور عنده ليتوسط له في الاجتماع بالامير فاجابه الخليفة ان الامير في
نواحي الصحراء على مسافة ايام متعددة منا فان كنت تكسني بملاقاتي نيابة عن الامير
فانا مستعد لقبول زيارتك فاجاب الاسقف الى ذلك وحضر عند الخليفة فاحتفل لملاقاته
وبعد ان عزم على الرجوع الى الجزائر قدم اليه الخليفة فرسين من جياد خيله هدية على
عادة اصراء العرب مع ضيوفهم المعتبرين قدراً وشهرة وكان عنده من اسرى الرئيس نحو
الخمسمائة اسير فاحضرهم بين يدي الاسقف بسلاحهم والبستهم ثم قال له حيث انه لم

يتيسر اجتماعكم بسيدنا الامير وكنت انا من جملة اتباعه وخدمه فعلى حسب استطاعتي
اجريت بعض ما يجب اجراؤه مع امثالكم وهو لاء الاسرى من عساكركم بسلاحها
وامتعتها قد سمحنا باطلاقها تكريماً لكم فخذوها معكم ولو ساعد القدر واجتمعتم بسيدنا الامير
لكنتم شاهدتم من اكرامه ما تستقلون له اعمال الملوك العظام ففرح الاسقف بذلك فرحاً
لا يعبر عنه قلم ولا لسان وانقلب بالاسرى الى الجزائر وكان يوم دخوله اليها بهم يوماً
مشهوداً فانظر الى هذه المعاملة الحسنة والمعاملة التي قابلها بها ييجو كعادته فانه بعد رجوعه
من غزوة بلد سعيدة الى وهران كتب الى رؤساء القبائل عدة رسائل يدعوهم الى طاعته
ويتهدهم ان ابوا ذلك عليه . وهذا نص جواب اولئك الرؤساء عن احداها من كافة
الحشم الشراقة والغرابية ومن اليهم كبنى شقران وبني غدو الى النصراني ييجو السلام على
من اتبع الهدى وثبت عليه قد وصلنا تحريرك وعلمنا ما فيه من كونك تدعوننا الى الطاعة
وتخبرنا انك عازم على ان تجعل بلادنا سعيدة مباركة واي سعادة احب اليها من سعادة
الجهاد وحماية البلاد وثباتنا امام اعدائنا ولو بدون تحاربة ولا طعان فان الله تعالى جعل
لنا ثواباً عظيماً اذا نحن اذقناهم مرارة الموبال ونكناهم شديد النكال وكبدناهم انواع
المشقات والجائناهم الى التفريق والشتات واذا لم نتمكن من ذلك كله فمن بعضه فان لم
يتيسر لنا فيكفي الثبات في وجوههم وعلى قدر التعب يحصل الاجر وكونك تعدنا كعادتك
مع غيرنا بالفخر والمجد اذا نحن اطعناك والى مطلوبك اجبنك فهذا لا نسمعه ولا نلتفت
اليه بل نعهده ضرباً من المحال والذين اطاعوك من اهل وطننا فانهم عندنا قوم لا دين لهم
ولا خلاق لهم بل لا يعرفون من الاسلام الا اسمه فلا نفتق بكلامهم فانما قادم اليك
الطمع فيما عندك فباعوا لك دينهم بالذهب والفضة واما نحن فلا نبيع ديننا وانما نبيع انفسنا
الى الله تعالى الذي يشتريها منا بالجنة ومن الواجب عليك ان تنظر الى عظمة سيدنا الامير
كما ننظرها نحن فانه يقاتلكم ويكبدكم المشاق العظيمة من غير كبير مدد ولا ذخائر
موثلة ولا خزائن قائمة وافرة واما انتم فلا مزية لكم لان دولتكم قديمة من الف سنة فجمعت
الاموال الطائلة ودربت الجيوش الجرارة على الحروب فان هي غلبت الان فان اميرنا حديث
العهد بالملك ورعيته قد انهكتها الحروب الاهلية والاجنبية من مدة متطاولة فاي مزية
لدولتكم في تغلبها عليها والظاهر انك ايها الحاكم مسرور بكونك اخرجتنا من اوطاننا واحرق
اغلالنا وارسلت لدولتك تبتهج بذلك ولو كنت من اهل النظر ما ظهر هذا منك نعم
لو جئتنا بجيوش تعادل جيوشنا عدداً واستعداداً وفعلت بنا ما فعلت كان يحق لك ان
تبتهج بعملك وتفتخر به ولكن حيث انك جلبت اليها جيوشاً يزيد عددهم على عدد

نفوسنا وكراعينا وشجرنا وسجونا فلا حق لك في سرورك لان من غلب كثرة لامزية له ولا نفخر وانما المزية لمن غلب من يكافئه عدداً واعدداً او يكون اكثر منه ونحن لله الحمد مع قلة عددنا فقد وقفنا في صدوركم واذقناكم نكال الحرب ومرارة الجلال والضرب مدة احد عشر عاماً من حين استيلائكم على مدينة الجزائر الى يومنا هذا ولا نزال بجوله تعالى وقوته على ذلك الى ان تغلب او تغلب ويهلك كبيرنا وصغيرنا وعلى كل حال فلا تنعب نفسك فانك لا تحصل على طائل من الفخر لتذكر به عند ملوك الارض كما هو في بالك لان ذلك انما يصح لك لو غلبت دولة قديمة عظيمة موثلة من كل شيء واما دولة قليلة العدد والعدد فلا مزية لمن غلبها ومما يتعجب منه كل العجب ان دولتك تفتخر بالاستيلاء على الجزائر وهل عاقل في العالم يفتخر بالظلم والاعتداء حاشا وكلا انما الفخر في تركهما وعدم التخلق بهما وجميع ما اتلفتموه من محصولاتنا في هذه السنة لا يضرننا لوجود غيره عندنا من مستغلاتنا المدخرة من سنين عديدة فان نفدت فالطرق جلب ما تقتات به من المغرب او المشرق مفتوحة وكما ان مراكمكم البحرية ترد عليكم مشحونة بالمؤن والذخائر فكذلك نحن عندنا الجمال تحمل اليها ما نحتاج اليه من القاصية ومن الواجب عليك ان تنظر فيما دخل في يدك من الذخائر والمؤن في هذه المدة وما خرج منها فان وجدتها ناقصة فبادر الى ارسال ما يسد نقصها من حجر ومعسكر و تراب غريس الى دولتك وبذلك تجعلك محبوباً لديها كبيراً في عينها ولو احصيت ايها الحاكم قتلاك واسراك ثم قابلناهم بمن قتل منا وامر لظهر لك خسراتك وتحقق عندك نقصانك والمكافاة في الحرب وان كانت لا تقضي بالميزية لاحد الطرفين فانها تقضي لنا به نظراً لكثرتكم وقتلتنا وكبر دولتكم وصغر دولتنا هذا جوابنا فاعلمه فاننا فصلناه تفصيلاً مفراطاً في الاسهاب والاكثر رجاء ان تفهم حرر في العشرين من ربيع الثاني سنة سبع وخمسين والحادي عشر من حزيران سنة احدى واربعين

ونص جواب الرسالة الاخرى المؤرخة في التاسع والعشرين من ربيع الثاني والعشرين من حزيران من الحشم وغيرهم من القبائل المتسكنين بدينهم الاسلامي الوثيق العرى الى النصراني ييجو قد وصلنا مكتوبك الذي تركته في موضع نزولك من بساتين بني يخلف واطلعنا عليه فوجدناك تطلب منا نص ما طالبتة سابقاً غير مرة فتعجبنا من الحاحك واكثرناك علينا في الطلب مع اننا بذلنا وسعنا في اقناعك فلم تسمع ووقفناك على ما انطوت عليه بواطننا من التمسك بديننا وطاعتنا لاميرنا فلم تفهم ولو فهمت لعدلت عن الحاحك وتنايع طلبك وعلى كل حال فهذا آخر جواب ياتيكم من طرفنا فليكن

مكتوبك المذكور آخر مكتوب ترسله الينا وكيف نترك ديننا الذي هو اشرف الاديان ونخلي عن اميرنا الذي هو عندنا اعظم امير واشرف من يطاع هذا مما لا يقول به عاقل ولا يعلق به افكاره آمل والذي حملك على الالحاح هو تصديقك لاولئك المنتصرة الذين يسارعون الى الدخول في طاعتك ولو كانوا مما يعتد بهم في الديانة ما جحدوا نعمة الله عليهم بالاسلام واطاعوك ودخلوا تحت رايتك وانت عدر دينهم وديانهم والذي اخذ بنواصيرهم وقادهم الى ذلك انما هو حب المال الذي يسرتم لم طريق الطمع فيه ولم تعلموا انهم كما ازاعهم الشيطان وتركوا دينهم ورفضوا طاعة اميرهم كذلك يتركون دينكم وطاعتكم لان من كان بهذا السبيل لا يوثق به وانت لغرورك بهم وثقت بحالم واتبعت اشارتهم واراءهم وبالجملة فخن في وطن واسع الاطراف ممتد القاصية لانزال نتقل فيه غرباً وشرقاً وجنوباً وشمالاً وانتم تتبعون آثارنا فلا تدركون شاوننا وغاية ما هنالك ان عسا كركم لنفي جوعاً ومرضاً وذخائركم تنفذ وكل ذلك من غير طائل فالاولى لكم ان تعمروا بلادكم التي نشاتم فيها ونشأ آباؤكم من اجيال متطاولة واما بلادنا فليس لكم في الاسنيلاء عليها نتيجة وهب انكم استوليتم عليها واقتمت فيها ثلاثمائة سنة مثل من ملكها قبلكم فانكم لا بد ان تخرجوا منها كما خرجوا وتمسوا كأمس الذاهب والذهر هكذا واهب ناهب والظاهر انه يخطر في فكرك انك اذا اسنويت على وطننا ان فرنسا تبعلاك ملكاً تدين بطاعتك هيئات انما انت عسكري تعيش عسكرياً وتموت عسكرياً ولم تستند شيئاً فانك لن تحرق الارض وان تبلغ اجبال طولاً والذين استهوك وغروك من العرب بطاعتهم لا يعبا بهم اذا حضروا ولا يسئل عنهم اذا غابوا فاقوالهم ومواعيدهم انما هي كسراب بقية يجديه الظمئان مثلك ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً وغاية امرهم ان الذي يؤملونه منكم لا يصلون اليه وانما يموتون كفاراً تحت رايتكم نسال الله العافية والحماية من ذلك ومن العجب انكم تعلمون اننا وان كنا خاضعين لاميرنا فاننا ما طلبنا الصلح معكم الا قهراً وامثالاً لامره فكيف الان غيل اليكم ونرغب في طاعتكم ثم لا يخفي ان بلادنا تمتد غرباً الى حدود المغرب الاقصى وشرقاً الى حدود افريقية وشمالاً وجنوباً من البحر الى القفر وجميعها مع اتساع اقطارها في ذاية الامن بالنسبة اليها فلا تغنوا انه يلحقنا ضرر منكم او يرهبنا وضع عسكركم في معسكر ومليانة والمدية فان الضرر والخسارة وامثالها في الحقيقة لا تعود الا على اولئك الجنود الذين لا نراهم لا اسرى في بلادنا اذ لا ياتيهم ما يقتاتون به الا بشاق واتعب يتلف فيها من اخوانهم عدد كثير ومن الذخائر اكثر

ولمخص ما نقول اننا واياكم عبيد الله تعالى والارض ارضه والبلاد بلاداه وهو الذي
 وطن فيها اباؤنا فان ابقانا فيها فله الفضل والطول وان اخرجنا منها وجعلها في ملككم
 وقبضة تصرفكم فهو تخار في فعله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . ثم ان يجو بعد رجوعه
 من غريس الى مستغانم تفقد الجنود التي كانت قبله في الجزائر والتي حضرت معه وبعده
 فوجد التلف قد اتى على اكثرها فكتب الى دولته بذلك واستمدها فامدته بالعسكر
 والذخيرة واقام اربعة اشهر ياخذ في الاستعداد ويتاهب لتجديد الحروب وكان في هذه
 الفترة يكتب القبائل والعشائر يدعوم الى الطاعة ويعدهم ويمنيهم تارة ويهددهم
 ويوعدهم اخرى ويبالغ في الطرفين ولما استكمل اهبطه عقد تجلساً حرياً في وهران جلب
 اليه قواد الجيوش الفرنسية من الجزائر وغيرها وفاوضهم في تعيين مدينة من المدن
 الداخلية يجعلها مركزاً للعساكر وغزناً للذخائر فوقع اختيارهم على مدينة معسكر فخرج
 بسائر الجيوش اليها واتخذها مركزاً وبهذه الوسطة تيسر له الحمل على القبائل وادخلهم
 تحت السلطة الفرنسية لان اهل الوطن لما رأوا ما نزل بهم من الجائحة التي لا
 دواء لها ولا سبيل لزيالها تحيروا في امرهم وسثموا من انفراد في الفيا في القفار وملكت
 ماشيتهم وفنى كراعهم وعلموا ان الامير لا قدرة عنده على حمايتهم والذب عن الوطن
 من سائر جهاته لا سيما وقد تهاقت قبائل البربر الذين ليس عندهم من الدين الاسلامي
 الا النطق باسمه على اداء طاعتهم للفرنسيس واكبوا على النقاط ما نثره لهم من الذهب
 والفضة ونالوا من احسانهم ما لم يكن لهم في حساب ولم يعلموا ان السم في ذلك الدسم فبدلوا
 نفوسهم في نصرة عدوم واءلاء كلمته واعانوه على المسلمين المستسكين بدينهم وطاعة اميرهم
 وكثروا عدده ودلوه على عورات المسلمين وارشدوه الى الطرق التي يتوصل بها
 للاستيلاء على الوطن وصاروا يكتبون الناس في الجهات ويرغبونهم في اللحاق بهم
 والدخول في زميرتهم سبحانه لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه

﴿ ذكر مسير المارشال بيجو الى تلمسان ﴾

وفي الخامس عشر من ذي الحجة سنة سبع وخمسين والتاسع والعشرين من يناير
 سنة اثنتين واربعين خرج بيجو من معسكر بجيش كثيف الى تلمسان فطار الخبر الى
 الامير فامر باخلائها ونقل سائر المهمات الحربية منها فارتحل الناس ونقلت المهمات منها
 الا ما عسر حمله كالآلات ومعمل المدافع وشبهها ودخلها العدو اخبرني من يوثق به ان
 بعض اهالي تلمسان الذين بارحوها رجعوا اليها من الطريق ودخلوها ايلاً وقدموا

طاعتهم الى الجنرال واخبروه ان جيوش الامير قد سئمت الحرب ولانت قوتها
 وكان في عزمه ان يتركها ولما سمع ذلك عقد النية على الاقامة فيها والاستيلاء
 الدائم عليها وشرع في تحصينها خشية ان يسترجعها الامير منه واقام بها حكومة
 وسلم ادارتها للجنرال بادو من مشاهير قوادهم ثم ارتحل الامير من ضواحي تلمسان
 الى ندرومه وفيها اجتمعت عليه قبائل تراره وولماسة ومن اليهم من قبائل الساحل
 في تلك الاطراف فاغزى خليفته السيد مصطفى بن التهامي على الدوائر والزمالة في
 ساحة وهران فاشحن فيهم وغنم غنائم كثيرة ثم سار الى مضيق الجيرة من بلاد الغرابة
 ومنها انتقل الى سيك واما الامير فانه استمر في نواحي تلمسان ينتظر الفرص الموافقة
 لحرب الجنرال ولما اتصل خبر الخليفة بنائب ييجو في معسكر ارسل سرية من جنده
 لتباغت الخليفة في موضعه من سيك فواصلت سيرها الى ان رأت مضارب العسكر ليلاً
 فتوقف فائدها عن الهجوم وبعد ان اخذ عسكره الراحة عدل عن الخيام ومر في طريق
 اخرى في حالة هدوء وسكون حتى لا يحس به العسكر الاسلامي وكان الحرس فطنوا
 بهم ولكن ظنوا انهم من اخوانهم المسلمين جاؤوا فجدوا لهم فلم يتعرضوا لهم بشيء ثم اقتفوا
 اثرهم ولما طلع الفجر وعرفوا انهم من العدو حملوا عليهم وطبروا الخبر الى الخليفة فركب
 في سائر الجيش ولحقوا بالعدو وعظم الامر واشتعلت نار الحرب واتصل ذلك من طلوع
 الفجر الى وقت الظهيرة فانهمز العدو واستولى المسلمون على سائر مدائعه وذخائره واثقاله
 ثم رجع الكرة عليهم فازاحهم عن موقفهم واسترد ما اخذوه منه وصند العسكر النظامي
 الاسلامي وحافظوا على موقفهم ثم حملوا على العدو حملة راسية تلتطوا به هرباً
 بالسيوف وطعنوا بالحرايب واستمر ذلك الى الغروب ومن الغد اصبح العسكر الفرنسي
 سائراً الى وهران والمسلمون اخذ بهم التعب والاعياء ماخذها ولم يلبثوا ثم انتقل الخليفة
 بمعسكره النظامي ومن بقي معه من الجيوش المتطوعة الى الجبل المطل على سيك ولما استولى
 ييجو على تلمسان رجع الى الجهة الشرقية على طريق الخط النازل بين بلاد الصحراء
 وبلاد التل فوصل الى قلعة سيدو وبعدها عن تلمسان نحو المرحلة وجرت بينه وبين
 قبائل تلك النواحي حروب كان الظفر فيها له ثم لاذوا بطاعته ومنها توجه الى قلعة
 سعيدة على مرحلتين من معسكر وقد كان خربها قبل تقدم الجعافرة والحسانة واولاد
 ابراهيم واولاد خالد ومن اليهم مقاليد الطاعة اليه فافاض فيهم العطاء جلباً لغيرهم
 ومنها سار الى القيطنة فاحرقها وهي بلدة عائلتنا اخطأها جدنا السيد مصطفى بن
 المختار سنة ست ومائتين والف لجهة الشمال من معسكر تبعد عنها بمرحلة قال

القبطان دي مونرون في تاريخه . وكانت تلك البلدة مبنية بوسط وادي يانع بالازهار
تندعش منه الابصار وكان لا يظن انه يوجد في اقصى افريقية ابنية تحكمة البناء
كابنيتها وفي هذه الايام خرج جيش من مدينة الجزائر قاصداً قبيلة بني مناد في
نواحي شرشال فوقع بهم ولما رات قبائل تلك الجهة ما حل بجيرانهم لاذوا بالطاعة
قال مؤرخهم روا ولما توجه المارشال ييجو الى نواحي شلف غرب خيامه على
اطراف الجبال ملجأ القبائل التي كانت لم تزل تعكر كاس راحته وتناوشه
الحرب وباداء طاعتهم له حمل الامن في سهول متيجه الى مدينة الجزائر نوعاً ما
وصارت المواصله بين المدينة ومليانة وشرشال قليلة الخطر في بعض الاوقات انتهى
واما الامير فانه سار بجنوده الى الجهات الصحراوية وسائر القبائل التي كانت قدمت
طاعتها للعدو لاذت بطاعة الامير واعتذرت بالعجز وارتكبت اخف الضررين
فغنا عنهم وانتقموا في سلك جنوده وذهب معسكره في معبر الاطلس وهو من
المعاقل القديمة ومنه كان يغزو على العدو ومن دان بطاعته من العرب والبربر
. يتابع شن الغارات عليهم ويذيقهم النكد ويحلب اليهم الويل والوبال ويث السرايا
والبعوث الى الجهات فانمازت المنتصرة الى ضواحي المدن وخلت البلاد من اهلها
وانحصرت العارة في الصحراء للمسلمين والسواحل وما قاربها للعدو قال بالمار ان
الامير رأى ان من الواجب عليه ديانة ان يؤدب القبائل التي خرجت عن طاعته
وانفخت تحت راية عدوه وقصد بذلك قمع علائق الفساد وحنظ اشعائر الدينية
والمخامة عن الوطن فعار يتابع الغزو والغارات عليهم ولكن ذلك لم يجد الامير
نعماً لان الناس توجهت قلوبهم لطاعة عدوه طالباً للراحة من مشقات الانتقال من
موضع الى آخر وغزا بني عامر وانفسل وتلك النواحي فصدوه واخذوا عداوته والمارشال
يجو وان كانت انتصاراته متتابعة فانه لم يثق بذلك لما هو معلوم من احوال العرب
والبربر قديماً وعلاوة على ذلك فان فرسان الحشم الشراقة والغرابه المشهورين
بالشجاعة واقحام الشدائد لم يميلوا الى طاعته بل لم يفارقوا سيدهم واميرهم الذي بايعوه
على الموت وارتحلوا باهليهم واولادهم معه وخيموا حيث خيم باهله واولاده وجنوده
بمعبر الاطلس ولما ترى ان المارشال كان دائماً يخشى الوقوع في محذورات لا خلاص له منها
ولم تهدأ افكاره من اضطرابها ولا سيما انه رأى القبائل بعد ان بذلت طاعتها
اليه راجعت طاعة سيدها لما رآته وهرعت الى اعتابه تطلب العفو وتعتذر بعجزها
عن دفاع العدو الكثير الجنود فهذا الفعل وامثاله ادى المارشال الى الحكم بان

جميع ما يراه من العرب من اظهار الطاعة والقتال معه انما هو من قبيل الامور الخيالية التي لا اساس لثبوتها فعمد في معسكر مجلساً حرياً وقال لهم ان الامير كما ترون قد نزل بجيوشه في جبال وانشريس قرب التل وسائر بلاد شلف ونهر مينه الجنوبية رجعت الى قبضة يده وجميع من يحاذيها من قبائل العرب والبربر لم تخرج عن طاعته فالاولى اننا نجتمع جيوشنا ونخرج بها دفعة واحدة من الجزائر ومستغانم ووهران كل الى ما يليه الى الداخلية فاجابه اهل المجلس ان فصل الشتاء قد اقبل فلا نتمكن من مطلوبنا فقال اذا يلزمكم ان ترتبوا الفرق الآن وبعد مضي الشتاء نجري ما يقع عليه اتفاقكم فاجابوه الى ذلك وقر قرارهم على ان سائر الجنود تنقسم الى ثلاثة اقسام قسم يكون تحت نظر المارشال ييجو ويكون مركزه في نواحي شلف والثاني تحت قيادة الجنرال شانكرني ويكون مركزه البليده والثالث تحت قيادة الجنرال لامورسير ويكون مركزه معسكر وفي اواخر الشتاء خرج كل قسم الى موقعه المعين له واخذ كل من القواد الثلاث يشن الغارات المتتابعة على ما يليه من انقبائل فما نجح واحد منهم في عمله لان سائر الشعوب وانقبائل تركوا اوطانهم وارتحلوا الى الصحراء كل الى ما يليه منها فاتبعتهم الجيوش الفرنسية فلم تدرك لهم اثراً واستولى التعب والنصب عليهم والدير والنقب على دوابهم ونفذت ذخائرهم ورجعوا الى مراكزهم من غير طائل واما الامير فانه كان كلما توجهت فرقة فرنساوية على جهة يخالفها الى جهة اخرى فيصيب من المنتصرة ولا تصيب الفرقة من المسلمين شيئاً وتوغل الجنرال لامورسير في الجنوب وشن الغارات على البسائط والجبال في نواحيها فخالفه الامير الى جهة معسكر فاكنتسح ما في قرية البرج من الامتعة والاموال واستاق ماشيتها ثم اخربها نارا وسار على وجهه الى الجهة الشرقية فمر بجيوشه ليلاً على معسكر ييجو في شلف وشن الغارة على قبائل تلك النواحي فغنم واشحن في القتل والاسر والسبي وتوجه الى الجنوب فاعجب الفرنسيون من امره وسرعة سيره وبلوغه ما قعده من الخوارج في ايام قلائل متوالية وفي اثناء هذه الحوادث حدث بين دولتي فرانس والانكليز نزاع في قضية تعلق بمدينة ارثاميه احدى مدن الاوقيانوس فحسبها الامير فرصة يجب اغتنامها فارسل الى دولة الانكليز معتمداً من طرفه ليفاوضها في امره ويقتسم منها ان تشغل عنه وجهه الفرنسي حتى يتمكن من مدافعتهم عن الوطن فاحس الفرنسي بذلك وتلافوا امرهم مع الانكليز ثم ان الامير كتب الى الدولة العثمانية يستنجدها ويخبرها بما وصل

اليه حال الوطن الذي هو جزء من ممالكها فلم ترد له جواباً وكتب الى صاحب
مراكش يستدعيه للمشاركة في دفاع العدو لاتصال المغربين الاقصى والاوسط وقال
ان اصحبت بلاد المغرب الاوسط في يد دولة فرانسا فكيف تامن على بلادك وما
الذي يمنعها منها فتغافل عن الجواب وانتهت ايام سنة ثمان وخمسين ومائتين واثنين
واربعين وثمانائة على ما ذكرناه من الوقائع المتتابعة ثم ان الامير لما رأى ان العدو
قد استولى على المدن وانقلاع ظهر له ان يتخذ عاصمة كبيرة رحالة مؤلفة من خيام
كثيرة ومضارب اثيرة فباشر في ترتيبها وفي اقرب مدة ظهرت للوجود على احسن
الاساليب واجمل الترتيب وسمى ما يخصه منها الزمالة وما يخص الاعيان والعامّة
بالدائرة وما يخص الجند بالمحلة واتخذ فيها جملة مضارب لمعامل السلاح واخرى
لوضع المهمات الحربية ومثلها للذخائر واعد فسطاطاً واسعاً لاجتماع المجلس العام وآخر
اتخذه مجداً ورتب مضارب للباعة واهل السوق تضرب بعيدة عن الزمالة
والدائرة وما يتعلق بهما. فكانت تجي اليها الذخائر وسائر ما يلزم الانسان وتقصّد
بالتجارة في صنوف البضائع وما تدعو الضرورة اليه من الحرف والصنائع وبالجملة فقد
كنت الزمالة والدائرة ومتعلقاتهما على اتم ما يكون من الانتظام والالئام المدني وكان
لما منظر جميل ترى منازلها من بعيد كأنها مدينة حافلة ذات قصور مشيدة وابنية
جليلة وكانت تعد مركزاً حربياً ومقرّاً مدنياً تشتمل على مائتي الف نفس وكان الامير
يقيم في هذه المدينة الرحالة غوازيه وبعوثه وفيها يستعد للحرب وكانت الجيوش
الفرنساوية لتقيها وتحذر منها ولم تزل تزداد كمية واتسقا وارتباطاً حتى صارت ملجأ
عظيماً وحصناً أميناً وقد عين لحراستها وحمايتها حوزتها اربعة قبائل من العرب وفرقة
كثيرة العدد من العسكر انطاقي فمن ادّاع على هذه المدينة الرحالة وترتيبها عرف ما
كان عليه الامير من الآراء المحيية والتدابير العجيبة التي انفرد بها في وقته ولم يسمع
فيما مضى بمثل تلك عاصمة ملأت النجود والاغوار تزداد بين الحول والاحتال والاقامة
والانتقال وحيث ان الفاعل المختار في فعله قضى بان مصير كل شيء الى الزوال وانه لا
وسيلة لبقائه ولا احتيال فلا عتاب ولا ملامة ولا تحسر ولا ندامة ان الارض لله
يورثها من يشاء من عباده

﴿ ذكر ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه ﴾

« بعض الاعيان من خواصه »

الحمد لله حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن تبعه وجرى على منواله اللهم اني اعوذ بك من معضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن ونصرع اليك يا مقلب القلوب ان تبت قلوبنا على ديننا المحبوب اما بعد يا اخي فاني رأيتك متعطشًا الى سماع ما لائذا من الكلام في هوءلاء الذين ركنوا للعدو فاحببت ان اذكر لك ما روي عنهم في ذلك ولولا اني رأيت شدة تعطشك وأوامك ما ذكرت لك شيئًا مما هنالك اذ ربما تفتى في نصيحة اولئك الجهلة باقي ايامك من غير طائل ويكون تعبك في علاجهم كتعب من رام اصلاح الفاسد او حياة الهالك وهل يصلح العطار ما افسد الدهر

واعلم ان الراكن الى الكفار الداخل تحت ذمة اهل البوار احد رجلين اما رجل كذب الله في ضمانه لرزقه نعوذ بالله من كفره وحمقه وقال ان هاجرت مت جوعًا وازداد بذلك هلوًا واعتقد ان وطنه هو رازقه لا ان الذي يرزقه هو موجهه وخالقه ولما خطر هذا في قلوب جماعة من المؤمنين في زمانه صلى الله عليه وسلم بعد ان نزل قوله تعالى آمراً بالهجرة يا عبادي ان ارضي واسعة فاي اي فاعبدون انزل الله قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم قال المفسرون في هذه الآية تحريض على الهجرة لان بعض المؤمنين فكر في الجوع والفقر اللذين يلحقانه في الهجرة وقال غربة في دار لا مال فيه ولا عقار ولا من يطعم الجار فضرب الله لهم المثل بجمال الدواب التي لا تسعى في تحصيل قوت ولا تدخره واما رجل متكالب على الدنيا اسمه واعماه حبها يريد الظفر بها سواء كان ذلك بالاسلام او بالكفر وكلا هذين الرجلين لا يرجى صلاحهما ولا يوهمل نجاحهما ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئًا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لم في الدنيا خزي^١ ولم في الآخرة عذاب عظيم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء ان الله لا يهدي من يضل وهذه الفتن جرت بها سنة الله التي قد خلت في عبادته وحكمته الجارية في ارضه وبلاده ليتبين الصادق من المدعي ومن تحلى بحلية ليست له فضحه شواهد الانشجان الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يعني

ان الله تعالى يخبر عباده ويمتحنهم حتى يتبين للناس الذي لم يتخذ ولياً ولا نصيراً
من دون الله ورسوله والمؤمنين من الذي يتخذ نعوذ بالله من المهالك ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولعل هذا هو الزمان
الذي اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله تاتي في آخر الزمان فتن يصبح الرجل
مؤمناً ويمسي كافراً الا من اجاره الله بالعلم وفي رواية بعلمه ولقد ظهر في اهل هذا
الزمان مصداق قوله صلى الله عليه وسلم لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع
حتى لو دخلوا جعر ضب لدخلموه قالوا اليهود والنصارى يا رسول الله قال فمن رواه
البخاري في صحيحه لان اهل هذا الوقت كانوا يطلبون الجهاد ويتمنون مجيء
النصارى فلما ظهر الجهاد نكصوا على اعقابهم فهم في هذا كبني اسرائيل اذ قالوا
لنبي لهم ابث لنا ملكاً نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
الا نقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما
كتب عليهم القتال تولوا الا قليلاً منهم والله عليم بالظالمين فلما كتب عليهم القتال
اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتب علينا
القتال لولا اذرتنا الى اجل قريب ثم بعد هذا ارادوا من سلطانهم ان يجاهد
وحده ويتكفل بردع العدو ويعرفه حده فهم في هذا كبني اسرائيل ايضاً اذ قالوا
لموسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ثم بعد هذا صاروا
ردم للكفار ومعينين لهم بالانفس والاموال على من بقي مستسكاً بعروة الاسلام
واعظم هؤلاء ذنباً واشدهم هلاكاً وابعدهم نجاة واكثرهم في الامر سقوطاً رجلاً
احدهما رجل عرف الحق وعاند وهو اول من تسعر به النار اذ هو عالم لم ينزعه
الله بعلمه وجحد الحق مع معرفته به انه حق وهذا اصل من اصول الكفر الستة ومنه
كفر الموجودين في زمانه صلى الله عليه وسلم المشاهدين لمعجزاته قال تعالى فيهم انهم لا
يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون وهذا اعظم الضلال والمداغ الغضال
اضله الله على علم وختم على سمعه وقابه وجعل على بصره غشاوة فبعد الختم لا ترجى
زيادة ولا نقصان في الشيء المخنوم عليه والآخر رجل قرأ بعض ابواب الفقه فعلم
بعض احكام الصلاة والنكاح والبيع فظن انه وصل الى غاية استحق ان يسمى
بها عالماً فصار يقول في دين الله ما ليس له به علم ويفتري على الله الكذب
ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويستدل
بآيات واحاديث وكلام الائمة وهم مع هذا لا يحسن النطق والتلفظ ببيانها فكيف

له الفوص على معانيها فالهمار احسن حالا من هذا اذ جهل الهمار بسيط وجهل هذا مركب

قال حمار الحكيم توما لو انصف الدهر كنت اركب
لان جزلي جهل بسيط وصاحبي جهله مركب
والجهل المركب اصل من اصول الكفر السنة لجميع هذا الصنف مع قبح
ما هم عليه من الدخول تحت ذمة الكفر اتحلوا ما حرم الله من ذلك والمستحل لما
حرم الله كافر وخرقوا الاجماع فان الاجماع منعقد على وجوب الهجرة ومخالف الاجماع
كافر وجعلوا ماورد في القرآن والسنة من ذكر الهجرة ومدحها والامر بها عبثاً ومنسوخاً
وذلك باب ليلهم واقوالهم الكاذبة كيف والقرآن مملوء بذكر الهجرة ومدحها وذم
تاركها وقد قال عليه الصلاة والسلام لا تنقطع الهجرة حتى يغلق باب التوبة ولا
يغلق باب التوبة حتى تطاع الشمس من مغربها وقال عليه الصلاة والسلام انا بريء
من كل مسلم مقيم بين اظهر الكافرين رواه اصحاب الصحيح ما عدا البخاري وقال
آخر وهو ممن بلغ رتبة الاجتهاد الحافظ السيوطي في حسن المحاضرة في اخبار مصر
القاهرة لما ساق هذا الحديث ما تبرا منهم صلى الله عليه وسلم الا لكفرهم وفيه
الصحيح من جاءهم او ساكنهم فهو منهم قالوا لم يارسول الله قال الا تريا
نارها وقال مالك رضى الله عنه تجب الهجرة من ارض الظلم والعدوان فكيف يبلى
يكفر فيه بالرحمن وتعبد من دونه الاوثان وقال تعالى قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين في الارض قالوا لم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها قال ابو السعود
في الآية دليل على انه لا عذر في ترك الهجرة الا عدم اتساع الارض وقد وسعها
الله ولو كان هناك عذر يقبل في ترك الهجرة ما كان في الآية تبكيك لتاركها
اذ ربنا يعنذرون بعذر آخر فلما ذكر الله اتساع الارض دل على انه لا عذر غيره
وقال الوانشرسي في كتابه المعيار الواجب الفرار من دار غلب عليه الشرك
والخسران الى دار الامن والايمان ولذلك قولنا بالجواب عند الاعتذار لم تكن
ارض الله واسعة فلا عذر للمستطيع بوجه وان كان بشقة في اعدل او الحيلة
او اكتساب الرزق في ضيق المعيشة الا المستضعف رأساً الذي لا يجد حيلة ولا
يهتدي سبيلاً وعجز المسلم عن حمل اهل بيته وولده لا يبيح له التخلف عن الهجرة
بل يهاجر بنفسه وقد هاجر صلى الله عليه وسلم لما تعذر عليه اخراج اهله معه وماحقوا
به الا بعد حين وكذا ان خاف ان هاجر يسلب ماله فان منارقة الوطن او سلب المال

ليس بعذر في ترك الهجرة نص على ذلك صاحب المعيار وقد ذكر اهل الاحوال ان الضرورات التي تجب المحافظة عليها خمسة الدين والنفس والعقل والنسب والمال فكل واحد من هذه يجب حفظه ما لم يعارضه حفظ ما قبله فالمال هو آخر المراتب والدين اولها فهو مقدم على غيره وكذا تجب الهجرة على المرأة اذ لم يهاجر زوجها وقد هاجر كثير من المسلمات الى الحبشة قبل هجرته صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهما بعد هجرته صلى الله عليه وسلم وفيهن انزل الله تعالى قوله يا ايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتنوهن آلاية ولم يعذر الله تعالى في المنام تحت ذمة الكافر الا الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً كلالعى الذي لا يجد قائداً والزمن الذي لا يجد حاملاً مع نيتهم انهما مقى وجدا ذلك هاجرا فان تركا النية وماتا ماتا على غير سبيل المؤمنين نص على ذلك غير واحد والكتاب العزيز الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تحذر من مخالطة الكفار وموالاتهم ومواديهم قال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالموودة الى قوله ومن ينعله منكم فقد ضل سواء السبيل وقال انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون وقال بشر المنافقين بان لهم عذاباً اليماً الى قوله فان العزة لله جميعاً فين الله تعالى مراده في المنافقين في الآية بقوله الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين فالذي يتخذ الكافر ولياً منافق الى غير ذلك من الآيات والاحاديث القاطعة الصريحة الصحيحة التي لا تحتمل تاويلاً وقد ذكر صاحب المعيار في باب الجهاد ان هراء المقيمين تحت ذمة النصارى لا تصح لهم صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد بوجه من الوجوه فانظره فانه قد طال عهدي به وما ذكره ان الزكاة شرطها ان تدفع الامام يعني سلطان المسلمين فاذا دنعها للنصارى لينقوا بها على المسلمين كانت المصيبة اشد ومنها ان شهر رمضان في الغالب لا يثبت الا برواية عدلين ابتداء وانتهاء والعدالة انما تثبت عند الامام وقاضيه وحيث انه لا امام ولا قاضي فيكون رمضان مشكوك الاول والاخر الى غير ذلك من الوجوه ولا تجوز شهادة المقيمين تحت ذمة النصارى الا من له عذر مقبول شرعاً ولا تنفذ احكام قضائهم قال بعض العلماء هم اشد من اهل الاهواء وقد ردت شهادتهم واحكامهم قال ابن عرفة شرط قبول خطاب القاضي صحة ولاية ممن تصح توليته بوجه الشرع - ترازاً من اهل الدجن كقضاة مسلمي بالنسيه ومرسيه وقوصره من الاندلس ومرادهم بالدجن المسلمون الداخلون

تحت ذمة النصارى وامل الجزائر يسمونهم المنافقين وسئل المازري عن احكام تاتي من
 صقلية من عند قاضيها فاجاب القادح في هذا وجهان الاول من جهة انقاضي من حيث
 العدالة فلا يباح له المقام في دار الحرب في قيد اهل الكفر والثاني من جهة الولاية اذ
 القاضي مولى من قبل اهل الكفر ومن كان هذا حاله فلا يعتبر حكمه في الشرع وقد
 بلغني عن هؤلاء الرؤساء الجهال الذين افتوا بغير علم فضلوا واضلوا المعنيين بقوله صلى
 الله عليه وسلم وعلى آله ياتي على الناس زمان عالمهم اثنان من جيفة حمار انهم يتدلون
 بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره ولا
 حجة لهم فيه لان النبي صلى الله عليه وسلم قاله لسائل ساله عن الهجرة من مكة الى المدينة
 بعد الفتح فاجابه بان الهجرة التي كنت واجبة من مكة الى المدينة قد انقطعت بالفتح
 ونسخت كما نسخت حرمة رجوع المهاجر الى وطنه اذا عاد دار اسلام واما وجوب
 الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام فهو باق الى طلوع الشمس من مغربها قال ابن
 العربي الهجرة اقسام منها الهجرة من الخلف الى الدين والنفس كهجرة النبي صلى الله عليه
 وسلم وهجرة اصحابه المكين فانها كانت عليهم فريضة ولا يجوز ايمان بدونها ومنها الهجرة
 الى النبي صلى الله عليه وسلم في داره التي استقر فيها فقد بايع صلى الله عليه وسلم من قنده
 على الهجرة كما بايع اشرين على الاسلام وهاتان التجرتان انقطعتا بفتح مكة واما الهجرة
 من ارض الكفر فهي باقية الى يوم اقامة وكذا الهجرة من ارض الباطل والحرام والهجرة
 من ارض افتنة وروى اشتهب عن مالك لا يقيم احد في موضع يعدل فيه بغير الحق
 وقال البرزالي في بعض اجوابه الاجماع على وجوب الهجرة ان وجد المسلم اليها سبيلا
 وكذا يستدلون بقوله تعالى الا ان تنقوا منهم تقاة وهذه الآية منسوخة روى البخاري في
 صحيحه من كتاب التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لا ثقيّة اليوم لا تساع
 البلاد الاسلامية وكذا يستدلون بقوله تعالى الا من اكره وقلبه مضطرب بالايان والآية
 انما وردت فيمن يظن به الكافر من غير اختيار كلاسير فاذا حملوه على معصية او نطق
 بكفر يسه غله ذلك لخوف القتل والصبر اجمال ما كونه متمكناً من الثرار ويبقى تحت حكمهم
 فلم يقل به مسلم وكذا يستدلون بما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى قال اجمعاني
 على خرائن الارض اني حفيظ عليم فانه قال في الآية دليل على جواز التولية على يد
 الكافر ولا حجة لهم في هذا فان البيضاوي قال بعد هذا اذا علم انه لا سبيل الى اقامة
 الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وهذا الشرط معدوم اليوم وقد قال غير واحد ان
 الملاك كان اسلم قبل ذلك على انه انما يكون ما ذكره البيضاوي على تقدير صحته فيمن كان

تحت أسرهم فانه يجوز له ان يطلب منهم ذلك في التولية اذ بعض الشر أهون من بعض
ويوسف عليه السلام جده الخليل عليه السلام وهو اول من سن العجرة قال الله تعالى
حاكياً عنه وقال اني مهاجر الى ربي ومعه سارا فدخل قرية فيها جبار من الجبابرة
الحديث بطوله وكذلك يستدلون بما نقل عن النووي والرافعي ان المسلم اذا كانت له
عشيرة تحميه او له جاه لا تحب عليه العجرة ولكن تستحب في حقه نقل ذلك ابن النحاس
في مشارع الاشواق الى مصارع العشاق وهذا ايضا لا دليل فيه لان كلام النووي
والرافعي فيمن كان كافراً في دار الحرب ثم اسلم وكان لا يخاف الفتنة في دينه لحماية
عشيرته وتوفر عصابته او جأه بحيث لو اراد الكفار ذلك لا يقدرّون فيأمن لذلك من
الفتنة وقد وقع من هذا النمط كثير في الصدر الاول كما ذكر ذلك اهل السير
والاخباريون اما من كان مسلماً في دار الاسلام ودخل عليه الكفار بالقهر والغلبة
فلا يتصور ان تكون له عشيرة تحميه او جأه يامن بهما من الفتنة في دينه مهما ارادها
الكفار منه وهل يوجد واحد من هذه الشعوب وانقبائل الداخلة تحت ذمة الكفار من
له عشيرة تحميه من الكفار اذا ارادوا اجراء حكم من الاحكام عليه او يامن الفتنة
بواحد من هذين الوجهين اللذين ذكرهما الرافعي والنووي اللهم الا ان يكون احمق ضعيف
العقل والايمان فيأمنهم ويثق بعهودهم ومواثيقهم وان الشارع الحكيم لا يقبل شهادتهم
وافوالهم بالاضافة اليها وكان هذا الاحق لم يصل اليه خبر الاندلس خصوصاً اهل قرطبة
فانهم تعاقدوا مع الكافر لما غلبهم على نيف وستين شرطاً اشترطوها عليه فلم يحل الحول
عليها حتى تقضوها عروة عروة وآخر الامر صار الكافر ياتي الى المسلم يقول له ان جدك
او جدّ ابيك واباك او جدك كان كافراً فارجع الى الكفر الذي كان عليه جدك واترك
دين الاسلام الى غير ذلك فالتساري لا يوفون بعهد الا اذا كانت كلمة الاسلام هي
العليا وشوكنه قائمة كيف والله تعالى يقول لا يرالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان
اتطاعوا وقال كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الاّ ولا ذمة والال القرباة واولئك
هم المعتدون اي المتجاوزون اي لا يقفون عند شرط ولا عهد ومن شنيع حقي هو لاء
وضعف عقولهم ومرض ايمانهم انهم يسمون طاعتهم للكافر مهادنة وهل يسوغ لمن له
ادنى عقل وتميز ان يتلفظ بهذا كيف واحكام الكافر وشرائعه وتصرفاته جارية على
شر يفهم ووضيعهم ويؤدّون اليه المغارم ويحملون اثقاله اذا اراد الغزو على المسلمين
ويقاتلونهم معه في جملة عساكره وجيوشه هذا والله الهذيان الذي لا يعقل على ان
المهادنة خاصة بالامام او نائبه فلا يعقدها سواهما قال خليل والامام المهادنة يعني لا لغيره

فقدم الخبر مع جره باللام وكلاهما يفيد الحصر والاختصاص واعلم ان هذه المصيبة التي هي ظهور الكفار على المسلمين حتي دخلوا تحت ذمتهم لم تكن في القرن الاول ولا في الثاني ولا في الثالث ولا في الرابع وانما حدثت في الخامس وبعده ولذا لم يوجد فيها قول ولا نص لواحد من الائمة رضى الله عنهم ولما حدثت ووقع السوء ال عنها قاسها ساداتنا اهل النظر والاجتهاد المذهبي على مسئلة من اسلم ولم يهاجر قال ابن رشد وهو قياس صحيح وقد اختلف الائمة فيمن اسلم ولم يهاجر واقام تحت ذمة الكفار من غير ان تحصل منه اعانة لهم لا بالنفس ولا بالمال اما ان اعانهم بئالة طوعا او كرها بان اخذوه منه مفرما او بايعهم او شاراهم ولو في اقل شيء فقال القاضي ابن الحاج التيجيني الاندلسي من القواعد ان الاعانة بالمال تبيح المال والاعانة بالنفس تبيح النفس وقال الامام المغيلي في كتاب له سماه مصابيح الفلاح ان هؤلاء المؤمنين يعني الذين طلبوا الامان من الكفار وامنهم واقاموا تحت ذمتهم ودانوا بطاعتهم توه خذ اموالهم ويقتلون ولو كانوا يقرؤون القرآن وقال ابن القاسم واصبح في مال المسلم المقيم في دار الحرب انه مباح وانه لايد اصاحبه وانما اليد للكافر وقد حرره في هذه المسئلة الامام ابن عباد شارح الحكم في جواب له ونصه حال المنتصرة على حسب فرقهم فان منهم من ياجأ لحصون العدو ليدافع بها عن نفسه ومنهم من يكون معيناً له بنفسه وماله بمعنى انهم يقاتلون مع العدو ويدافعون عنه ويغيرون على المسلمين فهؤلاء اشد ضرراً على المسلمين وحكمهم حكم اهل دار الحرب في قتلهم وسلب مالهم واما اولادهم فلا يقتلون ولا يكونون فياً وانما ابيح قتل البالغين لكونهم ردة للعدو الحربي معينين لهم بانفسهم وحكم الردء اذا لم يقاتل مع العدو حكم المقاتل فاحرى اذا قاتل قال بعض المحققين من علماء تونس في جواب عن اهل حصن كانوا ردة للكافرين المحاربين ما نصه وقول هرقل لو كنت ارجو ان اخلاص اليه لتجشمت لقيه يعني دون خلع من ملكه وهذا التجشم هو الهجرة وكانت فرضاً على كل مسلم قبل فتح مكة فان قيل ان النجاشي لم يهاجر قبل فتح مكة وهو موء من فكيف سقط عنه فرض الهجرة قلنا انه هو في مملكة اغنى عن الله ورسوله وعن جماعة المسلمين منه لو هاجر بنفسه فرداً لان اول غذائه انه حبس الحبشة كلهم عن مقاتلة النبي صلى الله عليه وسلم مع طوائف الكفار هذا مع انه كان ملجأ لمن اودى من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردة الجماعة المسلمين وحكم الردء في جميع الاحوال حكم من كان رداً له وكذلك ردء اللصوص والمخاربين عندمالك والكوفيين يقتل بقناهم ويجب عليه ما يجب عليهم وان كانوا لم يحضروا العمل ومثله في المساواة قتل عثمان وطليحة وسعد بن زيد رضى الله عنهم

عن بدر وضرب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بسهامهم من غنيمة بدر قالوا واجرنا
 يا رسول الله قال واجركم انتهى فانظر قوله وحكم الرد الى آخر كلامه ففيه الكفاية
 في تبين ما يجب العدل به ومنه تعلم ان من يدخل تحت جوارهم وامانهم من
 غير اعانة لهم بنفسه ولا بآله وانه لم يكن لهم عينا ولا ردة دونهم لا يباح قتله
 وانما هو عاص لا يباح ما عصمه الاسلام من دمه وماله وانما يباح سلب مال
 من يكون معينا للعدو به على قتال المسلمين ومقاومتهم ومناهضتهم وقد افتى العلماء
 باباحة اخذ مال قوم كانوا بقرب حصن العدو وهم قادرون على منازلته بذلك المال
 ولم يفعلوا فحوزوا للقيام بالحق المتعين ان ياخذ الامام القدر الزائد على كفايتهم
 ويصرفه في منازلة ذلك الحصن لا سيما اذا علم انهم ينزعونه ويعينونه به مثل هؤلاء
 الذين نتكلم في امرهم وانما لم يباح قتل اولادهم ولا سبي نسائهم فاعدم تعلق الاثم
 بهم لصغر الاولاد وضعف النساء واصالة اسلامهم بخلاف الحربى اذا اسلم واقام
 بدار الحرب حتى اخذ فولده وماله فيء مطابقا ولا يقاس المسلم بالاصالة عليه خلافا
 لابن الحاج هذا هو التحقيق في هذه المسئلة ومنهم من لجأ المسلمين وصار يقاتل
 العدو معهم وهو مع ذلك يعين العدو نفية ويعلمه باحوال المسلمين ويطاعه على
 عوراتهم وكذلك ان ادلهم على كتب يستبينونها فان حكم هؤلاء حكم الزنادقة
 ان اطاع عليهم قتلوا ولا فامرهم الى الله انتهى كلام ابن عباد وقال انقاضي ابن
 الحاج الارجح سبي ذراري هؤلاء ليعيشوا في دار الاسلام آمنين من الفتنة في
 الدين يعني لا ليملكوا واما الذين يستجيشون بالكفار ويطالبون منهم الغزو على
 المسلمين فهم يرتدون قال البرزلي في نوازه احفظ ان امير المسلمين يوسف بن
 تاشفين استفتي علماء العدو في العتد بن عباد فاتنقت فتياهم على ان مجرد
 الاستجاشة على المسلمين بالكفار ردة مقصودهم بذلك ولو لم يحصل المطلوب والعتد
 ابن عباد هذا كان من ملوك الاندلس واستجاش بالطاغية على يوسف المذكور
 ونصر الله المسلمين فظفر به يوسف وقال بعض شراح رسالة ابن ابي زيد القيرواني الفرار
 من دار الاسلام الى دار الحرب ردة وقال الخطاب في باب الرد ادخال السرور
 على الكفار ردة ولا يخفى على كل مميز ما يدخل على الكافر من السرور عند دخول
 من يدخل تحت ذمته قال الاجهري في حاشيته على المختصر جعل البرنيطة على
 الرأس ردة وهؤلاء المنعقدون بالتمارى الداخلون تحت ذمتهم يحبون نصر الكفار
 على المسلمين الذين يغيرون عليهم ويفرحون بذلك كلهم رجالا ونساء وهذه ردة

نسأل الله السلامة والمرأة اذا ارتدت قال كثير من الفقهاء تقتل كالرجل وقال
اسهب تسترق ولا تقتل نقله التلمساني في حاشيته على الشفا لعياض قال انقاضي
ابو بكر ابن العربي ومنشأ الخلاف في ذلك ان قتل الكافر هل هو لكفره او لحراسته
فاما من قال لكفره قال تقتل المرأة واما من قال لحراسته قال لا تقتل لانها لا تحارب
واذا تاب احد ممن ارتد والعياذ بالله فالمشهور ان ماله يرد عليه ونقل ابن عرفة
في مختصره عن ابن شعبان انه لا يرد عليه بل يبقى فيئا كما كان في حال ارتداده
كما افق به بعض العلماء في سبي نسائهم وذرائعهم خلاف فالذي ذهب اليه كثير
من الفقهاء انه لاسبي في نسائهم وذرائعهم والذي ذهب اليه خليل حيث قال وان
ارتد جماعة وحاربوا فكالزنديق يعني يقتل ولا تسبي امراته ولا ولده وقال ابن وهب
من المالكية وجمهور الشافعية المرتد يسبي كالكافر الاصلي وهو حكم ابي بكر الصديق
رضي الله عنه في اهل الردة فانه حكم بسبيهم واعطى عليا بن ابي طالب رضي
الله عنه ام محمد ابن الحنفية وكانت سبيت يوم حرب اهلها بني حنيفة وقتل مسيلة
الكذاب ووطئها على رضي الله عنه بملك اليمين قال ابن حجر في شرح الاربعين
قول ابن بطلال الاجماع على ان المرتد لا يسبي منقوض بما ذهب اليه ابن وهب
من المالكية وبما ذهب اليه جمهور الشافعية وخالف عمر بن الخطاب ابا بكر رضي
الله عنهما فانه اطلق سراح المرتدين بعد موت ابي بكر رضي الله عنه وقد كانوا
في امره وقال بعض العلماء كما نقله الشيخ سالم لاخلاف بين ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما في سبي المرتدين اذ الامام غدير بين الاسترقاق والمنز فابو بكر رضي
الله عنه اخنار استرقاقهم وعمر رضي الله عنه من عليهم ولا تناقض في ذلك واذا
قتل الغزاة نساء هؤلاء المنتصرة الذين تحت ذمة النصارى وصبيانهم فلا حرج على
قاتلهم ولا اثم وقد عقد البخاري لذلك بابا في صحيحه قال باب اهل دار الحرب
يسبون وفيهم النساء والصبيان ثم ساق الحديث على انه صلى الله عليه وسلم سئل
عن ذلك فقال هم منهم وذكر في آخر الباب لا حرج الا لله ولرسوله انتهى المقصود
بمحمد الله وحسن عونه من جواب سؤال المحبين قطعاً لشبه المرتدين ونحن في
الغفر مرابطون ولا كتب عندنا ولا مواد وذلك في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين
ومائتين والاف من هجرة حائز الفخر والشرف صلى الله عليه وسلم وعندما تغلب العدو
على الجهة الغربية من الوطن هاجر اخوان الامير الى المغرب الاقصى وبقي الامير
بأهله وجيوشه في الجهة الشرقية لمداغة العدو ولما طالت المدة كتب الامير الى

اخوانه يتشوق اليهم وذكرهم باسمائهم فقال

يا سواد العين يا روح الجسد	يا ربيع القلب يا نعم السند
كنت لي قرة عين وبها	راح قلبي لا ببال وولد
فرمى الدهر بعيني اسهاماً	مذ نأيتم لا ارى فيها احد
ايروق الطرف شيء بعدكم	لا ورب البيت في هزل وجد
مذ ترحلتم اذبتهم مهجتي	ودموعي فائضات من كمذ
قد فنى صبري ولم يفن الجوى	ما اراه فانياً حتى الابد
وانزوى ما كان رطباً يانعاً	وهى العظم ولم يبق الجلد
مذ تواريتم توارى فرحي	ما يسر القلب في اخذ ورد
فخيأتي بعدكم مذ غبتم	من مجاز مرسل عندي يعد
طالب ايلي يا احبائي ولا	يعلم الحال سوى الفرد الصمد
كم انادي حين يبدو صبحه	يا سعيد هل خيال لي يرد
فترد الروح للجسم وبيا	مصطفى هل من دواء للكمد
شاقني حب حسين شاقني	ما لحكم الله في الخلق مرد
هل يجود الدهر من بعد النوى	باقتراب يحبي ميتاً لم يعد
فاذا لي تم ما املته	عاد انساني وروحي للجسد
يا ذوي القربي قريباً من اب	انتم ذخري وكنزي والسند
لي كونوا مثل ما كان الاولى	سلفوا لي اهل سعي لا يرد
فاذا ما اقبلت فلتبذلوا	واذا ما ادبرت فارضوا بود
وعليكم من سلام صيب	طيب يتري الى غير امد
يشمل الاحباب اني قد ثووا	كل حب لي هو الصنو الاود

❖ ذكر دخول الامير الى ارض منبجة الغربية ❖

« وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك »

وفي المحرم سنة ثمان وخمسين ومائتين الموافق سنة اثنين واربعين وثمانمائة توجه الامير وخليفته السيد محمد بن علال والسيد محمد البركاني في ثلاثة آلاف من العسكر المنظم وعدد كثير من المتطوعة واحتل بوادي شلف ثم تجاوز جبال مليانه الى ارض منبجة وبث البعوث في جهاتها وشن الغارات على نواحيها وحصلت بين المسلمين والمنتصرة

وقائع عظيمة ثم لاذوا بالطاعة فقبلها الامير منهم وعفا عنهم ورد اليهم ما غنمه المسلمون منهم واستولى الخوف والرعب على العدو وطار الخبر الى الجنرال شانكر في الجزائر فخرج في جيوشه الى سهل متيجة الشرقي ومن هناك توجه الى ثنية الحد وواد الزبتون وقوى حاميتها بالجند والذخيرة وكان الامير لاول دخوله اراضي متيجة الغربية اخبر سائر الابنية الفرنسية نارا وقتل من الفرنسيين عددا كثيرا وسبي نساءهم وذراريهم فامنع بعض لذلك الفرنسيون وسرى الخوف في قلوب المنتصرة فدخلهم على التوبة والندم وظهر الكثير منهم خضوعهم الى الامير ونصحو له واجتهدوا في اصلاح ما كانوا افسدوه طالبا لرضاه وعفوه عنهم قبل رؤوا في تاريخه ان الامير عبد القادر كان لا يمل من التعب ولا يكل من الحرب ومشقاتها وكان يشاهد انتصارات فرانسوا ولا يشاهد نفسه مغلوبا لها وبُعْظِمْ حُكْمَتِهِ وكل فطنته استمال قلوب الكثير من القبائل رغبة ورهبة فانضموا اليه وصاروا في جيوشه وقال شرشل لما رأى الفرنسيون ما اجراه الامير في نواحي شرشال من ارض منيعة مما كان سببا في رجوع القبائل الى طاعته وشاهدوا انقياد الناس اليه وبذل نفوسهم دونه في اقرب مدة بادروا بارسال بذر الذهب والفضة رشوة لأكابر القبائل كي يستميلوا بذلك قلوبهم ويردوهم الى ما كانوا عليه من الانقياد اليهم وتارة يتهددونهم فلم يجدهم ذلك نفعا ولم يذغ لهم احد بل عكفوا على طاعة اميرهم وحافظوا على اموالهم ووطناتهم ولم تنزل غزوات الامير متابعة وفرسانه الى قهر الاعداء متسابقة الى اول ايار ثم رجع بقوته الى الجهة الغربية

﴿ ذكر ما اجراه الجنرال ويجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر ﴾

ولما اتصل بالحاكم ويجو ما اجراه الامير في بلاد متيجة وتحقق وقائعه فيها مع المنتصرة وما امن فيه من قتل الفرنسيين وسبي نسايتهم وذراريهم وحرقت نعلاتهم في تلك الجهات خرج من الجزائر بجميع الجيوش التي كانت فيها الى وادي شلف وقسم العساكر ثلاثة اقسام قسم عقد عليه لابن الملك الدوك دومال والثاني عقد عليه للجنرال لامورسير والثالث ابقاء تحت نظره وامر ابن الملك ولا مورسير بالسير الى الامير اينما كان ثم توجه بن معه من العسكر الى بلاد متيجة الغربية واجرى مع القبائل ما حملهم على رجوعهم الى طاعته ولما رأى ان العساكر الموجودة في مليانة والمدينة من المدن البرية وفي شرشال ومستغانم من المدن البحرية غير كافية لحماية قبائل الجنوب من بطش الامير انشأ مدينة بن نهر مينة ونهر شلف منها الدوك دورليان وكانت قديمة الاصل تسمى

الاصنام ثم شنعها بالعساكر والذخائر ووضع حامية في مدينة تاهرت في حدود التل وحامية في مرفاتنس بين شرشال ومستغانم واما الجنرال لامورسير فانه سار بمساكره الى مدينة تاكدت وجرى بينه وبين الامير وقائع وحروب تشيب لها الاطفال وكان الامير قبل ذلك في دائرته فاخبره بعض الجواسيس ان لامورسير قد سار قاصداً الدائرة فركب الامير لحينه ولقيه في تاكدت ولامورسير لم يزل في نواحي معسكر حين بلغ الامير سيره الى الدائرة فاقام في نواحي السرشو في نخرالف وخمسائة فارس ليس معهم زاد فكانوا يقتاتون بالبلوط ويعاقون خيلهم من اوراق الشجر والاغرب ان تلك المدة من ايام رمضان والناس على صيام واغرب منه ان بعض رؤساء العسكر جاءه مستبشراً وقدم اليه خاروفاً وجده بعض انفار العسكر ضالاً عن اهله فقال له خذه للعسكر يقتاتون به وآثرهم على نفسه مع انهم في الاضطراب سواء فقد تاسي بنبي الله داود عليه السلام حين ورد على بيت لحم وكان ظمآنًا فقدموا اليه ماءً فقال ليس هذا دم الذين خاطروا بانفسهم في سبيل الله ولم يشرب منه ومائل الاسكندر حين قل الماء على جيشه واتى بقليل منه فامتنع من شربه وقال كيف اشرب الماء واصحابي اضر بهم الظم

﴿ ذكر واقعة طاكين ﴾

منذ اتخذ الامير الزمالة ودائرتها عاصمة رحالة يأوي اليها الراح والغادي ويؤمها الصادر والوارد اخذ الفرنسيون يدبرون في نكبتها وينظرون في وجه مضرتها ولما ساء لهم الوقت توجه الجنرال لامورسير بن معه الى معسكر ومنها الى تاكدت فلقية الامير ووقعت بينهما وقائع تكافوا فيها وتوجه الدوك دومال ابن الملك بن معه الى النواحي الشرقية ونظره الى الزمالة لانهم علموا ان قوة الامير المالية قد جعلها فيها فصارت مطمح انظارهم ومنتجع افكارهم فحاضوا لذلك بمرالاهوال واستعملوا الوسائل والوسائط حتى استمالوا قلوب بعض القبائل المنتصرة بالاموال الجسيمة والهدايا المظيمة وكان من جملة من تعهد لهم بترصدها ودلائتهم على موضعها المنتصر عمر العميادي فجعل يتبع مراحل الزمالة من موضع الى موضع حتى احلته في كوجيله من نواحي الجنوب الشرقي من تاهرت فطير الخبر الى ابن الملك وكان اقرب ما يكون اليه فانتبه ابن الملك الفرصة لان الامير وقتئذ مقابل للجنرال لامورسير في نواحي السرشو فسار من بوغار في الذين من المشاة وخمسائة فارس من جنود فرنسا وخمسائة من القبائل المنتصرة ووصل

سيره ليلاً ونهاراً الى ان احتل بكوجيلة فوجد الزمالة انتقلت الى القرب منها بمرحلة ونزلت في الموضع المعروف بطاكين وفي نهار السادس عشر من ربيع الثاني سنة تسع وخمسين ومائتين والخامس عشر من ايار سنة ثلاث واربعين وثمانمائة صبحها فاكسحها واستف ما فيها ولم يكن وقتئذ من حاميتها سوى خمسمائة جندي من ضعفاء العسكر وقد اغتروا بالمكنة العظيمة التي اجراها ابن الملك باشارة عمر العيادي المرتد وهي الباس فرسانهم لباس اخيالة المسلمين فلما اطلعوا على الزمالة من بعيد ظن الناس انهم طلائع الامير فاستبشروا وخرجوا الى لقاءهم بالتلهيل والتكبير فما قربوا منهم حتي اظهرت جيوش العدو بشايتهم المعروفة فحينئذ فطن الناس لمكنة وحاولوا ان يتداركوا امرهم فقاتهم ما املوه ودافعوا ساعة زمانية ثم تكاثرت عليهم جيوش العدو وانتشرت على منازل الزمالة ودائرتها يقتلون وينهبون وينهلون النعائل الشنيعة التي ينهالها العدو بعدوه اذا هو غلبه وملك قياده ولم يجد من يدافعه عنه وتفرق الناس شذر مذر في الشعاب وشغب الجبال وبالجملة فانها كانت من اعظم الوقائع التي لا توهدي البارة تفصيلها ولا يدرك اللسان تحصيلها قال بعض المؤرخين ولذلك رسمها بعض مصوري فرانسا وقد نظرت صورتها في سراي فرساي ثم ان العدو استولى على اشياء نفيسة واموال جسيمة احنوت على صنوف وانواع من الجواهر التي بكل عن وصفها اللسان وخزائن كلية وآلات حرية ومكتبة الامير قيمتها خمسة آلاف ليرة واللمحة نجوهره وحلي نجوهر كانت ملك فرنسا اهداه اليه ولوفور الاموال وكثرتها اقسمت عساكر العدو الذهب والفضة بالبرانيط واسر من المسلمين ثلاثة آلاف نفس كان فيهم مال الخليفة السيد محمد بن علال وكاتبه السيد محمد الخروبي والسيد قدور بن الرويله هذا ما كان من امر الزمالة ودائرتها واما ما كان من امر الامير فانه ما زال مقيماً في احراش السرسو حتي اخبره من فر من اهل الزمالة بما جرى عليها فاثر فيه ذلك الخبر والحق به التأسف والكدر وفكر في تلك الانقلابات الغريبة وصرف الناس واعتزل وبانصلا والدعاء اشتغل وشاع الامر بين جيوشه فما منهم الا من تاوه وتيسر وتني ان يكون في تلك الواقعة حاضراً ليشفي عليل فواده ويظفي اواره ثم ان قواد العسكر اجتمعوا الى الامير وهم بادترن حائرون لان عيالهم واموالهم استولى عليها العدو فخرج عليهم من خيمته فازدحموا عليه وحدثت ابطارهم اليه ولم يستطع احد منهم ان يبداه بكلام او يصح بمرام ثم اتسهم وابتسم في وجوههم وقوى قلوبهم ولسان حاله ينشد وما نبالي اذا ارواحنا سلت بما فقدناه من مال ومن نسب

فلما لم يكتسب والجاه مرتجع اذا النفوس وقاها الله من عذاب
وبعد ان هدأت قلوبهم وسكن اضطرابهم قال لهم سبحانه الله كل شيء كنا ننجيه
وتعلقت افكارنا به كان يعوق حركاتنا ويقف في صدورنا عن الوصول الى مطلوبنا والآن
صرنا احراراً متجربين لا شغل لنا الا مقارعة الاعداء ومصارعتهم ثم التفت الى بعض
الاعيان وكانت شدة الحزن اخذت منه مأخذها وقال له على اي شيء تحزن ما فقدناه
من الرجال فنحن نعلم انهم شهداء وهم الآن في الفردوس الاعلى واما الاموال فسيحلها
علينا الكريم الوهاب على ان هذا الخبر لم يبلغنا الا بعد وقوعه بثلاثة ايام وقد فات تداركه
ولو كنا حاضرين لحاربنا عن نساءنا واولادنا واموالنا ودافعنا الاعداء عنهم وأرينا
الترئيس ما لم يكن في حسابهم وامضينا عليهم يوماً مهولاً ولكن لا مفر من انقدر وحكم
الله لا بد من نفوذه وهذا الامر الذي وقع بنا مدخول عليه منتظر الوقوع منذ دخل
العدو بلادنا ثم كتب الى خلفائه يخبرهم بما وقع وقال لهم حيث ان الله تعالى انفذ امره
في الزمالة ينبغي لنا ان لا ننجبن بل نكون من الآن فصاعداً اشد ما كنا عليه من قوة
القلوب وكثرة الاستعداد للحرب ثم اخذ في النظر فيما تنصلح به اموره ويرد قوة جيوشه
فسار يشن الغارات ويقرع الكنائس وينزل بين خاذه من قبائل العرب والبربر انواع
البلاء والمصائب بعد ان ضم اليه خليفته السيد محمد بن علال بمن معه من الجند وقد
انزل على الفرنسيين في هذه المدة ما فيه عبرة للمعتبرين واحل بهم من الويل ما تركهم
في حيرة ثم جمعوا جيوشهم واكملوا استعدادهم وتهيئوا لتجديد الحروب

﴿ ذكر مهلك مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر ﴾

لما حل بالزمالة ما حل اجتمع فلأها بالقرب من موضع الواقعة وتلاحق بها من كان
اخذه الفرار الى الجهات فاتصل خبرها بالجنرال لامورسير وهو في نواحي تاكدت
فجهز فرقة من جيشه وجعل امرها انظر المنتصر مصطفى اغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة
الدوائر فسار الى الزمالة فلما بلغ الخبر الى اهله ارتحلوا وساروا على سمتهم الى جهة الصحراء
فلحق ابن اسماعيل بؤخرها وانتشب الحرب بينه وبين المسلمين وانا كانت جيوشه اكثر
واقوى انهزم المسلمون بين ايدي الاعداء فاثخنوا فيهم قتلاً واسراً ورجعوا فلقبهم جيش
الامير ووقع انقتال بينهم والتهبت نيران الحرب فانهمز الاعداء وولوا الادبار فلاحقهم
المسلمون يقتلون ويأسرون ويسلبون وكان فيمن قتل وشفا المسلمون منه انفسهم الرئيس
ابن اسماعيل وكان قتله سبباً في الهزيمة ووقف عليه بعض المجاهدين فوجده يختبئ في دمه

فاجهر عليه وقطع راسه واستمر العدو على هزيمته الى ان ابعد المفر واما المسلمون فانهم رجعوا الى الامير بالاسارى والغنائم واعظامها واحبها اليه والى كل مسلم رأس مصطفى بن اسماعيل قائد الفتنه وموقد نارها وعين الفرنساوية ولسانهم ويدهم ولما وضع الراس بين يدي الامير نظر اليه واستعاذ بالله تعالى من غيبه وعقوبته وعندما وصل الخبر الى الفرنسيين عظم عليهم الامر واشتد حزنهم وكدرهم على فقد اعز اصدقائهم عليهم واكبر حلفائهم وانصارهم واشد اعوانهم على المذلمين

﴿ ذكر واقعة الجعافرة ﴾

وكان الامير قد بلغ ما اوقعه ابن اسماعيل بالزمانة قبل مهلكه فلما رجعت اليه جيوشه ارتحل قاصدا الزمانة وهي في بلاد الاحرار في الجنوب فاقام فيها اياما لتأنيس اهله واولاده ثم ارتحل بها الى الجهة الغربية وانزلها في اطراف بلاد الحسانية واختر من جنده خمسمائة فارس وستائة من العسكر المنظم المشاة وشرذمة من المتطوعة وسار قاصدا نواحي معسكر قطار الخبر الى الامير لاي جرى في معسكر فجمع جيوشه وزحف بها اليه وفي طريقه لقيه الجنرال بيدو والامير لاي تاميور ومعهما الفرق التي كانت في تلمسان في الجهة الغربية ولحقت بهم الفرق التي كانت في قنطينة ووهران واخبرهم بما عزم عليه من ملاقات الامير وتعاربته فاجابوه الى ذلك وساروا نحوه الى ان ادركوه وهو في قلة من الجيش وقلة من الذخيرة فلم يجد بدا عن ملاقاتهم فاجتمع الفريقان واشتعلت نار الحرب فدافعهم الامير بن معه ثم كاثروه واحاطوا به وباشر القاتل بنفسه وابلى فيه بلاء حسنا حتى ان ثيابه صارت مثل الغربال من كثرة وقع الرصاص عليه وقتل فرسه ووقع بين الصفوف فشد عليه مائة جندي من الجنود الفرنسية كانوا من قبل هربوا اليه من معسكرهم مع ضباطهم وحسن اسلامهم ولا زالوا يدافعون عن الامير الى ان استشهدوا عن آخرهم وانتقل الامير الى فرس آخر ولم يزل الامر يتفاقم الى ان استولى العدو على المعسكر ونجا الامير في لمة من خيله وحال الليل بينه وبين باقي جنده فظنوا انه قتل ولحقوا بالدائرة واشاع المرجفون انه استشهد فركبت شقيقته السيدة خديجة واستقبلت العسكر واخذت تسليمهم عن مصيبتهم وتقوي قلوبهم وتشجعهم وقالت لهم ان فقد شقيقي وذهب فان مدافعتكم عن الدين والوطن باق ذكرها الى اخر الامد وهو لاء اهله واولاده في كذب الله ثم كنتم فحافظوا عليهم الى ان يظهر الله ما في غيبه ثم قدمت لهم ضيافة وبينما الناس غارقون في بحر التأسف والتحسر اذ وردت البشائر بقدم

الامير عليهم فانقلب الحزن سروراً قال بعض المؤرخين من الفرنسيين وكان من جملة ما عثر عليه الجيش الفرنسي في المعركة سرج الامير على جواده المقتول مع مهمازه

﴿ ذكر واقعة الخليفة السيد محمد بن علال ﴾

وبعد رجوع العدو الى معسكر بلغه ان الزمالة نزلت في بلاد الحسانية من الجهة الغربية وقاربت التل وكان الخليفة السيد محمد بن علال فيها فخرج تاميور من معسكر قاصداً اليها فاجفلت الى بلاد الجعافرة والنقي الخليفة وتاميور بالقرب منها واشتد الحرب بينهما واتصل اياماً عديدة وفي اليوم الاخير منها استشهد الخليفة واختل مصافه وتمكن العدو من الاستيلاء على المعسكر وقتل من المسلمين في ذلك اليوم اربعمائة نفس واسر ثلاثمائة وستون وكان الخليفة السيد محمد بن علال من الشجاعة والسياسة بمكان لا يدرك احد شأوه فيه وله وقائع وحروب مع الفرنسيين في نواحي مليانة ومتيجة وشرشال تشهد له بذلك وناهيك برجل جمع الله له بين الجهاد والشهادة كما جمع له بين النسب والحسب ولما اتصل خبره بالامير جاء الى الزمالة وولي السيد قدور بن علال في مكان عمه الشهيد واصلاح خلل المعسكر ونظر في احوال الزمالة ثم امرها بالانتقال الى حدود المغرب الاقصى من الجهة الجنوبية فارتحل بها الموكلون بشانها واقام بن معه من الجنود يتنقل في المحلات ويواصل الغارة على المتنصرة وينتجز الفرص التي تمكنه من قهر العدو وشناء النفس منه قل بعض مؤرخيهم مفصلاً ما جملناه ولما بلغ الامير خبر خليفته السيد محمد بن علال صعب عليه وكبر لديه وولى ابن اخيه خليفة في موضعه وهو السيد قدور بن علال ثم اخذ في التدبير لامره الخطير حيث ان اصحابه قد تبدد امرهم واكثر القبائل ارتدوا وصاروا له اعداء وبارزوه بالقتال واظهروا له صنوف العسف والاعتداء وغدت بلاده الواسعة الاطراف قريبة المآخذ لاعدائه ولا طاقة له على الدفاع عنها ومع هذا كله فانه كان على عزمه المعروف وحزمه المعلوم لم يلحقه ضعف فيهما ولا نقصه شيء من دواعيها لا يبالي بالمصائب ولا يفرج عن الشدائد والنوائب فجفع نحو الخمسة آلاف مقاتل واقبل يغزو بهم على القبائل والعرب المتنصرة ويذيقهم شديد النكل ويسطو على جيوش فرنسا فيوقع بهم البلاء المبين وكان يباشر القتال بنفسه ويخوض بحر المعامع والشدائد حتى قمع بماضي عزمه كل معاند فقويت همة عسكره لذلك وخاضوا معه لظى الحروب والمهاالك

﴿ ذكر واقعة سيدي يوسف ﴾

بعد انتقال الزمالة الى نواحي تخوم المغرب الاقصى عسكر الامير في الخط الفارق بين التل والصحراء في الثامن والعشرين من شعبان سنة تسع وخمسين ومائتين والثاني والعشرين من ايلول سنة ثلاث واربعين وثمانمائة ثم جرد من جيشه خمسمائة فارس ومثلها من العسكر النظامي وتقدم الى التل فاحس به بعض جواسيس لامورسير فبادر بالمسير اليه في جيوشه من غير ان يشعر به الامير حتى نزل بالقرب منه بنحو ستة فراسخ فجعل الامير العيون عليه وفي احدى الليالي نام الحرس وكان العدو سار على مهله ينسل كالسارق فما انصدع الفجر حتى وصل الى معسكر الامير وكان الامير من عادته انه يولي الصبح ثم ينام بقصد الراحة من تعب قيام الليل فبينما هو نائم اذ سمع صراخ جيشه الفرنسي الرئيسي فقام وامر العسكر بالمداغة وحاول ان يركب فرسه فلم يسهه الحال ولم يتمكن من ذلك تفانق الامر واشتباك العسكر بالعسكر وبعد ساعة انكشف العدو وتمكن الامير من الركوب وصالت فرسانه صولة الاسود وهجموا على العدو فهزموه اقبح هزيمة وغنموا منه ثمناء عظيمة ورجع العدو الى معسكر ثم ارتحل الامير وقصد بجيوشه ارض بني عامر فوجد عندهم فرقة من عساكر الفرنسي حرساً لهم فعمدوا له ثم تقدم اليهم وصادوهم بمن معه من الفرسان والمشاة وكان في مقدمة العدو القائد بالحليدي الزائري فهجم على الامير فاخذ الامير البارودة من تايهه واقبل عليه بقوة ورماه بالرصاص فاصابه في صدره فوقع وبقيت رجله معلقة في الركاب وفرسه يجره فاخذ الامير بزمامه حتى لحقه الاتباع الاتباع فسلمه اليهم وكان هذا الرجل من صنائع الامير ولاء قيادة قبيلة اولاد الزاير ثم خان ودان بطاعة الفرنسي وقاد قبيلته اليهم فلما رأى بنو عمه واخوته ما حل بقائدهم فشلوا واختل مصافهم وانهمزوا فانهمز لمزيمتهم عسكر الفرنسي الذي كان معهم وغنم الامير غنيمة عظيمة ورجع بها الى الزمالة وكانت في بلاد حمير الغرابة تجول في انحاءها ثم اجتمع امره على ان يدخل بها ارض المغرب الاقصى فسيرها امامه وبقي بعدها ردة لها فاعترضه الجنرال لامورسير بجيوشه ووقع بينهما حروب اخذ السيف فيها حظه واشتد الامر حتى صار النساء يشجعن الرجال ويحرضن الابطال على القتال واظهر الامير وجنده من الشجاعة في ذلك اليوم والبسالة ما يعجز القلم عن وصفه واللسان عن ذكره وسقط في يد لامورسير ورجع خائباً

مقهوراً وما زال الامير حارساً للزمانة تحافظاً عليها حتى ادخلها الى جبال بني زكري ثم بلاد تكفايت قرب وجده في الجنوب الغربي ثم توغل بها الى عيون ملوك ثم الى عين زوره قرب الاطلس الاكبر الممتد على سواحل البحر المتوسط والذي حمل الامير على دخول بلاد المغرب الاقصى امران احدهما انه طمع في اهل البلاد ان يقوموا معه في امر الجهاد وينجدوه بالطريف والتلاد لما كان يبلغه عنهم من القيام بامور الدين واتباع السنة والجماعة الثاني اطمئنان من كان يميل اليه من اهل وطنه لوجوده في امن وحرز من العدو وربما يكون ذلك وسيلة لهم في الهجرة اليه لما يعلمه من بغضهم للفرنسيس ونبههم منهم وليامن على الزمانة حتى اذا اراد الغزو الى ارض العدو فانه يتركها في حرز حزين ولما استقرت الزمانة في عين زوره كتب الامير الى عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى يخبره بما جرى عليه من الامور ويطلب له بطلب المعونة والنجدة فكان من جملة جواب السلطان عبد الرحمن الى الامير في كتابه . وانا نتمنى الحضور بانفسنا في غمار المسلمين ومباشرة القتال بايدينا بين صفوف المجاهدين ولكن ما نحن فيه من قمع العتاة وكف البغاة جهاد بل افضل من جهاد النصارى حسبما نص على ذلك امامنا مالك رحمه الله ولو كمل قتالهم وانتظام على الاستقامة حالهم لسرنا وايام لنصرة الدين وقمع الكفرة المعتدين وبذلك ينال الموفق غاية امله ونية المرء خير من عمله والسلام حرر في الخامس عشر من ربيع الاول سنة ستين ومائتين والف

قال شرشال الانكليزي لما حصل للامير الامن على الزمانة اخذ يحرض الناس على الجهاد ويدعوهم الى قتال اعدائه ويحمل على القبائل المنصهرة ويهجم على الفرنسيين فيحملوا قلوبهم رعباً ثم بداله فرحف على القبائل الخارجة عن طاعة سلطان المغرب الاقصى منذ زمان طويل فاخضعها وكتب اليه يخبره بما اجراه ونبهه في ذلك استنهاض همته في اعانته على الجهاد فلم يرد له جواباً فعلم الامير ان هذه الوسائل لا تجديه نفعاً فجمع ما عنده من الجند وعين منهم حامية للزمانة وسار بالباقي الى الصحراء فاقام في ارجائها يتنقل شهوراً عديدة فلما نظر الفرنسييس قلة حركات الامير وانقطاع غزواته اعتقدوا ان شغلهم قد تم وان تردد الامير في الصحراء البعيدة عن الوطن دليل على ضعفه فهنا المارشال ييجو نفسه وكتب لدولته يقرر بعد الوقائع الاخيرة ان الجزائر قد غابت وخضعت لاسيما وقد عدم الامير جنده من مشاة وفرسان وقتل خليفته الشهير المرعب فبناء على هذا اقول ببسارة ان الحروب الخفيفة قد تناهت

ومن المحال ان يقتحم الامير امراً ذا امية او يقيم شرذمة قليلة من الفرسان حرباً قوية حيث ان غبار خيله امسى كغبار شاة ضعيفة انتهى ثم بعد هذه المدة جرت تحاربة عظيمة ومقتلة جسيمة بين السيد محمد بن السيد عقبة خليفة الامير في بسكرة وبين الجنرال بلراكو الذي كان تقلد قيادة الجيوش الفرنسية في عمالة قسنطينة واتصلت الحروب والوقائع انماثلة بينهم اياماً وليالي بدون فتور وبعد ذلك توجه الجنرال بيوشه الى كولو في حدود تونس فاستولى عليها

﴿ ذكر ما كتبه الخليفة السيد احمد بن سالم من جبال جرجرة ﴾

« الى الامير وما اجابه به »

الحمد لله وحده بعد الثناء والدعاء واداء واجب الاعظام والانعام فاننا معاشر عبيدكم متعظون الى مكاتيبكم ومن المعلوم ان ما تسطره يديكم الشريفة يحيي النفوس منا والآمال وقد اشاع المرجفون ما لا تقدر على ذكره ودخل الشك على الناس في وجودكم الشريف واشاعوا ان والدكم تصدر المكاتبات والتحرير اللازمة باسمكم الكريم وقد بلغني ان الفرنسيين عازمون على الزحف الى بلادنا وليس عندي ثقة اكيدة بطاعة القبائل وانقيادهم الى كتي وان كان تاخركم عنا لظن ان الخليفة السيد محمد البركاني يساعدني وينجدي فهو مع ما هو عليه من معاداة العدو بعيد ان يساعدني ويقوم بناصري كما انني لا قدرة عندي على مظاهرتة وعلي كل حال فانا اسالكم بالله تعالى ان تردوا لي الجواب عن هذا المكتوب بخط يديكم الشريفة . فاجابه الامير بخطه اني اذلمت على مكتوبكم تخبراً بان خبر موقي قد امتد في الشرق فاعلم ان الموت لا مفر منه ولا نعيد عنه اذ هو من قضاء الله الذي لا يرث ولا يبدل واني احمد الله اذ لم تأت ساعتي بعد ولم يزل عندي من القوة والاعتدال ما اؤمل به مهاجمة اعداء ديننا فكان في راحة ساكن البال صبوراً ومتي استقر الامر لنا هنا نتوجه الى نواحيكم انتهى . وفي هذه الايام انتهر الجنرال ويجو الفرصة لتنظيم اعماله في الشرق فجوز الدوك دومال ابن الملاك في جيوش كثيرة وسيره الى نواحي بسكرة فالتقى مع الخليفة السيد محمد بن عقبة وجرت بينهما حروب عنيفة متوالية انتصر فيها العدو واستولى على بسكرة ثم باثه ووضع فيها حامية وذخائر ثم سار الى نواحي قسنطينة وكان احمد باي محمد له في جموع من العرب من نواحي الزيبان وناوشه الحارب ثم انكسر ورجع الى محل اقامته من الصحراء ولما توالى الخطب على المسلمين حارت العقول ووقفت الافكار ويثس كل من ملاقات

صاحبه في الحياة الدنيا حتى ان السيد قدور بن علاء كان في الجهة الغربية مع
الامير فكتب الى السيد احمد بن سالم وهو في محله من جبال زواوه شرقاً ان الخطوب
المت بنا والمصائب انشبت اظفارها فينا فلذلك انقطع املنا من اجتماع الشمل في الدنيا الا
ان شاء الله والحق تعالى يظهر العجائب والخوارق . فاجابه ايها الاخ ان الشدائد لا
تدوم والليالي حبالى لا يدري ما تلد واني اسأل الله تعالى ان ينصر امامنا ويؤمنا
في اوطاننا ويرد علينا ما اخذ منا واعطاه لعدونا فكن ايها الاخ دائماً في كل حال
ملتجئاً الى الله تعالى ولا تيأس فاني موقن باجتماعنا نحن الثلاثة مع ما نحن عليه الآن
من مقاساة كثرة الاعداء وشدة الحروب . فاجابه ان ما ذكرته على حسب ما نشاهده
من ضعف الحال وقلة المال والرجال غير مأمول ان يكون . ثم ان الامير اخذ يتابع
غزواته على البلاد ويسم اهلها بالخسف والدمار وفي اثناء ذلك حضر وفد من الخليفة
ابن سالم الى الامير من الشرق فأكرم وفادتهم واطلعتهم على سائر احواله وعند رجوعهم
الى اوطانهم سير معهم مכתوباً الى الخليفة هذا نصه . اما بعد فاني اوصيك بنقوى الله
تعالى وشكرك في الشدة وكن صبوراً على المصائب فالصبر مفتاح الفرج وكن جسوراً
واجمع عساكرك وعندهم برايك السديد وتحمل منهم هفواتهم ودبر امورهم حسبما يجب
فان هذه الاحوال لا تدوم واني لارجو ان اكون عندكم ومن هناك تظهر لنا الجادة التي
نتبعها ونسلك عليها وكتب الى جيوشه في تلك الجهات يتشوق اليهم ويمدحهم بقوله

يا ايها الريح الجنوب تحلي	مني تحية مغرم وتجم لي
واقري السلام اهيل ودي وانثري	من طيب ما حملت ريح قرنفل
حلي خيام بني الكرام وخبري	اني ايت بحرقه وتبلبل
جفني لقد الف السهاد لينكم	فلذا غدا طيب المنام بمعزل
كم ليلة قد بتها متحسراً	كبيت ارمدي في شقا وتامل
سهران ذو حزن تطاول ايله	فقي ارم لي لي بوصلي ينجلي
ماذا يضر احبتي لو ارسلا	طيف المنام يزورني بتمثل
كل الذي القاه في جنب الهوى	سهل سوى بين الحبيب الافضل
أدر الامانة يا جنوب وغايتي	في جمع شملي يا نسيم الشمال
واهدي الى من بالرياض حديثهم	اذكي واحلي من عبير قرنفل
تهدي الى طرائف وظرائف	ولطائف بتعطر وتغسل
حاولت نسي العبر عنهم قبل لي	ه ذا تحال وبك عنه تحول

كيف التصبر عنهم وهم هم
 يحل ريب الدهر ما عقدوا وكم
 نفديهم نفسي ونفديهم ارضهم
 افديهم اناساً ليس يدعى غيرهم
 يكفهم شرفاً وفخراً باقياً
 قد خصهم واختصهم واختارهم
 هم بالمديح احق لكن ربما
 ان غيرهم بالمال شح وما سخي
 الباذلون نفوسهم ونفيسهم
 كم يضحك الرحمن من نعلاتهم
 الصادقون الصابرون لدى الوغى
 ان غيرهم ذل اللذائذ مسرفا
 والد شيء عندهم لم العدا
 النازلون بكل ضحك ضيق
 لا يعرف الشكر صغير منهم
 ما منهم الا شجاع قارع
 كم نافسوا كم سارعوا كم سابقوا
 كم حاربوا كم ضاربوا كم غالبوا
 كم صابروا كم كابروا كم غادروا
 كم جاهدوا كم طاردوا وتجلدوا
 كم قاتلوا كم طاولوا كم ماحلوا
 كم ثبتوا كم بدتوا كم شتتوا
 كم ادجلوا كم ازعجوا كم اسرجوا
 كم شردوا كم بددوا وتعودوا
 يوم الوغى يوم المسرة عندهم
 فدمارهم وسيوفهم مسفوحة
 لا يحزنون لهالك بل عندهم
 ما الموت بالبيض الرقاق تقيصة

ارباب عهدي بالعقود الكمل
 حلت عقود بالناس التخييل
 ازكى المنازل يا لها من منزل
 حاشا العصابة والطاراز الاول
 حمل اللواء الهاشمي الاطول
 رب الانام لذا بغير تعديل
 ضاعت حقوق بالعدا والمذل
 جادوا ببذل النفس دون تعمل
 في حب مالكننا العظيم الاجمل
 يوم الكريمة نعم فعل الكمل
 الحاملون لكل ما لم يحمل
 هم يبتغون قراع كتب الجحفل
 ودماءهم كنز لا عذب المنهل
 رغما على الاعداء بغير تهول
 ابدا ولا البلوى اذا ما يدعولي
 او بارع في كل شيء مجمل
 من سابق لفضائل وتفضل
 اقوى العدا بكثرة وتمول
 اقوى اعدائهم كعصف موكل
 للذائبات بصارم ونقول
 من جيش كفر شبه موج يعتل
 شمل الكوافر باقتحام الجحفل
 بتسارع الموت لا يتمل
 تشيت كل كنيبة بالصيقل
 عند الصباح له مشوا بتلمل
 ممسوحة بثياب كل مجندل
 موت الشهادة غبطة المتول
 والنقص عندهم موت المهمل

يا رب انك في الجهاد اقتهم
يا رب يا رب البرايا زدهم
وافتح لهم مولاي فتحاً بيناً
يا رب يا مولاي وابقهم قذى
وتجاذزن مولاي عن هفواتهم
يا رب واشملهم بعفو دائم
يا رب لا تترك وضعاً فيهم
متوسلاً مولاي في ذا كله
وجهت وجهي في الامور جميعها
صلى عليه الله ما سح الحيا

فبكل خير عنهم فتفضل
صبراً ونصراً دائماً بكمـل
واغفر وساخ يا الهي وعجل
في عين من هو كافر بالمرسل
والغف بهم في كل امر منزل
كن راضياً عنهم رضا المتفضل
يا رب واشملهم بخير تشمل
متشعاً بشفيح كل مكمل
بمحمد غيث الندا المسترسل
والآل ما سيف سطا في الجحفل

ولما نظر ييجو اعمال الامير وتوالي غزواته على الوطن علم بانهم ان تغافلوا
عنه وبقي مستمراً على ما هو عليه لا بد ان ترجع اليه قوته الاصلية فجمع اعوانه
وامل مجلسه وقال لهم قد تعين علينا ان ننظر الى احوال الامير عبد القادر
وما هو بصدده الآن فانه اقلق اهل البلاد بتتابع غزواته عليهم من سائر الجهات
ولا يخفى ما انطوت عليه قلوب المغاربة المراكشيين من المحبة والتشيع له حتى انهم
يبدون ان يكونوا تحت طاعته وادارته لما راوه من اتباعه الشريعة الاسلامية وشاهدوه
من حسن سياسته معهم التي تركت قوافلهم تسافر من فاس ومراكش الى الاقطار
الجنوبية والشرقية في غاية الامن والسكون بعد ان كنت قل ان تسلم والذي
زادهم رغبة في طاعته ما كانوا يسمعون عنه من حسن سيرته مع رعاياه فانه كان
لا يقرر عليهم ضريبة ولا يجعل عليهم خراجاً وانما كان ياخذ من اموالهم ما امرت
به شريعتهم الاسلامية فاجابه اهل المجلس لابد من الاستئذان من الدولة فكتب
الى دولته فبعثت الى سلطان مراكش عبد الرحمن بن هشام وعرفته بما يلزم اجراؤه
في هذا الشأن فاجابها ان بلاد الريف قد خرجت من يدي ودخلت في طاعة
الامير عبد القادر فلا يمكنني اجراء شيء من مطالبكم فكان هذا هو الداعي الاكبر
لفتح باب الخلاف بين سلطان مراكش ودولة فرنسا وجهز ييجو جيشاً كثيفاً لنظر
الجنرال لامورسير والجنرال ييدو وامرهما بالنزول في تخوم مملكة مراكش في محل
يعرف بقم السيدة مغنية في شمال تلسان وهذه السيدة كانت من العابدات دفنت
هناك وكان مقامها معظماً عند اهل تلك النواحي فهدمت جيوش فرانس الى هدم

مقامها وابنداله فوصل الخبر الى حاكم وجده من قبل سلطان مراکش وشاع في المغرب الاقصى فحصل من ذلك الميخان ووقع سلطانهم بين امرين خطيرين اما الخوض في تيار الحروب واما انتقاض الرعايا عليه لما حمل لهم من الاضطراب لاهانة ذلك المقام المحترم فبعث الى عامله علي وجده علي بن الكناوي ان يخاطب الفرنسيين في هذا الامر ويشير عليهم بالارتحال من مقام السيدة مغنية فلما بلغهم رسول العامل استهزاءوا به وازدروه ولما وصلت جيوش المغرب الاقصى وجوعه الى وجده زحف بهم ابن الكناوي الى المعسكر الفرنسي والتقى الجمعان واضطربت نار الحرب بينهما فكانت الديرة فيها على ابن الكناوي وجوعه فانهزموا هزيمة تفرقوا منها شذر مذر واستولت عساكر الفرنسيين على جميع اثقالهم وذخائرهم وهذه اول واقعة وقعت بين سلطان مراکش وفرنسا

﴿ ذكر خروج ييجو من الجزائر الى جبال زواوة ﴾

لما بعث الجنرال ييجو لامورسير ويبدو الى الجهة الغربية في الجيوش استكمل تعييته وخرج الى جبال زواوة فلقية الخليفة السيد احمد بن سالم في جموع المسلمين بارض فليسة وجرت بينهما حروب شديدة ووقائع متتابعة احتاج فيها ييجو الى النجدة فانجده دولته بالجند والذخائر وقوي على المسلمين وكسرم واحرق اربعين قرية ثم دان ابن زامون احد رؤساء انقبائل بطاعة الفرنسيين فلما رأى الخليفة ذلك ترفع بجيوشه الى جبال اخرى ورجع ييجو الى الجزائر

﴿ ذكر مسير ييجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين ﴾

﴿ حاكم وجدة ابن الكناوي ﴾

بعد ان رجع ييجو من بلاد زواوة الى الجزائر توجه في المراكب الى وهران ثم سار الى مقام السيدة مغنية ولاول وصوله اليه دعا حاكم وجده للخبرة في اتفاق الكلمة فاجابه الى ذلك مع عدم اركان كل منهما الى الآخر ولما تقاربا تقدم ابن الكناوي في لمة من خيله نحو الجيش الفرنسي في صورة سلمية فامر الجنرال ييجو الجنرال يبدو بمقابلته فلقية في شرذمة من خياله وبينما هما يتحادثان اذ هجمت فرقة من جيش ابن الكناوي على جناح الجيش الفرنسي وابتداء وهم بالقتال خوفاً من ان يؤول امر الخبرة الى الصلح وعند ذلك وقع بين الفريقين حرب شديدة كانت الديرة فيها على جيوش ابن الكناوي فانهزموا الى وجده . قال

بعض مؤرخي الافرنج وقد اندهل ييجو من تلك الاعمال الدالة على الخيانة وعزم على الاستيلاء على مدينة وجدة فكتب الى ابن الكناوي يستوضحه السبب الباعث على ما وقع فاجابه يعتذر اليه ويعترف بذنب جيشه ويتصل من عهدة ما وقع فكتب اليه ييجو ان جل المقصود الالم هو امر الامير عبد القادر ومحدد الحدود التي كانت بينكم وبين حكومة الاتراك الجزائرية وليس مقصودنا ما يتخص بكم من البلاد واننا نلح عليكم ان لا تقبلوا اقامة عبد القادر في بلادكم وان لا تساعدوه علينا فان قبولكم لاقامته في ارضكم نعدده حربا لنا وعداوة لا صداقة وبالجملة فالذي تريده دولة فرنسا منكم ان تخرجوا عبد القادر من بلادكم الى الجنوب الغربي هذا اذا لم تقدرُوا على ان تشتتوا شمل جيوشه وتريد منكم ايضا ان لا تقبلوا من ينتقل الى بلادكم من رعاياها فان اجبتم الى هذه الامور فنحن نرتبط معكم ونجري الصداقة بين امتين مختلفتين وبها نحافظ على شرف السلطان عبد الرحمن وان انتم لم تفعلوا ذلك فنحن اعداء لكم ولا بد ان تردوا الجواب سريعا . قال المؤرخ فلم تجد هذه المخابرة نفعاً ولذلك هجم ييجو على وجدة فدخلها بعد ان قرر اهلها وتفرقوا في الجهات قال شرشل ثم ان دولة فرنسا لم تكف بهذا حتى ارسلت مراكبها الحربية الى طنجة فاطلقت عليها زار مدائنها وهدمت قلاعها ونشأت عن ذلك هيجان في فاس عاصمة سلطان مراكش وفي الوقت تجوز السلطان ابنة ولى عهده محمداً في عشرين الف من الجند فارسل اليه الامير عبد القادر فيحذره من مقارعة الفرنسيين وحربهم فلم يقنعه ذلك اعتمداً على كثرة جيوشه واستمر سائرا الى وادي ايسلي بالقرب من وجدة فزحف العساكر الفرنسية الى معسكر ابن السلطان في محله من ايسلي واشتبك الفريقان على النهر واشتعلت نيران الحرب وفي آخر النهار انكسر ابن السلطان وجيوشه وقهقروا فكثفهم للعدو فعمل عليهم الشيف اعماله واستولى الفرنسي على سائر المعسكر بما فيه من اموال وخائز ومومن ومكرع وعلى اثني عشر مدناً وخيمة ابن السلطان وشتمتية وآب المغاربة بها شتماء الى آخر الدهر وهذه آخر وقائعهم مع الفرنسيين ولم ينتصروا شئفاً واحداً منها ومن غريب الاتفاق ان في هذا النهار اطلق البرنس دييجو توفيل الاميرال مدافعة على الصويرة وخرب اسوارها فكانت الغلبة على جيوش المغاربة براء وبجرم في يوم واحد قال بعض المؤرخين وبهذه الواقعة تلقب ييجو دوك دي ايسلي ثم قال سوانظط لذلك شان سلطان المغرب الافرقي وأجتم على المصالحاة فالتسها من العائد العام فاجابه

الى ذلك على هذه الشروط (الاول) سرعة ارجحال المساكين المراكشيين من
وجدة وما اليها في الحدود (الثاني) اجراء القصاص على الذين تعدوا الحدود
الفرنساوية (الثالث) اخراج الامير عبد النادر من البلاد وان بقي فيها فلا يحصل
له اسعاف من حكومة مراكش (الرابع) ان يصير تعيين حدود فاصلة بين حكومة
فرنسا وحكومة مراكش فقبل سلطان مراكش هذه الشروط ونقرر الصلح ولما شاع
هذا الامر في نواحي المغرب الاقصى وسارت الركبان بما وقع لجيوشهم وجموعهم
مع الفرنسيين كبر عندهم ذلك ونسبوا المعرة فيه الى سلطانهم وقواد الجيوش
وكثير القيل والقال واتفق اكثر انقبائل على الانتقال على السلطان واعطاء
الطاعة الى الامير لما كانوا يسمعون عنه من الاقدام والشجاعة والقيام بامور الجهاد على
ما ينبغي من اعظم الملوك فكاتبوه في ذلك فلم يقبله منهم وقال اني دخلت بلاد السلطان
لا لاكون ضده او لأأخذ منه ماله فهذا مما لا يقول به عاقل قال بعضهم ومن هنا
يتبين ان الامير كان مغمودا فيما يعانيه من قتال الفرنسيين مقصورا على الذب عن
الدين والوطن لا مجرد الملك ولو كان كذلك لقبول من رعايا سلطان المغرب ما ندبوه
اليه ولظفر به في اقرب وقت من غير كلفة وقال آخر ما كان الامير في جميع
ما تكبده من المشاق ومعاناة الحروب الا حبا في نصرة الدين واثقاذا وطنه من يد الاعداء
ولا بذل نفسه وماله وحوله وقوته ولا صبر على تلك الاهوال التي يعجز عنها اكبر
سلطان في العالم الا لاءاء كلمة الله واثقاذا وطنه فتحمل لذلك من الامور التي تقصم
الظهور وتذكك الجبال وباع نفسه في رضى الله تعالى وحب وطنه بيع سماح قال شرشل
الانكليزي قد آل امر بعض من كان الامير يوم مل مساعدتهم الى ان صاروا اكبر
الاعداء له وعضدوا اعداءه ونصروهم عليه وحاربوه معهم واعانوه في ذلك بالمال والرجال
فكيف يقبل بعد هذا قول القائلين او يجيب دعوة الداعين ولما احس سلطان المغرب
بما وقع من رعاياه من الاضطراب والتدمير منه ومن رجال دولته كتب الى الامير
يخبر ما عنده ويسر نيته فيما طلب اليه ويستميله اليه واكد عليه في زيارته في فاس
ظنا منه انه ينخدع له او هو ممن يجهل مكره وغشه فاجابه ان الجيش منعه من الاجابة
الى ما طلبه منه واقبل على بعث الغزوات والسرايا على الوطن ووصلت جيوشه الى بالعباس
من بلاد بني عامر فاهتز المغرب الاوسط باهله واشرابت نفوس المرتدين الى التوبة من
الردة وارجاع الطاعة والخضوع للامير واسبق الناس في هذا بنو عامر واتبعهم تجاورهم
واظهروا للفرنسيين العداوة فاضطربت حكام الجزائر ووهران لهذا الامر وبذلوا وسعهم في

منع الناس من الخروج من بلادهم وجعلوا عليهم العيون فارتحل الكثير من بني عامر ولحقوا بدائرة الامير في وادي ملوية فيما وراء جبل بني يزنا سن غرباً قال المؤرخ روا واقام الامير يتابع الغزوات على بلاد الجزائر من اول الشتاء الى اواخر فصل الربيع وتوغلت بعوثه وغوازيه الى تيارت وتاكدمت وتلك النواحي فاضطرب الحكم الفرنسيون لذلك وكانوا سلطان مراكش في هذا الامر فارسل الى الامير يامره بالخروج من الحدود ولما وصل اليه الرسول بذلك وتحقق ان الامير لا نية له الا في الجهاد وتاديب رعاياه الذين تركوه واتبعوا دولة فرنسا وافق الامير على قصده واخبره بماله في قلوب اهل المغرب الاقصى من الميل والمحبة وحسن الاعتقاد ثم ان الامير ارسل رسله تترى على القبائل يدعوم الى القيام بوظيفة الجهاد المفروضة عليهم فاجابه الى ذلك خلق كثير واطهروا الخروج عن طاعة الفرنسيين ونادوا بطاعة سلطانهم تملصاً مما لحقهم منهم من المظالم والتكاليف الشاقة وبينما الناس على ذلك اذ ظهر محمد بن عبد الله المعروف بابي معزة في نواحي شلف داعياً الى نفسه مدعياً انه محمد بن عبد الله المهدي المنتظر وطفق يدعو الناس الى الجهاد ويحثهم عليه نحو سنة ودخل الناس في طاعته لامور شعوزية كان يظهرها لهم ووقع بينه وبين الفرنسيين عدة حروب انتصر فيها فايد له ذلك دعواه ثم انهم رجعوا الكرة عليه وشتتوا شمله وفرقوا جموعه وفر ناجياً بنفسه الى نواحي الصحراء قال بعض المؤرخين ومن اين لمثل هذا الرجل المدعي ان يجوز بعضاً من الصفات التي امتاز بها الامير عبد القادر من حسن الادارة وعلو الهمة وقوة الفروسية والنشاط في الحروب والحزم والعزم في ادراك الامور لاسيما في الوقائع الشديدة الطويلة المدا التي كادت تضعف بها قوة اعظم امة على وجه الارض في هذا العصر

ذكر وقعة الغزوات

وفي الحادي عشر من شوال سنة ثلاث وستين ومائتين والحادي والعشرين من سبتمبر سنة سبع وأربعين وثمانمائة سار الامير من الدائرة وكانت بوادي تافنا قاصداً الى الغزوات وهي مرسى صغير في الحدود وارسل في مقدمته بعض رؤساء جيشه فلم يهجم احد المرتدين واخبر القائمقام الفرنسي دي مونتانيال فجمع جيوشه وقدم امامه طليعة ثم خرج بعساكره وسار الى الامير فالتقى الحرس بطليعة العدو فوقعوا بها ثم زحفت الجيوش الاسلامية والفرنساوية والتقى الفريقان عند تل قرب الغزوات واشتد القتال بينهما والتجهمت الجيوش الاسلامية بجيوش العدو وخالطوهم فتركوهم

حصيداً واذاقهم كأس الدمار والبوار ولم يفلت منهم سوى ثمانين جندياً التجأوا الى مزار كان قريباً منهم واغلقوا بابه عليهم فاتبعهم المسلمون واحاطوا بهم وقتلوا منهم نحو السبعين والباقيون سلموا انفسهم نقادوهم اسرى وفي هذه الواقعة اصيب الامير برصاصة مسحت طرفاً من اذنه اليمنى ولما احس بها نزل وصلى ركعتين شكراً لله تعالى على ما لحقه في سبيل الله وهذا اول جرح اصابه في الجهاد قال لي رضي الله عنه ان الذين كانوا معي ايام الجهاد يظنون اني كنت حاملاً حجباً لحفظ من رصاص العدو لما يرون من تأثيره في برنسي وعدم وصوله الى جسدي مع اني لم استعمل ذلك قط وانما كنت احفظ نفسي بالتعاون الواردة في السنة فقط قال تعالى فانه خير حافظاً وقال لي ايضاً ان العسكر الفرنسي اذا انكسر يحصل له تلاشي ويختل نظامه وترتيبه ولا يلتفت لاوامر قواده لا سيما الخيالة فانهم اذا فروا لا يردون الكرة ابداً

﴿ ذكر وقعة تموشنت ﴾

وبعد فراغ الامير من وقعة الغزوات توجه بمجيوشه الى بلاد بني عامر فالتقى بفرقة من الجيش الفرنسي معها معلمات حربية قاعدت بها تلمسان فلما تراءت لها الجيوش الاسلامية رفعت علامة التسليم فتقدم اليهم الامير في لمة من خيله فاستأمنوا له والقوا اليه سلاحهم بدون قتال وكانت تلك الفرقة يزيد عددها على ستائة جندي وكانت المهيمات الحربية كثيرة وافرة فانتشرت هذه الاخبار في سائر الاقطار المغربية وخفقت لها قلوب الفرنسيين والمرتدين وكتب الامير الى خلفائه في الجهات الشرقية يخبرهم بما اسنى الله له من الفتح والنصر ويعدهم بالمسير الى نواحيهم وهذا نص ما كتبه الى بعض خلفائه

الحمد لله وحده و"صلاة والسلام على من لا نبي بعده من ناصر الدين عبدانقادر ابن محيي الدين الى خليفتنا حفظه الله ومكن سيوفه من رقاب عداه اما بعد قالني احمد الله على نصرة الدين احموي وشريعة نبيه عليه وعلى سائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة والسلام واتم اتدائم واخبركم بما حباننا الله به من النصر المبين في جامع الغزوات وما اذاقته الجيوش الفرنسية من الوبال واليلات فاننا قد حصدناهم في هذه الواقعة حصداً عظيماً واذقناهم كأس الدمار والزلزال ولم ينجح منهم احد والذي ناصركم به ونوء كد عليكم بمئة رجل نجحوا بمئة رجل ونفذوا امورهم ونفذوا على العدو في نواحيكم وانهاكم عن

تخريب الديار فان ذلك مما يوهذي املها ويكون سبباً في تاخرهم عن الطاعة ثم ابشركم بعد ان فرغنا من قضية الغزوات دخلنا بلاد بني عامر فالتقينا بنحو الستمائة جندي من جنود الفرنسيس معهم مهمات حربية ولاول ما رأونا رفعوا اشارة التسليم وتقدم قوادهم الينا في طلب الامان فامناهم وسلموا لنا سلاحهم وجميع ما كان معهم واستولينا على الكل من غير قتال فكانت هذه النصره نافله على الانتصار العظيم في الغزوات نساله تعالى ان يمدنا بتأييده ويصلح العباد والبلاد والسلام عليكم وعلى من حواه ناديكم ورحمة الله وبركاته ولما بلغ الفرنسيون هذه الاخبار تكدر عيشهم واحسوا برجوع الكرة عليهم وعلموا انهم صاروا في خطر عظيم حيث انهم فقدوا ثمره خمس سنين في بضع ساعات واجتمع مجلسهم في الجزائر فاتفقوا على ان يرفعوا هذه الاخبار وما آلت اليه الحال الى دولتهم فخرروا وطلبوا النجدة والامدادات والحوا عليها في ارجاع المارشال ييجو الى الجزائر في اسرع وقت ولما اتصل ذلك بدولتهم هالها الامر وعظم عندها فعزلت المارشال فالاً من الجزائر وعينت مكانه المارشال ييجو وامرته بسرعة السفر وجهزت معه مائة الف من العساكر وما يلزمها من الذخائر والمهمات كذا نقل شرشل الانكليزي في تاريخه واما الامير فانه جمع جيوشه ودخل الى الساحل وجعل يتنقل فيه يمينا وشمالاً والقبائل تراجع الطاعة وتلوذ بها وتقدم اعذارها فيقبل ويعفو ويصفح ثم بلغ الخبر الجنرال لامورسير وهو في الجزائر فركب البحر في جيش كثيف الى وهران وتوجه الى تلمسان فاجتمع بكافنيك وخرجوا الى الحدود المراكشيه يطالبون الدائرة لياخذوا منها الثار وكان رئيس حامية الدائرة بلغه خبرها فارتحل بالدائرة الى الاطلس في الجهة الشماليه من الريف ثم عدل كافنيك الى جهة الصعراء فاغار على اولاد سيدي يحيى فحصل على عشيرة منهم وكانوا لما راوا الجيش دخلوا في غار قريب منهم يعرف بغار العقبة البيضاء وكانوا نحو الخمسمائة نفس بين رجال ونساء واطفال فجمع جيش الفرنسيس الحطب والتبن على فم الغار واضرموه ناراً فدخل الدخان الى داخل الغار فاخثنق به كل من كان داخله وحسب الجنرال انه أخذ الثار بهذا القصاص المشين بالانسانية والمشرع بفقد الشقة والرحمة والحية واستمر الامير في جهات معسكر ييجو فيها يجيوشه والقبائل تتوارد عليه لائذه بطاعته ولما رأى حاكم معسكر ان جميع القبائل التي كانت قدمت لمع الطاعة قد تركتهم ودخلت في يد الامير اهتز لذلك وجمع ما عنده من العسكر وخرج يطلب الامير فلقيه وجرت بينهما حروب شديدة واستمرت اياماً كثيرة ثم انكسر

حاكم معسكر ورجع اليها بخسارة جسيمة وأمتت العساكر الفرنساوية محصورة من جميع الجهات واضطرب الوطن بأهله واشتد الهيجان في نواحيه وأدمن الأمير على الغارات وبعث البعوث والغوازي فلا يخلو يوم من هجوم عساكره على الجهات قال بعض مؤرخي الافرنج قد اضطربت القبائل والفرنساويون لسرعة الامير وتعاقب ظهوره وخفائه وحضوره وغيبته مع الايام لانه جعل دابه سرعة الحضور في سائر المقاطعات واهاجة روح الحصار في كل المحلات فشهاب حضوره السريع جعل الفرنساويين في حالة اضطراب وخيبة ظن وبذلك ثارت المنازعات واشتدت الحركات حتى ان الامير في اليوم الواحد يظهر في غدوته في مكان وفي عشيته ورواحته يظهر في آخر بعيد المسافة عن الاول حتى انه سمي ابا ليلة و ابا نهار ومن حركاته انه سار في ستة آلاف من الفرسان الى تاكدت ومنها الى وادي شلف فبلغه ان اولاد شعيب وهم قبيلة عظيمة كثيرة البطون والعشائر عازمة على الاتحاد مع الفرنسيين فعدل في طريقه عن التوجه الى وجهته التي كان قاصدا اليها وسار اليهم ثم هجم عليهم وكانوا في خمسة آلاف فارس فاخذهم اخذ عزيز مقتدر وانقى القبض على رؤسائهم ومشايخهم واخذ جميع اموالهم ومواشيهم وغنم ما عندهم من الاثاث والامثلة

ذكر ابي معزة الشائر وما آل اليه امره

اصله من اولاد خويدم في جهة وادي شلف ادعى انه المهدي المنتظر وسبب هذه الدعوى الكاذبة انه جاء الى قبيلة سنجاس فوجدهم مغاضبين لرئيسهم فزين لهم ما اضرروه من قتله وقوى بصائرهم وقال لهم ان هذا كافر بالله تعالى وهو الذي ادخل الفرنسيين الى بلادكم وقادكم الى طاعتهم فاستحسنوا ما دلهم عليه وبيتوا رئيسهم وقتلوه ثم جمع كلهم وغزى بهم فرقة من جيوش الفرنسيين كانت تخيمة في وادي الفضة قريبة من وادي شلف فانصر عليها وغنم ما عندها من الذخائر وأثنى فيها قتلا واسرا ثم اخبرهم انه المهدي المنتظر وان سلاح العدة و رصاصه لا يعمل فيه ولا في جموعه ودعاهم الى بذل الطاعة له فاطاعوه ثم ان الفرنسيين تجمعوا له وكسروه وفر بنفسه هاربا وما زال يجرى في تلك الجبال ينقل فيها من جبل الى جبل ويدعو الناس اليه فلا يجيبه الا الاوغاد منهم الى ان غدرت قبيلة صبيح بسانجي قائد الفرقة الحامية بتلك الجهة فقتلوه وقتلوا اصحابه معه فانتهم

ابو معزة الفرصة وآوى اليهم وقرر في عقولهم انه يقوم بامرهم ويحمي حواتهم من عدوهم فهاجت العشائر والقبائل ونادى مناديتهم بالجهاد فارسل حاكم الجزائر القومندار موريلون في جيش كثير الى قبيلة صبيح لينتقم منها وياخذ بثار الحاكم واصحابه فزحفوا اليه مع ابي معزة فلما التقى الجمعان وانتشب القتال انهزموا وفر رئيسهم ابو معزة فلم يلو على احد وسكن الجبال الى ان لحق بالامير مع اهله واولاده

﴿ ذكر اعمال الجنرال ييجو بعد رجوعه الى الجزائر في ﴾
 ﴿ المرة الاخيرة وما آل اليه الامر ﴾

وبعد ان وصل ييجو الى الجزائر وتلاحقت به العساكر من فرنسا وعددها مائة الف جندي جمع مجلسه الحربي للمفاوضة فيما هم بتدده نقر الزرار على اظهار الشدة والحزم وان هذه الجنود مع ما كان موجوداً في الجزائر وملحقاتها من العسكر تنقسم الى اربعة اقسام وتزحف دفعة واحدة على الداخلية كل قسم مما يليه وتعين لامورسير على القسم الاول ويبدو على الثاني ويوسف المنتصر العنابي على الثالث وانقسم الرابع يرأسه ييجو بنفسه ثم خرجوا جميعاً وفي ذلك الوقت كان الامير في جنوبي ايبالة وهران فقصده لامورسير وطير الخبر الى ييجو ويوسف يخبرهم به لانهم تواعدوا على ان يجتمعوا عليه ويحولوا بينه وبين الصحراء قال بعض مؤرخيهم واشدة عزمه وقوة حزمه وسرعة حركاته كان يوجد في المكان المعين ثم يفقد منه في اقرب وقت فلذا تركهم يحولون عدة اسابيع في نواحي شارب بدون طائل ثم بعد عناء وشدة اجتمع به ييجو ويوسف بجيوشهما في ابي الشطوط من بلاد اولاد شرين فوقع بينه وبينهما قتال شديد على وادي رهيو فقصدت فرقة من العدو الى مركزه فالجاته الى الوادي فشد على فرسه فارتمى به الى العدو الاخرى وكانت المسافة بين العدوتين في تجرى النهر نحو الثلاثين ذراعاً هاشمياً ولم ياحقه انزعاج ولا لحق الفرس ضرر فاعدها الناس من اعظم خرق العوائد وفي آخر القتال انتصر على العدو مع كثرتهم وغنم منه نحو الخمسين فرساً ثم سار الى فليته وينجو يتاثره ثم ارتد عنه لياسه من اللحاق به فلقية يوسف في كوجيله في جيبته وكان الامير في نحو الف فارس فاستجر له ليريه انه انكسر امامه ثم رد الكرة عليه ففرق شمل تلك الجيوش الكثيرة وبدد كتابها وتحيز يوسف في ناحية من محل المعركة فقصده الامير ليجارزه فهرب وكان اليوم شديد المطر والرياح فلم يتمكن منه ولولا ذلك لآخذه اسيراً او اصماه بسيفه واعدمه الحياة ونعم الحارس الاجل وفي تلك

الليلة سار الامير من محل المعمعة غازياً على قبيلة صدامة في وادي العبد غير ملتفت الى
يدجو ولا الى لامورسير مع قريبتها من بلاد صدامة ثم غزى قبيلة الاحرار فاكتسح
من لحقه منها ثم توجه الى الجهة الشرقية فلاذت كافة قبائلها بطاعته ولم يزل يتنقل الى
ان وصل الى جبال زاوارة واحتل بجبل جرجرة وفيها التقى بخليفته السيد احمد بن سالم
وفي اثناء مسيره الى تلك النواحي بلغه قرب العدو منه فخشي منه ان يتعرض له في طريقه
فاغز السير وقطع مسافة اربعة مراحل في ليلة واحدة وكان كلما وصل الى قوم ركبوا
معه الى قوم آخرين الى ان وصل الى جرجرة ولذلك سمي بابي ليلة وبعد ان اخذ الراحة
في تلك الجهة غزا بني هيدورة من القبائل الذين دانوا بطاعة الفرنسيس ومنازلهم بشرفي
المدينة ثم اجتمعت عليه قبائل زاوارة وكانوا مستعدين للجهاد تحت رايته فانتخب منهم
نحو الخمسة آلاف فارس وغزا بهم نحو متيجة فاكتسح الاموال وفعل في تلك
النواحي النعائل وهرب الفرنسيون امامه الى مدينة الجزائر واستمر على فعله الى ان
وصل قرب المدينة كل ذلك وجيوش الفرنسيس تطابه في ايلة وهران وايلة مليانة
وبينما هم كذلك بلغتهم اخباره وفنكته في بلاد متيجة وانحاء الجزائر فنعجبوا من امره
وارتاعوا من بطشه وبعد ان بلغ مراده من غزاته تلك وامتلأت ايدي جيوشه بالغنائم
رجع الى جرجرة ومنها ارتحل الى الجهة الشمالية ونزل بارض فليسة من قبائل زاوارة
بالقرب من دلس وتبتعد عن مدينة الجزائر بمرحلة وصار يشن الغارات المتتابعة على
سهول متيجة وقد مضى له اكثر من سنة بعيداً عن اهله فكتبت متشوقاً اليه متعطشاً
للقائه فاجابني بقوله .

بني لئن دعاك الشوق يوماً	وحنت للقا منا انقلوب
ورمت بان تنال منا ووصلا	يصح بعيدة القلب المكثب
فاني منك اولى باشتياق	وناري في الفؤاد لها لبيب
وان اخفي اشتياقي في فؤادي	فان الشوق يكند الارب

﴿ وقال ينتخر بنفسه ويجيشه ﴾

لنا في كل مكرمة نجال	ومن فوق السماء لنا رجال
ركبنا للمكارم كل هول	وخضنا ابجراً ولها زجال
اذا عنها توافى الغير عجزاً	فنحن الراحلون لها عجمال
سوانا ليس بانقصود لما	ينادي المستغيث الا تعالوا

وافظ الناس ليس له مسمى
لنا الفخر العميم بكل عصر
رفعنا ثوبنا عن كل لوم
ولوندرى بباء المزن يزري
ذرى ذا الجحد حقا قد تعالى
فلا جزع ولا هلع مشين
ونعلم ان جننا السفهاء حقا
ورثنا سوؤددا للعرب يبقى
فبالجد القديم علت قریش
وكان لنا دوام الدهر ذكر
ومنا لم يزل في كل عصر
لقد شادوا الموءسس من قديم
لهم هم سحت فوق الثرى
لهم لسن العلوم لها احتجاج
سلوا عنا الفرائس تخبرنكم
فكم لي فيهمو من يوم حرب

ومما وجدته مقيدا بخط السيد قدور بن رويله كتب الامير قال ولما بلغ سيدي
وسندي ومولاي الامير عبد القادر ابن سيدنا نعي الدين نصره الله اني وصلت المدينة
النورة كاتبي وهناني بهذه الايات

يا هل ترى مثلاً فزتم افوز وهل
يا هل تلت الذي قد كنت تطابه
وساعدتك الليالي لا شقيت قدم
قد طاب في طيبة الغرا مقامكم
تعالو سعودي على نحمي فنقلبه
وفزت دة في بنا ترجو وترغبه
قرير عين بوصل است تسلبه
جوار تحبونا من كنت ترقبه

ثم انه نصره الله ذكر لي ايات ابن المبارك المروزي للفضيل بن عياض كني بها
نصره الله عن امره لي بالقدوم الى حضرته العلية وكان حفظه الله جرح في بعض مغازيه
برصاصة اصاب طرف اذنه فلطف الباري والحمد لله على سلامته وهي .

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا
من كان يخضب خده بدموعه
لعلمت انك في العبادة تلعب
فحقورنا بدمائنا تلخضب

او كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تنعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رجع السنايك والغبار الاطيب

فاجبته

بابي وامي افتديك من الردى وباحمد وباخته أتقرب
واحسرتي واضيعتي واخيبتني ان لم اكن بفدائكم اتقلب
وحياتكم فلانني بفراقكم لعل لظي وجارها اتقلب
هل من قطا يوماً يعير جناحه صبا غدا بفراقكم يتعذب
حتى اراني في حماكم واهباً رهي فداكم في رضاكم ارغب

❖ ذكر واقعة نهر يسر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته ❖

ولما اتصل انتصار الامير في تلك الانحاء واشترأت نفوس اهل الوطن اليه غص
به حاكم الجزائر فجهز اليه الجنرال جانفيل بعسكر جرار وكان الامير معسكراً على شاطئ
نهر يسر من العدو اليه فوجه العدو في محله على حين غفلة فركب الامير فرسه
ودافع بمن حضره من العسكر واشتد القتال بين الفريقين واخذوا يطاؤون هرباً بالسيوف
ووخزاً بالرماح ولا زال الامير يقاتل حتى وقع فرسه من تحته وركب فرساً آخر ثم
رجع القهقري بمن بقي من جيوشه وقصد جهة نهر سباو قال بعضهم وبهذه الواقعة
انتهز ييجو الفرصة فوالى مسيره الى جرجرة واجتمع فيها بالجنرال جانفيل ثم زحفوا
الى بلاد فليسة فاستولوا عليها ونفي الامير مع جيوشه من مصادمتهم مرة اخري ثم
سارت الجيوش الفرنسية الى نواحي الجنوب وتفرقوا في كل جهة واخذت القبائل
يلوذون بالطاعة والانقياد اليهم ورجع الذين كانوا هاجروا من بلادهم منهم اليها ثم
ان الامير لما رأى اضطراب الاحوال مع كثرة جيش العدو وعجز المسلمين عن المدافعة
والمهاجرة اعتزم على التوجه الى نواحي الصحراء مراقباً سنوح الفرص ولا زال
في طريقه يشن الغارات ويثب البعث والغوازي يميناً وشمالاً على مستعمرات الفرنسيين
الى ان اجتمع عنده من الغنائم ما لم يدخل تحت حساب فعمد بالجميع الى جبل العمور
طالباً بلاد اولاد نائل وقدم اثقاله وعساكره وتاخر في نحو السبعين فارساً يستطلع
اخبار العدو فطار الخبر الى الجنرال يوسف العنابي المنتصر فصار يبعثه يطوي الليل
والنهار حتى ادركه فالتفت الامير الى العدو بمن معه وصدقوه القتال واستمرت
نار الحرب تضارم نحو اربع ساعات راستشهد من المسلمين نحو الاربعين فارساً

ولم يبق مع الامير الا نحو الثلاثين فجاءهم ورد الكرة على العدو فتطايروا امامه ثم اخفى بمن بقي معه في بعض الاودية القريبة من موضع القتال فطلبهم العدو فلم يجد لهم اثرًا قال شرشل فعجب الفرنسيون من بسالته وشجاعته وسرعة اخفائه حيث انهم طلبوه فلم يجدوه فكانه طار في الهواء او خرق الارض هو ومن معه ثم قال وقد اوردت هذه القصة في باريس بين الاعيان في المحافل السياسية في معرض التعجب والحيرة فشهد الجنرال يوسف الامير بالفضل على كل من عرفت بسالته وحماسه من رجال الامم والذي اذهل العقول تواريه السريع عن اعين الجميع بعد ان كان بينهم قال الجنرال ولقد رأيت من ثبات الامير وشدة هجومه ما يحير الافكار ولما رأى الامير كثرة الجيوش الفرنسية وانتشارها في سائر نواحي البلاد ورأى القبائل الذين كانوا يمدونه بالذخيرة وسائر ما يلزم له وجيوشه تركوا طاعته ولحقوا بالفرنسيين علم ان الوقت غير مساعد على الوصول الى اجتماع الكلمة عليه والعدول عن طاعة عدوه الى طاعته سار بجيشه مغرباً على طريق الصحراء فنزل على اولاد السيد الشيخ ابن الدين البكري في بلدتهم المعروفة بالايض فتلقوه بالتعظيم والاحترام واكرموا نزله ثم تقدم اليه كبيرهم وقال ايها الامير المعظم اما نسألك بالله تعالى ان لا تعرضنا للعرب والبلاء مع عدو ديننا ودنيانا باقامتك عندنا في بلادنا فان الفرنسيين لا يخفى عنادهم وظلمهم ولولا انهم اشد الخلق عتواً وظلماً واعتداءً ما تسلطوا علينا واين بلادنا من بلادهم فهم في يرو نحن في بر آخر ومع ذلك فانهم اعندوا علينا وقصدوا ان يملكوا بلادنا ورقابنا فلما سمع الامير كلامهم رق لهم واشفق عليهم وارتمل عنهم مغرباً الى دائرته وكانت على نهر ملوية فيما وراء جبل بني يزنا من ولول وصوله اخبره بقتل الاسارى الفرنسيين المستولى عليهم في واقعة الغزوات وتموشنت فاسف لذلك وتكدر ووبخ خليفته على الدائرة السيد الحاج مصطفى بن التهامي فاعتذر عن ذلك باعذار كثيرة اشدها دسائس السيد محمد البوحميدي وذلك ان الامير قبل واقعة الغزوات قد جعل امر الدائرة وما يتعلق بها الى خليفته البوحميدي فلما وقعت واقعة الغزوات واعتزم على السير لحل القبائل على الرجوع الى طاعته سلم الاسرى الى صهره وخليفته السيد مصطفى وعهد اليه بامر الدائرة والنيابة عنه وفوضه تفويضاً مطلقاً باجراء ما يعود نفعه على الدائرة وان يمنع من اراد الخروج منها لان البعض وخصوصاً بني عامر اضمروا على الخروج منها والدخول الى مراکش لما نالهم من المشقة والتعب وامره ان يبلغ البوحميدي

ان يلحقه بنجدة الى جنوب اقليم الجزائر ولما بلغ البوحميدي ظن ذلك من عدم ثقة الامير به فاخذ يهيج بني عامر على العود الى اوطانهم او الحقوق بسطان المغرب الاقصى ويمنعهم من تقديم الطاعة لابن التهامي فحنق التهامي سيما من عدم توجهه بالنجدة للاميروامر بان الذي لا يريد ان يتوجه للنجدة يعطى فرسه الى من قنلت دابته في الحرب فحصل من ذلك قلق عظيم في قبيلة بني عامر لان العرب تعز خيولها اكثر من معزة نفوسها فاخذوا في الخروج من الدائرة الى بلاد مراکش فخرج في ليلتين مقدار مائتي خيمة والتجئوا الى القبائل المجاورة للدائرة وتبعهم الناس فافتكر السيد مصطفى لعمل واسطة تخوفهم من الخروج فلم يربح بحسب فكره احسن من ذبح اسرى الفرنسية الذين سلمهم الامير له واوصاه بحسن معاملتهم وظن ان ذلك الامر يبرئ العرب عن الخروج من الدائرة خيفة من الفرنسيين حيث انهم ارتكبوا امراً فظيلاً في حقهم فمنعه الخوف من غضب الامير وعثابه له لما هو تحقق عنده من شدة اعنائه بامر الاسرى وبذل الاكرام وحسن المعاملة لهم وصار يقدم رجلاً ويؤخر اخرى حتى ورد عليه الخبر بزحف جيوش السلطان عبد الرحمن لانتقاذهم من يده فازداد حيرة لوقوعه بين امرين خطرين اما سفك الدماء بين المسلمين لاجلهم واما ان يسلمهم لهم اختياراً ويصعب عليه الاعذار عند مواجهة الامر ثم قوى عزمه على ما كان مصرّاً عليه وقتلهم وكانوا مائة وسبعة وثمانين اسيراً وابقى احد عشر رئيساً وكانت هذه النعلة الشنيعة افطاع شيء وقع من هذا الخليفة في جميع تلك الحوادث والمواقع والحق يقال ان هذا النعل خارج عن العدل ولولا ما اشتهر به الامير من حسن المعاملة للاسرى لظن الناس ان له دخلاً في هذا الامر ولذا قال بعض مؤرخي الافرنج ان حسن المعاملة المألوفة من الامير رفعت هذا الظن لانه كان ينزل اسراه منزلة الضيوف ويأمرهم بانغفر الطعام واحسن الملابس وكان مرتب كل واحد من خمس ريات الى عشرين على حسب مراتبهم وقد افرد شرشل الانكليزي الفصل السادس عشر من تاريخه بذكر ما كان يعامل به الامير الاسرى الواقعين في يده من المعاملة الحسنة والرحمة والشفقة وايد ذلك بمحايات صدرت من الامير في حقهم تستحق ان تكتب على طروس المواقع بقاء الذهب وملخص ما ذكره ان الاعنائه الموجود عند الامير عبد القادر لاسراه الزائد عن الحد لم يكن له مثال في اخبار الحرب ولذا يجب على كافة المسيحيين ان يخبروا عند قدميه نظراً لما ابداه من الرحمة والشفقة وحسن المعاملة لان الاسارى الذين يقعون في ايدي العرب المتوحشين كانوا معرضين للتهديدات البربرية ولعدم فهم لفظة اسير عند القبائل المتوحشة كانوا لا

يقون على كل من قبض عليه في ساحة الحرب وكان جل مرامهم تكثير عدد الرؤوس من الاعداء افتخاراً بحملها على جوانب الخيول وطمعاً بما ينال على كل رأس من الجائزة حتى صار ذلك الفعل طبيعة لهم لا يمكنهم تركها فكيف وقد اضطرت نيران غيظهم مما ألم بهم من الفرنسيين بيد ان مرحمة الامير وشفقته وبديع الحكمة والسياسة التي ابداهها بجعله لكل من اتى باسير سالماً ضعفي ما كان ياخذ على الرأس او ثلاثة اضعافه وكل من اتى برأس اسير يجازى بالجلد على رؤس الاشهاد واصدر الاوامر اللازمة بهذا الشأن في سائر مملكته وهذه المعاملة الحسنة واخراجه سر في سائر خلفائه وعماله واثرت في العرب والبربر تأثيراً غريباً فغلبت مرحمتهم الانسانية على شدتهم البربرية غير انه لم ينفى احد ما كان لوالدته من كمال الحلم والرحمة ولطف المعاملة والشفقة على اسرى النساء فقد اعنت بهنّ اعناء انسا هنّ ما هنّ فيه وجعلت خيمتهنّ ملاصقة لخيمتها وعينت اثنتين من امائها خفراً عليهنّ وفي كل صباح ترسل اليهنّ القهوة والشاي والسكر والزبد واللحم وكافة ما تدعوهنّ اليه حاجتهنّ ومن شدة حرص الامير على الاعناء بشانهم كتب الى اسقف الجزائر ان يرسل اليهم كاهناً ليسليهم ويخفف مصائب الاسر عليهم ويكتب لهم ما يريدون ان يكتبوه لعيالهم ويكون ذلك الكاهن اميناً على نفسه وضيافاً مكرماً عنده ثم قال وان كان قلب الامير قاسياً عند لقاء الخطر لكنه يلين ويزوب شفقة عند مشاهدة حزن الاسرى وكان اشد كراهة عنده ان يرى الاسرى من النساء ويضطرب عند تصوّره وقوعهن فرائس الحرب وقد جاء اليه احد اعوانه باربعة من النساء اسرى فحوّل وجهه وقال له متهمكاً الاسد يقنص الحيوانات القوية ويقع ابن آوى على الضعيفة واطلق مرة اربعة وتسعين اسيراً بلا فدية ولا عوض وارسل معهم خفراً يوصلهم الى رفقاتهم فقال احد قوادهم ينبغي لنا اخفاء هذا الامر وكتمه عن العسكر لانهم ان علموا به لا يتاقي لنا ان نحارب عبد القادر بالترتيب المناسب ولم يكتف بحسين حالة الاسرى فقط بل كان يود المبادلة وقد طلب ذلك مراراً عديدة من الفرنسيين واصرّ عليه فلم يجده نفعاً ومما يوه كد عدم اطلاعه على ما وقع بهم ما ذكره زوا الفرنسيون في تاريخه من ان الضباط الباقين منهم ارسلوا الى اهليهم في فرنسا كتباً يبرّونه بها ونص كتبهم ان معاملة الامير للاسارى لم تنزل معاملة حسنة بل عديمة النظير وان اكرامه لهم لا يقاس عليه لعزته وجميع ما جرى على رفقاتنا لم يكن باذنه ولا بعلمه بل لا يخطر في البال ان يصدر مثل هذا الامر منه لانه يخشى مقابلة الفرنسيين له بالمثل فيذبحون الاسرى من المسلمين الذين عندهم وهذا لا شك انه يهيج القبائل التي لها اسرى وعلى فرض انه امر به

صهره لما كان تأخر في انفاذ الامر تلك المدة الطويلة ولوقيل انه استشاره فيه بعد وصوله الى الدائرة فالوقت لا يقتضي ان يحصل على جواب في تلك المدة لان الدائرة كانت اذ ذاك في ملوية والامير في بلاد زاوة وبينهما مسافة ستمائة وثمانين كيلومتراً نعم ان الامير تغافل عن اظهار التهمة وتوجيه المسؤولية على الرؤساء الذين فعلوا تلك الفعلة الشنيعة وهم السيد مصطفى ومن وافقه ليبري ساحتهم خوفاً عليهم من وقوع الخطر على احدهم ان وقع في يد الفرنسيين كما هو مقتضى طباعه الكريمة انتهى . وبالجملة فان شرف نفس الامير وكرم اخلاقه مع ما عهد منه فيما مضى من المعاملة للاسرى يحققان عدم صدور ذلك منه حتى ان المارشال بيجو قبل هذه الواقعة ارسل نيشان افتخار لبعض الاسارى الذين عند الامير اسمه اسكوفيه فلاول وصوله الى سموه امر باحضار اسكوفيه عنده وامر بعض اعيان العسكر ان يقلده النيشان بيده ثم احسن الى الاسير المذكور بما ملا قلبه سروراً وكتب اسقف الجزائر يسأله اطلاق اسير من اقاربه وقال في كتابه ليس لي مال افديه به بل اقبالك بالدعاء والثناء والراحمون يرحمهم الله فاجابه الامير الى مطلوبه واطلق له اسيره وكتب اليه حيث انك زعمت انك مشفق على اسيرك فكان ينبغي لك ان تم باشفاقك سائر الاسرى فتطلب اطلاقهم وقال فاليوت في تاريخه ان الامير كان في صورة عدو كريم الاخلاق فان كل من كان اسيراً في قبضة يده من الفرنسيين قد اثنى عليه الثناء الجميل وكان يامر باعفائهم من الخدمة يوم الاحد ملاحظاً في ذلك اعتبار الديانة المسيحية مع ان الفرنسيين لم يلاحظوا اعتبار يوم الاحد بل هو عندهم كسائر الايام فاذا كانت هذه احواله في مبدأ امره فكيف يكون على خلافها في منتهى امره انتهى . ثم ان الامير بدا له ان يفادي بالاسرى الباقين ولما لم يحصل على طائل اطلقهم وكتب الى ملك فرنسا ما نصه

الحمد لله وحده من ناصر الدين عبد القادر بن محيي الدين الى جلالة ملك فرنسا لويس فيليب احسن الله مقاصده في كل ما يؤل الى سعاده وجعله من الذين يتبعون سواء السبيل والمعروض لجلالتكم انني كنت مستعداً لقبول شروط الصلح وطالما تعاطيت اسباب تقريره وسعيت وراءها فلم يجد ذلك نفعاً لشدة ما انطوت عليه بواطن عمال الجزائر من الفساد والعناد وتشبثهم بما يلقيه اليهم المنافقون من العرب والبربر الذين تردوا في مهوى غيهم الداعي الى مكر الله تعالى بهم وغضبه عليهم وقد كتبت اليكم عدة مكاتيب فلم ياتي جواب منكم فقويت البواعث الردية في الجزائر على استمرار الحرب الى الآن وفي اثناء الوقائع بيننا وبين عساكركم

كان يقع في ايدينا اسرى كثيرة منكم فنفادي بها اسرانا الذين في ايديكم وفي
السنة الماضية كتبت لنوابكم ببادلة الاسرى فلم يردوا لي جواباً فراجعتهم مراراً
فما افادت المراجعة شيئاً بل سجنوا رسلي واهانواهم وهذا اعظم دليل عند العرب بين
التحاربين على نقض العهد من فاعله حيث ان الرسل شأنها ان تعاد الى مرسلها
بلا اهانة ولا ايذاء وبعد ذلك شاع ان الفرنسيين عازمون على انقاذ اسراهم
جبراً من ايدي العرب ثم فشا بين الناس ان سلطان مراکش عازم على انقاذهم
من يد خليفتنا رغماً عنه فكان هذا مع سوء سلوك نوابكم سبباً لما وقع بالاسرى
من غير اذن منا ولا علم لنا والآن قد اطلقنا عشرة ضباط مع الرئيس كورلى
دي كوفري وهم يعلمون بما اجريناه من الوسائل والتدابير الحسنة لاجل الوصول الى الاندية
بما عندكم من اسرى المسلمين ويعلمون حسن معاملتنا لاسائر الاسرى الذين يقعون
في ايدينا ويعرفون ان عدم رد جواب نوابكم عن مكاتبتنا في هذا الامر هو الذي
عارض حسن المقاصد فيما بيننا وبينكم ووجب ما اوجب مما كان من غير اختيار
ولا قصد انتهى . وبعد ان اطلق الضباط المذكورين ارسل معهم حرساً يوصلونهم
الى مليليه وهي مرفأً لاسبانيا فوصلوا تلى احسن الاحوال وبعد وصولهم كتب
كل واحد منهم بخطه بصورة الحال ونص ما كتبوه . حينما كننا اسرى عند الامير
عبد القادر كننا نعامل احسن معاملة وكانت جرايتنا اليومية الخبز الخالص واللحم الجيد
والسمن والسكر والقهوة وما اشبه ذلك ولم يحصل لنا ادنى اهانة من سائر الوجوه
وعند ما كان الامير في الصحراء حرر خليفته البوحيمدي الى المارشال في الجزائر
في امر الدا فلم ير له جواباً وعند ما اخذ العرب يقتلون رفقاءنا من غير علم
الامير سالنا عن السبب فاخبرونا انه قد عزم المراكشيون على اخذهم جبراً وبعد
هذا كله انعم الامير علينا باطلاق مراحنا وارسلنا الى مليليه وكان هذا منه احساناً
من غير عوض حرر في السادس من تشرين اول سنة ست وسبعين وثمانمائة والـ
ف كاتبه . توما . باربوت . هابوس رئيس الفرقة الثامنة من معسكر اورليان . مينا كرينا .
ماريسن . كورلى دي كوفري رئيس فرقة الفرسان . واطلاق هؤلاء الضباط لم
تجنفل به فرنسا ولم تلتفت اليه وتمادت على غيها وغرائها اسلطان مراکش على الامير
فارتاع السلطان عبد الرحمن وبعث الى الامير يامره بالخروج من الحدود ويذكر
له انه لا سبيل الى خلاصك الا باحد امرين اما ان تسلم نفسك الينا واما ان تخرج
من الحدود فان ايت ان تجري احدهما طوعاً فنحن نجريه كزها ثم دس الى القبائل

القرية من الدائرة في التضييق عليها وقطع الميرة عنها والتجافي عن مواصلتها بكل ما يعود بالنفع عليها فوجم الامير لهذا الامر وكتب الى السلطان مانصه . اما بعد فاني كاتبكم اولاً والتمست منكم كف ضرر قبائلكم المجاورة لنا وتعتديها على من تبعني وسوء معاملتهم لهم لانهم كلهم اولاد دين واحد وشريعة واحدة فلم ياتني جهاب عن ذلك ولم يحصل لهم ردع من طرفكم ومع هذا كله انا صابر ومتحمل لما يجرؤنه كراهة سفك دماء المسلمين مدة ستة اشهر طمعاً في رجوعهم عن البغي والطغيان الى العدل والاحسان مع قدرتي عليهم في كل آن فان لم تردعهم الآن عن افعالهم وترجعهم عن قبيح تصرفاتهم التزم المحاماة عن حقوقي والمحافظة على شرف اتباعي ولذا بادرت باخباركم والسلام عليكم . ثم جمع اعيان جيشه ودائرته واطلمهم على حقيقة الحال فعلوا ان الرجل قد ضل رشده في التخلي عن ينصره ويحمي حوزته وانه وافق العدو على اذلال المجاهدين في سبيل الله والغرض من شأنهم ثم قالوا الامير اننا قد بايعناك على السمع والطاعة والجهاد الى الموت ونحن مستعدون للوفاء بالعهد من اتباعك والكون معك في سائر احوالك ثم اتبقت كلمتهم على الاقامة في مواضعهم والدفاع عن حوزتهم . وكتب الامير الى علماء مصر يستفتيهم في ذلك ونصه . الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافي مزيدة اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وارضى اللهم عن الصحابة اجمعين وعن الائمة الراشدين من خديم المجاهدين والعلماء وال صالحين عبد القادر بن محيي الدين الى ساداتنا العلماء الابرار الافاضل الاخيار رضى الله عنكم وارضاكم وجعل الجنة منزلكم ومثواكم جوابكم عما فعله بنا سلطان المغرب من المنكرات الشرعية التي لا نتوقع من مطلق الناس فضلاً عن اعيانهم فامعنوا نظركم فيها شافياً واجيبونا جواباً كافياً خالياً عن الخلاف ليخلو قلب سامعه عن الاعساف وذلك انه لما استولى عدو الله الفرنسي على الجزائر وخلت الايالة عن الامير وانقطعت السبل وعطلت الاسباب وطالت شوكة الكافر اجتمع ذوو الرأي وتفاوضوا على ان يقدموا رجلاً من ساداتهم يؤمن السبل ويكف المظالم ويجمع المسلمين للجهاد لئلا يبقى الكافر في راحة فتمتد يده فاخثاروا رجلاً منهم وقدموه لذلك فنقدم وعمل جهده فيما قدموه له فتامن السبل بحمد الله ونيسرت الاسباب بعونه وجاهد في سبيله وذلك من لدن سنة الستة والاربعين الى سنة ثلاث وستين هذه ولن نزال كذلك ان شاء الله فاذا بسطان المغرب فعل بنا الافعال التي تقوي حزب الكافر على الاسلام وتضعفنا واضر بنا الضرر الكثير ولم يلتفت الى قول رسول الله صلى الله

عليه وسلم المسلم اخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن
لاخيه كالبنان المرصوص يشد بعضهم بعضاً ولا الى قوله عليه الصلاة والسلام المؤمنون
تتكفأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم الى غير ذلك من
الاحاديث الشريفة فاذل ما فعل بنا اننا لما كنا حاضرين الكافر في جميع ثغوره
نحواً من ثلاث سنين وقطعنا عليه السبل ومادة البر من الحب والحيوان وغيرها
تضييقاً عليه وتضعيفاً له خصوصاً من جهة الحيوان لان قانون عسكره انهم اذا لم
ياكلوا اللحم يومين او ثلاثة يفرون عن طاعتهم ولا يقاتلون ولا يلامون حتى باغت
قيمة الثور عندهم مائة ريال دورو فاذا بالسلطان المذكور امدهم وهم في الضيق الشديد
بالوف من البقر وغيرها الثاني انه غصب من عامنا الفاً وخمسمائة بندقية انكليزية
الثالث انه غصب من وكيانا اربعاً كسوة جوخ اعددناها للمجاهدين الرابع ان
بعض المحبين في الله ورسوله من رعيته قطع قطعة من ماله الخاص به ليعين
به المجاهدين فاذا بالسلطان المذكور زجره وتزعجها منه وقال انا احق بها والحال
انه لم يجاهد الخامس ان بعض القبائل من رعيته عزموا على اعانتنا بانفسهم
في سبيل الله فمنعهم من ذلك واعاننا آخر من رعيته بسيوف في سبيل
الله فحبسه الى الآن زجراً له وردعاً لغيره السادس انه لما وقعت لهذا السلطان
مقاتلة مع الفرنسيين اياماً قلائل ثم تصالحا واشترط عليه الفرنسيين ان لا يتم
الصلح بينهما الا اذا حل امر هذه العصاة المخدبة المجاهدين ويقبض رئيسهم
فاما ان يحبس طول عمره واما ان يقتله واما ان يمكنه من يد الفرنسيين او يحليه من
الارض فاجابه السلطان الى ذلك كله ثم امرني بترك الجهاد فايت لانه ليس
له علي ولاية ولا انا من رعيته ثم قطع عن المجاهدين الكيل حتى هام جوعاً
من لم يجد صبراً واسقط من المجاهدين ركناً ثم اخذ يسعى في قبضي لحفظني الله
منه ولو ظفري لقتلني اولئعل بي ما اشترطه عليه الفرنسيين ثم امر بعض القبائل
من رعيته ان يقتلونا وياخذوا اموالنا وكنه اسنحل ذلك فابوا جزاهم الله خيراً
فاذا تصورتم ايها السادات هذه الافعال التي تنظر منها الاكباد وتتأثر عند سماعها
العباد فهل يحرم عليه ذلك ويضمن ما غصب ويقتل بنا ان قتلنا حسبما نص عليه المعيار
في اول باب الجهاد وزبدته انه اذا نزل الكافر بساحة المسلمين وقال لهم ان
لم تعطوني فلاناً او ماله او يقتل استاصلتكم فانه لا يسعهم ذلك ولا يعطوه شيئاً
مما طلب ولو خافوا استيصاله فان اعطى ماله ضمنه الامر به ونقل ذلك عن نصوص

المالكية والشافعية وكما نص على ذلك ايضاً الشيخ مياره في شرح لامية الزقاق في آخر باب
الإمامة الكبرى ونصه قال ابن رشد اذا امر الامام بعض اعرانه بقتل رجل ظلماً ففعل فلا
خلاف انهما يقتلان معا نقله المراق عند قول خليل في باب الجنائيات كمكره ومكره فان فعل
المأمور ذلك خوفاً على نفسه فانه لا يعذر بذلك قال ابن رشد ايضاً الاكراه على الافعال
ان كان يتعلق به حق لمخلوق كالقتل والغصب فلا خلاف ان الاكراه غير نافع
نقله ايضاً عند قوله في الطلاق لا قتل مسلم وقطعه ونقله الخطاب في هذا المحل
الثاني ونصه في آخر معين الحكم ومن هدد بقتل او غيره على ان يقتل رجلاً او
يقطع يده او ياخذ ماله او يزني بامرأة او يبيع متاع رجل فلا يسهه ذلك وان
وان علم انه ان عصي وقع به ذلك فان فعل فعله القود ويغرم ما اتلف ويحد ان
زنى ويضرب ان ضرب ويأثم اهـ وهل المهادنة التي اوقعها فاسدة ومنقوضة لان
الجهاد تعين عليه قبل ان ينجأ العدو بسبب قربنا منه وعجزنا عن الجهاد ولان
منزعتها عائدة على الكفار ووبالها على الاسلام كما هو مشاهد حسبما نص على
ذلك في المعيار ايضاً في باب الجهاد في الجواب عن سؤال التلمساني وحاصله ان
الخليفة اوقع الصلح مع النصارى والمسلمون لا يرون الا الجهاد فاجابه بما حاصله
ان مهادنته منقوضة وفعله مردود ونقل على ذلك نصوصاً وهل يحمل بيع البقر لم
في وقت حصرهم المسلمين على حرمة بيع الخيل لهم والشعير وآلة الحرب ام لا
وعلى انه لم تسعه مخالفة الفرنسي في شرطه عليه من قتلنا وتفريق جماعتنا وما
ينشأ عنه من ترك الجهاد بالكلية واقتحم الامر وشق العصا وجانا بالجيش ليقتلنا
وياخذ اموالنا ويفرق جمعنا فهل يجوز لنا ان نقاتله بمقتضى ما نقله الشيخ مياره
ايضاً في شرحه المذكور في الباب ونصه انظر اذا خلا الوقت من الامير واجمع
الناس رايهم على بعض كبراء الوقت ليمهد سبلهم ويرد قلوبهم عن ضعفهم .
فقام بذلك قدر جهده وطاقته . والظاهر ان القيام عليه لا يجوز . والمعارض
له يريد شق عصي الاسلام وتفرق جماعته في صحيح مسلم رضي الله عنه عن
زيادة بن علاقة قال سمعت عرفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول انها ستكون هنات وهنات فمن اراد ان يفرق امر هذه الامة وهو جميع
فاقتلوه كائناً من كان وبسنده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .
من اتاكم وامركم جميع على رجل واحد يريد تفريق جماعتكم فاقتلوه اهـ ام لا يجوز
لنا ذلك وترك الجهاد ليس الا جوابكم تؤجرون وتحمدون وعليكم السلام في البدء

والختام والحمد لله رب العالمين

فاجابه العلامة الحجة الشيخ محمد عيش مفتي المالكية بالديار المصرية بقوله . الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله المهتدين . نعم يحرم على السلطان المذكور اصلح الله احواله جميع ذلك الذي ذكرتم حرمة معلومة من الدين بالضرورة لا يشك فيها من في قلبه مثقال ذرة من الايمان . وما كان يخطر ببالنا ان يصدر من مولانا السلطان عبد الرحمن وفقه الله تعالى مثل هذه الامور مع مثلكم فانا لله وانا اليه راجعون وما قدر الله سبحانه وتعالى لا بد ان يكون خصوصاً وانتم جسر بينه وبين عدوه وان كنا في اطهئنان على اقيامه من استيلاء عدو الله عليه بما في الاحاديث الصحيحة من بقاء اهله على الحق حتى تقوم القيامة . منها ما وجد بخط الشيخ المقرئ ونصه من خط الفقيه المحدث العالم ابي القاسم العبدوسي حفظه الله تعالى ما نصه وجدت في ظهر تقييد الشيخ ابي الحسن الصغير على المدونة بخط من يقتدى به . قال ذكر صاحب كتاب نقط العروس عن ابي مطرف . قال حدثنا محمد بن الموز . عن ابن القاسم . عن مالك بن انس . عن ابن شهاب . عن سعيد بن المسيب . عن ابي هريرة قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ستكون بالمغرب مدينة يقال لها فاس . اكرم اهل المغرب قبلة واكثرهم صلاة . اهلها قائمون على الحق . لا يضرهم من - النهم يدفع الله عنهم ما يكرهون الى يوم القيامة . اه وكذا خيمانه لما غصب ضروري لا يشك فيه مسلم . وكذا استحقاقه القصاص منه بقتله موءمناً عمداً عدواناً مباشرة او باكرهه غيره عليه معلوم من الدين بالضرورة والنصوص التي ذكرتم صحيحة صريحة لا تقبل التاويل والمباذنة التي اوقعها فاسدة منقوضة . وما نسبتم للمعيار هو كذلك فيه وبيع البقر وسائر الحيوان والطعام والعروض وكل ما ينتفعون به في النازلة المذكورة حرماً قطعاً اجماعاً ضرورة لا يشك فيه مسلم سواء في حال حصر المسلمين ايامهم وفي حال عدمه اذ قتالهم فرض عين على كل من فيه قدرة عليه ولو من النساء والصبيان من اهل تلك البلاد ومن قرب منهم كاهل عمل السلطان المذكور وفقه الله تعالى فكيف يتخيل مسلم ان معاملتهم بما ينتفعون به وينفقون به على البقاء في ارض الاسلام جائزة مع ذلك قال الخطاب واما بيع الطعام يعني للحربيين فقال ابن يونس عن ابن حبيب يجوز في الهدنة واما في غير الهدنة فلا قاله ابن الماجشون اه وظاهره ان هذا فيما يذهبون به لبلادهم واما ما يستعينون به على البقاء في ارض الاسلام وقتال اهله اولى بالمانع وان اقتحم الامر وشق العصا وانا كم يبيشه وجب عليكم قتاله وجوباً عينياً اذ هو حينئذ

كالدوة والبغاة المتغلبين الفاجئين القاصدين الانفس والحريم لعدوانه وتجاربه على ما
 'جمع المسلمون على تحريمه وهو انفسكم وحرمةكم واموالكم ومنعكم مما هو متعين عليكم
 بالاجماع من جهاد الكفار الفاجئين لكم والمقتول منكم في قتاله كالمقتول في قتال
 الكفار ليس بينه وبين الجنة الا طلوع الروح فصمموا على قتاله واعدوا له ما استطعتم
 من قوة نصركم الله تعالى عليه وعلى اعداء الدين وبارك فيكم وفي كل من اعانكم من
 المسلمين وخذل كل من عاداكم وخذلكم كائناً من كان وجعل كيده في نحره ونص
 ما في الحيار وسئل بعض فقهاء تلمسان جوابكم سيدي عما عمت به البلوى في بلادنا
 وعظم من اجله الخطب واتسعت فيه المقالات وذلك ان الخليفة اصلى الله عليه
 هو لاء النصارى الذين اخذوا سواحلنا الى اجل معلوم والمسلمون يرون ان جهادهم من
 اعظم القربات فصاروا يغيرون على اطراف بلادهم فيقتلون ويضيقون بهم هل ذلك طاعة
 او معصية والافرض ان الخليفة لا يوافق على ذلك ويعاقب عليه اجيبونا ارشدتم
 ووقفتم .

فاجاب الحمد لله الذي ايد الدين المحمدي بالجهاد . ووعده الساعي فيه بالوصول الى
 اسنى المراد . والشهيد بالحياة المحفوفة بالرزق والحسن في برزخ الموت والامداد . فما من
 ميت الا يتنقى العود الى الدنيا الا الشهيد . لما يرى من فضل الشهادة . من ذي العرش
 المجيد . فيطلبها ليزداد له من الكرامة ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
 قلب بشر بعد المعاد فاعظم به من وصف لا تحصى فضائله اذ قدمت على نوافل الخير
 العلمي نوافله عند اهل الاجتهاد وصلى الله على سيدنا محمد النبي المبعوث لجميع الخلائق
 المنعوت بحمائل الخلائق القامع بلسانه وسيفه وبرهانه اهل الباطل والعناد وعلى آله
 واصحابه الذين وازروه على اظهار الخزي عنه من الاضداد فجلبوا ببركته لامته المصالح
 وبذلوا لهم النصائح ودفعوا العناد صلاة وسلاما تنال ببركتهما من الخيرات والبركات ما
 يخرج عن المعتاد

اما بعد ايها الاخ الكريم تحننه الجليل معتقده . فان جواب سؤالك يتوقف
 على تقرير مقدمة بتقريرها يتبين ما يتضح به المسئول عنه فنقول الصلح الواقع بين
 امام المسلمين وانداء الدين على ضربين الضرب الاول حيث يكون اجناد فرض
 كفاية والثاني حيث يكون فرض عين اما الاول فحيث يكون المسلمون طالبين
 على الكافرين الحربين فالصلح لمصلحة يراها الامام بحسب اجتهاده جائز عند المالكيين
 ونقل ابن عبد البر عن سحنون انه قال لا يبعد في المدة ونقل ابن شاس عن ابي

عمران انه استحب ان لا تكون المدة اكثر من اربعة اشهر الا مع العجز واما الضرب الثاني فمما تعين الجهاد في موضع لم يجوز فيه الصلح كما لو كان العدو طالباً على المسلمين وقد ينجأ موضعهم وهو ضعف عدد المسلمين فاقبل لاشدة وعدة على المشهور عند المحققين فيتعين على من نزل بهم ومن قاربهم دفعهم في الحين ونقل اللخمي عن الداوودي فرضية الجهاد على من يلى العدو ويسقط عمن بعد عنه وقرره المازري بانه يبان لتعلق فرض الكفاية لمن حضر محل تعلقه قادراً عليه دون من بعد عنه لعسره فان عصى الحاضر تعلق بمن يليه وحاصل كلام المازري ان فرض الكفاية الذي هو حكم الجهاد قد يعرض له ما يوجب على الاعيان في بعض الاحيان وفي تلقين القاضي عبد الوهاب قد يتعين في بعض الاوقات على من ينجأهم العدو وفي نوازل ابن ابي زيد عن سخون ان نزل امر يحتاج فيه الى الجميع كان عليهم فرضاً ولو سبى المشركون النساء والذرية والاموال وجب استنقاذهم على من قوى عليه مالم يخافوا على انفسهم او على اهلهم بروية سفن او خبر عنها فكل ما نقل في تعين فرض الجهاد مانع من الصلح لاستلزامه لابطال فرض العين الذي هو الجهاد المطلوب فيه الاستنقاذ وفي العتبية سئل مالك اوجب على المسلمين فداء من اسر منهم قال نعم ليس واجباً عليهم ان يقاتلوا حتى يستنقذوهم قال بلى قال فكيف لا يفدونهم باموالهم وفي مثل هذا اعني حيث يتعين الجهاد حكى القاضي ابن رشد الاتفاق على انه اقوى من الذهاب الى حجة الفريضة لان الجهاد ان تعين كن على النور والحج قد قيل فيه انه على التراخي ولما تقررت هذه المقدمة بما فيها من النصوص اللازمة تعين بها ان الجهاد فرض عين في مسألة السؤال فيمتنع فيه الصلح على كل حال لا سيما ان طالت مدته فقد عادت على العدو اهلكه الله مصلحته وعلى المسلمين منسدة وان تخيلت فيه مصلحة فهي للعدو اعظم من وجوه مكملته فانه يتحصن في تلك المدة ويكثر من آلات الحرب والعدة فيتعذر على المسلمين الاستنقاذ ويصعب عليهم تحصيل المراد بعد تيسره لو ساعد التوفيق ولكن المولى جل جلاله المسئول في هدايته الى سواء الطريق فما وقع من الصلح هو منسدة على الاسلام فلا يكون له في نفس الامر ابرام فالصلح المذكور يجب نقضه لانه يقتضى الشرع غير مبرم فحكمه غير لازم عند كل من حقق اصول الشريعة قال في التلقين ولا يجوز ترك الجهاد لهدنة الا من عذر لا يقال الصلح المسئول عنه داخل في المستثنى من كلام القاضي عبد الوهاب والصلح من المسلمين لا يكون في الغالب الا من عذر على انه حكم اجتهادي من امام فلا سبيل الى نقضه لانا نقول وقع ذلك عقب الداهية الدهيا وهي انتهاز العدو دمره الله الفرصة في بلاد المغرب

مع توفر الاسلام والعدد والعدو ليس له فيها مدد والمسلمون لا يقصرون عن ضعف العدو فضلا عن ان يكون عدوهم ضعفهم فاما ان يكون الصلح لخوف استئصال الكافرين بقية المسلمين واما للخوف من المحاربين والاول باطل لمخالفته الفرض والثاني كذلك ايضا لان الخوف من المحارب بالفرض لا يتأتى مع امكان انقسام العدو واتصال المسلمين بمحصل المدد فالواجب القتال وان كان العدو ذا جلد ومعه كثرة العدد فلا يدخل الصلح في المستثنى من كلام القاضى عبد الوهاب وحكم الجهاد ينقض اذا تبين فيه الخطأ كما نقل عن شنعون وطول المدة في الصلح المذكور خطأ فيه فينتقض الصلح وذلك ايضا لان الصلح المذكور فيه ترك الجهاد المتعين وترك الجهاد المتعين ممتنع فالصلح المذكور ممتنع وكل ممتنع غير لازم والجهاد في الموضوع المذكور لم يزل متعينا من زمن الوخزة الى الان وعن ابن القاسم ان طمع قوم في فرصة في عدو قريبهم وخشوا ان اعلموا الامام بمنعمهم فواسع خروجهم واحب الي ان يستاذنوه قال ابن حبيب سمعت اهل العلم يقولون ان نهى الامام عن القتال لمصلحة حرمت مخالفته الا ان يرحمهم العدو وقال ابن رشد طاعة الامام لازمة وان كان غير عدل ما لم يامر بمعصية ومن المعصية النهي عن الجهاد المتعين على ما تقدم والله سبحانه وتعالى اعلم . ومما ينبغي ان يذيل به ما وقع من جواب السوءال بيان حقيقة الصلح لغة وشرعا وبيان الممتنع منه والجائز بال او بغير مال وهو المعبر عنه في كتب الفقه بالمهادنة قال الجوهرى هادنه صالحه والاسم الهدنة واما حقيقته في العرف الفقهي فهو عبارة عن توافق امام المسلمين والحرييين على ترك القتال بينهم مدة لا يكونون فيها تحت حكم الاسلام فقولنا الامام يخرج من سواء من المسلمين فاذا حصل منه فلا يتم ولو كان امير السرية وبقية الرسم تخرج للامان والاستئمان وذكر المدة غير مقيدة فيه اشارة الى انها موكولة الى اجتهاد الامام ما لم تطل وينهم ذلك من تنكيرها فانها للنوعية واما حكمه فالجوار ان اقتضته مصلحة للمسلمين والمنع ان تضمن مفسدة عليهم قال ابن حبيب عن ابن الماجشون ان رجى الامام فتح حصون لم ينبغ له صلح اهله على مال وان على اياس منه فلا باس بصلحهم على غير شيء كصلح الحديبية وان لم يتضمن مصلحة ولا مفسدة فهو مكروه لما فيه من توهيم الجهاد فان نزل مضى ما لم تبين فيه مفسدة بعد عقده فينتقض قال الشيخ ابن ابي زيد عن شنعون ولو هادنهم الامام على مال ثم بان له انهم غروا بالمسلمين لم ينبذه حتى يرد ما اخذ منهم وكذلك ان بان ذلك لمن بعده ولا يحبس من المال بقدر ما مضى من الاجل قال شنعون وابس الامام نقض الصلح لغير بيان خطئه فيه ولو رد ما اخذ الا برضا

من عاقده ونقل الشيخ ابن ابي زيد عن ابن المؤاز انه قال كره علماءنا المهادنة على ان يعطينا اهل الحرب مالا كل عام قال محمد وانما هادن النبي صلى الله عليه وسلم اهل مكة لقلة المسلمين حينئذ هذا ما يتعلق بالصالح على مال ياخذ الامام او بغير مال واما لو وقع بمال يعطيه المسلمون لهم فقال المازري لا يهادن العدو باعطائه مالا لانه عكس مصلحة اخذ الجزية منه الا لضرورة التخاص منه لخوف استيلائه على المسلمين وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم لما احاطت القبائل بالمدينة سعد بن معاذ وسعد بن عباد في ان يبذل المسلمون ثلث الثمار لما خاف ان يكون الانصار ملت القتال فقالا ان كان هذا من الله سمعنا واطعنا وان كان رأياً فما اكلوا منها في الجاهلية ثمرة الا بشراء فكيف وقد اعزنا الله تعالى بالاسلام فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عزمهم على القتال ترك ذلك فيؤخذ من هذه القضية جواز اعطاء المال على الوجه الموصوف للضرورة اذ لو لم يخير لم يشاور فيه الرسول عليه الصلاة والسلام لكنه قد شاور فيه فهو جائز وبيان الملازمة هو ان المشاورة في دفع المال ملزومة لا هم بدفعه على تقدير الموافقة على اعطائه ولا بهم الرسول صلى الله عليه وسلم بممتنع واما بيان المقدمة الاستثنائية فيما ذكره اهل السير والله جل جلاله الموفق بفضل لا رب سواه

❖ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً ❖

تقدم انه ظهر في نواحي شلف وادعى بانه المهدي المنتظر ثم انكشف عوارده وتلاشى امره ولحق بالامير وانخرط في سلك قواده واقام معه في الدائرة مدة وفي سنة ثلاث وستين ومائتين وسبع واربعين وثمانمائة انفصل عنه في لمة من اصحابه ولحق بقبائل الصحراء ثم اظهر دعوته في قبيلة فليقة فقام بها رئيسهم ابن جلول واستفحل امره في تلك الجهة وبلغ حاكم الجزائر خبره فجهز لقتاله الجيوش تحت نظر الجنرال مونيخ والجنرال هريلون وجرت بينهم وبينه في نواحي مينة حروب انكسر فيها ابو معزة ولحق باولاد نائل فشن مونيخ الغارة عليهم واكتسح اموالهم واستلحم منهم جموعاً كثيرة ثم انضم هريلون الى مونيخ وساقوا جيوشهم الى ابي معزة فادركوه في نواحي تاهرت وشتنوا شمله ولما ضاقت به الارض واحس بالعجز من نفسه استامن الى القومندار سنتارنو فلم يجبه واخذته اسيراً الى الجزائر ثم اشغبه بالمرشال بجو الى باريز فاقام بها مدة وفرّ هارباً الى مرسى برست فالتقى عليه القبض وسجن في قاعة هام وفي ايام الامبراطور لويس نابليون الثالث اطلق سبيله ولم يزل يتجول في بلاد فرنسا الى ان جرت الحرب بين الدولة العلية والروسيا

المشهوره بحرب القريم سافر الى الاستانة ودخل في سلك الجيوش العثمانية المتطوعة و بعد انعقاد الصلح خرج من الاستانة ولحق بالعراق واقام ببغداد مدة ثم انتقل الى باطوم وفي سنة خمس وتسعين ومائتين جاء الى دمشق واقام عند الامير شهورا ثم توجه الى بيروت ومنها الى طرابلس الغرب ودخل افريقية ودعا الناس الى الجهاد ثم رجع الى باطوم من غير طائل .

﴿ ذكر تسليم الخليفة السيد احمد بن سالم الى الفرنسيس ﴾

لما طل الامر على الخليفة السيد احمد بن سالم وعجز عن مدافعة العدو ويش من الانتصار عليه استأمن الى الحاكم الفرنسي في صور الغزلان وطلب منه تخليه سبيله الى اشرق فامنه ووعد به باجابة دولته الى ما طلبه منه وفي الثاني عشر من ربيع الاول سنة ثلاث وستين ومائتين والتاسع والعشرين من شهر فبراير سنة سبع واربعين حضر في لمة من ذويه الى صور الغزلان معلنا بذاغته وتسليمه فتلقاه الحاكم بما يليق ببقامه من الاكرام لما عهد عهده واشتهر به من شدة البأس وقوة الجأش وحسن السياسة وطار الخبر الى الجزائر فاستعظم اهلها هذا الامر اكثر من امر ابي معزة ثم هاجر الى دمشق الشام وتوفي بها سنة ثلاث وسبعين ومائتين وبتسليم هذا الخليفة ضعف امر المسلمين في الجهة الشرقية وتلاشى عزمهم واشربت نفوس رؤساء القبائل الى الدخول في طاعة الفرنسيس وتقديمهم في ذلك قاسم بن قاسي الرواوي واقتدى به جم غفيرة من الرؤساء وانتبه المارشال بيجو الفرصة فخرج في الجيوش الى الجبال البربرية ووقع باملها ثم سار في الجهات الجنوبية ووصل الى صطيف والزيبان وبسكره ونواحي الجفنة واولاد نائل وجبل العمور ووقعت في تلك النواحي حروب جسيمة كانت النصر فيها لجيوشه وتمهدت له الطاعة في سائر الاعمال الشرقية ثم كتب الى القبائل الغربية ما ملخصه من المارشال بيجو والى مملكة الجزائر وسائر اعمالها الى كافة بني يزناسن واهل انكاد والاحلاف والمهاية والمطالسه وبني بويحيى والقلاعية وكافة اعراس نواحي الغربية بين الجزائر والايالة الغربية اعلما اني اتكلم معكم بكلام يدل على الخير والمحبة البالغة ولولا المحبة لم اذكره وكنت افعل ما رمته فانصتوا لمقالتنا وتاملوها لانها نصيحة وارشاد وهي ان لكم مدة اربع سنين وانتم جادون في فعل الشر معنا ونحن نسامحكم حتى كثر العيب ووقع منكم ما وقع كما هو متحقق لديكم وبعد الوقائع كلها الهمة لله للسداد والرشاد

وكان اول الشروط التي وقعت بيننا ان لا يبقى الامير عبد القادر بين ايالتكم وايالتنا وان لا تقبلوه في ارضكم فلما خاق عليه المجال في ارضنا فرّ منا وجر ذيله ببلادكم فقبضتموه واكرمتوه وبجائتموه وكان فعلكم هذا سبب الفساد الذي وقع بيننا وبين المعظم الارفع نجينا وصديق دولتنا صاحب السياسة والرياسة مولاي عبد الرحمن ابن هشام اعزه الله فانتهبوا من غنائمكم وفرقوا بين خرمكم ومنتعمكم واعلموا بان الامير عبد القادر كالحية الرقطاء لمسها لين وهي قاتلة سماً وقد ذكر بعض الاوائل ان رجلاً وجد لذة في سياق الموت من الم البر فاشفق لحالها وادخلها بين ثوبه ولحمه فلما افابت وتحركت لسعته فمات وصار هذا مثلاً يضرب لثألكم ونحن جعلنا الحدود وسويناها ووضعناها بيننا وبينكم وبينها ولم نتم اربعة اشهر حتى افسدتم الامر وصار الامير عبد القادر يسير بجيولكم ورجالكم اعانة له واعراش بلادنا فرت اليكم وتحزموا معه وقد وصل لنواحيننا وغرا ولم يحصل على مراده ولما وقع ذلك عزمنا على الدخول لايالتكم بجيوشنا ولم يبق الا التحرك فاذا بصديقنا المعظم الارفع مولاي عبد الرحمن كتب لسعادة سلطاننا راي فرنسا وبعث له البشدر يقول له تربص ولا تعجل حتى ننظر امر هؤلاء الرعية ونكفهم عن فسادهم وربما ينصتوا بعد النهي وقد مضى ستة اشهر ونحن نراقب ما يصدر من الخير لكم ولنا فاذا به نسمع جمعة ولا نرى طغناً والآن انا طردنا الامير عبد القادر وافسدنا امره ودخنا ارض الفلات وقرب منكم وصار البوحيمدي عمده بخيل ورجال منكم ومن غيركم وهو يحكم بوسطكم ويصول عليكم مع امساكه الزكاة والعشور والمطالب الخزية ولم تكفه عن ذلك او تجنبوا عنه وتبرؤا منه ومن حملنا وعدم عجلتنا بقي عسكرنا كانه في السجن منتظر لامرنا وهذا هو العجب وقد امتلأ القلب وفاض انكيال وكل شيء له نهاية وكمال وان هذا والله لم يقع بين الاجناس اصلاً في الماضي والمستقبل وصبرنا لم يكن عند ملك ابد الا نراقب امر هذا الثغرو قد اردنا ابئسامه واطلمنا على جميع احواله وفهمنا مراد اناسه ونظن احد امرين اولهما ان السلطان مولاي عبد الرحمن امركم بالكف عن الفساد وخالفتم امره فليس لنا كلام مع السلطان المذكور ولكن ندخل بلادكم بالجند الموفور واما ان يكون امركم بهذا خفية منا فهو العدو حيث قبل عدونا وحاشاه من ذلك ولا سيما ان الملوك اذا عاهدوا انجزوا واعلموا ان هذا ليس خوفاً منكم انما هو الواقع وفملكم هذا يوافق الشريعة وربما لم يوافق جميع الاديان لخروجكم عن طاعة اميركم وهو دليل شركم بلا فائدة فاشروا بخبركم نطلب

من الله تعالى ان ينهكم من غفلتكم ويعرفكم بطاعة اميركم ونطردوا الامير عبد القادر وانباء، وننسى كل ما فات ويتبدل الغضب بلرضى والجوار اوصى عليه الرسول وفي هذا كفاية والسلام في الرابع من جمادى الاولى سنة ثلاث وستين ومائتين . فمن نظر كتاب المارشال ييجو المرسل لهذه القبائل وتأمله ثم قابله مع الكتاب المرسل اليهم من السلطان عبد الرحمن الا في ذكره وتأمل تأمل المذصف فعل كل من دواني فرانسى ومراكش وما اجرته ضد حركات الامير علم بداهة ما كان بينهما من المخادنة والمواظاة مرآ وعائاً على ابطال - حق الحق واطفاء نور الصدق وعند الله تجتمع الخصوم . ثم رجع ييجو الى الجزائر وامر حاكم وهران بالخروج في العسكر الى الصحراء الغربية فجال في جهاتها ووقع بقبائل حميان واولاد السيد الشيخ ابن الدين في تخوم الجهة الجنوب وصارت السلطة الفرنسية متمكنة في النواحي الغربية والشرقية من حدود مراكش الى تخوم تونس

❖ ذكر استعفاء المارشال ييجو من ولاية الجزائر وسفره الى فرنسا ❖

قد تقدم انه كان جنرالاً وقائداً للعساكر الفرنسية في وهران وهو الذي ابرم معاهدة تافنا مع الامير ولم يحسن الادارة بتلك المرة بيد انه تدرب مذ درس في مدرسة الامير الحرية احسن الادارة في المرة الثانية وظهر من الاقدام والشجاعة وتحمل من الخطوب ما لم يكن في حساب وكان في سن الشيخوخة فسماه الامير الاسد الهرم قال بعض مؤرخيهم ولذلك منحه دولته قوة لم تمنحها لاسلافه لاسيما انها اعتبرت عبد القادر بعد الحوادث الاخيرة رجلاً عظيماً في كل امر فامرت بتلاحق ارسال النجدة العسكرية والذخائر الحربية ولما تم الامر المقصود للمارشال ييجو في بلاد الجزائر وتمهدت فيها الطاعة لدولته قدم استعفاءه طلباً لراحة نفسه مما لحقه من اتعاب الحروب ومعاناة الخطوب مدة تزيد على ست سنين متوالية لم يسكن فيها روعه ولم يهدأ في سائر اوقاتها فكره فاجابته الى مطلوبه فترك الجزائر وسافر في الحادي والعشرين من جمادى الثاني سنة ثلاث وستين ومائتين والرابع من مائة سنة سبع واربعين وثمانمائة واقام الجنرال بار وكيلا فيها ثم ابدل بالجنرال بيدو وفي الخامس والعشرين من شوال والخامس تشرين اول جاءها الدوك دومال بن الملك حاكماً عاماً فضبط امورها واقام الجنرال لامورسير على ولايته في وهران وعين الجنرال بيدو حاكماً على قسنطينة والجنرال كافيناك على الجزائر ثم خرج ينفقد الحاميات والمسالح وخلا له الجؤ فلم يتعرض له احد ولله الامر من

قبل ومن بعد .

❖ ذكر وقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي ❖

قد تقدم ان عبد الرحمن سلطان المغرب الاقصى تعرض للامير باقامته في تخوم مملكته وطلب منه الخروج منها فتغافل الامير ولم يلتفت اليه فاغناظ لذلك وارسل الى الشيخ بزيان يامر به باستعمال الوسائل النعالة في اخراج الامير ودائرته من ايالة مراکش وكتب الى مشايخ بني يزناسن واهل انكاد ان يكونوا معه يدًا واحدة في اخراجه منها وصورة ما كتبه اليهم

❖ الحمد لله وحده ❖

خدائنا بني يزناسن واهل انكاد وفقكم الله وارشدكم وسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فقد بلغنا ان الامير عبد القادر نهض في قومه ومن انضاف اليه من اخوانكم الذي استنفروهم وخدعهم بتمويهه وابطاله حتى نزل بجماع الغروات على من بها من النصارى وعيهم ووقع فيهم وقتل جلاهم ولم ينج منهم الا من فر بنفسه وما مراده الا اثاره الفساد وجلب الشر والفتنة للمسلمين كما جلبها لايالة الجزائر وغيرها حتى اوقعهم في الكفر والعياذ بالله واتقادوا بسببه لاستيلاء الكفار واسلموا انفسهم لاحكامهم وعاد عليهم شؤم فمله بالدين الذي لا يرضاه مسلم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد خدعكم باظهار الدين واحوال الصالحين وما في ضميره الا الفساد وايقاد الفتنة بين العباد ومن يتبعه على ذلك الا هو من الاخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً ونحن لا نكره الجهاد بشروطه ونكره ما يعود بالضرر والغلبة لجانب الاسلام ولكن هذا المشؤم اراد نقض ما استسناه من الصلح الشرعي وايقاد الفتنة بعد اطفائها سعيًا في هضم جانب عزمك واساد دينكم ودنياكم وتكدير خاطرنا عليكم وانتم لا تشعرون فما نحن امرنا خائنا الاحبجد الشيخ بزيان بالقيام على ساق الجد في اخراجه ودائرته من ايالتنا السعيدة طوعاً او كرهاً وحسم مادة فتنهم وضلالهم فكونوا معاً يدًا واحدة وشدوا عضده على ذلك حتى يقضي الغرض ان شاء الله تعالى وكفوا اخوانكم عن متابعته ونهوضهم عن مقاطعته فان من قاطعه ونبتذ متابعته فقد احاط نفسه ودينه ومن تبعه وشد عضده وكثر سواده فقد تعرض لسخط الله ورسوله وسخطنا لا ينجح له زرع ولا خرع وقد اعذر من اذر اللهم اشهد وسيعلم الذين ظلموا ايّ منقلب ينقلبون وما عقدناه من الصلح مع العدو الكافر استسناه على قواعد الشرع العزيز ونيناه واقنديناه

فيه برسول الله صلى الله عليه وسلم فانه صالح كفار قريش صلح الحديبية حين صدوه عن البيت الحرام مع تدافع الصحابة وقوة عزيمتهم وقهر عدوهم ولم يكن ذلك غلبة وانما هو تشريع ولو شاء عليه الصلاة والسلام لامرأت ينكب عليهم الاخشبين حتى قال سيدنا عمر لرسول الله انعطى الدنية في ديننا السنا على الحق وهم على الباطل فقال بلى فقال ابو بكر الله ورسوله اعلم وقد صالحهم على ان من فر اليه يرد اليهم ففر اليه ابو هريرة ليلة فرد اليهم وفاء بعهده وامضاء لعقده وكان هذا الصلح هو الفتح بعينه فنحن برسول الله اقتدينا وبشريعته اهتدينا ونظرنا للمسلمين بما لم يضيقوا به رفقا بهم ليثمنوا ويتمتعوا في سعة وعافية ونحن على سنة الجهاد وعقده عارفون ما اعد الله لاهله من اجره فكيف يأتي هذا البداع يعلم احوال الجهاد واحكامه ونحن اعرف به منه وما ورد فيه وما اعد الله لاهله ولو رأينا الخير للمسلمين في غير الصلح ما ارتكبناه فلا يفيدهم الا ذلك فاسئلوا اهل العلم وما ورد في صحيح البخاري ومسلم في فضل الجهاد واحكامه والصلح واقسامه ليعلم حال عبدالقادر وجهله بالسنة وغيرها وان من تبعه فقد باء بالضلال والردى وحاد عن شريعة المهدي في الثالث من شهر رمضان سنة ثلاث وستين ومائتين والالف من المولى عبد الرحمن ابن المولى هشام فضايق الامير لذاك ذرعاً ولم يجد بداً عن ان يحصي حوزته ويدوخ النواحي التي هو مقيم فيها فانذر واعذر واوعد وحذر ثم بطش باهل الفساد ومهد ما قرب منه من البلاد وود يده الى اقامة الاحكام الشرعية فيهم واحزم بالرهبة وبالغ في ذلك حتى لاذوا بالطاعة وتذرعوا بالخضوع فرال بذلك عن المهاجرين ما اهتمهم وغمهم وادركوا من رخاء العيش وبعد الصيت ما حرك من سلطان مراکش السواك ووقعه في الخوف على ملكه ثم باغى ان اهل فاس قاعدة مملكته وغيرهم من اهل القاصية بعثوا الى الامير يدعونه الى الاستيلاء على بلادهم واخذهم بنصرتهم فازداد غضباً وجهاز قائده اشهير بالاحمر في عسكر كثيف لقتال الامير واخراجه من البلاد وكان في تلك المدة وصل الى حضرة الامير مولاي عبد الرحمن بن سليمان سلطان المغرب الاقصى السابق ليكون في جلته فلما بلغ الامير خبر القائد الاحمر استعد للدفاع عن حماه وكان وقتئذ تخيماً بين ارض بني توزين ومطالسه من قبائل الريف ولم يزل القائد الاحمر يطوي المراحل الى ان خيم بتافرسيت على مسافة مرحلة من الدائرة ثم بحث بعض لروساء في شردمة من الجيش يستكشف احوال الدائرة يستطلع اخبارها ولما تراءى الرئيس لها ركب بعض فرسانها اليه فلما رأى الخليل قد اقبلت عليه امتلاً قلبه رعباً ورجعوا الى معسكرهم لا يلوي احداً على الآخر

وقبض على عدة خيالة منهم ثم ان الامير بحث الى القائد يدعوه الى المسالمة ويعتذر اليه بالعجز عن الخروج بضعفاء المهاجرين الى الصحراء لبعد المسافة ويظهر له سلامة صدره ويؤكد له انه لا يخطر في باله ما بلغ السلطان عنه وانه لا يريد الا العافية واقامة المهاجرين تحت انظار السلطان فلم يجده ذلك نفعاً وبنى القائد الا الخروج او انقتال فحينئذ اخذ الامير حذره منه واستعد للدفاع عن الاهل والاولاد ثم بداله في مراجعة القائد ثانية فبعث اليه يقسم بالله تعالى انه ما اذمر للسلطان شراً قط ولا سعى في افساد القلوب عليه ثم حذره من قتال المسلمين المهاجرين في ارض لا تنالها الاحكام منذ احقاب فابي الا باجراء ما جاء لاجله وامر بتنفيذه فلما راي الامير انه لا محيد له عن المدافعة والنصوص الشرعية موافقة له بادر الى الاخذ بالاحتياط ثم اخذ من فرسانه مائتي فارس وسار بهم غازياً على العدو وهو في تافرسيت فصبحه واستولى على معسكره بما فيه وهجم بعض رؤساء جيشه على القائد فقتله واحتز رأسه وجيء بجريه واولاده الى الدائرة وبعد مدة عين الامير لهم حرساً وارسله معهم فاوصلهم الى فاس وقد قدر ما كان في المعسكر من المتاع والخيام والكراع والمهمات الحربية بالوف من الليرات وكان من جملة تلك الامتعة البسة فاخرة جاء بها القائد ليفرقها في رؤساء القبائل اذا اعانوه على الامير وقاموا بصرتهم فسقط في يده وخاب امله واهتز المغرب الاقصى لهذه الواقعة وخطأ الشعب سلطانه ونقموا عليه حيث بعث جيوشه لقتال المسلمين المهاجرين الذي التجأوا الى بلاده طالبين حمايته لهم من عدوه وعدوهم

❖ ذكر واقعة بني عامر في نواحي فاس ❖

لما ترك المهاجرون من بني عامر الدائرة ووقع بينهم وبين ابن التهامي خليفة الامير عليها بدسائس الخليفة السيد محمد البوحدي وارتحلوا الى فاس مغاضبين فاكرم سلطان المغرب نزلهم وقطعهم ارضاً تشتمل على محرث عظيم وبساتين خصبة فاستوطنوها ولما رجع الامير من الجهة الشرقية الى الدائرة اشربت نفوسهم الى الرجوع واقاموا ينتظرون سئو الفرصة فلما تمكن الايز في ارض الريف وثبتت قدمه فيها اعتزموا على الرحلة الى سيدهم وولي نعمتهم وكتبوا اليه ان يراقبهم في بلاد مكناسه فاجابهم الى ذلك وارتحل بدائرته الى كركم قريباً من جبل كاعيه ثم سار في نخبة من فرسانه الى بلاد مكناسه وكان بنو عامر ارتحلوا مشرقين ففطن بهم جيرانهم من اهل الوطن فطايروا الخبر الى سلطانهم فسير

في اثرهم جيشاً كثيفاً من الشرارده عليهم القائد ابراهيم بن احمد الاكل ونا نزل
بساحتهم ارسلوا الى ريدهم يقولون نحن قوم خرجنا من دائرة اميرنا لامر اقضى ذلك
والآن اردنا الرجوع الى اخواننا واهلينا فلا سبيل لكم الى منعنا شرعاً ولا قانوناً فما كان
جوابه الا انه اغار عليهم فدافعوه يوماً كاملاً ثم كاثروهم الجيش وحشود اهل الوطن
واحاطوا بهم احاطة السوار بالساعد فاعنصموا ببروة وجعلوا يقاتلون عن حريمهم وكانوا
رماة لا تسقط لهم رصاصة في الارض فكلما توجهت اليهم طائفة من الجيش استاصلوها
بالرصاص وكانوا يجمعون موتاهم فينصبونهم اشباراً ينترسون به ويقاتلون من خلفه ولما
اعبى الجيش امرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معتصمهم وجالدوهم بالسيوف
وطاعنهم بالرماح والتوافل وانقطع البارود فكانوا يقتلون بناتهم ونساءهم بايديهم فراراً
من السبي والعار ثم جعلوا يقتلون انفسهم حين تحققوا انهم في قبضة الاسر ومن بقي منهم
من النساء والاولاد اخذهم المراكشيون وباعوهم في اسواقهم بالبخرس ثمن وباروا بها شنعاء
الى آخر الدهر لانهم استحلوا دماء قوم مؤمنين مؤمنين باذلين انفسهم واموالهم في
سبيل الله لاعلاء كلمة الدين لم يدخلوا بلاد هذا السلطان حتى اذن لهم وامنهم واجارهم
فليت شعري بماذا استحل دماءهم على ان الشارع حرم قتل المؤمن من الحربيين فكيف
به اذا كان من المؤمنين اما سمع قوله عليه الصلاة والسلام كل المسلم على المسلم حرام
ماله وعرضه ودمه حسب المرء من الشرك ان يحقر اخاه المسلم اما بلغه ما روى ابن المبارك
عن حمزة بن عبيد ما يحل لمؤمن ان يشد على اخيه بنظرة تؤذيه وغاية ما اقول « لقد
تعدى » وعند الله تجتمع الخصوم ولما اتصل الخبر بالامير وهو بمخيمه في بلاد مكناسه
رجع الى الدائرة ووجد قبيلة كعبية اغاروا على كراع الدائرة فاخذوا منه عدداً وافراً
فاسرها بنفسه وبعد ان اقام للراحة اياماً ارتحل بدائرته ونزل على قبيلة كعبية وبعث
اليهم يرد ما اختطفوه من الدائرة فابوا ذلك واصروا على بغيتهم واعندائهم فحينئذ سار اليهم
في جموع فاثخن فيهم بالقتل والاسر واذاقهم شديد النكال ورجع الى دائرته وكان
اكثر الاسرى من اعيانهم فنعهدوا برد جميع ما اخذته قبيلتهم من الدائرة وبعد الوفاء
بذلك اطلق سراحهم واشتهرت هذه الواقعة فكانت من اعظم الوسائل لردع الذعار والغوغاء
من القبائل الغربية من منازل الدائرة وبعد مدة انتقل الامير الى زاو وهو موضع مطل
على سهل تريفه فجاء محمد بن عبد الرحمن رئيس قبيلة الاحلاف وفادسه في بعث احد
خلفائه الى حضرة سلطان مراکش ليعتذر اليه ويسعطف قلبه فاجابه الى ذلك وعين
لهذه السفارة خليفته البوحميدي فسار معه الرئيس المذكور الى فاس فلم يحتفل به

السلطان ثم اتى القبض عليه وبعد ايام قلائل اتلفه بسم اكرهه ناظر الحبس على شربه فمزق اعضاءه والا اتصل الخبر بالامير علم ما في نية صاحب المغرب من جهته قال بعضهم وبما فعله سلطان المغرب بالخليفة البوحميدي يش الامير من مواسلته واعانتة على عدوه وتبين له انه امسى وحيداً لا نصير له غريباً لا وطن له ومع ذلك فانه لم يلحقه جزع ولم ينله ضجر ولم يكن عنده وقتنذ من الجيش سوى التي مشاة والى فارس وهم من الابطال الذين شاركوه في اقتحام الشدائد وصبروا معه على مقاساة الخطوب والمكاره ولازموه في جميع مدته التي اظهر فيها من الشجاعة والاقدام ما بهر الافكار وخلد له الذكر الجميل مدى الدهور والاعصار وهم الذين عملوا باشاراته وفازوا في خاتمة امره بصالح دعوته .

❖ ذكر آخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها ❖

لما استحكمت العداوة بين الامير وصاحب المغرب وقوى ما عنده من الاحن والغنائن وبلغه ما لحق الامير من الضعف وقلة العدد والعدد جهز ولديه محمداً وهو ولي عهده واحمد في خمسين الف مقاتل وسيرهم اليه في الثاني من المحرم سنة اربع وستين ومائتين والعاشر من دسبر سنة سبع واربعين وثمانمائة نرلاً بجيشها في قلعة سلوان على مسافة ثلاث ساعات من الدائرة فرأى الامير ان يبادرهم بالهجوم وياخذهم بالرهبة قبل ان يزحفوا اليه فجمع جيشه وشد عزيمتهم واخبرهم بما عزم عليه من مهاجمة العدو فنشطوا لذلك وبايعوه على الثبات معه الى الموت واثار بكيدة يستعينون بها على ارباب العدو فاحضر جملين وشد على كل منهما حزمتين من الحلفاء بعد ان لاشوها بالقطران والزفت وامر ان يكون ايقاد النار في الحزمتين مقارناً للحمل على العدو في ليلة الرابع والثاني عشر من الشهرين المذكورين سار الامير بجيشه قاصداً سلوان ولما قرب منها رتب جيشه للهجوم وامر بتقدم الجملين امام الجيش ثم اضمرت النار في الحزمتين فنفر الجملان وذهبا بجوسان خلال خيام العدو وحمل الجيش بعدها حملة رجل واحد فما راع القوم الا مشاعل النار تجول بين الخيام وامطار الرصاص تنزل عليهم من حيث لا يحسبون فلم يسعهم الا الفرار وترك الخيام بما فيها من الامتعة والمهمات واستمر الامير وجيشه على هجومهم من غير ان يلفت احد منهم الى الغنيمة حتى انتهوا الى سرادق اولاد السلطان فوجدوا العسكر قد احاطوا به واتخذوا الظهر والاثقال وقاية لهم من الرصاص واشتد القتال

على السراشق من نصف الليل الاخير الى ان لاح الفجر فحينئذ تآخر الامير بجند
ونزل غير بعيد من منازل العدو وبعد ان على الصبح ركب راجعاً الى الدائرة
بعد اتخن فيهم وفرق جمعهم وفعل بهم الفعائل حتى انه لم يبق مع ولي العهد
واخيه الا حامينها وقد استولى اقل على اكثرها وفي وقت الظاهر تراءى الامير
جيش اكثرهم من اهل الوطن مغيرين في اثره يطلبونه فعطف عليهم في نحو المائتي
فارس فكسروهم مع كثرتهم وشدت شملهم ولا زالوا منهزمين لا يلوي احد منهم على
احد الى ان دخلوا معسكرهم ثم انقلب راجعاً الى الدائرة وارتحل بها من زاو مع نهر
ملوية ونزل بالقرب من مصبه في البحر واقام العدو في سلوان الى ان تراجع من جموعه
من فر الى الجبال القريبة منه واما الذين ابعدوا المرة فاستمروا على فرارهم الى مواطنهم
وارسل في جبل كعية وكيدانه ومن قاربهم من قبائل البربر وعرب تريفه حاشرين
فاشالوا اليه افواجاً افواجاً معتذرين اليه في تخلفهم عنه حتى وقع بجموعه ما وقع من قوم
غرباء لا ناصر لهم وبعد ان استكمل تعبته ارتحل من سلوان ونزل بزاو فاتصل الخبر
بالامير فاجاز بدائرته النهر ونزل بالعدوة الشرقية منه ثم جاء العدو فنزل في منازلها
الاولى في العروة الغربية فامر الامير ان ترتفع الدائرة الى ناحية عجرود وعين العسكر
المشاة لمحافظة وتقي فيمن معه من الفرسان ووقع المصاف على النهر وكان شائلاً وليس
في تلك الجهة الا مجاز واحد فلما هجم العدو غرق منهم خلق كثير بخيلهم ولذين
اصطفوا على صفته الغربية اشتد القتال بينهم وبين الامير كل من ناحيته واضطربت
نار الحرب وكثرت القتلى والجرحى من الجانبين واستمر القتال على النهر ساعات ثم تقدمت
حشود البربر من اهل الوطن الى المجاز فاجازوا منه واتبعهم العدو واخطلطت الجيوش
وخاض بعضهم في بعض والتحموا وكثر القتل قعصاً بالرماح وطعناً بالسيوف وكان
القائد الشهير محمد بن يحيى قد استشهد في تلك المعركة بعد ان ابلى بلاء حسناً فاختل
مصافه واصيب فرس الامير فوق من نحره وركب غيره وتكاثر العدو فتزحزح الامير
عن النهر وصار القتال في السهل مناوشة ثم اصيب فرس الامير الثاني فنزل عنه
وركب ثالثاً فاصيب ايضاً وركب رابعاً ولما تولى النهار اقبلت جموع بني يزناسن
وغيرهم من الوطنيين فجدة لولدي السلطان فحمل الامير عليهم حملة صيرتهم فرقاً
وملاّت قلوبهم رعباً وما زال يوالي الكر عليهم الى ان ردم الى النهر ثم انصرف
وقد ايقن بانتشار سلكه وذهاب ملكه فالحقه العدو في الكتاب العديدة من
المحنة فانكشف جنده لقلته ونقاد ما يدهم من البارود واخذ الامير باعقابهم

يدافع عنهم فكان رداً لم الى ان انتهوا الى عجرود ثم مال العدو الى الدائرة فدافعه العسكر المشاة بقوة وثبات الى ان اجازت الاثقال والحريم والاولاد وادي عجرود وقد قتل من العسكر في تلك العشية نحو المائة واسر مثلها واستمر الامير سائراً باهله وخاصته تلك الليلة مانعاً لحوزته دافعاً للذل بعزته الى ان تبلغ جبل بني خالد من بني يزناسن ودخلت الدائرة وفيها بعض اخوته واقاربه في ارض الفرنسيس وبهذا انتهت خاتمة الحن وانطفئت نار الحروب والفتن

هذا الذي سبق القضاء به والدهر في الانسان ذودول

ما قرّ في ايدي قوابله حتى اذيق الصاب بالعسل

وكان الجنرال لا مورسير حاكم ولاية وهران لما بلغه سوق صاحب المغرب جموعه على الامير سنار من وهران في نحو الخمسين الف جندي الى الحدود الغربية ليراقب اعمال المراكشية ويمنع الامير من التخطي الى الصحراء فحيم في عطيه من ارض مسيرده على مسافة بضع ساعات من وادي عجرود واقام هناك الى ان انتهى الامر بين الامير والمراكشية ولما اتصل به خبر دخول الدائرة في ارضهم بعث من قواد جيشه من ينظر في امرها ونصب العيون على الامير وفرق الجيوش فيما بين بني يزناسن ومعسكره وربط عليه الطرق حتى لا يتخطى تلك البلاد الى الصحراء وكان المطر سحاه متصلاً بالليل والنهار وعميت عنه اخبار الامير فاضطرب لذلك وارتبك في امره وخشي ان يفوته ما خرج لاجله واما الامير فانه لما وصل الى بني خالد نزل على استاذهم الشيخ فخنار بودشنيش في بلده تنجيرت وكان قبل ذلك من اصدقاء الامير فظن فيه انه يقوم بشأنه فاذا به رأى منه ما انكره وبلغه عن قومه ما انذره وحذره وتبين له انهم داخلون في الجملة المنخرقة والفتنة المتطاعة الى الغالب جرت عادة الله في ارضه بذلك فلم يسعه حينئذ الا النظر في امره وانتهاز الفرصة في خلاصه من مكائد العدو ومكره فجمع خاصته وذويه وقال يا قوم ان الاحوال كما ترون والاخبار على ما تسمعون فما الرأي وما الحيلة فقالوا الراي لسيدنا فالذي يراه نحن معه فيه فقال لا ارى الا التسليم لقضاء الله تعالى والرضي به واقعد اجهدت نفسي في الذب عن الدين والبلاد . وبذلت وسعي في طلب راحة الحاضر منها والباد . وذلك من حين اهتز غصن شبابي . واقترعن شباة الهندي نابي واقمت على ذلك ما ينيف على سبع عشرة سنة اقتحم المهالك . واملاً بالجيوش الجرارة الفجاج والمسالك . استحققر العدو على كثورته واستسهل استصعابه . وتوغل غير خائف اودينه

وشعابه . وأرتب له في طريقه الرصائد . وأنصب له فيها المكائد والمصائد . تلاوة .
انقض عليه انقضاض الجراح . واخرى انصب اليه انصباب الطير الى الماسح . وكثيراً
ما كنت ايئنه فانيه . واصبحه فابرد غليلي منه واشفيه . ولا زلت في ايامي كلها
ارى المنية ولا الدنية واشمر عن اقوى ساعد وبنان . واقضي حق الجهاد بالمهند
والسنان . الى ان فقدت المعاضد والمساعد . وفني الطارف من اموالي والتالد .
ودبت الي من بني ديني الافاعي . واشتملت علي منهم المساعي . والآن بلغ السيل
الربى . والحزام الضبنين . فسبحان من لا يكيد كائد . ولا يبيد ملكه وكل شيء بائد

ان يسلب القوم العدا	ملكي وتسلمي الجموع
فالقلب بين ضلوعه	لم تسلم القلب الضلوع
اجلي تاخر لم يكن	يهواه ذلى والخضوع
ما سرت قط الى القنا	ل وكان من املي الرجوع
شيم الاولى انا منهم	والاصل تتبعه الفروع

فاستكان القوم لهذا الخطاب وتذكروا ايام الله فيهم وانما يتذكر اولو الالباب ثم اخذوا
يتداولون الراي بينهم الى ان قر القرار على ان يكون التسليم الى الفرنسيين ثم ان
الامير عاجله الحال ان يكتب كتاباً في ذلك الى الجنرال لامورسير رئيس الجيوش
الفرنساوية فبعث رسولاً من حاشيته ليخبر الجنرال باللسان ولما وصل الرسول الى
مناصب كيس وجد الدائري الشهير بابن خويه بالمرصاد فاطلمعه على الامر وسار معه
في لمة من خيله الى المعسكر الفرنسي فبلغ الرسول الرسالة الشفاهية الى الجنرال
فاهتز لذلك سروراً وبادر بيمث سيفه الى الامير مع ورقة ختمها بجنتمه على يياض
ليشترط الامير ما اراد وارسلهم صحبة ابن خويه وفي الوقت نفسه كتب الى
ملكه انني بهذه الدقيقة ممتطياً جوادي للذهاب لدائرة عبد القادر ولا يوجد عندي
فرصة لابعث اليكم بنسخة التحرير الذي اخذته منه اوجوابي له ويكفياني ان اقرر
باني قد اتفقت معه بانه هو وعائلته يذهب الى عكا او الاسكندرية وهذان لمحلان
هو الذي عينهما في شروطه وصادقت عليهما واني ملتزم بان اقوم بما اشترطه وقد
عملت ذلك بكمال الاعتقاد من ان جلالكم والحكومة تصادقون عليه ما دام
عبد القادر اعتمد على قولي وخطي وبعث البريد الى الدوك دومال ابن الملك حاكم الجزائر
فارتاح لذلك وركب من حينه بارجة وجاء الى مرسى جامع الغزوات ولاول وصوله اليها
بعث الى الجنرال يخبره انه قد وافقه على قبول ما اشترطه الامير وامره ان يزيده في ذلك

تأكيداً ويعطيه ميثاقاً غليظاً يطمئن به قلبه والامير وان كان في حالة يأس الا انه لقوة جاشه وصبره لم يظهر اليأس والجزع واظهر غابة التربص والتأني ولذلك ترددت الرسل بينه وبين الجنرال في ربط الميثاق واحكام العهد ثلاثة ايام بلياليها وبعد ان تم الامر بينهما على شروط منها ان يحملوه مع جميع عائلته الى عكا او الاسكندرية وان لا يتعرضوا لمن يريد السفر معه من الضباط والعساكر وان الذي يبقى منهم في الوطن يكون آمناً على نفسه وماله ثم سار الامير باهله وخاصته واتباعه من تفجيرات قاصداً المرسى حيث ان ابن الملك والجنرال لامورسير والجنرال كافنيك ينتظرونه فيها وعند ما وصل في طريقه الى مقام الرابط نسيدي ابرهيم وهو الموضع الذي كان الامير انتصر فيه على جنود فرنسا ووقع بهم الوقعة الشهيرة منذ سنتين قبل ذلك وجد الكولونيل موتبان في خمسمائة فارس ينتظره فواجه الامير بكل اعتبار واحتفال وبعد ان نزل الامير وصلى في المقام ركعات ركب وسار في ذلك الموكب الى ان قرب من مرسى الغزوات فاستقبله ابن الملك وفي معيته الجنرال لامورسير وغيره من القواد والاعيان في الابهة والاحترام وبعد ان استقر بهم المجلس قال الامير لابن الملك هذه الساعة التي قد رآه الله تعالى ان يكون فيها ما نحن فيه الان وقد اخذت على الجنرال لامورسير عهداً وميثاقاً فلا اخشى ان ينقضه ابن ملك فرنسا وعظيمها فاجابه الدوك ابن الملك بما يوافق قول الجنرال ويثبت عهده ثم قام الامير وقدم له سيفه وقال له اني احسب هذا شرقاً قدم لفرنسا وغرباً عظيماً حصل لها وفي غد تلك الليلة توجه ابن الملك نحو الجنود الفرنسية المقبلة من مخيمها الى جامع الغزوات وعند رجوعه تلقاه الامير على جواده الادم وبعد ان نزل عنه اهداه اليه مع طبايخته وساعته فقبلهم ثم اجتمعا اجتماعاً مخصوصاً جدد فيه ابن الملك العهد للامير وزاده وثوقاً واهدى الامير ايضاً طبايخته وساعته ثم سأله عمن يرافقه في غربته الى المشرق فسمى له اهله واولاده وخليفته السيد مصطفى ابن التهامي والسيد قدور ابن علال وغيرهما من حشمه واتباعه في مائتي نفس قال بعض مؤرخيهم ان مما يجب الحيرة ويستحق التعجب ان عسكر الامير عبد القادر كاد ان يصل عدده الى الفين من الخيالة وعشرة آلاف من المشاة وقد قاوم به جيشاً عظيماً من جيوش اكبر دولة من دول اوروبا يبلغ عدده مائة الف وستة الاف ما بين فارس وراجل مدة ست عشرة سنة واعجب من ذلك انهم كانوا يدخلون في معسكرنا ويقاتلوننا من وراءنا ومن يمينتنا ويسرتنا ويهربون في الوقت الذي تصور به القبض عليهم باليد والعجب كل العجب انهم كانوا يتعبون عسكرنا بتجاوزاتهم الدائمة ويظهرون بالامنية التامة غير مباليين بما كان ولا مهتمين بما

سيكون فليت شعري بماذا يجاب من سأل عن الفرق بيننا وبينهم ومن الذي يستحق المدح منا ومنهم آه قال الاديب صاحب الجامعة بعد ذكر ترجمة الامير في مشاهير المتقدمين والمتأخرين فلا يسع المؤرخ الشرقي غير الوقوف بازاء عظيمته متفكراً وباسباب سقوطها معتبراً لان الصراع بينه وبين الجنود الفرنسية كان بين مبدئين لا بين قوتين حرييتين احدهما استقلال الممالك الشرقية والثاني اطماع اوروبا الاستعمارية غير ان قوة الطمع زعزعت استقلال الشرق واستشعرا له انهم مطحونون برحاه فازداد باسهم ولو قوى المبدأ الاول لقوى رجائهم وزاد باسهم وليت شعري ما يقول المؤرخ الغربي بعد امعان النظر في دولة احكم اساسها منذ الف واربعائة سنة فقد استولت على مستعمرات امير عمر دولته سنة بعد ان قهر رجالها واباد ابطالها واشغلها خمسة عشر عاماً الى ان اراد الله انفاذ ما قدره وقضاه عاضدها اقرانه وساعدها عليه جيرانه فاستسلم لقضاء مولاه وسلم اليها نفسه برضاه على شروط موقع عليها من الجانبين وهذا هو سبب انهدام مملكته فليت شعري من يمدح ومن الذي يطعن فيه ويقدر ويبنغي لكل شرقي وقف بقبر هذا الامير ان يخضع لعظيمته ويمرغ وجهه في تربته ويعلم ان هذا الاسد الريال محط رحال الآمال والانصال

سقى الرحمن قبراً حلّ فيه	امير بالمفاخر لا يضاها
هامّ قد حمى الاوطان تما	دهاها واقتدى بآييه طاهها
به قرّت عيون الشرق نخرأ	واهل الغرب ما بلغت منهاها
ولكنّ الاله قضاء ماضٍ	وكيف تردّ اشياء قضاها

و بتسليم سيفه انتهت سيرته السيفية وهي الجزء الاول و بليه الجزء الثاني في سيرته العلمية والله وليّ التوفيق



فهرست

❖ الجزء الاول من تحفة الزائر في مآثر الامير عبد القادر ❖

❖ واخبار الجزائر ❖

صفحة

خطبة الكتاب	٣
المقدمة في ذكر جغرافية اقسام المغرب	٧
ذكر حدود بلاد الجزائر ومساحتها وما اشتهر فيها من المدن والجبال والانهار	٩
وصنوف نباتها وثمارها وصنائع اهلها وما يوجد فيها من الحيوانات والمعادن	
ذكر ابتداء عمران المغرب وحوادث دول الاشراف والعرب والبربر فيه	١٩
ذكر البربر وشعائهم	٢١
ذكر فتح المغرب وما جرى في ذلك من الوقائع بين المسلمين والبربر	٢٢
ذكر دولة الادارسة في المغرب الاقصى	٢٩
ذكر بني الاغلب امراء تونس	٣٣
ذكر دولة الادارسة بالاندلس	٣٤
ذكر دولة العبيديين وهم الفاطميون	٣٦
ذكر دولة المرابطين	٤٠
ذكر دولة الموحيدين	٤٣
ذكر دولة بني مرتين	٤٧
ذكر دولة بني وطاس وهم فرقة من بني مرتين	٥٠
ذكر دولة السعديين	٥١
ذكر امارة الشبانات من عرب المعقل	٥٥
ذكر دولة السجلماسيين	٥٦
ذكر دولة بني زيان وهم بنو عبد الواد	٥٦

- ٥٩ ذكر دولة الخفصيين امراء تونس
- ٦٠ » الدولة العلية في المغرب الاوسط وافريقية
- ٧٣ » فتح مدينة وهران
- ٧٥ » غير ذلك واخبار محمد بن الشريف الثائر على ولاية وهران
- ٧٧ » اخبار ابن الاحرش وغير ذلك
- ٨٠ » قيام السيد محمد التجيني
- ٨١ » ما كانت تؤديه الافرنج لحكومة الجزائر من الهدايا والاموال
- ٨١ » تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر
- ٨٤ » المعاهدة الواقعة بين قائد العسكر الفرنسي بورمون وبين حسين باشا في الثالث عشر من المحرم سنة ست واربعين ومائتين والفرج هجرية والخامس من يولييه سنة ثلاثين وثمانمائة والفرج ميلادية
- ٨٥ » اخبار الفرنسيين بعد استيلائهم على الجزائر
- ٨٦ » خروج الماريشال بورمون الى البليدة ورجوعه مهزوماً وما جرى بعد ذلك من الحوادث
- ٩٠ » حوادث المغرب الاوسط بعد تسلط الفرنسيين على مدينة الجزائر
- ٩٢ » واقعة خندق النطاح الاولى وفيها مقصورة الامير
- ٩٤ » واقعة خندق النطاح الثانية
- ٩٥ » واقعة برج راس العبن
- ٩٦ » البيعة الاولى لسيدى الوالد
- ١٠١ » البيعة الثانية العامة
- ١٠٣ » تنظيم هيئة الدولة ورسوم الملك
- ١٠٤ » خروج الامير لتمهيد البلاد وما جرى بعد ذلك من الحوادث
- ١٠٤ » غزوة فليته وما اتصل بها من الحوادث
- ١٠٨ » استيلاء الفرنسيين على مستغانم وخروج الامير الى قتالهم وغير ذلك من الحوادث
- ١١٣ » رجوع الجنرال دي ميشيل الى المخامرة مع الامير واظهار رغبته في السلم
- ١١٤ » ابرام المعاهدة وما جرى في ايامها من الحوادث الداخلية

صفحة	
١٢٠	ذكر تنظيم الجند وما يتعلق به
١٢٥	» القوانين وهي اربعة وعشرون قانوناً
١٣٠	الخاتمة في انواع الجزاء
١٣٣	رسم احد خيالة جيش الامير
١٣٤	رسم احد عساكر الامير
١٣٥	صفة هيئة المعسكر وترتيبه في السفر
١٣٦	صفة رحيل المعسكر ونزوله
١٣٦	ذكر خروج الامير لتهديد البلاد
١٥٠	» انتقاض المعاهدة
١٥١	» وقعة المقطع وهزيمة الجنرال تريزيل وعزله وغير ذلك من الحوادث
١٥٤	رسم الامير وحملته على الفرنسيين
١٦٠	ذكر مسير المارشال كلوزيل وولي العهد من الجزائر الى وهران واستيلائهما
	على عاصمة الامير وخروجهما منها
١٦٢	» خروج بوشناق التركي الى الحضرة ورجوعه الى مستغانم
١٦٣	» واقعة واصل في نواحي تلمسان
١٦٤	» مقتل الخليفة ابن فريجة وولاية السيد مصطفى بن التهامي على الحضرة
١٦٤	» خروج كلوزيل من وهران الى تلمسان وما آل اليه امره في تلك النواحي
١٦٦	» ولاية الجنرال بيجو على وهران وخروجه الى تلمسان
١٦٧	» حصار الامير تلمسان
١٦٨	» مسير كلوزيل الى قسنطينة وهزيمته ثم عزله عن الجزائر ولحقه بفرنسا
١٦٩	» البعوث الى الثغور
١٧٠	» انعقاد الهدنة
١٧١	» ولاية الجنرال دو مرمون على الجزائر والجنرال بيجو على وهران
١٧١	» انعقاد الصلح وما جرى في شأنه من المخابرات والمفاوضات
١٨٠	رسم اجتماع الامير مع الجنرال بيجو
١٨٤	رسم مدينة تلمسان
١٨٥	ذكر ظهور محمد بن عبد الله البغدادي في جنوب ولاية تيطرى وقيام محمد

ابن عوده المختاري بدعوته

- ١٨٦ ذكر خروج الامير الى الجهة الشرقية وهزيمة محمد البغدادي ومسير امره
- ١٨٩ رسم المديح
- ١٩٢ غزوة وادي الزيتون
- ١٩٣ ذكر خروج الجنرال دومريمون الى قسنطينة ومقتله واستيلاء عساكره عليها
- ١٩٥ » استيلاء الامير على بلاد الزيبان وصطيف وما اليهما من البلاد الجنوبية والشرقية
- ١٩٦ » خروج التجني في حصن عين ماضي من بلاد الاغواط ومسير الامير اليه
- ١٩٩ » المقاطعات والعمال وغيرهم من ذوي المناصب العلية وترتيب الاحكام وشؤونها
- ٢٠٣ » احتفال الامير للمولد النبوي والعيدين
- ٢٠٤ » ما شاهده الامير من الحصون وما انتهى اليه عدد العسكر النظامي مشاة وركبانا
- ٢٠٦ » توجيه السيد ابن عبدالله سقاط وفداً الى سلطان المغرب الاقصى وما ارسله معه من الاسئلة الى علمائها وما اجاب به شيخ الاسلام الامام التسولي
- ٢١٧ » ما وقع فيه الخلاف بين الامير والارشال من مسائل معاهدة تافنا وما آل اليه الامر في ذلك
- ٢٢١ » خروج ابن علال خليفة الامير على مليانة لتحصيل الاعانة والزكاة من الاعراش
- ٢٢٢ » توجه ناظر الخارجية ابي محمد الحاج المولود بن عراش الى باريس
- ٢٣٣ » ما جرى بعد هذا من اشهار الحرب والمراجعات فيه وما آل اليه الامر بعد ذلك
- ٢٣٧ » بدية الحرب
- ٢٣٨ » غزوة متيجة
- ٢٣٩ » وقعة ابي بهير ووقعة بوفاريك
- ٢٣٩ » غزوة مستغانم
- ٢٣٩ » خروج حاكم الجزائر الى المديح وصدته عنها
- ٢٤٠ » مسير فرنساوية الى مرسى شرشال

صفحة	
٢٤٠	ذكر وقعة موزاية
٢٤٢	ذكر مسير فرنساوية الى مليانة
٢٤٥	ذكر احوال فرنساوية بعد الحروب السابقة
٢٤٩	ذكر عزل المارشال فالالا عن الجزائر وتولية الجنرال ييجو في مكانه
٢٥١	ذكر سوالات وجهها الامير الى قاضي فاس
٢٥٢	ذكر الاجوبة
٢٥٤	ذكر ما تكلم به الجنرال ييجو في المجلس الحربي في مدينة الجزائر
٢٥٦	ذكر مسير الجنرال ييجو الى مليانة وهزيمته في رجوعه منها
٢٥٨	» ما كتبه الامير عبد القادر الى المارشال ييجو
٢٥٩	» مسير المارشال ييجو الى ولاية معسكر
٢٦٣	» مسير المارشال ييجو الى تلمسان
٢٦٨	» ما كتبه الامير جواباً عن سؤال قدمه اليه بعض الاعيان من خواصه
٢٧٧	» دخول الامير الى ارض متيجة الغربية وانتصاره على القبائل المنتصرة هناك
٢٧٨	» ما اجراه الجنرال ييجو لمنع دخول الامير الى نواحي الجزائر
٢٧٩	» واقعة طاكين
٢٨١	» مهلك مصطفى آغا ابن اسماعيل رئيس قبيلة الدوائر
٢٨٢	» واقعة الجعافرة
٢٨٣	» واقعة الخليفة السيد محمد ابن علال
٢٨٤	» واقعة سيدي يوسف
٢٨٦	» ما كتبه الخليفة السيد احمد ابن سالم من جبال جرجرة الى الامير وما اجابه به
٢٩٠	» خروج ييجو من الجزائر الى جبال زاوة
٢٩٠	» مسير ييجو الى الجهة الغربية وما جرى بينه وبين حاكم وجدة ابن الكسناري
٢٩٣	» واقعة الغزوات
٢٩٤	» واقعة تموشنت
٢٩٦	» ابي معزة الثائر وما آل اليه امره
٢٩٧	» اعمال الجنرال ييجو بعد رجوعه الى الجزائر في المرة الاخيرة وما آل اليه الامر
٣٠٠	» واقعة نهر يسر وما آل اليه امر الامير ورجوعه الى دائرته

- ٣٠٦ ما كتبه الامير الى علماء مصر من الاسئلة
 ٣٠٩ جواب الشيخ عlish عن الاسئلة
 ٣١٣ ذكر نكبة ابي معزة ووقوعه في قبضة الفرنسيين اسيراً
 ٣١٤ تسليم الخليفة السيد احمد ابن سالم الى الفرنسيين
 ٣١٦ استعفاء المارشال بيجمون ولاية الجزائر وسفروه الى فرنسا
 ٣١٧ واقعة تافرسيت من بلاد الريف الغربي
 ٣١٩ واقعة بني عامر في نواحي فاس
 ٣٢١ ذكر اخر الوقائع في المغرب وما آل اليه امر الامير بعدها



❖ بيان الخطأ والصواب الواقع في هذا الكتاب ❖

صواب	خطأ	سطر	صحيفة
القلمية	العلمية	١٢	٠٧
القطعة	القطة	١٧	٠٨
وبسيطه	وبسيطة	٠١	١٠
للمماكتين	للملكتين	١١	١٠
اشيدت	شيدت	٠٢	١٣
الجدار	الجداو	٠٦	١٣
النواحي	النواي	١٣	١٤
محلها	محلهم	١٦	١٥
النخيل لكثرتة فيها	النخيل فيها	١٠	١٦
بناها	بناها	١١	١٦
تنيره	تنيرد	٢٠	١٦
آدوغ	اودغ	٢٧	١٦
التل	المتمل	١٠	١٧
كالمه	كله	١٢	١٧
الذرو	الزرو	٢٥	١٧
ونقل	ونقل	٠٥	٢٣
صقلية	صقلبه	١٥	٢٣
سوس	السوس	٠٤	٢٤
البشار	البشار	٢٧	٢٤
املفار	ملفار	٠١	٢٥
ومن	ومن	١٢	٢٦
اليغري	اليغري	٢٧	٢٧
المصامد	المعامد	٠٣	٣١
في خطته	في خطة	٢٢	٣١

صواب	خطا	سطر	صحيفة
العبيد بين	العبيد بين	٢٥	٣٢
بغض	بغض	٢١	٣٣
ابن	من	٠٥	٣٤
مجدل	مخذل	١١	٣٥
لمتونه	لمتونة	١٠	٤٠
غزاته	غزواته	١٨	٤٢
المعروف	لمعروف	١٩	٥٠
تاودنت	تاورتت	١٣	٥١
تيلمست	تبلمست	١٦	٥١
بسلا	بسلى	٠٧	٥٥
السمالى	السمارالى	٠٧	٥٥
واخلافهم	واخلافهم	١٣	٥٦
من عرب	عن عرب	١٤	٥٦
حروب	وحر وب	١٧	٥٦
وارتحلوا	واتحلوا	١٩	٥٧
وبشره	ويسر	٠٨	٥٨
الهنتاقي	الهنتافي	١٥	٥٩
تيسوادى	ينسوادى	٠٨	٦٢
نازعا	نازعا	٠٧	٦٣
قسطنطينه	قسطنطينيه	١٣	٦٧
النجون	النجون	٠٧	٧٢
جرت	حرب	٠٤	٧٤
محمد	محمود	١٥	٧٤
وجعه	وجعة	٠٣	٧٥
البرلقتال	البرلقال	٠٧	٧٦
في معيته	في معيشه	٢٤	٧٧
مزارك	مرزاك	١٣	٨٦

صواب	خطا	سطر	صحيفة
الجزائر	الجزائر	٢٠	٨٦
في القيطنة	في القيطينة	٢٦	٩١
ثمان	مراراً	٢٢	٩٢
عراها على النوى	دعاها الى النوى	٢٦	٩٢
غيب	غياهب	٢٧	٩٢
فتمن	فانا	٠٩	٩٣
ونحن	وانا	١٦	٩٣
لهم	لها	١٧	٩٣
ثمان	مراراً	١٩	٩٣
قد سوى	يشتوي	٢٤	٩٣
القيطنة	القيطينة	١٥	٩٤
اتكالي	الانكالي	١٧	١٠١
حيص ييص	حيص وييص	١٦	١٠٢
وجاعة	وجعة	٢٤	١٠٢
عيشهم	عيشهم	٠١	١٠٥
رتب	تب	١٦	١٠٥
راسلوه	ارسلوه	٠٨	١٠٩
من مسركين	في مسركين	١٨	١٠٩
فيشتهم	فشتهم	١٨	١٠٩
في الحرب احلى لا ذاتنا	في الحرب لا ذاتنا	٢٣	١١١
ادراك	درك	٢١	١١٣
المولود	الميلود	٠٦	١١٥
خلون	خلين	١٠	١١٥
بارجاع	بترجع	٢٢	١١٥
ان يسافر	يسافر	١١	١١٦
نصره الله	نصر الله	٠٩	١٢١
والسراويل	والسروال	١	١٢٢

صواب	خطا	سطر	صفحة
وسراويله	وسرواله	٢	١٢٢
وعين	وعن	٢٥	١٢٢
محفظه	محل	١١	١٢٤
اخنيج	اخنج	٢٥	١٢٤
احدها	حداها	٩	١٣٥
عراش	عراس	٧	١٤٣
يحييه	ويحييه	١٦	١٤٣
الاقليم	الاقالم	١٢	١٤٤
اجزاؤه	اجزؤه	٢٦	١٤٤
اعلم	علم	٧	١٤٥
عرب	العرب	٩	١٤٦
الى معسكر	ال معسكر	١	١٤٧
المؤرخ المذكور	بعضهم	١٢	١٤٨
المعسكري	العسكري	١٠	١٥٥
الى الآخر تجاره	الى الآخره تجار	١٣	١٥٥
الحدود	المحده	١٥	١٥٥
الامير	الامر	٥	١٦١
الهوارى	اوارى	٥	١٦٢
بنج	ينجج	١٠	١٦٣
رداء	رداء	١٥	١٦٣
مفلولاً	مفلولاً	٧	١٦٥
ذكر ان القائد	ذكر القائد	١٤	١٦٧
في قلعتها كان	في قلعتها انه	١٥	١٦٧
احمد	محمد	١٩	١٦٧
واستفوا	واشفوا	٢٧	١٦٩
احترامي	حترامي	١٨	١٧٢
شفاهاً	اشفاهاً	٢٣	١٧٢

صواب	خطا	سطر	صحيفة
قلعتها	قلعتها	٢٠	١٧٤
التي بها	التي بهما	٢١	١٧٤
فيها	فيهما	٢١	١٧٤
ويعود الشارد	ويغود الشادر	٢٠	١٧٥
النية	المنية	١١	١٧٦
المقاصد	امقاصد	١١	١٧٦
مسلم	مسا	١٦	١٧٦
حمادي	حماده	٢٧	١٧٦
الحضر في تلسان	حضرة تلسان	٠١	١٧٧
التوسيع لحدود	توسيع معين لحدود	٠٢	١٧٧
حصل الاتفاق على	وعليه حررت	٠٤	١٧٧
متسربلين	يتسربلين	٠٤	١٧٩
يسيره	مسيره	٠٥	١٧٩
خطر	خاطر	٠٣	١٨١
كافيناك	كافيناك	١٦	١٨٢
سيدنا الامير	سيدنا	١٣	١٨٣
سلطان المغرب	السلطان	٠٢	١٨٦
الموصوفة	المواصفة	١٠	١٩٢
واقبل	واقبل	١٢	١٩٣
مع الوف	من الوف	٠٢	١٩٥
والذواوده	والزواوده	١٨	١٩٥
رابعه	اربعه	٢٤	١٩٩
الهاويه	الهاديه	٠٩	٢٠١
وعين السيد	والسيد	١٥	٢٠١
والسيد ابن عبدالله	والسيد عبدالله	٢٧	٢٠٢
الخروبي	الخرنوبي	٠١	٢٠٣
ست عشرة	مئة عشر	٢٣	٢٠٥

صواب	خطا	سطر	صفحة
ظهر	اظهر	٠١	٢٠٦
بن ابي صفر	بن صفره	١٤	٢١٢
منصور	منظور	١٩	٢١٣
يحتسبون	يحبون	٢٦	٢١٦
دبشكم	مدينشكم	١٠	٢١٨
الجدال	الجوال	٢٦	٢١٩
مطاطه	مطامطه	٠٤	٢٢٢
محمد بن فاخا	محمد فاخه	١٤	٢٢٢
شاره	بشاره	٠٢	٢٢٣
طالقيتهم	طاغييتكم	١٢	٢٢٣
العدو	العدل	١٣	٢٢٣
مخوصه	مخصوصه	٠٥	٢٢٦
واراؤها	واذاؤها	١١	٢٣٥
واقندار	واقندارا	٢٦	٢٥٤
قمن	فمن	٠٧	٢٦٩
ردا	ردم	١٧	٢٦٩
يستدلون	يتدلون	٠٦	٢٧٢
البرزلى	البرازلى	١٧	٢٧٢
اما	ما	٢٣	٢٧٢
خادم السيد	ابن السيد	٠٣	٢٨٦
وانحاز	وتحبز	٢٥	٢٩٧
المواز	الموز	١٢	٣٠٩
البرد	البر	٠٢	٣١٥
لا يوافق	يوافق	٢٧	٣١٥
بوز ياده	بز ياده	٠٥	٣١٧
عبد القادر الحشى	الامير عبد القادر	١٠	٣١٧
احدم	احدم	٢٨	٣١٨

صواب	خطا	سطر	محيطة
قلميه	كلعيه	٢٧	٣١٩
لا توها	لا شوها	١٩	٣٢١
وفي ليلة	في ليله	٢٠	٣٢١
بعد ان اثخن	بعد اثخن	٠٣	٣٢٢
بانتشار	بانتشار	٢٧	٣٢٢
سار	سنار	١٠	٣٢٣
الضبتين	الضبنين	٠٧	٣٢٤
خويه	خوبه	١٧	٣٢٤

